

# ابنة السماء

رواية خيالية

## بقلم: خيال

ركعت الفتاة الصغيرة ذات الخمسة أعوام وهي مثقلة بمعطفها الصوفي الضخم والغطاء الذي يغطي رأسها حتى حاجبيها.. رفعت الغطاء الذي بدأ ينسل على عينيها ونظرت للجسد الذي استلقى على الأرض العشبية أمامها بتفحص وفضول كبير.. فأمامها، كان الرأس يغطيه شعر أشقر بلون ثلجي يتطاير بنعومة مع النسمة الخفيفة رغم قصره.. ولم يكن يفسد ذلك المنظر إلا الدماء التي خضبت جانباً من شعره ووجهه الذي غدا بلا معالم.. لكن ذلك لم يربع الفتاة الصغيرة وهي تمتد يداً دقيقة نحو ذلك الشعر وتعبث به متلمسة إياه بدهشة تامة.. كان شعوراً جميلاً استمتعت به بشدة وهي تتلمس الشعر الذي بدا لها كخيوط حرير، وتساءلت عن الكيفية التي يمكنها بها الاحتفاظ بهذا الشعر الجميل مدة أطول.. سمعت خطوات تقترب منها وتقف جوارها وصوت رجل يقول "ججي.. ما الذي تفعلينه قرب هذه الجثة؟.. التفتت إليه الفتاة متسائلة بلهفة واضحة "هل يمكنك أن تصنع لي مخدة من هذه الجثة الشقراء؟.. ابتمس الرجل بتعجب وقال "لم؟.. ألا تعجبك المخدات المصنوعة من صوف الخراف؟.."

قالت الفتاة وهي تتلمس الشعر من جديد "هذا أكثر نعومة من ذلك الصوف الخشن.. لقد أحببته كثيراً.."

ربت الرجل على رأسها قائلاً "ليس ذلك ممكناً.. هيا، ستعاود القافلة رحلتها الآن.."

نهضت الفتاة وهي تعدل غطاءها الذي انسل متسالة ببراءة "لم لا يمكنني ذلك؟.. أهو ملاك؟.."

قال الرجل بابتسامة جانبية "الملاك لا يموت بهذه السهولة وبسيوف البشر يا ججي.."

تلقت الفتاة حولها نحو ذلك السهل الأخضر الذي افترشت الجثث المتناثرة جزءاً كبيراً منه، وهو منظر اعتادته رغم سنوات عمرها القليلة ولم تعد تتساءل عن سببه ومغزاه.. بل بدا لها منظرًا اعتيادياً كما يعتاد الصياد رؤية طريدته الذبيحة ولا يرف له جفن لذلك..



سهول الأكاشي

قارة الثنايا

القارة العظمى

الأرخبيل الأسود

مملكة بني فارس

مملكة كشمير

سرييل

كاشتار

بحر السلام

ابنة السماء





أبناء الذئاب  
(المخيم الصيفي)  
X

مخيم  
الغريان  
X

مخيم  
الأرقصا  
X

سَهول الرَّاكاشِي

مخيم  
جلوان  
X

مخيم  
زكوان  
X

مخيم  
طاغار  
X

مخيم  
رأس الريح  
X

قرية  
X

مخيم  
X

مخيم  
جدوان  
X

مخيم المخلب  
الأسور  
X

أبناء الذئاب  
(المخيم الشتوي)  
X

مخيم  
وهج  
X

مخيم نجم  
الشمال  
X

مخيم  
عين التمسد  
X

مخيم  
المجق  
X

قرية  
X

مملكة بني فارس

ابنة السماء

## المقدمة {فتاة وصبي}

ركعت الفتاة الصغيرة ذات الخمسة أعوام وهي مثقلة بمعطفها الصوفي الضخم والغطاء الذي يغطي رأسها حتى حاجبيها.. كانت وسط سهول خضراء شاسعة غمرتها شمس العصر بأشعتها الذهبية التي تنبئ بقرب غروبها وباقتراب الليل الحثيث من تلك المساحات جالباً معه البرد القارس عادة.. رفعت الفتاة الغطاء الذي بدأ ينسلّ على عينيها العسليتين ونظرت للجسد الذي استلقى على الأرض العشبية أمامها بتفحص وفضول كبيرين..

فأمامها، كان الرأس الذي يغطيه شعر أشقر بلون ثلجي يتطاير بنعومة مع النسمة الخفيفة رغم قصره.. ولم يكن يفسد ذلك المنظر إلا الدماء التي خضبت جانباً من رأسه ووجهه الذي غدا بلا معالم.. لكن ذلك لم يربح الفتاة الصغيرة وهي تمد يداً دقيقة نحو ذلك الشعر وتعبث به متلمسة إياه بدهشة تامة.. كان شعوراً جميلاً استمتعت به بشدة وهي تتلمس الشعر الذي بدا لها بنعومته كخيوط حرير، وتساءلت عن الكيفية التي يمكنها بها الاحتفاظ بهذا الشعر الجميل مدة أطول..

سمعت خطوات تقترب منها وتقف جوارها وصوت رجل يقول "ججي.. ما الذي تفعلينه قرب هذه الجثة؟.."

التفتت إليه الفتاة متسائلة بلهفة واضحة "هل يمكنك أن تصنع لي مخرقة من هذه الجمّة الشقراء؟.."

ابتسم الرجل بتعجب وقال "لم؟.. ألا تعجبك المخرقات المصنوعة من صوف الخراف؟.."

قالت الفتاة وهي تتلمس الشعر من جديد "هذا أكثر نعومة من ذلك الصوف الخشن.. لقد أحببته كثيراً.."

ربت الرجل على رأسها قائلاً "ليس ذلك ممكناً.. هيا، ستعاود القافلة رحلتها الآن.."

نهضت الفتاة وهي تعدل غطاءها الذي انسلّ متسائلة ببراءة "لم لا يمكنني ذلك؟.. أهو ملاك؟.."

قال الرجل بابتسامة جانبية "الملاك لا يموت بهذه السهولة وبسيوف البشر يا ججي.."

تلفتت الفتاة حولها نحو ذلك السهل الأخضر الذي افترشت الجثث المتناثرة جزءاً كبيراً منه، وهو منظر اعتادته رغم سنوات عمرها القليلة ولم تعد تتساءل عن سببه ومغزاه.. بل بدا لها منظراً اعتيادياً كما اعتاد

الصيدار رؤية طريدته الذبيحة ولا يرفّ له جفن لذلك..

ألقت نظرة أخيرة على الشعر الثلجي، ثم تنهدت بأسىً وهي تستدير مغممة "سيكون النوم على وسادة من هذا الشعر مريحاً جداً.."

تبعث الرجل الذي سار نحو قافلة متوسطة الحجم مكونة من الخيول والجمال ذات اللون الأسود، والتي كانت تنوء بأحمالها الثقيلة.. كانت البرودة قد تزايدت في هذه السهول وبدا أن الشتاء وشيك والثلج سيغمر المكان في أي لحظة.. ولهذا السبب، فإن تلك القبيلة اضطرت لحمل خيامها الثقيلة على ظهور الجمال ومتاعها على العربات التي تجرها الأحصنة في طريقها نحو الجنوب الأكثر دفئاً من الشمال، يحدوهم الأمل أن تبقى بعض السهول خضراء في هذا الشتاء الطويل ولا تغمرها الثلوج بشكل كامل، مما قد يهدد بالقضاء على ماشيتهم وحيواناتهم وبالتالي تجويع أفراد القبيلة كاملة..

اقتربت ججي من أحد الأحصنة حيث امتطاه رجل يتجاوز الخامسة والخمسين من عمره، بلحية طويلة حمراء خالطها بياض ووجه غزته التجاعيد لعبوسه الدائم.. نظر الرجل للفتاة التي قالت بلهفة "هل أستطيع ركوب الحصان معك يا أبي؟"

لم يتحرك الرجل من موقعه وهو ينظر لها بصمت، ثم قال بهدوء "النساء لا يركبن الأحصنة.. عودي للخلف واصعدي لإحدى العربات مع أمك.."

تساءلت من جديد "لماذا؟"

قطب الرجل شيئاً ما، بينما اقترب منها شاب لا يكاد يتجاوز السابعة عشرة من عمره وقال بحزم "ججي، ألم نتفق على أن تطيعي ما يقال لك؟"

التفتت إليه قائلة بسرعة "أنا لم أعصِ ما يقال لي.. لكنني أريد معرفة سبب امتناع النساء عن ركوب هذه الأحصنة يا أخي.."

قال الشاب وهو يدفعها نحو الخلف "لأن هذا يجلب الحظ السيئ.. والآن اصعدي للعربة بسرعة فالقافلة ستبدأ سيرها.."

تنهدت ججي بحسرة وهي تتأمل الموقع الذي بدا لها عالياً على ظهر الحصان الذي يمتطيه أبوها.. ألن يكون المنظر مسلياً ورحباً أكثر من التطلع من خلف الستار الذي يغطي العربة؟.. لم تتمكن من الاعتراض

وهي تتأفف بصوت واضح وتسحب خطواتها نحو العربة، بينما انتبه الشاب لرجل يقترب من الأب قائلاً "أيها الزعيم.. هناك فرقة أخرى من الأعداء على مسير عدة ساعات منا.. ولو تركناهم فقد يهاجمون معسكرنا ليلاً كما حاولت هذه الفرقة التي هاجمتنا الآن.."

قطب الزعيم مفكراً وهو يمسد لحيته بينما اقترب الشاب منه قائلاً بحماس "فلنقض عليهم الآن.. هذا خير من انتظار هجومهم علينا.."

قال الزعيم ببطء "هذا حل أفضل بالتأكيد يا سيجان، لكن وجود النسوة والأطفال معنا هي نقطة ضعف كبيرة.. لا ندري ما الذي سيجري أثناء غيابنا عن القافلة.."

تقدم سيجان قائلاً بحماس أكبر "اترك لي أمر هذه الفرقة يا أبي.. سأذهب أنا بفرقة عدد من رجالنا وستخلص منهم بسرعة، بينما ترحل أنت مع البقية للموقع المحدد لمعسكرنا هذه الليلة.. وعندما نفرغ منهم سنعود إليكم ظافرين بالتأكيد.."

نظر الزعيم لملامح الشاب المتحمسة ويده التي تضغط على سيفه العريض المعلق بحزامه، بينما قال الرجل القريب "ربما كان هذا اقتراحاً جيداً.. ستكون هذه خبرة ملائمة لسيجان فهو في سن مناسبة لقيادة الرجال.."

نظر الزعيم للشاب بنظرة جانبية وشيء من الفخر يتبدى في ابتسامته، ثم قال بحزم "لا بأس.. خذ ثلاثين رجلاً وتخلص من فرقة الأعداء تلك يا سيجان.. أريدك أن تعود قبل أن يرتفع القمر في السماء هذه الليلة، وأريدك أن تعود ظافراً.."

وقف الشاب باعتداد وقال "سمعاً وطاعة يا أبي.."

وأسرع عائداً لحصانه الذي وقف قريباً، بينما قالت ججي وهي تجلس قرب أمها في تلك العربة الضيقة التي ملأها صناديق وجرارٌ عدة "لماذا يركب الرجال الأحصنة بينما نجلس نحن في هذه العربات؟" قالت الأم التي جلست قربها وهي تحمل رضيعاً لم تتجاوز تسعة أشهر بين ذراعيها "كما قال لك سيجان.. النساء غير مسموح لهن بركوبها كما الرجال.."

نظرت ججي لأمها قائلة "لماذا؟.. ما الفرق بيننا وبينهم؟"

مسحت الأم على شعر الفتاة الذي تدلى من تحت غطاء رأسها، وتخللت خصلات شعرها الأحمر الذي

تموج تموجات جميلة بأصابعها متأملة ملامح الفتاة الناعمة وعينيها الواسعتين العسليتين وفمها الأحمر الصغير.. ثم تنهدت قائلة "الرجال أكثر قوة وشدة منا، وهم من يتولى حمايتنا والقيام بالأعمال الشاقة كلها، ولذلك هم من يضع القوانين والأعراف في قبيلتنا والقبائل الأخرى.. أما النساء، فهن ضعيفات ومغلوبات على أمرهن.. كل ما يهم الرجال بنا هو جمالنا والأبناء الذين نحملهم في بطوننا، ولا نملك نحن إلا التسليم بالأمر.."

نظرت ججي لأمها التي لم تكن تجاوز الثلاثين بكثير، بجمال ملحوظ وشعر طويل مموج بلون أشقر، وبشرة ناعمة سمراء وعينين وادعتين عسليتين ورموش طويلة.. كانت بالفعل جميلة، لكن هل هذا سبب لكونها تجلب الحظ السيئ؟.. ما الفائدة من هذا الجمال إذا؟..

خفضت ججي وجهها مدممة "أنا لا أريد أن أكون من النساء.. أريد أن أركب على ظهر الحصان كأخي سيجان.."

أمسكت الأم كتف ججي قائلة بحزم "إياك والتفكير بهذا يا ججي.. رجال القبيلة يتعاملون مع هذا الأمر بصرامة شديدة.. لا أريد أن تواجهي عقاباً على مخالفتك الأوامر.."

شعرت ججي بالعربة تبدأ سيرها خلف بقية القافلة، فنظرت جانباً للسهول التي تسير ببطء شديد وغمغمت بضيق "لم أنال عقاباً لأنني فتاة حتى لو لم أرغب بأن أكون كذلك؟.."

تنهدت الأم وهي تضمها لصدرها مغممة "هذه هي قوانين الأكاشي يا طفلي.. وليس علينا سوى الانصياع إليها بتسليم تام.."

لم تعلق ججي وهي ترى سيجان ينطلق على ظهر حصانه متجاوزاً القافلة في الاتجاه المعاكس، ولما رأى ججي لوح لها بيده بابتسامة واسعة وعدد من الرجال يتبعونه على أحصنتهم.. لاحظت ججي الابتسامة السعيدة على وجه أخيها الفخور، فحسدته بشدة على ما يتمتع به من حرية مقارنة بكل تلك القوانين التي تحكمها كفتاة في هذه القبيلة.. ولصغر سنها، فإنها لم تستوعب بعد ما يعنيه ذلك الحظ السيئ الذي تجلبه معها كفتاة.. كيف يمكنها أن تمنعه من المجيء معها كلما قابلت أباه؟.. كيف يمكنها أن ترسم الابتسامة على وجه أبيها دون أن يدمدم كلما رآها متذكراً الحظ السيئ الذي يأتي معها؟.. هل يرى شيئاً لا تراه هي؟..

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، أصرت ججي على انتظار عودة أخيها رغم إصرار أمها على ذهابها لفراشها اتقاءً للبرد الذي تزايد بشدة.. لكن ججي جلست قرب مدخل الخيمة الواقعة وسط المعسكر المؤقت الذي نصبه الرجال لتلك الليلة، وظلت تنفخ في يديها لتبعث الدفء فيها وتتطلع لجانب المعسكر بحثاً عن أثر لسيجان وبقية الرجال.. كانت تأمل أن تسمع منه حكايات مثيرة عما جرى له في مهمته تلك، وهي دائماً تستمتع بحكاياته وأحاديثه.. ولم تدر متى غزا النعاس عينيها إلا عندما انتبهت وسط الظلمة لتجد أنها على فراش صوفي في جانب تلك الخيمة.. ووجدت أباهما يجلس على فراشه بصمت مطرقاً بينما أمها القريبة تهمس "لم أنت قلق هكذا؟.. ألسنت واثقاً من قدرة ابنك على قيادة أولئك الرجال؟"

لم تسمع ججي رداً والنوم يجبرها على إغلاق عينيها لتغرق في أحلام طويلة لن تذكر منها شيئاً كالعادة عندما تستيقظ.. ولم يوقظها فجر ذلك اليوم إلا نغاء الأغنام التي ربطت في جانب المعسكر وهي تضحج بالأصوات العالية لإطلاقها كي تتمكن من تحصيل رزقها من السهول الخضراء تلك.. عندها نهضت ججي بكل نشاط وأسرعت ترتدي معطفها الملقى جانباً دون أن تغسل وجهها، وركضت خارجة من الخيمة الخالية وهي بحماس لإطلاق الأغنام بنفسها هذه المرة ومصاحبتها في المراعي القريبة قبل أن تبدأ القافلة سيرها هذا اليوم..

وفي الخارج الذي كان أشد برودة عن الجو داخل الخيمة، لاحظت ججي الضباب المخيم على المكان بحيث بدا لها رجال ونساء القافلة كأشباح يسعون بصمت وسط المعسكر.. توقفت ججي عن ركضها لدى رؤيتها شبح أبيها يقف وسط المعسكر بصمت، ثم لاحظت أولئك الرجال الذين تقدموا منه بصمت أيضاً وخطىً وثيدة.. انتاب ججي بعض الفضول وهي تتقدم من موقعهم بحثاً عن سيجان، وعند اقترابها، لاحظت ذلك الجسد الذي أنزله الرجال بشيء من الرفق أرساً أمام الزعيم.. ومن بين بعض الحشود الذين تجمهروا الرؤية ما جرى، انسلت ججي بخفة بين الأقدام حتى اقتربت من موقع أولئك الرجال وتقدمت من ذلك الجسد بفضول..



وأمامها، على الأرض العشبية الندية الرطبة، رأت جسد أخيها الطويل يستلقي أرضاً بشكل مشابه للجسد الذي رآته في اليوم السابق.. والفرق هنا أن الدماء لم تكن تغطي رأس أخيها بل عنقه، من موضع ذلك الجرح الذي زين العنق في جانبه.. وقفت ججي للحظات تنظر للمنظر بصمت ودهشة، ثم رفعت بصرها فيمن حولها لترى الارتياح والحزن في أعين الرجال والنساء القريبين منها.. ولما دارت بصرها إلى أبيها رآته ينظر للجسد بصدمة وذهول كبيرين وهو صامت كما كان، بينما قال أحد الرجال الذين أحضروا الجسد "لقد قمنا بهجوم ناحج على تلك الفرقة الصغيرة التي لا تبعد الكثير عن موقعنا، لكنهم فاجؤونا بكمين لم نتوقعه.. لقد اختبأ بعض رجال تلك الفرقة خلف التلال القريبة وأمطرونا بسهامهم قبل أن نتخلص من رفاقهم.. فقدنا رجلين من رجالنا، وأصيب سيجان بضربة غادرة لم يتمكن أحدنا من حمايته منها.."

قال الأب بصوت حاد "كيف يحدث هذا وهو وسطكم؟.. أهكذا تقومون بحماية قائدكم؟.."

لم يجب أحد الرجال وهم يخفضون رؤوسهم بصمت، بينما قال الأب بمرارة واضحة "لقد مات سيجان وهو وسط ثلاثين رجلاً من رجالي الأشداء.. تعساً لكم.. كيف لم تتمكنوا من تجنيبه هذا المصير؟"

بدا الندم واضحاً على وجوه الرجال من حولها، بينما لم تشعر ججي بأي انفعال لمثل هذا المنظر بل ظلت تتأمل ما يدور حولها بصمت.. لم تفهم معنى الموت، ولا تفهم لم اختار أخيها بالذات من بين بقية الرجال.. لأنه الأفضل بينهم؟.. سمعت أبيها يقول لمن حوله من أفراد القبيلة بصوت متحرج "غادروا.. اتركوني وحيداً.."

أسرع الجميع لتنفيذ قوله بسرعة وصمت وشيء من الإشفاق يتبدى على الوجوه، بينما لاحظت ججي أن أمها كانت تقف في جانب المعسكر وهي تشير لها لتبتعد بدورها.. لم تطعها ججي هذه المرة مع أنها تدعي دائماً أنها لا تعصي أمراً من أبيها، بل ركعت قرب رأس أخيها ومسحت بعض التراب الذي غطى ملامحه وهي تناديه ليفتح عينيه.. رأت أباهاً يتهاوى قرب الجسد وهو يتلمسه بلهفة وجزع واضحين، ثم قال لها بصوت متحرج "أرأيت يا ججي؟.. لقد اختطف الموت أخاك.. اختطف ابني الوحيد ليجعلني مجرداً من أي وريث وأي سند في هذه الحياة.."

تساءلت ججي ببراءة "ربما لأنه يحب أخي كما أحبه أنا.."

نظر لها الأب بمرارة، ورأت ججي دمعان تسيلان على خديه قبل أن يخفض وجهه قائلاً بحسرة "واأسفاه

على سيجان وعلى شبابه وقوته التي لم يهناً بهما.. لم اختاره الموت من بين البقية؟"  
وتشبث بجسد الشاب بقوة وهو يخفي دموعه التي سالت بغزارة، بينما لم تفهم ججي سبب بكائه.. لقد  
رأت عدداً كبيراً من الأجساد الملقاة غارقة بدمائها منذ وعت الدنيا.. فلم هم يفرحون عندما تكون  
الأجساد لغرباء عنهم، ويكوا المرآها عندما تكون لشخص عزيز عليهم؟.. كانت تملك الكثير من الأسئلة  
التي تحيرها كالعادة، لكنها لم تجرؤ على طرحها وهي تشهد حزن أبيها العارم.. ثم قالت له "لا تبك يا أبي..  
لم أنت حزين هكذا؟"

وتناولت خوذة سيجان التي سقطت أرضاً قرب رأسه، فوضعتها على رأسها وهي تقول بحماسة "لو رأيت  
هذا الموت، فسأقتله بالسيف دون تردد.. متى ستمنحني سيفاً مثل سيجان يا أبي؟"  
رفع الأب بصره ونظر لججي بألم.. كانت الخوذة أكبر منها وتكاد تغطي عينيها اللامعتين، بينما نهضت  
ججي وتقدمت من حزام سيجان حيث سيفه المعلق، فسحبته بعسر وحاولت رفعه قائلة "سأقتله دون  
تردد، وسيعود لنا سيجان كما كان من جديد.. أليس كذلك؟.."  
لكنها لم تتمكن من رفع السيف الثقيل وهو يتهاوى أرضاً، فنظرت لأبيها بقلق لئلا ترى الخيبة في عينيه  
وهي تحاول رفع السيف مجدداً.. ولما رأت أن دموع أبيها لم تتوقف، تركت السيف واقتربت منه فتشبثت  
بثيابه قائلة بقلق "لم البكاء يا أبي؟.. لو لم أتمكن من قتل الموت، ألن يعود لنا سيجان؟.. هل سيبقى هكذا  
للأبد؟.."

لم يجيبها الأب وهو ينهض ماسحاً دموعه بكم ثيابه، ثم استدار مبتعداً عن جسد سيجان مشيراً لأحد رجاله  
ممن كان يقف جانباً بصمت.. اقترب الرجل مع آخر وحمل جسد سيجان وججي تراقبهما بقلق وعدم  
فهم.. ثم رأتهما يحملان الجسد خارج المعسكر في موضع بعيد بينما بقيت هي بانتظار جواب من أبيها الذي  
ابتعد دون أن يتفوه بكلمة.. نظرت حولها للحظة، ثم رفعت مقبض السيف الثقيل وسحبته خلفها وهي  
تركض خلف أبيها حتى تجاوزته بعسر.. عندها رفعت الخوذة الواسعة عن عينيها وهتفت له "ثق بي يا  
أبي.. سأفعل أي شيء لاستعادة سيجان.. لن أكون فتاة بعد الآن.. سأكون رجلاً مثل سيجان، وسأستعيد  
أخي الحبيب من الموت رغم أنفه.. ألن تكون سعيداً عندها يا أبي؟"

نظر لها الأب بنظرة مبهمة، ثم تجاوزها عائداً لخيمته بظهر محني وصمت تام.. ظلت ججي تراقبه بصمت

وإحباط، وهي التي كانت تودّ لو يدها على موضع ذاك الموت الذي منع أباها من العودة إليهم كما كان..  
بينما تقدمت منها أمها بخطوات سريعة فلطمت السيف من يدها وخلعت الخوذة عن رأسها ورمتها جانباً  
وهي تقول بتوتر كبير "ما الذي تظنين نفسك فاعلته يا ججي؟.. عودي للخيمة حالاً والتزمي الصمت..  
ليس الوقت ملائماً لهذا المزاح.."

لكن ججي استعادت الخوذة وركضت نحو السيف الملقى جانباً وهي تقول باعتراض "لن أفعل ذلك..  
يجب أن أستعيد سيجان.. سنرحل بعد قليل ولن يتمكن من اللحاق بنا لو لم يتخلص من الموت.."  
قالت الأم بعينين دامعتين وهي تجذب السيف بقوة "لا أحد يعود بعد الموت يا فتاة.. كفي عن هذا القول  
لئلا يغضب منك أبوك فينتقم منك لما جرى لسيجان.. يكفي أنه يظننا خطأً سيئاً منذ البدء.. ما الذي  
سأفعله لو سلبك مني أنت أيضاً؟"

تراجعت ججي خطوات وهي تصيح "أنا لست فتاة.. سأكون رجلاً.. سأكون كذلك منذ هذه اللحظة  
مادام ذلك سيسعد أبي.."

وركضت مبتعدة غير عابئة بصياح الأم الملتاعة.. لم يرفض الجميع أن تصبح كالرجال؟.. لم لا تملك الخيار  
بذلك رغم رغبتها الشديدة به؟..

\*\*\*\*\*

عندما عادت ججي للخيمة عند انتصاف النهار، بعد أن أعجزها جوعها عن الذهاب والبحث عن الموت  
كما وعدت أباها، سمعت حديثاً هامساً وسط الخيمة وصوت نحيب خافت.. أطلت برأسها بقلق للدخول  
فأرت أمها تجلس في جانب الخيمة وهي تخفي وجهها بين يديها وتتحب بشدة، بينما جلست قربها امرأة من  
نساء القبيلة وهي تقول لها بالحاح "لم تفعلين هذا بنفسك؟.. ما الذي يجعلك خائفة وحزينة بهذا الشكل  
منذ الصباح؟"

مسحت الأم دموعها التي لم تكف عن الانهيار بشدة وهي تقول بصوت راجف "أخشى مما سيفعله قادور  
الآن.. لقد فقد ابنه الوحيد، بعد أن عجزت عن منحه ابناً منذ تزوجني.. والآن، لا بد أنه يبغضني ويبغض

بناتي بالتأكيد.. لطالما أطلق علينا نعوتاً قاسية.. الحظ السيئ.. النحس.. الشؤم.. كل ما يكرهه الأكاشي في الأنثى قد اجتمع في صدر زوجي منذ أنجبت له ابنتي الكبرى فاتي.. والآن، ها هو قد أصيب بحظ سيئ بالفعل وسيصبّ جام غضبه علينا.."

قالت المرأة مقطبة "لا دخل لك أنت بالأمر.. هو من أرسل سيجان لتلك الغارة متناسياً قلة خبرته وصغر سنه.. لمّا تحاولين إنجاب صبي له هذه المرة؟.. لا بد أن يحالفك الحظ في المرة القادمة وتحملين في بطنك صبياً يملأ عينه ويغير رأيه بك.."

هزت الأم رأسها بشدة قائلة "لقد حذرني منذ أن أنجبت ابنتي تينا من أن أكرر الحمل من جديد.. أخبرني أنه لن يتردد في إسقاط ما في بطني لو رفضت الانصياع لطلبه.. قال إنه اكتفى بي وبيناتي الثلاث، وأن وجود أربع نساء في حياته هو أكثر مما يطيق.. ولولا موت زوجته الأولى وأم سيجان، لكننا خمس.."

زفرت المرأة وهي لا تدري ما تعلق به على ما قيل، بينما عادت الدموع للانهيار من عيني أم ججي وهي تضيف بصوت متهدج "إنه لم يكتفِ بتزويج فاتي وهي لا تزال بعمر الثالثة عشر، وفوق ذلك زوجها برجل تجاوز الأربعين من عمره ويملك زوجات ثلاث غيرها.. ما الذي سيفعله بالمسكينة ججي لو غضب عليها هي أيضاً؟.. إنها لا تزال في الخامسة من عمرها.."

قالت المرأة بضيق "أتظنين أنه سيبيع ابنته لزوج وهي في هذه السن؟.. مهما كان كارهاً للمرأة، فإنه لن يفعل هذا بالتأكيد.."

أدارت الأم بصرها جانباً وهي تقول بصوت راجف "لا شيء مستحيل مع قador.."  
انتبهت في تلك اللحظة لوجود ججي تسترق السمع في جانب المكان، فهتفت بها وهي تسارع لمسح دموعها "ججي.. أين اختفيت هذا اليوم كله؟.. لقد بحثت عنك في كل مكان.."

خفضت ججي بصرها وهي واقفة في موقعها بحيرة، بينما اقتربت الأم بعينين منتفختين من البكاء رغم أنها مسحت دموعها، وأمسكت ذراع ججي قائلة "لا تثيري قلقي عليك هكذا في مثل هذه الأوقات.."

رفعت ججي بصرها لأمها متسائلة "أأنت تبكين أيضاً لاختفاء سيجان؟"

أجابت الأم بسرعة "أجل.. كلنا نحب سيجان.. أليس كذلك؟"

فقال ججي وهي تتبع الأم داخل الخيمة "أنا جائعة.. فور أن أتناول الطعام، سأطلب من أبي أن يدلني

على وسيلة لاستعادة سيجان.. لقد اشتقت إليه، ولا أريد أن أرى أبي وأراك باكية مرة أخرى.."

نظرت لها الأم بشفتين ترتجفان، بينما قالت ججي متوسلة "هل ستنتظريني حتى أنني طعامي يا أمي؟" ضمّتها الأم بقوة وهي تمنع نفسها من البكاء، ثم نظرت في عينيها قائلة "استمعي إلي يا ابنتي.. سيرسل أبوك رجالاً أشداء لاستعادة سيجان.. فلا تقلقي لأمره.. عليك ألا تفارقيني أبداً في الأيام القادمة.. أسمع؟"

ظلت ججي تنظر لها باعتراض صريح، فقالت الأم بحزم "أمر يطلب منك سيجان أن تطيعي ما يطلب منك؟.. ما الذي سيقوله عندما يعود فيرى ما فعلته في غيابه؟"

خفضت ججي رأسها مدمدمة "حسناً.. سأطيع ما تطليبه مني.."

ابتسمت الأم شيئاً ما، ثم جذبتها لتجلس في جانب الخيمة ووضعت أمامها بعض الخبز الطازج وجبن الماعز والعسل، وبينما التهمت ججي طعامها بلهفة، فإن الأم حملت شقيقتها الرضيعة التي بدأ صياحها يتعالى والمرأة تقول "أتوقعين أن تتمكني من تغيير قدرها بهذه الوسيلة؟"

قالت الأم بمرارة وهي تراقب ملامح طفلتها الرضيعة "هذا كل ما أتمناه وأمله.. ألا يعشن حياة كحياتي، وألا يوصمن بأنهن جالبات للفأل السيئ من رجال القبيلة، رغم أن الفأل السيئ والنحس لا يأتي إلا من سيوفهم وخيولهم التي يعشقونها عشقاً شديداً.."

لم تفهم ججي كلمة مما قالتها أمها، لكنها لم تعبأ بذلك وهي تزدرد طعامها بسرعة وتلاحق.. ربما يشرح لها سيجان الأمر عندما يعود.. كم سيطول به الوقت قبل أن يلحق بهم يا ترى؟..

\*\*\*\*\*

مضت أيام عدة والقبيلة لا تبارح موقعها في حداد كبير بعد أن رفض زعيمها الانصياع لنصائح رجاله بسرعة التحرك من هذا الموقع.. وقد قضت ججي أيامها تلك قابضة قرب حدود المعسكر تتطلع للأفق بانتظار الرجال الذين تظن أباهم قد أرسلهم لاستعادة سيجان.. ما الذي جعل سيجان يتأخر بهذه الصورة؟.. هل قضى تلك الأيام كلها يتخلص من أعدائهم؟..

بعد تلك الأيام، بدأ الرجال بتفكيك الخيام والا استعداداً للتحرك من جديد، وبدأت النسوة بملزمة الأغراض وتعبئتها في الجرار والصناديق التي ستوضع على العربات الخشبية.. راقبت ججي ما يجري بقلق شديد، ولما فرغ أفراد القبيلة من استعداداتهم للرحيل دون أن يظهر أثر من سيجان، فإن ججي القلقة ركضت عائدة نحو موضع خيمة أبيها السابق لتجده يجلس على بساط صوفي فرش أرضاً وهو يحدق في سيف سيجان وخوذته التي وضعت أمامه.. أسرعت ججي إلى أبيها وقالت باضطراب "هل نحن راحلون يا أبي؟"

هز الأب رأسه دون أن ينظر إليها، فقالت ججي بتوسل "ألن ننتظر سيجان؟.. لقد طال رحيله، لكنه سيعود بالتأكيد.. لو رحلنا فقد لا يستدل على موقعنا الحديد ويبقى تائهاً في السهول للأبد.."

زفر الأب بمرارة شديدة، ثم رفع بصره إلى ججي قائلاً "سيجان لن يعود.."

نظرت له بدهشة وصدمة، ثم قالت "ماذا تعني يا أبي؟.. إلى أين رحل؟"

أشار الأب للأعلى مجيباً "رحل للسماء.. ولن تكون عودته ممكنة أبداً.."

بدأت عينا ججي تغرورقان بالدموع وهي تحاول استيعاب ما يقوله، ثم قالت بصوت مرتجف "هل أخذه الموت للسماء؟.. كيف استطاع ذلك؟.. هل يستطيع الموت الطيران؟"

لم يجيبها الأب وهو يحمل خوذة سيجان فيضعها على رأسها، ولما رفعت ججي الخوذة عن عينيها رآته يحمل السيف أيضاً ويمد يده به إليها قائلاً "ججي.. أنت ستحلين محل سيجان.. ستكونين الولد الذي لم تنجبه أمك، وستعوضيني عن ابني الذي فقدته بغدر.."

نظرت ججي للسيف بدهشة، ثم هتفت "هل سأصبح رجلاً؟"

أجاب الأب بتأكيد وهو يناولها السيف الثقيل "عليك بأن تكوني كذلك.."

حملت ججي السيف بعسر وهي تحاول ألا تسقطه فتخيب أمل أبيها، ثم نظرت له بتردد متسائلة "وهل سيفرح سيجان لذلك؟.."

ابتسم الأب بمرارة قائلاً "أجل.. سيسعد بذلك جداً.."

عندها تلاًت عينا ججي رغم الدموع وهتفت "إذن سأكون كذلك.. هل ستسمح لي بركوب الخيل؟"

هز الأب رأسه إيجاباً، فقفزت ججي فرحاً لتفاجأ بأن الخوذة قد ارتطمت برأسها بقوة، لكنها احتملت ألمها

ولم تظهره أمام أبيها وركضت مبتعدة صائحة " سأخبر أمي بذلك.. ستفرح كثيراً ولن تبكي مجدداً بعد الآن.. "

في ذلك اليوم، وعندما بدأت القافلة استعداداتها للمسير وامتطى رجالها ظهور خيولهم، فإن الزعيم قد امتطى ظهر حصانه الأدهم وأردف ججي خلف ظهره لتتسع عينها بلهفة شديدة وسعادة طاغية وهي تنظر من موقعها العالي لما حولها.. تناست حزنها على سيجان بسرعة وهي تنظر بفرح لما حولها مختبرة هذا الشعور الذي لطالما حلمت به، بينما تقدم أحد الرجال من أبيها قائلاً باعتراض " ما الذي تفعله أيها الزعيم؟.. أنت تخالف قوانين الأكاشي في هذا.. "

قال الزعيم بحزم "كلمتي هي القانون في هذه القبيلة.."

قال الرجل باعتراض أشد "إنها فتاة.. وركوبها على ظهر الحصان جالبٌ للحظ السيئ للقبيلة كلها.."  
فقال الزعيم بحزم أشد وصوت أعلى ليصل للجميع "إنها ليست فتاة.. لم تعد كذلك منذ اللحظة.. ومنذ اليوم، لن يدعوها أحد باسم فا-ججي (ابنة السماء) بل ستصبح فا-جام (ابن السهول).. منذ اللحظة، هذا هو ابني ووريثي.. ومن يجرؤ على الاعتراض سينال عقابه بيدي.."

نظر أفراد القبيلة لبعضهم البعض بدهشة وصدمة، بينما سالت دموع الأم وهي تجلس في العربة في موقع متأخر من القافلة.. كانت ترى سعادة ججي الواضحة لما حظيت به من امتياز خاص لطالما تمنته.. لكنها لا تدرك ما يسوقها إليه أبوها.. لا تدرك أي مصير يقودها إليه برأيه المجنون ذاك وسط قبائل الأكاشي التي تنكر وتستنكر أي أهمية للمرأة بين رجالها..

وبالنسبة لججي، أعجبها اسمها الجديد بشدة.. فا-جام.. أعجبها أن تكون رجلاً.. تمتلك سيفاً وتمتطي ظهر الحصان دون أن تجد اعتراضاً من أحد.. وخايلها عقلها البسيط أن النظرات التي ألقاها رجال القبيلة نحوها تحمل إعجاباً شديداً بها وبما أصبحت عليه..

لقد نالت أقصى أمانها.. ولا يمكن أن تكون في تلك اللحظة أكثر سعادة وحبوراً مما هي عليه بالفعل..

\*\*\*\*\*

## الفصل الأول {ججي ابنة السماء}

في ذلك العالم البعيد، والمكوّن من قارتين عظيمتين تحتلانه بالكامل ويفصل بينهما بحر شاسع، كان البشر على مشارف تغيير كبير في حياتهم سيمتد لأجيالٍ ولعقود عديدة..

كان ذلك العالم يشهد تغييرات كبيرة، وحروباً كثيرة اشتعلت في القارتين الوحيدتين فيه.. القارة العظمى، وقارة الثنايا.. ففي القارة العظمى، كانت مملكة جديدة قد بدأت تتكون وتتوسع بشكل شره ملتهممة القبائل والممالك الأضعف والأصغر والأقل تأثيراً.. وعلى رأس تلك المملكة رجل قوي اسمه فارس بن ظاهر.. ورغم أن فارس لم يكن يتجاوز منتصف العشرين من عمره عندما بدأ تشكيل مملكته تلك قبل عقدٍ ونيف، لكنه تمكن من جمع عدد كبير من الرجال الأوفياء حوله وبدأ توحيد الممالك في مملكة واحدة أطلق عليها اسم (مملكة فارس) والتي سيطلق عليها خلفاؤه اسم (مملكة بني فارس).. لم يكن الملك فارس قد أنشأ عاصمةً ملكه بعد، ولم يكن يستقر في مكان واحد والحروب المتفرقة في أرجاء القارة تشغله بشكل شبه تام.. لكن من يرى نجاحاته المدوية وسرعة انتشار جنوده في الأرض، يجزم بأنه سينشئ مملكة قوية ذات تأثيرٍ في هذا العالم..

وفي قارة الثنايا، كانت هناك مملكة أخرى تسمى (مملكة كشميت) وهي أقدم شيئاً ما رغم أن عمرها لا يتعدى الخمسين عاماً.. حكمتها عائلة مجهولة الأصل نصّبت نفسها على تلك المملكة ووزعت أمرائها على الولايات التابعة لها.. كانت مملكة كشميت تهتم بالعلوم وتطوّر نفسها وأسلحتها كثيراً، ولا تتردد في التهام الممالك القريبة الضعيفة وتوسيع مساحتها في كل فرصة ممكنة.. وبدا بوضوح أن تطلعاتها التوسعية لن تسكت على ما يجري في القارة العظمى وما قد يعني ذلك من تهديد لها ولأمن حدودها..

وبين هذه وتلك، بدأت الممالك الضعيفة بالتسليم وتقديم ولائها لإحدى المملكتين لكي تسلم من شرها وتستعين بقوتها.. بينما بقيت بعض الممالك الأخرى والقبائل المتفرقة تقاوم بشدة لكيلا تذوب في ذلك الهجوم الذي يدحر ما أمامه دون توقف..

وفي القارة العظمى، وبعد أن أحكم الملك فارس سيطرته على شرق وجنوب القارة، والممالك القريبة التي لم



تستسلم له قد أصبحت موالية له بشكل تام، فإنه التفت للأجزاء الشمالية والغربية الأكثر صعوبة بالنسبة لجيوشه.. وذلك بسبب السلسلة الجبلية العظيمة المسماة (جبال الأنهار المائة) بسبب كثرة الأنهار المتدفقة منها.. فقد وقفت تلك السلسلة سداً منيعاً أمام جيوشه، ووقفت القبائل التي تسكنها في وجهه كأشرس عدو واجهه.. ومن تلك القبائل هناك (الهوت) الذين استوطنوا الجزء الشمالي من الجبال منذ عدة عقود ورفضوا الذوبان في المملكة، وهناك سكان السهول الغربية وهي قبائل متفرقة تطلق على نفسها اسم (الأكاشي)..

والأكاشي، الملقبين بدوي القرون بسبب خوذاتهم ذوات القرون البارزة من الجنين، هم شعب من البدو الرحّل.. انتشروا في تلك السهول منذ أمد طويل واستعمروها مقاومين أي غزو من الممالك القريبة.. لكنهم لم يكونوا بالتطور الكافي لإنشاء المدن وتنظيم حياتهم في مملكة واحدة.. بل كانوا قانعين بالقبائل التي تضمّهم وهم يسعون في تلك السهول تابعين مواشيهم حيث سارت سعيّاً وراء المراعي الخضراء، وحاملين خيامهم ومتاعهم على ظهور الجمال ليستقروا في الموضع الذي يلائمهم لمدد متفاوتة..

ورغم عدم الانضباط والحرية التي يعيشون فيها، فإن السيطرة عليهم كانت مهمة صعبة وعسيرة على كل من فكر بذلك.. فهم شعبٌ ذو كبرياءٍ اشتهر بالقساوة والحشونة في التعامل مع أعدائهم، كما كان التهامهم لأجزاء من أجساد أعدائهم بدافع الحصول على القوة يمنحهم صيتاً يرعب كل من يفكر في التعدي عليهم.. ورغم أن الحروب لا تكاد تنقطع بين القبائل المختلفة، لكن الممالك الأخرى عجزت عن استغلال ذلك في اختراق السهول وضمّ تلك القبائل للوائها بأي شكل كان..

ومع انتشار أخبار تقدم جيوش الملك فارس من هذه المناطق محاولة اجتياز السلسلة الجبلية القريبة، إلا أن هذا لم يزعزع ثقة الأكاشي لوهلة واحدة.. فثقتهم بسيفهم ورجلهم أكبر من أن تهزها شائعات، وجيوشهم غير النظامية قد دحرت الكثير من الجيوش الأكثر تنظيماً وتسليحاً بكثير.. ورغم ذلك، بقي جزء ضئيل من الأكاشي ممن استعمرهم القلق لمثل تلك الأخبار، وراودتهم رغبة كبيرة في إحداث تغيير بين القبائل التي عاشت لأزمانٍ طويلة دون أن تعصف بها أي رياحٍ تجبرها على تغيير حياتها قيد شعره..

\*\*\*\*\*

في وسط سهول الأكاشي، وفي موقع احتلته قبيلة (رأس الرمح) التي كانت من أقوى وأشهر قبائل الأكاشي، انتشرت الخيام كبيرة الحجم في موقع واسع مستغلة انبساط المكان حيث خفت حدة التلال العشبية مشكلة سهلاً واسعاً يوفر لساكنيه سلاسة في الترحال واتساعاً في المكان.. وفي جانب المخيم استقرت الماشية محاطة بسور خشبي في مساحة كبيرة وأصواتها المختلطة يمكن سماعها من موقع بعيد، بينما كان مربوط خيولهم يقع في جانب آخر قريب من جدولٍ صغيرٍ يقطع ذلك الموقع..

وفي خيمة واسعة وسط المخيم، تبدو من فخامتها وزخرفتها أنها خيمة زعيم تلك القبيلة، اجتمع أهم رجال القبيلة حول النار التي أشعلت وسط الخيمة ووضع عليها إبريقٌ معدني للشاي الذي غمرت رائحته المكان.. كان الرجال، وهم لا يقلون عن سبع رجال متفاوتين في الأعمار، يتحلقون حول النار وانتباههم منصبٌ على قادور الذي جلس قرب زعيمهم كيراد بينما وقف بضع رجال من تابعي قادور خلفاً لمراقبة ما يجري دون التدخل في الحوار الدائر..

وبعد صمت قضاه الرجال في احتساء الشاي الساخن، قال قادور موجهاً حديثه لكيراد بالأخص ولبقية الرجال بالأعم "ما رأيك بما أحمله لك من اقتراحات؟.. أظنني كنت واضحاً في كل ما قدمته لك ولا يدع ذلك لك مجالاً للشك أو الريبة.."

صمت كيراد وهو يجتسي الشاي مفكراً، ثم غمغم "أنت متشائم كثيراً يا قادور.."  
نظر له قادور مقطباً، فأضاف كيراد "لا أدري لمَ تحمل همّ ذلك الملك العربي المزعوم.. كيف تتوقع منا أن نتحمس لاقتراحك وهو يخصّ أمراً لا يهمنا البتة؟"

قال قادور باستنكار "كيف تدّعي أن أمر ذلك الملك العربي لا يهمكم البتة؟.. لقد وردتنا عدة أخبار عن محاولاته عبور الجبال التي تفصل سهول الأكاشي عنه بجيوش جرارة.. وكونه فشل في ذلك في المرات السابقة لا يعني أنه سيفشل في كل مرة.."

تساءل كيراد "ما الذي يدعوك للظن أنه سينجح هذه المرة؟"

أجاب قادور "أظن أن شخصاً فشل في أمر عدة مرات سيبذل المال والجهد لمعاودة المحاولة لو لم يكن يملك وسيلة لتفادي أخطائه السابقة؟.. إنه ليس أحمقاً، ولن يكرر محاولة اجتياز الجبال العصية على

الجيش ما لم يكن يملك وسيلة لتفاديها.."

قال رجل قريب "هذه أوهام.."

نظر له قادور باستياء معلقاً "لماذا تظني قد قطعت كل هذه المسافة بنفسي ولم أرسل رسولاً لو كنت مقتنعاً أن هذه مجرد هواجس وأوهام لا صحة لها يا سات؟.. أنسيت أمر الجواسيس الذين تم القبض عليهم قرب مخيمنا؟.."

غمغم سات بدون انفعال "الجواسيس أمرهم معتاد في هذه الأنحاء منذ زمن، والتصرف الوحيد الملائم لهم هو في قطع رقابهم لحظة القبض عليهم.."

تجاهله قادور والتفت إلى كيراد قائلاً "الوضع أصبح يستدعي منا تحركاً منظماً.. لقد فرغ ذلك العربي من وسط وشرق القارة العظمى.. وقد أصبحت الممالك الجنوبية موالية له.. الآن هو متفرغ لشمال وغرب مملكته ولا يبدو أن طمعه سيقف به عند تلك الجبال العالية.."

صمت الرجال وهم يتبادلون النظرات التي لم يجهل قادور معناها، فقال بإلحاح "لا أطلب منكم الكثير، ولا أتوقع منكم المستحيل.. كل ما أريده، لو وصلتنا أنباء عن قدوم الجيش العربي لهذه السهول، أن نتكاتف ونعمل كقوة واحدة ونتصدى له قبل أن يتجاوز فرسخاً من هذه السهول.. سنتنظره عند سفح الجبال وسنردّه على أعقابه بأسرع ما نستطيع.. ولن نتمكن من فعل ذلك ونحن متفرقون هكذا.."

غمغم كيراد "هذا صعب جداً يا قادور.. أنت تطلب منا أن ننضمّ في قبيلة واحدة؟.. لن ترضى أي قبيلة بفعل ذلك.."

قال قادور بسرعة "لا أطلب منكم الاندماج في قبيلة واحدة، بل أن نصبح جيشاً واحداً وكل قبيلة هي لواءٌ منفرد في ذلك الجيش.. وبعد أن ننتهي من هذه الحرب، سيعود كل شيء لما كان عليه.. فما الذي يقلقكم؟" أجاب المدعو سات "ما يقلقنا أنك تتوقع منا أن نخضع لك بسهولة كي تقودنا في هذه الحرب المزعومة.. انضمامنا لجيشك هي البداية لفرض سيطرتك علينا.. لا تنكر أن هذا ما تهدف إليه.."

قال قادور بحق "أتظني رجلاً أحمقاً لأفعل ذلك؟"

فقال سات بابتسامة جانبية "لقد دار هذا بذهني للحظة وأنا أرى تلك الفتاة تمتطي الحصان بجوارك عند قدومكم لمخيمنا.."

انتفض قادور واقفاً بغضب، لكن كيراد سارع لتهدئته قائلاً "لا تلقِ بالأ لهذا القول يا قادور.. اجلس فهازلنا نتناقش في هذا الأمر.."

جلس قادور بعد لحظة تردد، بينما رمق كيراد سات بنظرة حانقة لم يعبأ لها الأخير.. وبعد صمت قصير، قال قادور بتقطيية "كل ما أريد معرفته إن كنتم قادرون على تحقيق ما جئتمكم لأجله.. هل يمكنكم بذل الرجال والسلاح في هذه الحرب معي لو بدأت بوادرها بالفعل؟.. عندما يحين وقتها، لن يكون هناك مجال للتردد أو التخمين.. ولو فكرتُ بخوضها وحيداً، فلا أظنني بقادرٍ على كسبها رغم ثقتي بقوة ومهارة رجالي.."

قال كيراد "لقد فاجأني طلبك يا قادور، لذلك لستُ واثقاً من استجابتي له.. هذه سابقة لم تحدث في تاريخ الأكاشي كما تعلم، ولا أريد أن أتصرف تصرفاً أندم عليه في المستقبل.."

قال قادور بحنق لم يملكه "كون ذلك أمراً لم يسبق حدوثه لا يعني أنه سيء بالضرورة.. كيف تخشى الندم في المستقبل بينما أنت متهاون في التصرف الآن؟.. ألن تندم لو وصلت الجيوش إلى السهول وعانت فيها فساداً؟.."

علق كيراد "عليّ الاقتناع بأن جيوش الملك العربي ستصل لهذه السهول بالفعل.."

فقال قادور بحدة "ستفعل ذلك.. هذا ما أثق به.. كيف يمكنني إقناعكم بذلك؟"

نظر له كيراد بصمت وعدم اقتناع، بينما قال سات بعد صمت "أنت لم تأتينا إلا بكلمات عائمة بلا أي دليل.. فكيف تطلب منا تصديقك؟"

قال قادور بغضب "وهل كلمتي لا تعدّ كافية لتصديقي؟"

لم يعلق سات على ذلك بابتسامة جانبية مما استثار غضب قادور أكثر وهو يقول لكيراد بشدة "وهل الرأي رأيك في هذه القبيلة يا كيراد أم هو رأي السفية من رجالك؟"

قبل أن يجيب كيراد قال سات بابتسامة ساخرة "نحن هنا لا نتبع رأي شخص واحد، بل نحكم قراراتنا برأي أرجح رجالنا عقلاً.. ولهذا السبب لا يمكننا ابتلاع ما تقوله بسهولة.."

نظر له قادور بحنق وقد تزايد غضبه لما يلمح له سات، بينما أضاف سات بسخرية "أتفهم ذعرك الشديد من تحركات الملك فارس تجاه سهولنا، بالنظر لنسائك اللواتي تخشى عليهن من الاختطاف والاستعباد.. لا بد أن وجود ثلاث نساء تحت جناحك دون أن تملك ابناً يعينك على حمايتهن يسبب لك الضيق والقلق

الشديد.."

نظر له قادور مقطباً بشدة بينما قال كيراد بحق "اصمت يا سات.."

أضاف سات وابتسامته تتسع متجاهلاً كيراد "لو كنت راغباً بالتخلص من هذا الهم، يمكنك أن تزوجني إحداهن لترتاح من همها.. وأنا أرى أن هذه الفتاة المسماة ججي مناسبة تماماً لهذا.. ما رأيك؟.. عليك أن تكون شاكرًا لهذا العرض.."

فوجئ بقادور يضم قبضته بشدة ويطوحها نحوه بقوة لتضربه على أنفه ضربة قوية وتدفعه للوراء ليستقط أرضاً.. وبينما حاول سات النهوض بسرعة لإنقاذ ما تبعث من كرامته مع الدماء التي سالت من أنفه، فإن قادور وقف قائلاً بصرامة "لست أخشى على نسائي فأنا أقدر على حمايتهن من أي شخص آخر.. ومن تراه خارج الخيمة ليس فتاة ولم يكن كذلك.. بل هو ابني فا-جام، وهو أكثر رجولة من ابنك الخليع سيسار الذي يقضي ليليه ينفخ في الناي لترقص الفتيات على أنغامه.."

وغادر بخطوات واسعة بينما اعتدل سات واقفاً وهو يضع يده على سيفه بغضب شديد، لكن كيراد استوقفه قائلاً "لا داعي لجرّ العراك أكثر من هذا.. أنت من بدأ بإهانة ضيفنا وأنت من عليه تحمل النتائج.."

فور خروجه، وجد قادور ججي راكعة قرب باب الخيمة وسيف سيجان الطويل ينتصب أمامها.. كانت قامتها لا تتجاوز نصف قامته بعد، وهي التي لم تتعدّ الثالثة عشر من عمرها، وشعرها الأحمر لا يتجاوز أذنيها كما تحرص دائماً على قطعه بخنجر لتمنح نفسها منظرًا أقرب للفتية من الفتيات، بينما الخوذة التي كانت تخص سيجان لا تزال واسعة عليها شيئاً ما.. ورغم نظرات بعض رجال هذه القبيلة لها واستهزائهم الواضح بها، فإنها ظلت في موضعها واضعة يدها على السيف الذي يكاد يفوقها طولاً وهي صامته بانتظار أبيها.. ولما رآته هبت واقفة وسحبت سيفها من الأرض متسائلة "كيف جرى الأمر يا أبي؟"

دمدم قادور بغیظ وهو يتعد "فشل الأمر كالعادة.. ونلت ما نلت من الاستهزاء بسببك.. لم لا يرى الزعماء ورجال القبائل في إلا أنت؟.."

وجمت ججي وهي تتبعه ملاحقة خطواته الواسعة، وتأمّلت السيف الذي في يدها والغضب يتنامى في صدرها.. لم يستهزيء الجميع بها ويسخرون من ثقة أبيها بقدراتها؟.. كيف لها أن تثبت لهم أنها لن تكون

أقل من أي رجل من الأكاشي؟.. هل يجب أن تكون أكبر عمراً وأكثر قوة لتكسب احترامهم؟.. أم أن هذا بعيد المنال عنها حقاً؟..

توجه قادور إلى حصانه الأدهم الذي وقف وسط الساحة بقرب بقية رجاله، فامتطاه بينما أسرعت ججي تمتطي فرسها الرمادية التي يشوب لونها نمش بلون غامق بينما يغطي أنفها وأطرافها البياض.. وقبل أن يتحرك قادور، رأى كيراد يتقدم منه قائلاً "لا تغضب يا قادور لما قاله سات.. لا بد أنك الآن معتاد على مثل هذا القول من الأكاشي بعد مخالفتك لقوانينهم ورؤيتهم لفتاة تدخل مخيماتهم على ظهر فرس.."

قال قادور بصرامة "ما يجري في مخيمي وبين رجالي لا يخصّ أحداً غيرهم.. وقد أقبل بمثل هذا القول من رجالي لكنني لا أقبل به من شخص غريب.."

ثم أضاف بحدة أكبر "كما أن الموضوع الذي أتيت أحدثكم فيه لا يحتمل السخرية والاستهزاء.. أنتم مستسلمون قانعون بالمناوشات التي تدور بينكم وبين القبائل الأخرى لأتفه الأسباب، ولا يهكم أمر ذلك العربي الذي يتقدم منكم بجيوشه الجرارة.."

قال كيراد بهدوء "كما قلنا لك قبل قليل، الجبال العالية كفيلة بتعطيل جيوشه، وسكان الجبال سيقضون على ما بقي منهم.. فلم القلق؟.. لقد خضنا معارك كثيرة، ونحن نعلم بأننا أقدر على صد مثل هذا الهجوم من غيرنا، لو نجح ذلك الجيش بالوصول إلينا حقاً.."

قال قادور بضيق "ستقول هذا حتى نفاجاً بالضربة التي ستسقط على رؤوسنا.."

وأدار حصانه ليغادر المخيم بينما كيراد يقول "لن يحدث ذلك.. ذلك العربي لا يملك تنانين يطير بها ليتجاوز تلك السلسلة الجبلية العسيرة.."

لم يعلق قادور وهو يغادر المخيم تتبعه ججي وعشرة من رجاله.. نظرت ججي لأبيها بقلق وهي تلاحظ الغيظ الشديد الذي يشعر به بعد أن كان متفائلاً بهذا الاجتماع الذي سعى إليه.. ثم تقدمت بفرسها منه وتساءلت بخفوت "ما الذي ستفعله الآن؟"

قال قادور زافراً "ستتوجه إلى قبيلة طاغار.. لازلت بحاجة للحديث معه وهو يملك قبيلة كبيرة وقوية.. لو كسبته في صفني، فلا بد أن نحدث بعض التأثير في بقية قبائل الأكاشي الخائفة.."

نظرت ججي للمخيم الذي تركوه، وهي تتذكر قولاً مشابهاً عنه من أبيها لدى قدومهم، لكن آمالهم

خابت بأسرع مما توقعوا.. ثم علقت بشيء من التردد "لم أنت شديد القلق من هذا الملك العربي في هذا الوقت بالذات؟.. ألم يبدأ ذلك الملك بتكوين مملكته منذ سنوات عدة؟.. ما الذي يثير قلقك لأمره الآن؟" صمت قادر للحظات حتى ظنت أنه لن يجيبها، ثم غمغم "إنه مجرد هاجس يا جام.. لكنه هاجس قوي يقترب من أن يكون نبوءة.."

لم تعلق ججي على قوله.. لقد كانت تثق بكل ما يقوله أبوها وبكل ما يقرره، ولم تكن بحاجة فعلاً لسبب مقنع لتتبعه في كل ما يتصرف به.. لطالما كانت تفخر بأبيها وتراه أقوى وأصدق حدساً من جميع الرجال، ورأيه لا يجانب الصواب في كل ما يتصرف به كزعيم للقبيلة..

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، خيم قادر ورجاله بعد مغيب الشمس في طريقهم إلى قبيلة طاغار.. كان مخيمهم بسيطاً عبارة عن نار أشعلت في الوسط وكل رجل يفرش فراشه على الأرض العشبية في جانب من النار متدفناً بدفئها الضعيف في مواجهة برد تلك الليلة وكل ليلة تمر على هذه السهول.. وفي جانب المكان قرب بعض الأشجار، تم ربط الخيول ووضع المتاع القليل الذي يملكونه في رحلتهم الطويلة هذه، والتي بدأت منذ عشرة أيام خلت..

انشغل بعض من الرجال في إيقاد النار وتهيئة بعض الطعام لعشائهم، بينما فضلت ججي الرحيل على ظهر فرسها بحثاً عن طريق جديدة لعشائهم مع تناقص مؤونتهم التي جهزوها لهذه الرحلة التي استطالت.. وخلال ساعة على الأكثر، كانت قد عادت لموقع المخيم حاملة زوجين من الأرناب بيد وقد علقت قوسها على كتفها وهي تمسك لجام الفرس باليد الأخرى.. وخلال لحظات، كانت قد ربطت الفرس قرب إحدى الأشجار وقبعت في موضع منفصل عن البقية وهي تقوم بتحضير الأرناب للشواء.. وبعرض الخبرة التي اكتسبتها من الممارسة، قامت بسلخ الجلد عن لحم الأرناب وفصلت الرأس وأطراف الأقدام ثم شقت البطن واستخرجت أحشائه وكل ما لا يؤكل منه.. ثم عادت بالأرناب إلى النار وركزتهما في خشبتين طويلتين قرب اللهب لشوائهما وانتظرت قربهما بصبر وصمت..

انتبهت ججي في صمتها ذاك لصوت أحد رجال القبيلة وهو يقول لأبيها "ما الذي سنفعله الآن؟.. هذه هي القبيلة الثالثة التي نلجأ إليها، ونحن نواجهه بالرفض في كل مرة دون أن تختلف النتائج.. ألا ترى أن جهودنا يائسة وغير مجدية؟"

قال قادور "وما الذي يمكنني فعله يا ريجاد؟.. هل أجبرهم على إطاعتي بالسيف؟!"

قال ريجاد "السبب الرئيسي لرفضهم لنا هو عدم اقتناعهم بكلامك بسبب تصرفك مع ججي.."  
حدجه قادور بنظرة قاسية، فاستدرك ريجاد قائلاً "إنهم يستنكرون هذا الأمر، ويظنون بعقلك الظنون.. لم لا تتنازل عن هذه الفكرة وتجد بديلاً آخر؟.."

قطب قادور بصمت، فتشجع ريجاد ليكمل "لو زوجت ابنتك من رجل قوي تختاره أنت، فسيكون لك بمثابة الابن الذي تسعى إليه.. أليس هذا أفضل من التحايل للحصول على ابن من فتاة ضعيفة؟.."

فوجئ بقادور يدفع مقبض سيفه في كتفه بقوة حتى أسقطه خلفاً قائلاً بغضب "أخبرتك أنني لا أملك ابنة اسمها ججي.. وجام خيرٌ من أي رجل من رجال القبيلة، فلا تكرر هذا القول أمامي مرة أخرى.."

صمت ريجاد وهو يسلم بالأمر ويتراجع لئلا يثير قادور أكثر من هذا.. بينما شعرت ججي بالأنظار منصبه على رأسها بحق شديد وهو أمر اعتادته على كل حال.. ما الغريب في أن تكون ابناً ورجلاً؟.. هي الآن، بعد كل تلك السنين، أدركت الفارق الجسدي بين الرجل والمرأة.. وأدركت أنها في أعماقها ستظل امرأة مهما حاولت تقليد الرجال.. لكن هذا زادها إصراراً على اكتساب قوة كقواهم ومهارة كمهاراتهم، وعلى اقتناص الفرصة التي منحها لها أبوها للتحكم في مصيرها ومستقبلها بشكل لا تتمكن نساء الأكاشي كلهن من تحقيقه.. فهل تراجع عن هذا؟.. محال.. وألف محالٍ بالتأكيد.. إنها لم تخض كل ما خاضته ولم تتحمل قسوة أبيها سنواتٍ طوال لتستسلم الآن وتقنع بكونها مجرد امرأة يضمها رجال الأكاشي لنسائهم.. وكما قالت أمها منذ سنوات، لا يهتم الأكاشي إلا بما تحمله النساء في بطونهن، وهو الأبناء بالتحديد دون البنات.. فهل تقنع بأن تكون كما كانت أمها وكما أصبحت أختها فاتي التي تزوجت من زعيم قبيلة أخرى وأصبحت مجرد امرأة أخرى من نساء مخيمه؟..

استلقت ججي جانباً دون عشاء، بعد أن منحت ما اصطادته لأبيها ولمن رغب به من الرجال، وقد أفقدها هذا الحديث شهيتها.. افترشت فراشاً خفيفاً تحمله معها عادة وأسندت رأسها لذراعيها وهي تمدق في



القمر المنير فوقها والنجوم التي تلمع شيئاً ما وسط سواد السماء.. ورغماً عنها، جالت بذهنها ذكريات ما جرى لها منذ ذلك اليوم الذي أعلنها قادر ابنأله، وغير اسمها إلى فا-جام..

في تلك الأوقات، لم تكن ججي ذات الخمسة أعوام تستوعب ما زجّها فيه أبوها، زعيم قبيلة الأكاشي الملقبة (أبناء الذئب).. كانت تستمتع بترحالها على ظهر حصان أبيها الأدهم كما كانت تحلم دائماً.. وفي آخر النهار، عندما يخيم الأكاشي في أحد المواقع، فإن أباهما يعهد بها إلى مینار لتعليمها ركوب الحصان وحيدة دون معاونة.. كان الحصان ضخماً مقارنةً بها، وشكّت لوهلة أنه لن يطيعها وهي تجذب اللجام بيدها الدقيقة، لكن الأمر رغم صعوبته كان تحدياً كبيراً استمتعت هي به.. ومینار، الذي كان رجلاً مقرباً من أبيها رغم أنه يصغره بعشر سنوات أو أكثر ولا يتجاوز عمره الأربعين إلا بقليل، كان رغم قسوته الظاهرة رقيقاً بها ومتفانياً في تعليمها.. ولم يكن يعكر صفوها إلا السبّات الغاضبة التي يلقيها الرجال على مسامعها بعيداً عن مسمع أبيها.. فكان مینار يحثها أن تتجاهل الأمر وألا تذكر شيئاً من ذلك لأبيها أو حتى أمها..

ورغم عدم فهمها لمغزى ما يطلبه مینار، إلا أنها لم يسعها إلا إطاعته بصمت والالتزام بتعليماته.. رغم الغضب الواضح من رجال الأكاشي في القبيلة، إلا أن مینار لم يظهر ضيقاً بقرار أبيها ولم يتفوه بكلمة تسيء إليها طوال الوقت الذي أمضوه في رحلتهم نحو مخيمهم الشتوي..

وبعد عشرة أيام، وصلت القبيلة للموضع الذي سينصبون فيه خيامهم ويستقرون فيه طوال شهور الشتاء الطويلة.. كان ذلك الموضع قريباً من البحر جنوبي السهول حيث تنتهي تلك التلال السلسلة بمنحدر حاد يطل على البحر الذي يضرب الصخور بأواجه بقوة.. لم يكن للبحر أي أهمية لدى الأكاشي، ولم يعبؤوا قط بتلك المسطحات المائية الشاسعة وما تحويه من خيرات.. كان اهتمامهم منصباً على الرعي، وباستخدام ما تنتجه ماشيتهم يقومون بمبادلتها بكل ما يحتاجونه مع أصحاب المزارع في بعض القرى والمدن القليلة في شمال أو غرب هذه السهول..

بعد وصولهم لموضع المخيم الشتوي، انشغلت ججي مع أمها وبقية الأكاشي في إعداد المخيم الذي استمر لعدة أيام.. بدأت الخيم بالانتصاب وبدأ بعض الرجال بصنع سياج يضمّ ماشيتهم في جانب الموقع.. ورغم أنه يسمّى مخيماً، لكن تلك المنازل الصغيرة المتنقلة كانت أبعد من أن تكون خيمة عادية، فقد كانت

واسعة بشكل دائري، وقد دعمت بعدد من الأعمدة الخشبية الطويلة التي حملت القماش السميك الذي يكون جدران الخيمة.. وفي منتصف السقف الدائري، تم صنع فتحة كمنفذ للدخان الناشئ عن النار التي يتم اشعالها وسط الخيمة، تعلوها بمسافة قصيرة قطعة قماشية دائرية لمنع الأمطار من النفاذ لقلب الخيمة.. وعلى المدخل، يثبت بابٌ خشبي بحيث يجعل الخيمة أقرب لمنزل منها لخيمة عادية بسيطة.. وفي الخيمة الدائرية التي تكون واسعة لضم عائلة كاملة، فإن عدداً كبيراً من السجاجيد تفرش لتغطية الأرضية ما عدا منطقة في الوسط تترك لتحتلها النار التي تقوم بتدفئة الأسرة ولطبخ الطعام وصنع أنواع من المشروبات العشبية الدافئة.. وفي جانب المكان يتم فرش الفراش الصوفي الذي يستخدم لنوم أفراد الأسرة، بينما يتم جمعه وطيّه في الصباح لمنح الخيمة اتساعاً أكبر في النهار.. كما توضع بضع صناديق خشبية في جانب آخر تحوي أغراض العائلة البسيطة عادة..

كان الموقع الذي اختارته القبيلة يحوي نبع ماء عذب سيؤمن لها ما تحتاجه حتى تقرر مغادرة المكان عائداً للشمال في الصيف، بينما بقيت السهول خضراء رغم اشتداد البرودة مانحة الرجال بعض الأمل بأن تبقى على هذا الحال طوال الشتاء هذه السنة.. كانت ججي في بعض الأوقات تخرج مع بعض الصبية مستمتعة باستكشاف الموقع الجديد الذي يضم مخيمهم، وقد تناست قرارها بأن تصبح رجلاً بأسرع مما توقعت.. فكانت تمضي الساعات برفقة الصبية يذرعون المنحدر الصخري، حتى عثروا على موقعٍ يميل بهم ليلتقي بالبحر مكوناً شاطئاً ضيقاً تغزوه الصخور التي تقف صامدة أمام الأمواج القوية.. لم تكن ججي تقدر على إخفاء لهفتها وهي ترى البحر للمرة الأولى، فهي لا تذكر رؤيته في السنوات السابقة لصغر سنها، وقد قضت أياماً طويلة مع الصبية في استكشاف الشاطئ والبحر والبحث عن الكنوز التي يحويها بقلبه.. لكنهم سرعان ما فضلوا البقاء على الشاطئ بعد أن كاد يبتلعهم بأواجه، حتى أيقنوا بوجود وحشٍ ضخيم في قلبه يسحبهم من سيقانهم لو فكروا في خوض مياه ذلك البحر الهائج..

وبعد تلك الأيام، وجدت ججي في الفجر يداً تهزها وصوت أمها تقول بتوتر "ججي.. استيقظي من النوم.."

فركت ججي عينيها وهي ترفع رأسها عن الفراش ناعسة، فقالت الأم "أبوك يطلبك حالاً.. أسرع لئلا تستثيري غضبه.."

نهضت ججي دون ممانعة وغسلت وجهها بالماء الذي وضع قريباً من النار لتدفئته.. كانت الخيمة الخاصة بهم واسعة وأكبر حجماً من بقية الخيام، وقد اعتنت الأم بترتيب الصناديق الخشبية التي تحوي متاعهم القليل في جانب بينما وضعت وسائد مغطاة بقماش من الصوف بألوان زاهية قرب النيران التي أشعلت وسط الخيمة للتدفئة.. وغطت الأرضية بالسجاجيد المشغولة يدوياً، فيما احتل جانب الخيمة بعض الفرش والمخدات التي يبسطونها ليلاً للنوم عليها..

جلست ججي قرب النار ناعسة والأم تناولها كوباً من حليب الأغنام الدافئ المحلى بالعسل، بينما جلس قادور قريباً وهو يتأمل النار بصمت.. ثم التفت إلى ججي قائلاً "منذ اليوم، سيبدأ مينار تعليمك استخدام السيف يا جام، بالإضافة لركوب الحصان.. عليك أن تجتهد معه وتثبت مهارتك أمامه وأمام القبيلة كاملها.."

طار النعاس من عيني ججي وهي تقول بلهفة "هل سيتمرن الصبية معي أيضاً؟.."

قال قادور هازماً رأسه "لا.. مينار سيتولى تدريبك أنت فقط.. وهو الأقدر على ذلك من بين رجال القبيلة كلهم.. فلا تخيّب ظني بك.."

هزت ججي رأسها بحماس، ولما سمعت صوت مينار أسرعت خارجة من الخيمة ركضاً وهي تسحب سيف سيجان خلفها وترتدي خوذة الواسعة على رأسها.. وفي جانب الخيمة، وقفت أم ججي بتوتر شديد وهي تراقب ما يجري.. ودّت الاعتراض على كل ما تراه، لكن هل سيسمع شخص ما قولها لو تفوهت به؟.. إن رأي المرأة لا يعتدّ به، واعتراضها يجلب السخط والاستنكار بين أفراد القبيلة..

بعد بعض الصمت، قال قادور "حركاتك العصبية هذه تعكر مزاجي.. ما الأمر؟"

نظرت له بتوتر شديد، ثم قالت وهي تدير وجهها جانباً "هل يجب أن تفعل هذا مع ججي حقاً؟.. لماذا تصرّ على تلك الفكرة المجنونة؟"

قال قادور دون أن يبدو عليه أي ضيق "الفكرة المجنونة لا تأتي إلا من مجنون.. فهل ترينني كذلك؟"

قالت بوجه محتقن "لا.. لم أعن ذلك مطلقاً.."

فقال قادور "ثم إنني نهيتك مراتٍ عدة عن مناداته بذلك الاسم يا ستينا.. إنه الآن فا-جام.. وهو ابني، وليس فتاة أبداً.."

خفضت ستينا بصرها باستياء شديد، ولما نهض مغادراً الغيمة غمغمت محاولة كبت غضبها "كم يوماً تظن رجال القبيلة سيصمتون على ما يرونه؟.. لو حلت بنا أي كارثة، فسيعدون ذلك شؤماً جلبه جام عليهم، وسيقتلونه دون الرجوع إليك.. أهذا ما تبغيه حقاً؟"

قال قador وهو ينظر لها بنظرة حادة "رجال القبيلة لا يمكنهم الاعتراض بكلمة في حضوري، ولن يمسوا جام بأي أذى خشية مني.."

ثم استدار مغادراً وهو يضيف "كوني شاكراً لأنني رفعت من شأن أحد أطفالك، ولو كنت أصغر سناً وأقل هموماً مما أنا فيه الآن، لما ترددت في الزواج من أخرى تنجب لي الابن الذي لم تتمكني من إنجابه أنت.."

احتقن وجه ستينا بشدة وهي تجلس قرب طفلتها الرضيعة في جانب الخيمة.. هل يعايرها بإنجابها للبنات؟.. وهل كانت تختار إنجابهم حقاً؟.. لو كان الأمر بيدها، لما أنجبت إلا الصبية.. ليس رغبة منها في علو المكانة والحصول على حظوة لدى زوجها، بل لتجنب بناتها هذا المصير الذي لا يسعدها بأي حال، ولا تختلف فيه أي فتاة من فتيات الأكاشي.. فما سيكون مصير ججي وهي تتخذ طريقاً لم تتخذه فتاة غيرها قط؟.. ما النهاية المساوية لمثل هذا الجنون الذي يصر عليه قador ويسعى إليه؟..

\*\*\*\*\*

أمضت ججي أياماً طويلة في جانب بعيد من المخيم مع مينار الذي لم يتوان عن تدريبها بكل حزم وصرامة.. رغم أنها لم تتجاوز الخامسة من عمرها، لكنها كانت تخوض ذات التدريبات التي يخوضها الصبية في العاشرة.. أما من هم في عمرها، فمن يتدرب منهم لا يحظى إلا بسيف خشبي خفيف حتى يقوى ساعده ويصبح قادراً على حمل السيوف الحديدية الثقيلة.. وجلهم يبقى طليقاً يركض في المراعي خلف الأغنام أو يساعد والديه في أعمالهما دون أي شاغل..

أما ججي، فقد أجبرها مينار على استخدام سيف سيجان الذي يفوقها طولاً وبثقل لا تكاد معه ترفعه لأكثر من ثوانٍ عدة.. ظل يجبرها على رفعه والإبقاء عليه عالياً قدر الإمكان، ويستمر هذا التمرين لعدة

ساعات مع فترات راحة قصيرة.. ولما تنذر ججي وتبكي متألمة من تشنج ذراعيها الضعيفتين، كان مینار یخبرها بحزم أن التذمر والبكاء لن یفیدانها، وتضطر لخوض عقوبة مجددة بحمل السیف لساعة أو اثنتين من جدید.. لم تعلم ججي الهدف من هذا التمرین التافه، كل ما یهمها هو التلویح بالسيف الثقيل وضرب أعدائها الوهميين في مقتل.. فكان مینار یعلق وهو یتخلل لحيته الطويلة الشقراء بأصابعه "ستفعل یا جام.. ستفعل ذلك بالتأكید لو أطعت كل ما أطلبه منك.. فلن یرضی قادیور بأقل من ذلك منك.."

رفعت ججي السيف بذراعین ترتجفان وهي تقول بتذمر "متى ستسمح لي بقتال أعداء حقیقین؟"  
ابتسم مینار بجانب فمه مجیباً "عندما یتجاوز طولك طولي.."

نظرت لمینار وهي تقيس طولہ بعینيها، ثم زفرت وهي ترفع السيف بذراعٍ متعبة لتفاجأ به یسقط علی رأسها فیضرب الخوذة التي تحمي رأسها بقوة، وبينما انحنى وهي تضع يدها علی رأسها بألم، فإن مینار علق قائلاً "ألن تكف عن هذا العبث؟.. ما يزال أمامك بضع ساعات من التدريب المكثف، فلا تشغلني بأسئلتك العديدة هذه.."

لم تدرك ججي ما فائدة ذلك التدريب الذي أمضت شهوراً طويلاً تقوم به، ولم تنتبه أن ساعدها أصبح أقوى ولو بشكل بسيط وأنها أصبحت أكثر قدرة علی إبقاء السيف عالیاً لبضع دقائق.. ومع ذلك، أصرّ مینار علی الاستمرار في هذا التمرین بالإضافة لتمارین ركوب الخيل.. وبينما یتراکض الصبية عابثين في جوانب المخيم، فإن ججي تحمل سيفها عالیاً بتعب وهي تكتم تدمراتها وتأوهاتہا لئلا تحصل علی عقوبة مضاعفة.. وفي كل ليلة، عندما تعود منهكة لتتناول عشاءها البسيط وتستلقي علی فراشها في نومٍ أقرب للغيوبة، فإن أمها تدلك ذراعيها وساقيها بمزيج الزيوت المهدئة وهي تدمدم بعيداً عن مسامع زوجها "ما الذي یظن ذلك الرجل أنه سیحققه مع فتاة في مثل عمرك؟.. إنه یهذي، وسيصبح عما قريب مثار سخرية جميع زعماء القبائل الأخرى.."

غمغمت ججي من بين عينيها المغلقتين "أنا لست فتاة.."

فقال الأم بعصبية "ولست رجلاً كذلك.. كفاك أحلاماً بلهاء یا ابنتي.."

لكن ججي كانت قد غرقت في نوم عميق لن تستيقظ منه إلا فجر اليوم التالي لتبدأ نهارها بامتطاء ظهر أحد الأحصنة في جولة طويلة قبل أن تعود لتدريبات السيف المكثفة.. وبعد أن مضت شهور الشتاء

القاسية، حيث غطت طبقة من الثلج الخفيف السهول حولهم إلا مناطق قليلة فقط، وبعد أن تبيست يدا ججي وهي تمارس تمارينها في تلك البرودة القارسة، فإن مینار قادها في أحد الأيام قبل مغيب الشمس بقليل نحو مربط الخيول الواقع جنوبي المخيم حيث يحتفظ قادور بمجموعة من الخيول التي تخصه معزولة عما يملكه بقية رجال القبيلة.. وفي جانب المكان، وجدت ججي بعض المهار الوليدة وهي تسعى خبياً في المكان وتسهل بأصواتها الضعيفة..

وقفت ججي تتأمل المهار، بينما اقترب مینار من البوابة الخشبية القصيرة التي تحجز الموقع عن بقية الخيول، ففتحه وقال لها "منذ اليوم، ستختار أحد تلك المهار ليكون خاصاً بك.. لقد أوصى قادور بأن تختار مهراً وتتولى العناية به بنفسك منذ اليوم وحتى تتمكن من امتطائه عندما يشتدّ عوده.."

تلاأت عينا ججي بانفعال وأسرعت تتبع مینار الذي أغلق البوابة الخشبية خلفه.. وقفت ججي وسط الموقع تتأمل المهار بفضول وحماس وهي تراقبها وتتأمل ملامحها الانسيابية وعرفها القصير وألوانها المتباينة.. تقدمت خطوات في المكان وهي تقلب بصرها يميناً ويساراً، وكلما حاولت التقدم من أحد تلك المهار وجدت بعضها يتراجع خطوات مبتعداً عنها وبعضها يفرّ هارباً لعدم اعتياده عليها.. وأخيراً، استرعى انتباهها مهرة جميلة وصغيرة مقارنة بالآخرين، بلون رمادي مبقع كنمش يغزو جسدها كله، وغمست أطرافها بلون أبيض، بينما غطت أنفها بقعة بيضاء حتى ما بين عينيها.. وعلى عنقها، انتصب عرفها القصير أشهب اللون بشكل استرعى انتباه ججي بشدة وهي تقترب بحذر من المهرة التي تراجعت خطوة وهي ترمق ججي بعينين سوداوين جميلتين..

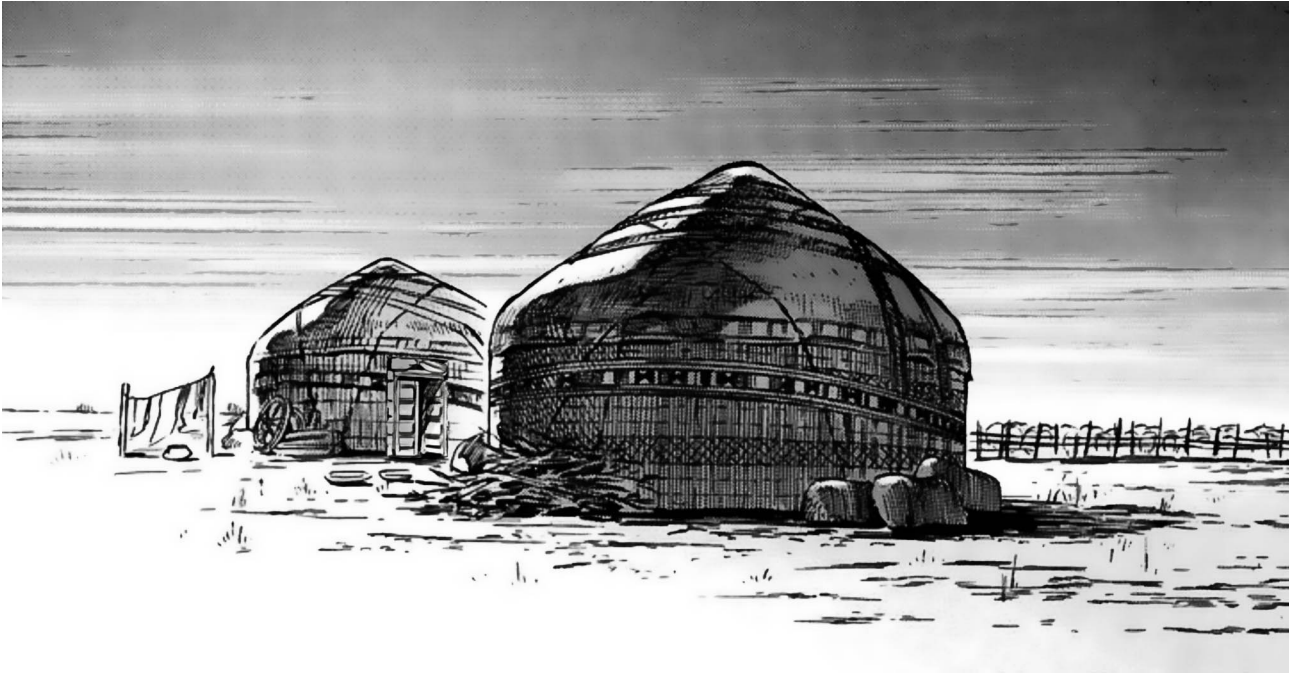


اقتربت ججي من المهرة وربت على أنفها بلطف، ومسحت جانب عنقها وعرفها بشغف شديد بينما بدأت المهرة تتجاوب معها بشيء من التردد.. أخيراً، التفتت ججي لمینار الذي كان يراقبها عن كثب وقالت بلهفة "هل أستطيع الحصول على هذه؟"

أجابها مینار "طبعاً.."

فقلت ججي بحماس "إذن ستكون هذه ملكي.. سأسميها الغبراء.. ألا يليق بها هذا الاسم؟"  
هز مینار رأسه مبتسماً، ثم اقترب من المهرة ومسح على رأسها وعنقها قائلاً لججي "عليك أن تعتني بها منذ  
اليوم، وتواظب على ذلك بشكل يومي دون أي تقاعس.. وبعد أن يشتدّ عود المهرة، سيمكنك امتطاؤها  
ومرافقتها في تدریباتك اليومية.."  
تألق وجه ججي بسعادة وهي تراقب المهرة الصغيرة، وهمست وهي تمسح على أنفها "سكون معاً دائماً يا  
مهرتي.. أليس هذا خبراً سعيداً؟"  
فقال مینار "تعال معي.. سأريك ما عليك فعله كل يوم.. ولن أكون معك لأراقبك، لذلك عليك أن تهتم  
بهذه المهرة وحيداً كل صباح ومساء منذ اليوم.."  
لم تعترض ججي وهي تتبعه بلهفة.. هذا على الأقل أمر ستستمتع بالقيام به ولن تتوانى عنه في أي يوم..  
وهذا يضيف بعض المتعة لتدریباتها وأعمالها اليومية التي تتكرر بشكل مضجر..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثاني {مبلغ الرجال}

مضت عدة سنوات على ججي وهي في تدرّياتها اليومية الصارمة، وتقضي آخر ساعات النهار في التجوال على ظهر فرسها في التلال القريبة بحرية كبيرة بعد أن أصبحت أكثر مهارة في امتطائها واكتسبت ثقة مینار بها وبقدراتها.. وكلما ازدادت ججي اقتراباً من هدفها ونيل رضا أبيها عنها، ازدادت أمها حسرةً واكتسبت نظراتها مرارة رغم صمتها التام.. لم تجرؤ على الاعتراض منذ فعلت ذلك في المرة الأولى ولاقت رداً قاسياً من قادور، واكتفت بأن انشغلت بصغيرتها تينا التي سرعان ما أصبحت في الثامنة من عمرها وصارت تعاونها في أعمالها رغم صغر سنها.. وبينما فقدت ستينا ابنتها فاتي بعد زواجها ورحيلها لقبيلة أخرى مع زوجها، فإنها فقدت ابنتها الثانية أيضاً التي أصبحت بين ليلة وضحاها ابناً لم تنجبه قط..

كانت ستينا واثقة أن الأيام لن تطول بججي قبل أن تتمل من هذه التمارين القاسية وهذه الحياة الرتيبة، وستسعى عندها للتحرر من تلك القيود التي لا تناسب فتاة بعمرها.. لكن إصرار ججي ومثابرتها قد سببا لها قلقاً في البدء ثم ذعراً بعد ذلك.. بدا لها بوضوح أن ابنتها أكثر عناداً من أبيها، وأنها لن تتنازل عن هدفها أبداً ولن تتوانى عن تحقيق طموح أبيها المجنون بتحويلها لنسخة مشوهة من سيجان..

وفي يوم من الأيام، مع انتهاء النهار واقتراب الليل بشكل حثيث، وجدت ججي أباهما يقتادها عبر المخيم لجانب منه، حيث وضعت الماشية في سياج خاص بها بعد أن عادت من المراعي القريبة.. كانت ججي قد بلغت الثالثة عشر من العمر، وأصبحت طويلة كأبيها ونحيفة كأُمها، لكنها لم تمتلك نعومتها وضعفها بل أصبحت أقوى ساعداً من كثير من الصبية الذين يماثلونها في العمر والذين بدؤوا تمارينهم في تلك السنة.. وأصبحت تقدر على حمل سيف سيجان بسهولة والتطويح به بدقة وثبات دون أن يسقط من يدها أو يخطئ هدفه بسبب اندفاعه القوي.. كما أنها تمتطي ظهر فرسها الغبراء كأفضل ما يكون وتعدو بها قاطعة التلال القريبة ولمسافات طويلة دون تعب.. وبعد إتقانها كل هذا، بدأ مینار تعليمها استخدام القوس والسهم ورمي الرمح وغيرها من المهارات التي يتقنها رجال الأكاشي إتقاناً تاماً..

وفي ذلك اليوم، تبعت ججي أباهما بصمت بعد أن أنهت تدرّياتها اليومية، وقرب موضع الماشية وجدته



يناولها خنجراً متوسط الحجم في إشارة صامتة.. تناولت ججي الخنجر للحظة بصمت ونظرت إلى أبيها بشيء من الدهشة ثم نظرت تجاه الماعز الذي يترأض في سياجه بكل نشاط.. فقالت بشيء من التردد "أأنت واثق من مقدرتي على هذا؟"

قال قادور بحسم "بالطبع.. إن لم تفعل، فأنت لا تستحق كل ما حصلت عليه.."  
خفق قلبها بقوة لهذا القول.. هل فشلها يعني أنه سيجردها من كل ما منحها من مميزات؟.. ترعبها مثل تلك الفكرة أكثر مما يطلب منها فعله الآن..

تقدمت من البوابة الخشبية ودخلت متطلعة حولها، حتى وقع اختيارها على معز صغير والذي بدا لعينيها مناسباً.. فاقتربت منه وجذبت من قرنه القصير وهو يضرب بأقدامه الأرض محتجاً ويدير رأسه محاولاً الإفلات من قبضتها.. لكنها لم تسمح له بالإفلات وهي تغادر به ذلك السياج مغلقة الباب خلفها.. وفي جانب بعيد، وبشيء من التردد، أجبرت الماعز على الاستلقاء أرضاً وهي تضع ركبته على جسده لئلا يقاومها بينما أطلق نغماً حاداً وهو يركل بقدميه محاولاً الإفلات..

نظرت ججي للخنجر في يدها التي بدأت ترتجف، ونظرت لعنق الماعز بصمت وقادور يقف قربها.. فقال لها بلهجة آمرة "افعل هذا.."

شدت ججي يدها على الخنجر وقربته من عنق الماعز، لكن عندما سمعت صوته المذعور وجف قلبها لذلك وأبعدت الخنجر وارتجافة يدها تزداد.. فصاح قادور بحدة "افعل هذا لو كنت رجلاً.."

لم تكن ججي تستنكر رؤية الماشية وهي تذبح وتسلخ، لكنها لم تفعله قط.. لم تواجه هذا الموقف بنفسها قط، وصوت الماعز ومقاومته يؤلمان قلبها ويزيدان الرجفة في يديها وهي تكاد ترفع ركبته وتفلته من أسره.. لكن صيحة غاضبة من أبيها جعلتها تتجاوز ترددها في لحظة وهي تمسك رأسه بيدٍ وتدفع الخنجر نحو عنقه فتحزّه بأسرع وأقوى ما تملك.. بدأ الجسد الصغير تحتها بالانتفاض والدماء تغرقها، وبدأت الرؤية تغيم في عيني ججي وهي تشعر بالدموع تتجمع في عينيها وتسيل على وجنتيها.. لكنها لم تقدر على مسحها وهي منشغلة بما تفعله حتى تمكنت من إحداث جرح عميق وطويل في العنق، وظلت تمسك الجسد الذي انتفض انتفاضات قوية حتى همد تماماً ودموعها تتساقط عليه دون توقف..

لم يعلق قادور على دموع ججي التي حاولت كتمها قدر استطاعتها، ولما سكن جسد الماعز، قال لججي

بهدوء "استخرج قلبه.."

نظرت له بعدم فهم، فقال لها بإصرار "افعل ما أمرك به.."

عادت ججي باضطراب إلى الجسد الصغير، فبدأت بشق صدره بشكل عشوائي بحثاً عن قلبه وهي تمسح دموعها بكم قميصها.. ولما عثرت عليه، قطعت العروق التي تتشبث به بإصرار، واستخرجته بيد دامية ترتجف.. عندها قال لها قادور بصرامة "والآن، لكي تصبح رجلاً حقاً، عليك التهام هذا القلب حتى آخر قطعة.."

نظرت له ججي بصدمة كبيرة.. فهي رغم معرفتها بطقوس البلوغ التي يقوم بها فتية الأكاشي عادة، فإنها لم ترَ ذلك قط.. ولم تجربه قط بالطبع.. نظرت ليدها التي ترتجف والدماء تغرقها، ثم غمغمت بصوت حاولت تمالك رجفته "ألا يقوم الفتية بهذه الطقوس في الخامسة عشر من العمر؟"

فقال قادور بحزم "لكنك لست كأي فتى آخر ولن تكون.. أنا أريدك أن تكون الأفضل.. أن تكون الأقوى والأشد بينهم.. لو قمت بذات التدريبات والطقوس التي يقوم بها بقية الفتية، فسيتضح الفرق بينك وبينهم بسرعة كبيرة.. لكنني سعت لأن تبدأ باكراً، وتتنقن كل ما يتقنه الفتية قبل أن يغادر أحدهم حضن أمه.. وبهذا، ستكون الأكثر تفوقاً بينهم بلا منازع.."

قربت ججي القطعة الدامية من فمها، ولما شمّت رائحة الدماء القوية منها، غالبها غثيان شديد وهي عاجزة عن التصرف.. لو لم تنفذ ما يطلبه أبوها، فلا تدري بم سيعاقبها جزاء عصيانها الأوامر، وربما يعدل عن فكرة جعلها رجلاً بالكامل، وهي لن تطيق أن تصبح مجرد فتاة..

تذكرت فرسها الجميلة الغبراء، وتذكرت الشعور الذي تتلهف عليه كل صباح بامتطائها والركض لمسافات طويلة وبكل حرية.. هل تتنازل عن هذا التركب العربات الضيقة البطيئة مع بقية النسوة؟..

كان هذا التفكير جزءاً من الدافع الذي دفعها لإطاعة أبيها وهي تدفع القطعة الدامية في فمها، فاقتطعت قطعة بأسنانها وسارعت لابتلاعها وهي تقاوم الغثيان الشديد الذي شعرت به.. وإزاء النظرات الراضية التي حلت محل الضيق السابق في وجه قادور، فإن ججي تشجعت أكثر وهي تقطع قطعة أخرى فأخرى وتزدرد ما تقطع بسرعة ودون تردد.. وللدهشة انقضى الأمر بأسرع مما توقعت وهي ترى يدها خالية إلا من الدماء اللزجة والرائحة المنفرة.. لكن فرحة ججي بإنجازها لم تكتمل وهي تجرد دموعها تسيل على

خديها أغزر من السابق..

ابتسم قador راضياً وقال مرتباً على كتف ججي "الآن، أصبحت رجلاً يا جام.. الآن أنا فخور بك أشد ما أكون.."

ابتسمت ججي ابتسامة مرتجفة، بينما قال قador قبل أن يغادر "أكمل عملي بسلخ جلد هذا الماعز وإحضاره للمخيم.. سيكون هذا عشاؤنا الليلة.."

لم تملك ججي الاعتراض رغم أنها كانت تود الهرب من هذا المكان كله.. استاءت للضعف والتهاي الذي شعرت به.. كيف ستقاتل أعداء أبيها إذا كانت تبكي لذبح معز صغير والتهام قلبه؟.. أليست رجلاً؟.. أليست من الأكاشي الأقوياء؟..

استمرت في عملها بصمت بعد رحيل أبيها رغم عدم خبرتها، وكادت تجرح نفسها عدة مرات حتى نجحت في جرح يدها اليسرى بين الإبهام والسبابة.. لكنها تجاهلت ذلك الجرح وذاك الأمر وهي تستمر في عملها، حتى شعرت بمينار يقترب منها.. لم تلتفت إليه وهي مستمرة بما تقوم به وهو يركع قربها يراقب ما تفعله ويرشدها بكلمات بسيطة.. ثم قال لها مع مرأى الدموع التي أغرقت وجهها "لا داعي لكل هذا الذعر يا جام.. كنت ستمر بهذا عاجلاً أم آجلاً مادمت تنتمي للأكاشي، ومادمت قد عزمت على أن تصبح ما أنت عليه الآن.."

لم تعلق وهي تمسح ما سال من دموعها بكمها الملوث بالدماء، بينما أضاف مينار "رغم أن الوقت أبكر من المعتاد، لكن قador يثق من أنك ستقدر عليه، ويثق أن هذا سيجعلك أقوى وأشد قلباً.."

غمغمت ججي محاولة تمالك نفسها "لا تقلق يا مينار.. أنا بخير.."

ربت مينار على رأسها بابتسامة راضية، ثم عاونها على التخلص من الأحشاء وتنظيف الجلد تمهيداً لتجفيفه ودبغه، وبعدها استخدمه في صناعة سرج خاص لها بدل سرجها القديم الذي أصبح بالياً..

كانت ججي أقوى مما يتوقع الجميع، ورغم سنّها الصغيرة وقسوة ما يتطلبه منها ما تسعى إليه، لكنها كانت مثابرة وحريصة على عدم تحييب ظن أبيها بها.. كانت تسعى لتعويضه عن فقد سيجان، ولتنال كل المميزات التي حظي بها أخوها الفقيد في حياته، والتي لطالما حسدته عليها..

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، أقام قادور احتفالاً كبيراً في المخيم وأمر بالعديد من الماشية التي تخصه بأن تذبح وتشوى لإطعام القبيلة كلها.. كان هذا إعلاناً واضحاً لبلوغ ججي مبلغ الرجال، رغم صغر سنها عن السن المفترضة لمثل هذا وبتجاهل تام لكونها فتاة، ورغم سعادة قادور فإن الاستياء قد بدا بوضوح على كل رجلٍ من رجال القبيلة وشبابها وفتياتها.. لكن مع تدافع الصبية والنساء للاحتفال متجاهلين السبب الذي أقيم له، فإن بقية الرجال قد أرغموا على تجاهل ما يسبب لهم الضيق وانغمسوا في مثل تلك الاحتفالات التي نادراً ما تقام في مخيمهم وما تجلبه من سعادة وحبور بين أفراد القبيلة كلها لسببٍ أو لآخر..

ورغم أصداء الاحتفال العالية، فإن ججي بدت ببؤسٍ واضحٍ وغمٍّ أوضحٍ لم يرغب عن عيني ستينا التي انزوت في خيمتها رافضة المشاركة في ذلك الاحتفال.. ولما دخلت ججي الخيمة بحثاً عن ملابس تستبدل بها ملابسها الغارقة بالدماء، فإن ستينا قالت لها بصوت جاف وعصبي واضح "هل أنت سعيدة لما أنت عليه الآن؟"

نظرت لها ججي بقلق، ثم اقتربت منها قائلة "لم أنت حزينة دائماً يا أماه؟.. ما الذي يزعجك فيما أفعله؟" قالت ستينا بحنق "ما الذي يزعجني؟.. كل ما تفعلينه طوال النهار والليل.. حياتك كلها لا تعجبني يا ججي.."

ثم أدارت وجهها جانباً قائلة بغضب "لقد تجاوزت عن الأمر في البدء لأنك كنت صغيرة، وأنا لم أكن أستطيع معارضة قادور بشكل صريح.. لكنك الآن كبيرة بما يكفي لتدركي ما تفعلينه، ولتصححي هذا الخطأ العظيم.."

قالت ججي مقطبة "وما الخطأ فيما أفعله؟.. أنا لا أفهمك يا أمي.. أليس هذا أفضل مما لو كنت فتاة؟"

صاحت ستينا "أفضل؟.. أهذا ما تريه حقاً أيتها البلهاء؟"

تزيد الغضب في صدر ججي لصياح أمها، فقالت بحدة بدورها "أجل.. أنا أراه أفضل بالتأكيد.. أليس هذا ما تمنيت طويلاً؟.. أتظنين أنني لا أدرك حسرتك لأنك لم تنجبي إلا إناثاً؟.. ألم تتحدثي أمام إحدى النسوة عن حزنك لما سيؤول إليه حال بناتك ورغبتك ألا يصبح حالهن مثلك؟.."

أخذت ستينا بقول ججي وهي تتراجع بظهرها للوراء وتنظر لثورتها بعينين متسعيتين، بينما قالت ججي بحنق "كيف تريدني مني أن أسعى لأصبح ما تكرهينه أنت؟.. لقد فكرت طويلاً بكل ما أراه، وكل ما أسمع.. أنا لست صغيرة كما تؤكدين أنت، وأدرك ما أسعى إليه بكل تأكيد.."

ونظرت لأمها بنظرة حازمة وهي تقول "كل ما أريده ألا أصير ما أصبحت عليه أنت وفاقي.."  
نظرت إليها ستينا بمرارة وقالت بصوت متهدج "أنا لم أعن ما فهمته، ولست أكره وجودك في حياتي أبداً يا ججي.."

ثم تشبثت بثياب ججي وهي تقول بصوت مرير "أنت سعيدة بما أنت عليه لأنك صغيرة، ولأنك بحماية أبيك وهو زعيم هذه القبيلة.. لكن الأمور لن تدوم هكذا لوقت طويل.. أتدركين ما سيحدث لو مات أبوك؟.. أظنن أن رجال القبيلة عندها سيصمتون لما تفعلينه وهو وصمة عار عليهم؟.. أظنن أنهم سيسمحون لك بالاستمرار بهذه المهزلة بعد أن تصبحي امرأة يافعة وبعد أن تتناقل القبائل أخبارك بسخرية وهزء من رجال هذه القبيلة؟.."

وتدافعت الدموع من عينيها وهي تقول بحرقة "سيقتلونك يا ججي.. سيقتلونك دون رحمة في اللحظة التي ستفقدن فيها حماية أبيك.."

مدت ججي يدها ومسحت الدموع عن وجنتي أمها، ثم قالت بحزم "لا تحزني يا أمي ولا تقلقي.. لن أسمح بذلك أبداً.. ولن أتنازل عن كل ما حصلت عليه حتى الآن.."

أبعدتها ستينا بحزن عميق وقالت "افعلي ما تشائين يا فتاة.. لا سلطة لي عليك بعد الآن.."  
زفرت ججي وهي تتطلع لظهر أمها المنحني، ثم استدارت وأنهاست استبدال ملابسها ثم خرجت من الخيمة بصمت.. لم تكن بها أي رغبة للاحتفال في هذا اليوم بالذات، لكنها لم تشأ إغضاب أبيها أو تخيب ظنه..  
فلتمض هذه الليلة على خير، والصبح كفيفاً بأن يغسل خلافات الليلة التي تسبقه كلها..

ووسط المخيم، استطاعت ججي أن ترى النار العظيمة التي أشعلت وسطه والاستعدادات التي يقوم بها أفراد القبيلة للاحتفال بذبح الخراف وإعدادها للشوي وإعداد بعض الأطعمة والشراب الملائمة لهذا الاحتفال.. بينما جلس الزعيم مع الرجال الأكبر سناً في موقع قريب من النيران وعلى فراشٍ عريض فرش أرضاً وصفت عليه الوسائد المريحة..

كانت الاحتفالات في المعتاد تضمّ بضع ألعاب يقوم بها الشبان على ظهور خيولهم في جانب مفتوح من المخيم، أو استعراض مهاراتهم في رمي الرمح، ورقصات حول النار تتنافس فيها الفتيات في إظهار رشاقتهن وقدهن النحيل.. وفي هذه المرة، أرغمت ججي على المشاركة في لعبة رمي الكرة التي يقوم بها الشبان عادة ما بين الرابعة عشر والعشرين.. ورغم أنها تتلهف عادة للمشاركة في تلك المسابقات التي تبدو لها ممتعة، لكنها لم تكن تشعر بأي سعادة في هذا اليوم لهذه التجربة..

كانت تلك اللعبة تضمّ خمسة عشر شاباً في المعتاد، وتتمحور حول كرة من جلد الأغنام المدبوغ مخاطة بخيوط سميكة ومعبأة برممل لتتشكل بشكلها الكروي.. وعلى من يتمكن من اختطاف الكرة أن يرميها نحو أقرب منافس بقوة ويحاول إسقاطه من على ظهر حصانه، أما المستهدف فعليه أن يتفادى الضربة والسقوط بالتالي، أو يحاول التقاطها ويردها نحو غريمه بأقوى ما يملك.. والفائز من يتمكن من البقاء على ظهر حصانه للنهاية، ويُسقط أكبر عدد من منافسيه.. ولا تنتهي اللعبة إلا بسقوط الجميع ووجود فائز واحد.. ولو طال اللعب لساعات لمهارة المشاركين في تفادي الهزيمة، يتمّ فضّ اللعبة بعد أن يستبدّ بالشباب الملل والتعب الشديد ليعودوا للنار مشاركين في التهام ما تمّ شيه من لحوم واحتساء اللبن المختمر حاذق الطعم..

عندما تشكل الفريق الذي سيشارك في اللعبة، فإن ججي كانت قد أحضرت فرسها الغبراء وبدأت امتطاءها استعداداً للمشاركة في هذه اللعبة.. ولما وضعت قدمها على الركاب ورفعت ساقها الأخرى لترفع نفسها فوق السرج، فوجئت في تلك اللحظة بشاب من الشباب المشاركين في اللعبة يدفع رمحاً من الجانب الخشبي في كتفها بقوة حتى أسقطها من على ظهر الفرس بشكل أثار ضحك بقية الرجال.. التفت قادور الذي لم يرَ ما جرى لججي ورمقها بنظرة حانقة ظناً منه أنها قد تعثرت وسقطت بنفسها.. بينما نهضت ججي بسرعة ونفضت ملابسها بصمت دون أن تنطق بكلمة أو تظهر ضيقها.. وأسرعت تمتطي ظهر الفرس دون أن يحاول الرجال عرقلتها مع نظرات قادور المصوّبة تجاههم..

التزمت ججي الصمت ولم تعلق على ما جرى متبعة نصيحة مینار الدائمة لها بتجاهل إساءات بقية رجال القبيلة لها.. فكما وضّح لها مینار لاحقاً، لو أسرعت بالشكوى لأبيها عما يجري لها، فستظهر بمظهر الضعيف أمامه، وستكتسب كراهية مضاعفة من الرجال لو تدخل في أمورها.. وهذا ما لا تريده بأي حال

في هذه الأوقات.. وفي الواقع، كانت معتادة على تصرفات الرجال نحوها منذ بدأت بتنفيذ طلبات أبيها ومنذ أعلنها ابناً له.. كان الغضب الذي يعمي عيونهم ويوغر صدورهم نحوها مفهوماً، فهم لا يقبلون بفتاة تمتطي ظهور الأحصنة مثلهم وتملك سيفاً مثلهم.. فكيف يمكنهم أن يقبلوا بأمر مثل هذا ليس له سابقة في تاريخ الأكاشي الذي يعتزّون به؟..

كانت في أوقات كثيرة تفاجأ بمجموعة من القاذورات تسقط على رأسها دون سبب، أو بمياه صقيعية تنسكب عليها في وقت مبكر من النهار.. وبينما وجدت سرجهامزقاً شرتمزيق في أوقات كثيرة حتى أصبحت تحتفظ به في جانب خيمة أبيها، فإنها تجاهلت كل ما تمر به بصمت تام دون أن يعلم امرؤٌ بما يجري لها عدا مينار.. فهو الوحيد الذي يلاحظ ما تمر به ويعاونها بصمت على تجديد سرجهالبالي وعلى تفادي أي مضايقات أخرى.. لكنه لم يرقم ولا مرة بالتحدث مع قادور أو مع الرجال عن هذا الأمر مفضلاً تركه لججي لتتدبر أمورها بنفسها.. وعلى كل حال، اعتبر مينار هذا خبرة ملائمة لججي لتتبه لما يحاك لها وتستدرك أي مقالب قد تدبر ضدها..

بعد أن امتطت ظهر الفرس من جديد، جذبت ججي لجامها وركضت تابعة مجموعة الشباب تلك وهي تتلفت حولها حتى رأت ذلك الرجل الذي حمل الكرة ورمهاها عالياً وسط اللاعبين.. وسرعان ما اختطف أمهر اللاعبين الكرة من بين البقية، وكما توقع مينار الذي يراقب اللعبة من جانب المكان، وجّه ذلك اللاعب كرتة بضربة قوية خاطفة نحو ججي أصابتها في رأسها وكادت تسقطها.. لكنها تشبثت باللجام والسرّج بقوة واعتدلت متناسية الأمل الذي ينبض في رأسها وهي تتلفت حولها بحثاً عن الكرة.. لكن شاباً آخر كان قد تناول الكرة قبل سقوطها ووجهها في ضربة جديدة نحو ججي التي تفادتها هذه المرة وهي تدفع الغبراء للركض بعيداً عن ذلك الموقع حيث بقية اللاعبين يحيطون بها.. وبينما سقط أحد اللاعبين بضربة من آخر، وبعد أن أدارت ججي الغبراء مواجهة البقية، فوجئت بالكرة تنقذف نحو وجهها بقوة أصابتها بضربة على أنفها كانت من العنف بحيث أسقطتها أرضاً.. أصاب ججي دوارٌ عنيف وهي تعتدل جالسة بينما اللاعبون يركضون بخيولهم خلف الكرة التي سقطت خلفها.. وبينما تجاوزها بعضهم سعيّاً وراء الكرة، فوجئت ججي بأحد الشبان وهو يندفع نحوها بحصانه ويوقفه بحدة جاذباً لجامه بشدة.. رفع الحصان قائمته الأماميتين مطلقاً سهيلاً عالياً وعينا ججي تتسعان بذهول وهي ترى حوافر الحصان

واضحة وقريبة منها.. ولو هوت تلك الحوافر عليها، فقد تدوسها مسببة لها إصابات خطيرة وربما تتسبب في قتلها مع حجم الحصان الكبير مقارنة بجسدها الضعيف..

ولما هوت الحوافر نحوها، والشاب على ظهره يبتسم ابتسامة متشفية، وجدت ججي يداً تجذبها من عنق قميصها فتبعدها عن ذلك الموقع الذي ارتطمت به الحوافر بقوة مثيرة الغبار بشدة.. بينما أوقفها مینار الذي سحبها وهو يقول للشاب القريب بغضب "ألن تكفّ عن هذه الألاعيب الخبيثة؟.."

قال الشاب بسخرية "لم تدافع عنها؟.. ألم تصبح (رجلاً) كما يقول الزعيم؟"

لم يعلق مینار وهو يسحب ججي خلفه ويجذب لجام فرسها لتبتعد عن موقع اللعبة التي استمرت وصوت الضحكات الهازئة يصل لسمع ججي بوضوح.. كان الدوار يُعشي عينيها والدماء تسيل من أنفها بسبب الضربة السابقة وهي تتبع مینار بوجه شاحب، عندما وجدا قادور يقف أمامهما قائلاً لمینار بصرامة "ما الذي تفعله؟.. لماذا تتدخل في لعبة يلعبها الشباب في كل احتفال دون أي مقاطعة من الرجال الأكبر سناً؟" صمت مینار للحظة ملاحظاً الغضب في عيني قادور، ثم قال موازناً كلماته "هذه تجربة جام الأولى، وهو لم يعتد على اللعبة العنيفة هذه.. خشيت أن تدهسه الحوافر فلا يغدو قادراً على ممارسة تمارينه لوقت طويل.."

قال قادور بغضب "هذا لا معنى له.. كان على جام أن يتحمل مسؤولية أخطائه وتصرفاته.. تصرفك هذا يوحي للجميع أن جام ضعيفٌ لا يقوى على الدفاع عن نفسه.."

صمت مینار دون تعليق، بينما قال قادور بحق أشد "أنا وكّلتك لتدريب جام، ولم أخوّلك وصياً عليه.. تصرفك هذا يجعلني متشككاً في قراري بشدة.."

قلبت ججي بصرها بينها وهي قلقة من غضب أبيها وما قد ينتج عنه.. وخشيت أن يقوم باستبعاد مینار من تدريبها وهو أمر ستكرهه بشدة، لذا أسرع بالوقوف أمام أبيها محنية رأسها وهي تقول "اعذرنى يا أبى.. لن أكرر هذا الخطأ مرة أخرى.. لن أجد أفضل من مینار لتدريبي والعناية بي، لذلك أرجوك لا تلمه على ما فعله.."

نظر لها قادور بضيق شديد، ثم استدار قائلاً "سنرى بشأن ذلك.."

وابتعد عائداً لموقعه السابق، بينما وضع مینار يده على رأس ججي قائلاً "لم يكن هناك داعٍ للاعتذار.. قادور ما كان ليفعل ما تخشاه أبداً.."



وابتعد تاركاً ججي واقفة في موقعها والأصوات الصادرة عن القبيلة التي لم تتوقف عن احتفالاتها يصيبها بصداعٍ شديد وكآبة أشد..

جلست ججي جانباً تتطلع لرقص الفتيات حول النار وضحك الرجال وأحاديثهم في جانب المكان.. خايلها أن تلك الضحكات مصوبة نحوها، وأن ابتسامات الفتيات هي سخرية منها، ولم يبتعد عنها هذا الشعور وهي تدير عينيها جانباً وكأنها تهرب من النظرات المختلصة نحوها بينما جلس مینار قربها صامتاً يحتسي شراباً دافئاً.. فقالت ججي بعد لحظات بصوت متهدج "أنا آسفة لغضب أبي الذي وجهه نحوك يا مینار.."

قال مینار بهدوء "أنت لست فتاة.. فلا تتحدث كذلك.."

استدركت وهي تخفض وجهها قائلة "آسفٌ لذلك يا مینار.. لقد غضب أبي منك بسببي.."

قال مینار ببساطة "لا يهمني ذلك.. ما يهمني أنك بخير، فلا أريد تأجيل التمرينات القادمة بسبب إصابات في جسدك.."

فسألت ججي بشيء من المرارة "لم يكرهني رجال قبيلتي بهذه الصورة؟.. ما الذي فعلته لهم؟"

أجاب مینار "إنهم لا يرونك إلا كفتاة، وقوانين الأكاشي صارمة في هذا الأمر كما تعلم.. ما فعله قادور بإعلانك ابناً سابقاً لم يحدث من قبل، وهذا يثير غضب وكره الرجال للمخالفة الصريحة لكل ما اعتادوه.. ولأنهم لا يقدرّون على الاعتراض بشكل واضح أمام قادور، فهم يصبّون غضبهم عليك وأنت الطرف الأضعف حالياً.."

فقالت بهتاف "لكني لا أريد أن أكون ضعيفاً.."

ابتسم مینار قائلاً "لن تكون كذلك لو أطعنتي.."

نظرت له ججي بفضول، ثم تساءلت "لطالما دار في ذهني تساؤلٌ عجيب.. لماذا وافقت على طلب أبي الذي يعده الجميع جنوناً؟.. أنت لا تظهر غضبك من وجودي وتعاوني كثيراً.. فما السر؟"

قال مینار "لأنني لا أستطيع أن أعصي طلباً لقادور.. وأثق به كثيراً رغم جنون طلبه.."

ونظر لججي مضيقاً "ثم إنني أصبحت أتطلع لرؤية ما ستصبح عليه بعد عشر سنوات من الآن.. ولا أظنه سيخيّب ظني بتاتاً.."

ثم عقب وهو ينظر للنار من جديد "إلا إن قررت أنك سئمت في يوم من الأيام وقررت العودة لكونك فتاة.."

هتفت ججي بإخلاص "لن أتمنى ذلك بتاتا.. ولمَ قد أفعل ذلك؟.."

ابتسم مینار وربت على رأسها قائلاً "أنا أثق بذلك يا جام.."

عادت ججي ببصرها للنار البعيدة وللفتيات الراقصات حولها، ثم غمغمت بوجوم "لمَ قد أتمنى العودة كفتاة؟.. ما الميزة التي قد أجنبيها من البقاء في ظل رجل آخر والارتكان لحياة هادئة بين عويل الأطفال وأعمال لا تنتهي دون أن أملك اختيار ذلك؟.. أنا لن أكون امرأة في يوم من الأيام.."

لم يعلق مینار وهو يحتسي شرابه.. ليس المهم ما تريده ججي وما تسعى إليه.. المهم ما سيفعله الرجال في الأيام القادمة، وهو لن يكون أكثر رحمة ورفقاً مما مضى.. ولو كانت ججي قد واجهت مضايقات من بضع فتية عابثين، فما الذي ستفعله عندما تواجه غضب رجال أكبر سناً وأكثر قوة؟.. إنه يترك أمر هذا للأيام ليرى ما سيحل بججي عندها.. وما ستقرره بنفسها في ذلك الوقت..

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي، وبينما كانت ججي تحمل سرجها متجهة للموضع الذي تنتظرها فيه الغبراء، وبعد أن تجاوزت صف الخيام القريبة من خيمة الزعيم، فوجئت بقدم تركز ظهرها بقوة وتسقطها على وجهها سقطت عنيفة.. تمالكت ججي نفسها وهي تنظر خلفها، فرأت عدداً من الفتية ممن لا يتجاوز عمر أكبرهم أربعة عشر عاماً وهم يقتربون محيطين بها بابتسامات هازئة.. حاولت ججي الوقوف لتتلقى ركلة من آخر أسقطتها أرضاً من جديد، فرفعت رأسها وهي تقول بحنق "ما الذي تبغونه مني؟"

أجاب أكبرهم سناً بسخرية "لا شيء.. أتينا لرؤية الفتاة التي سبقتنا في اختبار الرجولة.."

قالت ججي بحنق "أهذا ما يغضبكم؟.. لأنني حصلت على ما لم تحصلوا عليه بعد؟"

قال الفتى بابتسامة ساخرة حاول إخفاء غضبه الواضح بها "استكملاً لاحتفالات الليلة الماضية، نريد اختبار رجولتك المزعومة.."

فقلت بحدة "أنا لست أقل مهارة وخبرة من أي فتى منكم، فلماذا تقومون بتحقيقي بهذه الصورة؟.. لا تعتبروني فتاة ضعيفة أبداً.."

قال الفتى ضاحكاً "إذن أنت تعترفين أنك فتاة.."

لم يكن هذا ما عنته، ولم يكن هذا ما تريدهم الانتباه إليه في جملتها، وهذا أثار حنقها بشدة.. فقفزت على ذلك الفتى رغم أنه بضعف طولها وأسقطته أرضاً وهي تقبع على صدره، ثم وجهت له لكمة قوية بغل شديد بعد كل تلك الإهانات والمعاملة السيئة التي تحملتها سنوات طوال.. ولم يكن الأمر يزداد هوناً مع مضي الوقت..

وجدت يداً تجذبها من شعرها القصير لتقف، ورغم ألمها الشديد، لم تتوان عن ركل الفتى الذي تحتها بقدمها في فكه بقوة، ثم استدارت ودفعت الآخر بجسدها بشدة.. وبعد أن أفلتها الثاني وهو يسقط، أسرعت تركله في بطنه بينما تقدم منها اثنان وحاولا إيقافها.. فأمسك أحدهما بذراعيها من الخلف، بينما وجه لها الثاني لكمة قوية أتبعها بأخرى حتى سال الدم من أنفها.. ولما هم بأن يلكمها مرة ثالثة، أوقفه أحد رفاقه وهو يهمس "مينار قادم.."

تجمد الفتية بشيء من القلق وهم يرون مينار يتقدم من موقعهم، وتوقعوا أن يثور غاضباً في وجوههم لما يفعلونه، لكنه سار بصمت حتى حمل سرج ججي الذي سقط أرضاً، ثم ابتعد به وهو يقول "لا كسور يا شباب.."

وغادر بصمت بينما الفتية ينظرون لبعضهم البعض بتعجب، ثم قال الفتى الذي يواجه ججي بسخرية "يبدو أنه تخلى عنك أخيراً بعد أن عنته الزعيم بسبيك البارحة.."

وجد ججي تركل بطنه بقوة وهي تصيح بغضب "من قال لك أنني بحاجة للمعاونة؟.."

وأرجعت رأسها للوراء بقوة لتضرب الفتى الذي يمسك بها على أنفه، فصاح متألماً وهو يتخلى عنها ويمسك أنفه.. فاندفعت ججي بعد أن تحررت نحو الفتى الآخر وهي تطوح قبضتها بقوة، بينما اندفع بقية الفتية نحوها محاصرينها دون أن تملك فراراً من حصارهم..

وبعد وقت طويل، رأى مينار ججي تسحب قدميها نحوه بتعب واضح والدماء تسيل من أنفها وهي تمسحه بكم قميصها.. ولما وصلت لموقع مينار الذي كان يعتني بحصانه، زفر وهو يقول بضيق "ما الذي

فعلوه بك؟.."

رفعت ججي يدها تلمس جرحاً سطحياً في خدها وغمغمت "بعد أن قاومتهم بشدة، حاول أحدهم إصابتي بخنجره بكل خسة.. ولولا أن منعه أحد الفتية لكان أصابني بجرح أكبر.."  
 بحث مینار عن قماشٍ نظيفٍ لتنظيف جرحها، فغسله بالماء وبدأ تنظيف الجرح قائلاً "من حسن الحظ أن الجرح سطحي.."

ثم ناو لها القماش لتنظف الدماء التي سالت من أنفها، وعاد للاعتناء بحصانه ووضع السرج على ظهره..  
 فغمغمت ججي وهي تجلس جانباً بتعب "هل خشيت من غضب أبي لو تدخلت في ذاك العراك؟.."  
 تساءل مینار "وهل أنت غاضب لأنني لم أتدخل؟.."  
 هزت رأسها نفيًا وعلقت "أريد أن أنهى أموري بنفسي.. لا أريد أن يعدوني ضعيفاً بعد الآن.."  
 فقال مینار "ولهذا لم أتدخل.. وليس خوفاً من أبيك.."

ابتسمت ججي ابتسامة مشوهة مع الورم الذي بدأ يتكون في جانب وجهها.. في كل مرة يجد مینار وقتاً للحديث معها، تشعر ججي أن تعبها وحزنها لمعاملة الآخرين لها تتضاءل وشيء من الأمل يغزو نفسها..  
 إنه رغم قسوته عليها يشجعها، ويبت فيها بعض الأمل بأن ما تفعله لن يكون بلا طائل.. وأنها يمكن أن تصبح أفضل ببعض المثابرة والحماس، وهذا جل ما كانت بحاجة إليه في مثل هذه الأوقات..

\*\*\*\*\*

مع حلول تلك الليلة، اضطرت ججي للعودة لمنزلها بعد أن حاولت إلهاء نفسها والبقاء خارجاً أكثر وقت ممكن.. رغم أن أباها كانت لهما شكوكهما بما تحصل عليه من مضايقات من شباب القبيلة، لكن ما جرى اليوم لا يمكن أن يغفلا عنه مع آثاره الواضحة على وجهها.. وهكذا، وقفت ججي أمام أبيها بوجه متورم وكدمة واضحة على عينها وجرح في خدها.. نظر لها قادور بصمت دون تعليق وإن لمحت نظرة غير راضية في عينيه، بينما قالت أمها بارتياح "ما الذي جرى؟.. كيف أصبت بهذا الجرح؟.. من الذي فعل ذلك؟"  
 وأسرعت لتنظيف الجرح الذي عادت الدماء تسيل منه بعد أن أهملته ججي طوال ساعات ذلك النهار،

بينما قال قادور بصرامة "من الذي فعل بك ذلك؟"

قالت ججي بشيء من التردد "هو مجرد خلاف مع بعض الفتية في المخيم، وقد حاول أحدهم إتهامه باستخدام خنجره.."

قالت ستينا باستياء "أي صبي يرفع خنجره في وجهه....."

ابتلعت الكلمة التي كانت ستقولها مشيرة لججي بأنها فتاة، وقد أدركت أن قادور لن يفوت الكلمة بتاتا..  
بينما قال قادور "ولمن كانت الغلبة؟"

نظرت له ججي بقلق وصمت، فقطب متسائلاً من جديد "لمن كانت الغلبة يا جام؟"

زفرت ججي، ثم قالت بضيق "لم أتغلب عليهم.. فقد كانوا أكثر عدداً مني....."

ضرب قادور بيده على ركبته باستياء، فأسرعت ججي تقول "لو كان الأمر بالقوة أو المهارة، لتغلبت عليهم.. لكن لم يكن الأمر عادلاً وهم يفوقوني عدداً ولا يتوانون عن العراك بكل خسة.."

قال قادور باستياء بالغ "أنت لم تبلغ مبلغ الرجال بعد.."

تشجعت ستينا من بين ضيقها لتقول بجرأة وحدة "هل تسخر منها؟.. أم من نفسك؟.. من ينظر لفتاة لم تتجاوز الثالثة عشر ويطلبها بأن تكون رجلاً؟.."

قالت ججي بحنق "أمي....."

بينما هدر قادور "اصمتي.. لا شأن لك فيما يخص جام.. اهتمي بأمر ابنتك تينا واحفظي لسانك لسلامتك.."

أحجمت ستينا عن قول المزيد، فيما قال قادور وهو ينهض "ما جرى دلني أن وقتاً طويلاً سيمر قبل أن تصل لما أريده لك وأنا لا أملك الصبر الكافي لذلك.. لذا، سأدفعك بقوة أكبر لأحصل على نتائج أسرع.."

نظرت له ججي بعدم فهم، بينما تساءلت ستينا بقلب مقبوض "ما الذي تعنيه؟"

قال بجفاء "لا شأن لك.. اصمتي وسترين ما سيجري.."

وغادر المكان، بينما وقفت ججي مترددة فيما عليها فعله.. فأمسكت ستينا كتفيها قائلة بصوت مرتجف "ججي.. ارضي ما سيطلبه منك أبوك.. أرجوك.. أعلمي أنك ما عدت راغبة بأن تكوني كالرجال.."

قالت ججي بضيق "أمي.. حتى متى ستحاولين إقناعي بذلك؟"

قالت ستينا بصوت متهدج "لأنني أخشى عليك يا ابنتي.. أخشى مما ستصبحين عليه، وأخشى من المصير الذي ينتظرك.. لمَ لا تفهمين ذلك؟"

قالت ججي بحزم يتجاوز سنوات عمرها "مهها جرى لي، فسأسلك هذا الطريق لنهايته.. أريد أن أكون هكذا يا أمي، وأريدك أن تقتنعي أنني لن أكون شيئاً يخالف هذا أبداً.."

نظرت لها ستينا بمرارة وهي تتخلى عن كتفها، ثم تنهدت وهي تخفض رأسها قائلة "يؤلم قلبي ما تمرين به يا ججي.. لكن كيف أقنعك بسوء ما تسعين إليه؟.."

قالت ججي بلهجة قاطعة "لن تتمكني من ذلك يا أمي.."

ثم أضافت "ولا تنادني باسم ججي أبداً.."

نظرت لها ستينا بغمٍ شديد، ثم أدارت بصرها جانباً دون أن تعلن موافقتها على ذلك.. كيف يمكنها أن تعلن عن إلغاء هوية ابنتها والإقرار بهذه الحياة المشوهة التي تعيشها؟.. هذا ما لا يطيقه قلب الأم بتاتاً، حتى لو كان البديل أسوأ من هذا بمراحل..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثالث {رحلة ولقاء}

بعد أيام قليلة، استيقظت ججي قبل الفجر بكثير على نداء أبيها لها.. فنهضت بنشاط رغماً عنها رغم الآلام التي تشعر بها في جسدها منذ عراكها مع الفتية.. ولما خرجت من الخيمة، وجدت مينار يعاون أباهما على تهيئة حصانه، بينما وقف حصان مينار في موقع قريب بكامل تجهيزاته.. ولما رآها قادور قال لها "جام.. أحضر فرسك وقم بتهيئتها وتجهيز نفسك لرحلة سنقوم بها حالاً.."

تطلعت ججي للمؤونة التي يضعها مينار في الخُرج الذي يحمله الحصان على ظهره، فبدأ لها أن رحلتهم لن تتجاوز عدة ساعات بأي حال.. عندها أسرعت إلى الغبراء ووضعت السرج على ظهرها وهي تثبته بإحكام، ثم جذبتها عائدة للموقع الذي ينتظرها فيه الآخران، وقامت بتجهيز مؤونة صغيرة لها وضعتها في خُرج الحصان مع بعض الماء في قربة.. ولما امتطى قادور ومينار ظهري حصانيهما، أسرعت ججي تتبعهما بصمت دون أن تسأل عن مغزى وهدف هذه الرحلة.. بما أنهما قد احتفظا بوجهة الرحلة سرّاً منذ البدء، فقد أدركت أن أيهما لن يجيب عن تساؤلاتها مهما ألحّت في طرحها.. لذلك أيقنت أن عليها الانتظار لتعرف هدف هذه الرحلة التي لن يقوم بها إلا ثلاثتهم.. ونوعاً ما اقتنعت أنها رحلة صيد من التي يقوم بها رجال القبيلة بين وقت وآخر جماعات وفرادى، رغم أن أباهما لم يكن يذهب في تلك الرحلات لانشغاله بأمور القبيلة والمخيم ولعمره الذي ما عاد يتيح له الاستمتاع بهذه الأمور..

سار الثلاثة بشيء من البطء حتى غادروا المخيم الصامت والذي لم تشرق عليه الشمس بعد.. وعند ابتعادهم من المخيم، دفع قادور حصانه ليسرع شيئاً ما فتبعه مينار وججي وهم يعبرون التلال القريبة نحو الغرب.. لم يكن الشتاء قد بدأ بعد، لذلك كان الجو على شيء من الدفء ولم يكن أحدهم بحاجة لارتداء معاطف ثقيلة، بينما بدت السهول أكثر خضرة من المعتاد والزهور البرية تغزو أجزاء كبيرة منها بلون أبيض وأصفر وأحمر مكونة حقولاً صغيرة طبيعية لا دخل للبشر فيها.. وبعد مسافة ساعة على الأقل، خفف الثلاثة سيرهم وإن ظلوا يقطعون التلال القريبة متأملين الموقع بصمت بعد أن بدأت ملامح الفجر القريب من خلفهم.. فقال قادور بانسراح "يا لهذا المنظر!.. إنه يذكرني بذكريات قديمة عن أيام مضت كنا نخرج

فيها للصيد قبل الفجر.. ألا تذكرها يا مینار؟"

علق مینار قائلاً "وكيف لي أن أنساها؟.. لقد قضينا أغلب أوقاتنا بعيداً عن المخيم في رحلات صيد تدوم عدة أيام، ولم نترك هذه العادة إلا عندما أصبحت زعيماً للقبيلة رغم سنك الصغير آنذاك.."  
غمغم قادور "لم يدُرْ بذهني بتاتاً أنني قد أصبح زعيماً في الثلاثين من عمري.. كان كل همّي آنذاك أن أكون حراً وأعيش حياة طليقة بعيداً عن الالتزامات.."

ثم ابتسم مضيفاً "لكن كل ذلك انقضى.. لم نعد في سنٍ يسمح لنا بالاستمتاع بهذه الأمور كالسابق.."  
فقال مینار "تحدث عن نفسك.. أنسيت أنني أصغرك بعشر سنوات على الأقل؟.. أمامي عشر سنواتٍ أخرى حتى أصبح ما أنت عليه الآن.."

ضحك قادور لقوله، بينما ظلت ججي صامتة تستمع لحديثها مبتسمة بدورها وهي متعجبة من رؤية هذه الابتسامة على وجه أبيها.. لطالما عرفت أباهما بوجه متجهمٍ وصمتٍ يطول ولا يقطعه إلا للبت في أمرٍ مهمٍ أو التعليق على أمرٍ عارضٍ كزعيم للقبيلة.. لا تذكر أنه جلس في أي يوم في خيمته يتحدث براحة ويضحك مع عائلته، ولا تذكر أنها سمعته يتبادل أطراف الحديث مع أمها إلا في أوقات معدودة لا تتجاوز حديثها عن أمرٍ طارئٍ عليهما البت فيه.. ولم تكن مشاركة قادور في الأمر تتجاوز إبداء رأيٍ قاطعٍ لا يقبل المفاوضة بتاتاً..

بعد شروق الشمس، عثر الراكب الصغير على غزال يقتات قرب أجمة صغيرة، وسرعان ما بدأت المطاردة في السهول الواسعة التي لا تمنح الغزال فرصة للهرب أو الاختباء.. ورغم أن ججي هي الأخف على ظهر الفرس وكانت الأسرع بينهم، إلا أن خبرتها الضعيفة في رمي السهام جعلت كل سهامها تطيش أو تسقط عند أقدام الغزال الشارد.. وبينما لحقها مینار بخفة، فإن قادور لم يحاول المنافسة في هذا الأمر وهو مدرك أن مینار سيتغلب عليه بسرعته وخبرته الكبيرة مقارنة بمهارة قادور التي لم يمارسها منذ سنواتٍ عديدة..  
ورغم استماتة الغزال في الهرب، إلا أن سهماً أطلقه مینار بدقة أصابه في عنقه وأرداه في الحال..

ورغم الطريدة الكبيرة، إلا أن رحلتهم لم تنته والصيد استمر لعدة ساعات، وأثمر عن ذلك الغزال وعددٍ من الأرانب وزوج من الدجاج البري.. ولما توقف الراكب الصغير لنيل بعض الراحة، ترجلت ججي من فرسها وهي تدمدم "لم أتمكن من صيد أي شيء اليوم، رغم أن هذه رحلتي الأولى.."



علق مینار قائلاً "لا زلت ضعيفاً في استخدام القوس والسهم، وهما أساسيان في الصيد.. لا يمكنك ملاحقة الغزلان بالسيف.."

فقلت ججي "لم أتعلم استخدام القوس والسهم إلا مؤخراً.. مازلت بحاجة لبعض التدريب قبل أن أتقنه.."

فقال قادور "ستفعل ذلك يا جام.. يجب أن تفعل.."

تنهدت ججي وهي تتطلع للقوس المعلق في سرج الغبراء.. ثم عادت للبقية وعاونت في إشعال النيران وشي الدجاج بعد تنظيفه وتحضيره للغداء مع انتصاف ذلك النهار..

بعد مرور بعض الوقت، وبعد راحة قصيرة حصل عليها الثلاثة في ذلك الموقع النائي، نهض قادور أخيراً قائلاً "فلنعد.. يكفيننا ما حصلنا عليه اليوم.."

ووجه الحديث لججي مضيفاً "ضع ما اصطدناه على حصاني.."

أسرعت ججي لتنفيذ أمره وهي تقوم بتعليق الأرانب من أقدامها في سرج حصان أبيها الأدهم، بينما وضع مینار الغزال على ظهر حصانه وثبته ببعض الحبال.. وبعد أن امتطى قادور ومینار حصانيهما، أسرعت ججي عائدة للغبراء لتمطيتها عندما سمعت قادور يقول لها "جام.. أنت ستظل هنا.."

التفتت إليه ججي بعدم فهم وقالت "هنا؟.. لماذا؟.."

قال بهدوء "فلتعتبر هذا اختباراً لك.. ستبقى هنا ثلاثة أيام، وسأعود إليك في اليوم الثالث.. عليك أن تدبر أمورك وحيداً.."

قلت ججي رافعة حاجبيها "لكنني لم أتزود بما يناسب هذه المدة.. ظننت أننا سنعود قبل غروب الشمس.."

فقال قادور وهو يجذب لجام حصانه "هذا أفضل.. يمكنك الآن أن تمرّن نفسك على استخدام القوس والسهم بشكل أفضل لو أردت أن تعيش.."

أدار حصانه وابتعد عن الموقع تاركاً ججي تقف وحيدة في هذه السهول الواسعة والتي لا يكاد يتردد فيها أي صوت.. وسرعان ما تبعه مینار الذي علق "أليس هذا قاسياً على عمره؟.."

قال قادور بحزم "لا.. لن يكون هذا أقسى مما سيأتي في حياته القادمة.. عليه أن يتعلم الاعتماد على نفسه

بأسرع ما يمكنه.."

لم يعترض مینار وهو موقن أن قرار قادور لا يمكن التراجع عنه، بينما ظلت ججي تراقبها وحيدة بتعجب وشيء من الدهشة.. تعجبت أكثر لأن أباهما رفض إخبارها بهدف رحلتهم هذه لتزداد من المؤونة قبل مغادرتهم المخيم.. فهل كان يتعمد ذلك؟.. أهو يرى أن خوضها هذه التجربة دون استعداد كبير أفضل لها لو واجهت مثل هذه المواقف مستقبلاً؟.. قد يكون ذلك صحيحاً، لكن بالنظر لسنها الصغيرة فإن هذا قرار صعب وخطير.. قد تكون ججي أقوى من كل الفتيات في قبيلتها، وأقوى من الصبية الذين يقاربونها في العمر، لكنها تظل مع ذلك صغيرة.. ما الذي يمكنها فعله لو واجهها بعض اللصوص أو رجال قبيلة أخرى؟..

لم تحاول ججي التفكير في هذا الأمر وهي تمتطي ظهر الغبراء مغممة "يبدو أن عليّ التمرن على استخدام القوس والسهم منذ الآن لو لم أرد أن أبقى دون عشاء.. وعليّ البحث عن جدول ماء قريب.."

انطلقت بالغبراء في موقع مغاير لموقع المخيم وهي تتلفت حولها في السهول الفسيحة والأفق البعيد.. كانت تلك هي المرة الأولى التي تغادر فيها المخيم وتبتعد لهذه المسافة وحيدة ودون رقابة مینار، ورغم التوجس الذي شعرت به في لحظات قصيرة فإنها الآن تشعر بالانطلاق وشيء من الحرية.. ما الذي عليها أن تخشاه؟.. لو واجهت حيواناً ضارياً فسيبها كفيل بالدفاع عنها بكل يسر، ولو واجهت جماعة من اللصوص ففرسها ستطير بها بخفة أسرع من أي خيلٍ أخرى.. أيقنت ججي أن هذه التجربة ستكون سهلة يسيرة، ولذلك انشغلت بالبحث عن طعام وماء دون أن تقلق لما سيجري لها في الأيام الثلاثة القادمة..

\*\*\*\*\*

قضت ججي ليلتها الأولى في السهول قرب نار أشعلتها للتدفئة ولتخويف أي حيوانٍ ضارٍ قد يفكر بالاقتراب منها.. بعد يوم طويل قضته في البحث عن طريدة تصطادها دون فائدة تذكر، وبعد عدة ساعات أمضتها في التدريب على رمي السهم قبل مغيب الشمس، كان الإنهاك قد بلغ من ججي مبلغه وهي تنام بسكون دون أن تحمل أي همٍّ أو قلق يسهداها أو يبعد النوم من عينيها..

وفي اليوم التالي، ومع اللمحات الأولى من أضواء ذلك النهار، كانت ججي تقطع تلك السهول بحثاً عن طريدها بعد نوم عميق ومريح رغم البرودة التي سادت تلك الليلة الباردة، محاولة مغافلة أي حيوان تعثر عليه قبل أن يشتدّ انتباهه وينفض الكسل عن جسده.. وقد أبقّت قوسها وسهمها في يدها بتحفظ لا استغلال الفرصة قبل أن ينتبه الحيوان لاقترابها منه.. ورغم ذلك، وجدت صعوبة في اصطیاد أحد غزالين عثرت عليهما في جانب إحدى الأشجار ساكنين، لكنهما منذ سماع صوت حوافر الغبراء استدارا وحاولا الهرب ليخطئهما سهم ججي التي اشتدّ غيظها مع الجوع الذي بدأ يستبدّ بهما.. وبعد هرب الغزالين، نقلت ججي انتباهها إلى بعض الحمام على تلك الشجرة والذي ولّى هارباً مع السهام التي أطلقتها نحوها تباعاً..

تأففت ججي وهي تقترب من السهام التي انغرزت أرضاً والتقطتها دون أن تهبط وهي تحاول تفادي السقوط من على ظهر الغبراء.. ولما التقطت السهم الأخير لاحظت ذلك الأرنب البني الذي ركض بأقصى سرعة مبتعداً عن موقعها.. عندها لكزت ججي الغبراء وهي تهتف "فلنتبعه يا غبراء.."  
أسرعت الغبراء تطيع أمرها بينما شدّت ججي قوسها بسهم جديد وهي تحاول إحكام التصويب دون أن تقترب كثيراً من الأرنب لئلا تثير فزعه أكثر فيغيّر وجهته.. وأطلقت سهمها وهي تتمم "سأصيّبه هذه المرة بالتأكيد.."

رغم أنها حاولت أن تتقن التصويب مع ركض الفرس السريع خلف الأرنب، إلا أن السهم عندما أطلقته لم يتمكن من إصابة الأرنب إلا في فخذه، ولم تكن الإصابة تمنعه من الهرب إنما تمكنت من تخفيف سرعته وهو يتعثر في ركضه..

دفعت ججي الغبراء للحاق بالأرنب الذي بدأ فخذه يصطبغ باللون الأحمر الدموي، لكنه لم يتوقف عن الهرب وهو يندفع نحو أجمة قريبة تمكنه من الاختباء والهرب من مطاردة ججي الشرسة.. فأوقفت ججي فرسها في موقع قريب وقفزت لاحقة بالأرنب المصاب الذي خلّف وراءه خيطاً من الدماء قبل أن يندسّ في الأجمة القريبة وينزوي في جحرٍ صغيرٍ أسفلها.. فلم تتردد ججي وهي تدفع ذراعها بين الأفرع المنخفضة للأجمة ونحو الجحر مغممة بغيظ "إلى أين تريد الهرب مني؟.. لا أريد المبيت دون عشاء هذه الليلة أيضاً.."

سمعت في تلك اللحظة فحيحاً قصيراً، وقبل أن تدرك مغزاه وتبعد ذراعها عن مصدره فوجئت بتلك العضة الحارقة التي أصابتها.. سحبت ججي ذراعها بسرعة وأمر لترى تلك الأفعى التي كانت مختبئة وسط الأجمة وقد انتصبت بتحذير شديد معتبرة تصرف ججي عدواناً على أمنها.. لم تتردد ججي في سحب سيفها من حزامها وتطويحه لتفصل رأس الأفعى عن جسدها وتلقيه جانباً قبل أن تهاجمها من جديد، ثم ابتعدت عن الأجمة بخطوات متخبطة وجلست أرضاً وهي تكشف كم قميصها وتتطلع للعضة الدامية في ذراعها بقلق شديد.. لقد تخلت عن حذرها لوهلة لتجد أنها قد وقعت في مأزق سيكلفها حياتها، خاصة وهي لا تملك خبرة كبيرة في التعامل مع الأفاعي وسمها، وخاصة مع بعدها الكبير عن مخيم قبيلتها حيث يمكنها أن تلقى العلاج الملائم.. هل هذه الأفعى سامة؟.. للأسف هي لا تعرف ذلك، وعليها التصرف بافتراض أنها سامة حتى يثبت العكس..

أسرعت تنتزع جزءاً من قميصها من الأسفل، وربطت ذراعها في موقع أعلى العضة لتمنع سريان السم في عروقتها.. لكن هذا كل ما تعرفه من إجراءات للتخلص من السم، فماذا بعد ذلك؟.. هل تعود للمخيم لو حالها الحظ ولم تمت بالسم قبلها؟.. أم تحاول غسل الجرح للتخلص من السم بأي وسيلة كانت؟.. كان صغر سنها يعجزها عن التفكير الصحيح في هذا الوقت الحرج، وقلة خبرتها المريعة لا تجعلها تدرك عواقب أفعالها بشكل كامل.. فامتطت الغبراء بعد أن ربطت ذراعها بشيء من القوة، ثم لكزت بطن الفرس لتدفعها للركض وهي تبحث عن نهر أو نبع ماء قريب.. ولما عثرت على مجموعة صخور ينبع الماء من قلبها، ترجلت من على ظهر الفرس وأسرعت إلى النبع وهي تستل خنجراً من حزامها.. وبشيء من التردد، قامت بإحداث شق مكان العضة بشكل بسيط، ثم دفعت ذراعها وسط المياه وهي تضغط حول الجرح لتجبر الدماء على الخروج بشكل أسرع.. كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي طرأت لذهنها، لكنها لم تحاول استغلالها بشكل كبير بل اكتفت بإخراج بعض الدماء مع السم من ذراعها وهي تشعر بالألم وبشيء من الخدر في ذلك الجزء من الذراع.. وبعد بعض الوقت، رفعت يدها وهي تخفف الضغط قليلاً عن ذراعها التي تغير لونها للون الأزرق الخفيف.. كانت الرجفة قد بدأت تسري في ذراعها، وآلام قوية تنبع من موقع عضة الأفعى.. فشعرت ججي بالارتباك وهي لا تدري ما عليها فعله في مثل هذه الحالة، وهل يمكنها الاطمئنان لما فعلته أم أن عليها طلب المساعدة؟..

أخيراً، تغلب عليها عجزها وقهر حيرتها وترددها، فعادت على ظهر الغبراء وهي توجهها للوجهة الأسرع وصولاً بها للمخيم.. عليها طلب النجدة، وقد يساعدها أبوها بسبب ما جرى.. سيساعدها ولن يعتبرها ضعيفة، أليس كذلك؟..

لم يكن الوقت وقت تساؤلات وهي تركض بالغبراء والخدر يتنامى من ذراعها المصابة، وشعرت بشيء من الدوار وارتفاع حرارة العضو المصاب، ثم بدأ الأمر يتصاعد وهي تشعر ببعض الدوار والزغلة في عينيها، لكنها ضغطت على نفسها وهي تدفع الغبراء للركض بأسرع ما يمكنها.. ومن على مبعده، لاح لها سواد ما جعلها تشك بأن يكون مخيم قبيلتها.. هل كانت قريبة منهم بهذا الشكل حقاً؟.. لم تكن واثقة تماماً، ولم تكن تقدر على التحقق من هوية ذلك السواد مع الدوار الشديد الذي جعل الرؤية عسيرة وهي تشعر بإظلام شبه تام في بصرها.. وبدأ العرق يتصبب من جسدها الذي أخذ يرتجف شيئاً ما وهي تمسك بلجام الغبراء بقوة خشية سقوطها..

ترأى لها أن ذلك السواد يتحرك، لكنها لم تكن واثقة إن كان يتحرك فعلاً أم أن الدوار في رأسها هو ما هبأ لها ذلك.. ولم تلبث أن شعرت برأسها ثقيل كصخرة قاسية، وتسرب منها وعيها بسرعة حتى سقطت على وجهها على ظهر الغبراء دون أن تفلت اللجام بشكل لا إرادي.. وقبل أن تفقد الوعي بلحظة طرأ لها تساؤل عن هوية ذلك المكان الذي تسير إليه الغبراء.. أهو مخيم قبيلتها؟.. أم أنه معسكر لقبيلة معادية؟.. هل ستستيقظ بعد غيبوتها هذه، أم أن هذا سيكون آخر عهد لها بالدنيا؟..

وبالطبع، لم تجد إجابات عن تساؤلاتها هذه وهي تفقد الوعي بشكل تام دون أن تخفف الغبراء من ركضها غير مدركة ما حل بصاحبته.. ومع اقتراب ذلك السواد أمامها، فإن الغبراء استمرت في ركضها حتى اقتربت من ذلك الموقع ووجدت أن رجلاً قد وقف أمامها وهو يصيح بها ليوقف اندفاعها.. فوقفت الغبراء بحدة وهي ترفع حافريها الأماميين عالياً وتطلق صهياً محدوداً، ومع انتفاضتها القوية فإن ججي سقطت من على ظهرها أرضاً دون حراك.. جذب الرجل لجام الغبراء لتهدئتها بينما اقترب آخر من ججي متسائلاً "ما به ذلك الفتى؟.. أهو ميت؟"

قال الأول "لا أرى أثراً للدماء على السرج.."

اقترب الرجل من ججي يتبعه فتى لا يتجاوز السادسة عشر من عمره، فقلبا ججي على ظهرها والرجل

يتفحصها بينما غمغم الفتى "أليست فتاة؟"

قال الرجل باستنكار "فتاة؟.. هذا محال.. ألا تعلم أن الأكاشي لا يسمحون للنساء بامتطاء الخيول؟"

تساءل الفتى "لماذا؟.."

أجاب الرجل وهو يتفحص الجرح في ذراعها "يقولون إنه يجلب الحظ السيء.. ورغم حماقة ما يقولونه إلا أنهم يؤمنون بذلك إيماناً تاماً.."

غمغم الفتى وهو يتأمل ملامح ججي "لكن ملاحظه لا يمكن أن تمت لصبي.. إنها فتاة بكل تأكيد.."

قال الرجل بعد أن انتهى من تفحص ذراعها "يبدو أن الفتى قد أصيب بعضة حيوان سام.. رغم أنه تعامل مع الجرح بشيء من الخشونة، لكن يبدو أن السم قد انتشر في جسده.."

قال الفتى "ألن تنقذه؟"

هز الرجل كتفيه مجيباً "وهل يمكنني ذلك؟.. هذا الفتى مقضي عليه في كل حال.."

فقال الفتى بالحاح "كيف يمكنك التخلي عنه بهذه الصورة؟.. إنه بحاجة للعون، فكيف نتركه يموت وحيداً في هذه الموقع المنقطع؟.. ألا تملك ترياقاً لعلاجه؟.."

قال الرجل وهو ينهض "الأدوية ليست بلا ثمن يا فتى.. وما نملكه الآن لا يمكننا التفريط به دون داع.."  
استوقفه الفتى قائلاً بإصرار "سأدفع لك بما أملكه من مال.. لو كنت تملك دواءً ينفعه، فلا تتردد في استخدامه.."

نظر له الرجل بتعجب معلقاً "ولم تفعل هذا الفتى غريب من الأكاشي؟"

نظر الفتى لوجه ججي مغمماً "لا أدري.. لكن من المحزن أن يموت وحيداً وبعيداً عن عائلته دون أن يجد من يمد له يد العون.."

قال الرجل وهو ينهض ويتعد "أنت غريب الأطوار يا فتى.."

لم يعلق الفتى وهو ينظر لججي بصمت.. ربما كان الاهتمام بفرد من الأكاشي قد يقتله دون ذرة تردد عجباً بالفعل.. لكن لم يدر ما الذي دفعه لفعل ما فعله في تلك اللحظات.. ولا توابع ذلك عليه فيما بعد..

\*\*\*\*\*

بعد وقت طويل قضته ججي في غيبوبة وإظلام تام، انتبهت فجأة على الآلام التي انتشرت في جسدها بالكامل.. فتحت عينيها ليؤلمها ضوء النهار الذي وجدته قوياً وهي تدير رأسها جانباً واضعة يدها على عينيها ومتأوه بصوت مسموع.. ثم وجدت ظلاً يسقط عليها وشخص يقول بلكنة سيئة "أنت بخير؟" عاد لججي ذكرى ما جرى لها قبل سقوطها في غيبوبة، مما استنفر حواسها بسرعة وهي تبحث عن سيفها القريب وترفعه نحو ذلك الغريب بتحذير بينما غشاوة تغطي عينيها بحيث لم تتعرف على ذلك الشخص.. تراجع الغريب بقلق بينما فوجئت ججي بالألم الحارق في ذراعها مما أجبرها على إسقاط السيف من يدها.. حاولت الاعتدال جالسة وهي تقبض على ذراعها بيدها الأخرى متألماً، فقال الغريب "لقد كنت مصابة، وقد تمكنا من إنقاذ حياتك بالكاد.. ما الذي تفعلينه وحيدة في هذا المكان؟.."

بعد أن زالت الغشاوة عن عينيها، نظرت ججي للمتحدث لتجده فتىً يكبرها بثلاث سنوات، أبيض البشرة بشحوب واضح وشعره الأسود الناعم طويلٌ شيئاً ما، بينما عيناه الزرقاوان تتأملانها باهتمام واضح وفضول شديد.. كانت ملاحظته لا تدلّ على انتباهه للأكاشي، لكن عجزت عن معرفة هويته الحقيقية.. فتحايلت بعسر للجلوس وهي تقول بصوت يرتجف "من.. من أنت؟.."

قال بسرعة "أنا عابر سبيل، ولا أنوي إيذاءك.."

لكنها تعلمت أن العبرة بهوية الشخص وانتباهه، لا بما يردده لسانه، لذلك قالت بحدة رغم ارتجافه جسدها "من أنت؟.. لأي شعب تنتمي؟"

سمعتة يقول "أيهمك معرفة ذلك حقاً؟"

بدا من مراوغته أن لن يجيبها عن سؤالها ذلك، فتجاهلته ججي بدورها وهي تنظر لذراعها المصابة لتجدها مضمدة جيداً، رغم أن الألم لا يزال ينضح منها بشكل مستمر، وجسدها لا يزال منهكاً وكأن حوافر مائة حصان قد داستها وتركتها مضغضة الأعضاء.. تلفتت حولها لتجد أنها لم تصل لمخيم إحدى القبائل كما كانت تتخيل.. بل كان ذلك معسكراً بسيطاً أقامته تلك القافلة التي لا يتجاوز عدد أفرادها عشرون رجلاً منهم ذلك الفتى الذي جلس قربها يتأملها بصمت، وقد بدا أنهم قد خيموا مبكراً استعداداً لقضاء تلك الليلة.. سمعت الفتى يقول بابتسامة مقاطعاً تأملاتها "أنت فتاة بالفعل.. لقد صدق حدسي رغم أن

الرجال استنكروا رؤية فتاة من الأكاشي على ظهر فرس.."

رمقته بشيء من الحدة، ثم تساءلت "وما هي هوية هذه القافلة؟.. أليسوا من الأكاشي؟"

قال ببساطة "هل يجب أن تتأكدي من هوية جميع رجال القافلة؟.. حذرِك هذا مبالغٌ به.. لقد أنقذوا

حياتك فلا داعي للخوف منهم.."

صمتت ججي عن التعليق بينما تعالَى صوت أحد الرجال يقول "لولا إلحاح هذا الفتى لإنقاذك لما

استيقظت من غيبوبتك تلك.. لذا عليك أن تكوني شاكرة له يا فتاة.."

التفتت ججي إليه بصمت لتجده يسألها "من أنت يا صغيرة؟.. وكيف تجرأت على كسر قوانين الأكاشي

التي تقرب من كونها مقدسة عندهم؟.."

قالت ججي بشيء من الحدة "أنا لست فتاة، ولست صغيرة.. أنا رجل.."

أطلق الرجل ضحكة على ما قالته بينما نظر لها الفتى بتعجب متسائلاً "لم تدعين أنك رجل؟.."

قالت باستياء "لا يهمني إن صدقتها أم لا.. لقد أعلنني زعيم قبيلتنا رجلاً، وقد أقام احتفالاً بذلك..

لذلك لا يحق لكما السخرية مني.."

فقال الرجل بابتسامة "لا بأس.. إذن، أيها الرجل، تعال لتتناول شيئاً من الطعام حتى تتمكن من

الاستمرار في رحلتك هذه.."

حاولت ججي النهوض حاملة سيفها وتلفتت حولها متسائلة بقلق "هل رأيتم فرسي؟.. إنها لم تهرب،

أليس كذلك؟"

استطاعت أن تلمح الغبراء في جانب المكان مع بقية الخيول، فتنهت والرجل يقول "إنها فرسٌ مطيعة

والليفة.. لذلك لم يكن صعباً الاحتفاظ بها لحين استيقاظك.."

عندما وقفت ججي، شعرت أن ساقها ترتجفان بقوة، لكنها دفعت سيفها في الأرض لتستند عليه وهي

تحاول التقدم للغبراء والاطمئنان عليها.. لكن الفتى استوقفها قائلاً "من الأفضل لك الراحة وتناول

بعض الطعام.. لا تنهكي نفسك بأي مجهود فما مررت به ليس هيناً.."

كانت تود أن تعترض بشدة على قوله، لكنها استسلمت بأسرع مما تمنت وهي تجلس على صخرة قريبة

محاولة تمالك رجفة جسدها.. نظرت ليدها التي بدت على شيء من الاحمرار والانتفاخ في موضع الجرح،



إنما لم يتعد الأمر ذلك.. يبدو أنها بحاجة لبعض الوقت قبل أن تتخلص من أثر ذلك السم الذي سرى في جسدها بسبب خطأ قامت به.. لحسن حظها فإن الغبراء قد ساقتها لتقع في أيدي أشخاص يملكون لها علاجاً وبذلك أنقذوا حياتها بينما كانت هي في غيبوبة لا تدرك من أمرها شيئاً..  
تنهدت وهي تنظر للطعام القليل الذي وضعه الفتى أمامها وهو يقول "لا يمكننا منحك أكثر من هذا، فالطعام شحيح لدينا بالفعل.."

نظرت للقافلة الصغيرة وللفتى الغريب قائلة "من أنتم؟.. من أين جئتم ولأين تنتون الذهاب؟"  
ابتسم الفتى مجيباً "عدنا لهذا؟.. لم كل هذا الإلحاح الغريب لمعرفة هوية هذه القافلة؟.. ما أهمية قافلة تجارية عن أي قافلة أخرى تمر بهذه السهول؟"

علقت ججي بشك "القوافل لا تسلك هذا الطريق عادة لأن الموقع في الشرق يكاد يخلو من المدن عدا قبائل الأكاشي وهي لم تكن مطمئناً للقوافل أبداً.. إنها تتجه للشمال في المعتاد حيث الممالك والمدن القريبة من سهول الأكاشي.."

فقال الفتى بابتسامة "نحن متجهون للشمال بالفعل.."

فقالت ججي بشك "لكن وجودكم في هذا الوقت بالذات، مثير للشك.. فلقد اختفت أغلب القوافل التي كانت تسلك ذلك الطريق منذ مدة.."

ابتسم الفتى دون أن يعلق، بينما لم تتخل ججي عن حذرهما الذي ازداد مع مراوغة الفتى في الكلام.. إنه ليس عربياً، وهذا ما هي متأكدة منه، لكن ماذا عن البقية؟.. إن لغتهم العربية واضحة، ولا يبدو أحدهم أنه من الأكاشي.. بالطبع هم ليسوا كذلك.. فهل هم ينتمون للممالك الشمالية؟.. أم أنهم عرب حقاً؟.. ولو كانوا كذلك، فهل هم جواسيس للملك العربي متخفين في شكل قافلة عادية؟.. لطالما رأت حذر رجال قبيلتها وتعاملهم بشك مبالغ به مع أي قافلة عربية تمر بهم، ولذا شعرت بشعور مماثل وهي تنظر لما حولها بشك مبالغ به..

كانت تود لو تهرب لتنذر قبيلتها، لكن التعب والدوار الذي لم يزايلها أجبرها على الصمت وهي تأكل الطعام المقدم إليها وترمق الآخرين بحذر..

\*\*\*\*\*

مع فجر اليوم التالي، نهضت ججي وقد شعرت بقواها تعود إليها مع بعض التعب والخمول.. فقفزت واقفة وهي تحمل سيفها القريب وتتجه للغبراء.. وبعد أن اطمأنت على فرسها العزيزة، وقفت في موقع قريب وهي تقوم ببعض التمرينات بسيفها كما اعتادت دائماً على جسدها يستعيد قواه السابقة.. كانت قد استاءت من الضعف الذي شعرت به في اليوم السابق، وشعرت أنه وصمة عار بالنسبة لها وشيء تحجل من تذكره.. لذلك ابتدأت نهارها بتدريبات مكثفة قبل أن تذوق لقمة أو شربة ماء حتى..

ومع بدء ذلك النهار، لاحظت أن أفراد تلك القافلة قد نهضوا وبدؤوا استعداداتهم للرحيل.. ورأت الفتى يقترب منها متسائلاً "أنت أفضل حالاً الآن؟.. أألزمتِ شعيرين ببعض الآلام في موضع الجرح؟" أسرعت تجيب "لا.. أنا بخير حال.. وسأكون شاكرًا لك لو لم تخاطبني كفتاة.."

غمغم الفتى "أنت مقتنعة حقاً أنك رجل كبقية الرجال؟"

أجابت بحزم "أجل.. أنا رجلٌ رغم أنف من لا يعجبه ذلك.."

صمت الفتى وهو يراقبها في تلويح السيف والقيام بوضع حركات قتالية، ثم قال بتعجب "ما الذي ستستفيد منه من ذلك؟.. ألا تنالين كره الرجال بسبب كسر كقوانينهم؟"

شعرت بالضيق لأنه أصاب قلب الحقيقة، فقالت بضيق "لا يهمني رأي الآخرين.. أن أكون رجلاً وأتحكم بمصيري خيرٌ من أن أبقى أنثى ويتحكم الرجال بي.. ولعلمك، الأكاشي لا يعاملون النساء برفق بتاتاً.."

بدأت أصوات الحيوانات تعلو استعداداً لبدء رحلة طويلة، وسمع الفتى رجلاً يناديه ليمتطي ظهر حصانه، فالتفت الفتى لججي ودفع رغيفين في يدها قائلاً "كوني بخير يا فتاة.. ولا تبقي وحيدة في العراء.."

لم تعلق وهي تراه يركض عائداً لحصانه فيمتطيه بينما بدأ أفراد القافلة بالتحرك نحو الشمال.. وسرعان ما تبعهم الفتى وهو يلوح لججي بيده.. لكنها أدارت ظهرها للقافلة وهي تتناول الرغيفين بصمت وسرعة، ثم امتطت ظهر الغبراء ونظرت للقافلة المبتعدة وهي بحيرة من أمرها.. هل تخبر أباهما بشكوكها حول تلك القافلة؟.. لكنهم أنقذوا حياتها.. هل تصمت وتتجاهل أمرهم؟.. كيف يمكنها معرفة الجواسيس عند

رؤيتها لهم؟..

لكنها عازمت أخيراً على تجاهل أمرها.. إنهم متجهون للشمال، بعيداً عن نخيم قبيلتها.. لذلك أمرهم لا يهمها مادام لن يمسّ قبيلتها بسوء.. استدارت بالغبراء ولكزتها لتنطلق بسرعة عائدة للموقع الذي تركها فيه أبوها ومينار.. كانت الشمس تكاد تظهر عند الأفق، وما يزال أمامها يومان آخران قبل أن يعود أبوها أو مينار لا ستعادتها.. وبعد سير قصير، عادت للموقع الذي عسكروا فيه بضع ساعات قبل رحيلها وتركها وحيدة، فترجلت وأطلقت سراح الغبراء لترعى في موقع قريب بينما نظرت ججي حولها زافرة.. لقد حدث الكثير في اليوم الماضي، ولكنه ليس أمراً تفخر بالحديث عنه.. هل سيلومها أبوها لأنها لجأت للعون ولم تعتمد على نفسها؟.. تخشى أن يخيب مثل هذا الخبر آماله التي علقها عليها، وقد يراها ضعيفة ولا تقدر على العناية بنفسها كما يفعل بقية الفتية في عمرها..

زفرت من جديد وغمغمت "ربما من الأفضل له ألا يعلم بشيء من هذا.."

اقتربت من الغبراء وتناولت قوسها وكنانة السهام، وعادت لشجرة قريبة فبدأت بالتدريب وصقل مهارتها في رمي السهام لشغل وقت فراغها الذي يمتدّ النهار بطوله.. وبعد مرور الساعات، اضطرت ججي للرحيل للبحث عن طريدة تصطادها.. وبعد بعض الجهد، تمكنت من اصطيد دجاج بري عثرت عليه في موقع قريب.. عندها عادت لموقعها وبدأت تهيئ صيدها للغداء بالخبرة الضئيلة التي حصلت عليها في الأيام الماضية، وأشعلت النيران لهذا الغرض..

كانت الساعات تمضي وهي منهمكة في تحضير غداؤها وتناوله، وبعد بعض الراحة انشغلت في التدريب من جديد عازمة على إبهار مينار عند قدومه بمهارتها التي اكتسبتها من التدريب المتواصل.. كان النهار يمضي سريعاً وهي وحيدة في تلك السهول بعد أن خلفتها القافلة الوحيدة التي مرّت بهذه الأنحاء.. لكن ججي لم تعباً لوحدتها، فهي لم تربى على الخوف والقلق، ولم تشعر بالحاجة لذلك حقاً رغم صغر سنّها.. ترى، ما الذي ستقوله أمها بعد كل ما جرى؟.. لا بد أنها صدمت لعودة قادور وحيداً دون أن يعيدها معه.. فهل استنكرت واعترضت بوضوح؟.. أم أنها كتمت اعتراضها كما تفعل عادة؟..

قضت ججي تلك الليلة المظلمة قرب النار التي أشعلتها وهي عاجزة عن النوم مع بعض الأمل الذي تشعر به من ذراعها المصابة.. ولم تتمكن من النوم إلا بعد أن تجاوز الوقت منتصف الليل، لتستيقظ قبل الفجر

مرة أخرى دون سبب.. شعرت أن جسدها مستنفراً ومتحفزاً بشكل ما، ربما بسبب السم الذي سرى بعضه في عروقها دون أن يتمكن من القضاء عليها.. فنهضت دون تدمر وهي تحمل سيفها وتبدأ تمرينها المعتاد.. وبعد أن تطاولت ساعات النهار، وججي تقضيه بصمت كما فعلت في اليومين السابقين، فإن السكون والهدوء في ذلك الموقع من السهول لم يتغير بتاتاً.. ومع انقضاء ذلك النهار دون أن يبدو أي شخص عند الأفق، فإن بعض القلق قد راود ججي وهي تبحث بعينها عن أي أثر لأي شخص من طرف أبيها.. هل نسوها؟.. مستحيل.. ربما اختلطت الأيام على أبيها ولم يدرك أنها قد أكملت ثلاثة أيام وحيدة في هذا الموقع.. فهل جرى أمرٌ في المخيم شغلهم عنها؟.. وما هو ذلك الأمر الجلل الذي سيشتغل أباهما عن استعادتها؟.. هل تعرض المخيم لهجوم من إحدى القبائل؟.. وإزاء ذلك الحاطر، ركضت ججي عائدة إلى الغبراء وقفزت على ظهرها جاذبة اللجام وهي تهتف "لنعد يا غبراء.. أخشى أن يكون قد حلّ بالقبيلة مكروه أثناء غيابنا.."

ركضت بالغبراء بأسرع ما تستطيع عائدة للمخيم.. ورغم أنها لم تحتجز تلك السهول وحيدة من قبل، لكنها اعتمدت على حدسها في العودة لموقع القبيلة.. ولما رأت المنحدر الصخري الذي يطلّ على الخليج خلفه، لم يكن من الصعب عليها أن تتبعه عائدة لموقع المخيم..

لم يستغرق الأمر منها وقتاً طويلاً للعودة والهواجس تتابع في عقلها وصورٌ مفرّعة تتراءى لعينها عما يمكن أن تراه عند عودتها.. لكن مع اقترابها من المخيم، ومع رؤية القطيع من الخراف الذي كان في طريقه لحظيرته وهو يصدر ثغاءً عالياً، شعرت أن تلك الهواجس التي راودتها لم يكن لها أثر من الصحة.. بدت الأمور في المخيم طبيعية، وبدأ أفراد القبيلة منشغولون بأعمالهم بشكل اعتيادي.. خفت ججي من سرعتها وهي تسير على ظهر الغبراء عابرة بين بعض الخيم حتى اقتربت من الساحة التي تتوسط المكان.. وهناك، رأت الموقع الذي يجتمع فيه قادور عادة مع رجال القبيلة، ورأته هناك جالساً مع مینار وهما يحتسيان الشاي ويدخان بعض الأعشاب المحلية في غليونٍ طويل شيئاً ما.. وقد رمقها بصمت عند قدومها دون أن يظهر أي تعجب أو دهشة مما زاد من دهشتها هي..

أسرعت ججي تترجل عن الغبراء وتقدمت من أبيها قائلة "عمت مساءً يا أبي.."

فقال قادور بابتسامة جانبية "مرحباً بك يا جام.. لقد كنا بانتظارك.."

قلبت ججي بصرها بينه وبين مینار بدهشة، فعلق مینار "هل كنت تتظرنا؟.. لقد أتمت ثلاث أيام وحيداً، وقد تراهنا على قدرتك على العودة للمخيم وحيداً.."

غمغمت ججي بدهشة "تراهتما؟"

قال مینار "أجل.. في الواقع اختلفنا في أمر واحد، فكلانا كان واثقاً أنك ستمكن من العودة وحيداً قبل غروب شمس هذا اليوم، لذلك لم نتمكن من جعل الأمر يبدو كرهان فعلاً.."

لم تملك ججي إلا أن تبسم بشيء من السرور لثقة أبيها ومینار بها، وقالت وهي تقف قريبة "لقد انتظرت عودتكما أو قدوم شخص من طرفكما طوال النهار.. ثم غلبني القلق من حدوث أمر ما للمخيم في الأيام الماضية، وهو السبب الوحيد الذي طرأ لذهني لتغيبكما طوال اليوم.. ولم أدرك أن الأمر كان له علاقة برهان بينكما.."

تساءل مینار "لكن ما بالك شاحب اللون؟.. ما الذي جرى لك في اليومين الماضيين؟"

أسرعت ججي لتقول "لم يحدث شيء.. لكنني انشغلت بالتدريب عن الصيد، ولم أتناول من الطعام إلا أقله.."

فقال مینار بابتسامة "تشاغلت بالتدريب أم أنك عجزت عن اصطياد شيء؟"

هتفت بسرعة "لم يكن هذا ما عنيته.."

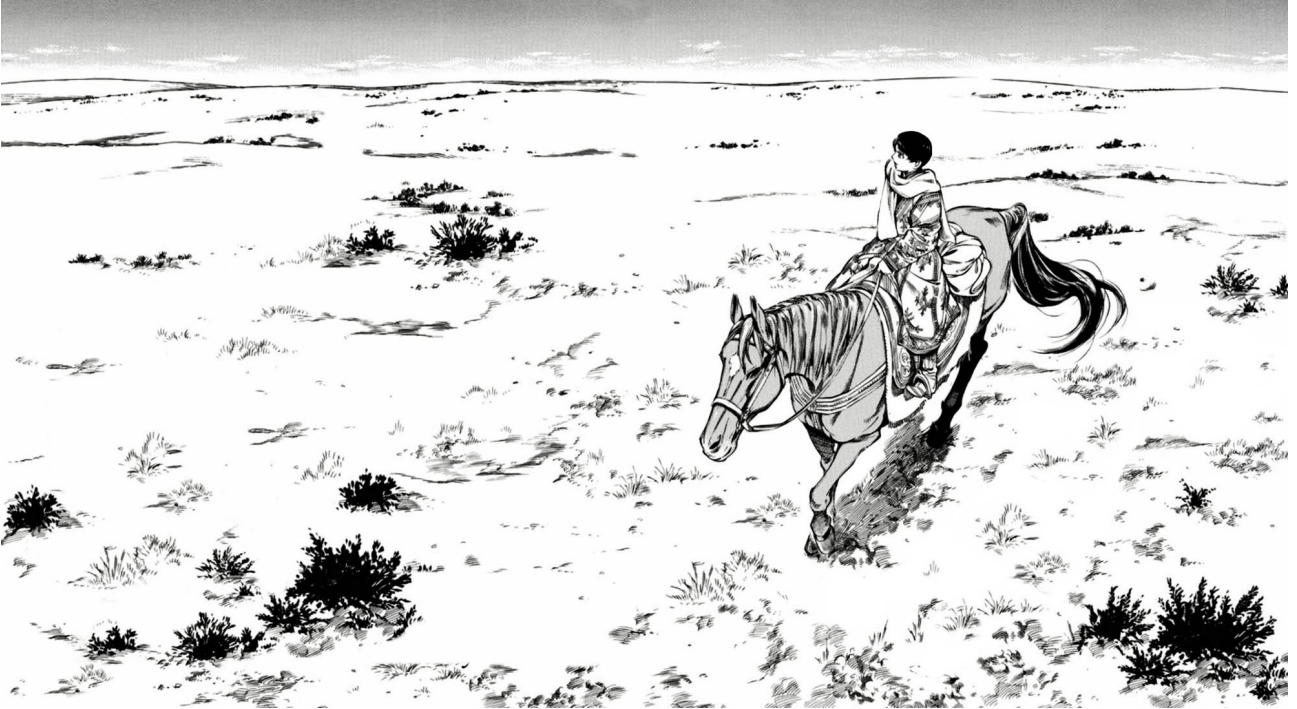
ضحك قادور لهتافها الذي كان كاعتراف ضمني منها، ثم أشار لها بيده لتجلس على البساط الذي يجلسان عليه، وهو أمر أثار دهشتها وفي الآن ذاته لهفة كبيرة في صدرها.. فعادة لا تقترب النسوة من مجلس زعيم القبيلة، ولا يحق حتى للفتية الجلوس على هذا البساط بل يكتفون بالبقاء وقوفاً في موقع قريب للاستماع للأحداث الدائرة بين الزعيم ورجال القبيلة.. فهل تفهم من دعوته لها أنه يعترف بها كرجل مثل بقية رجال القبيلة؟..

لم تتوان ججي عن تلبية دعوته وهي تجلس في موضع قريب على البساط جلسة متحفزة، فربت قادور على كتفها وهو يقول بابتسامة عريضة "لا داعي لهذا التحفز يا جام.. لقد أصبحت رجلاً بالفعل، وأنجزت كل ما طلبته منك دون تردد أو خنوع.. والآن، يحق لي أن أفخر بك كابن لي.."

بدت ابتسامة فخورة على وجه قادور بينما نظر لها مینار بفخر وسرور واضحين.. فقالت ججي بصوت لم

تملك تهديجه "وأنا سأكون كما تحب لي يا أبي.. ولن أخذلك أبداً.."  
ربت قادر على كتفها من جديد، ثم قال لها "إذن أخبرني بما جرى لك في الأيام الماضية.. كيف تمكنت من  
تدبر أمورك وحيداً؟.."  
أخبرته ججي بكل ما جرى لها في السهول وحيدة في الليلتين الماضيتين، دون أن تأتي بذكر القافلة التي  
مرت عليها والفتى الذي أنقذ حياتها.. لقد أصبحت محط فخر أبيها ونالت إعجابه واحترامه، ولا يمكن  
أن تفسد هذا الأمر بذكر لحظة الضعف التي مرت بها في ذلك الوقت.. الضعف غير مقبول أبداً، وخاصة  
منها هي..

\*\*\*\*\*



## الفصل الرابع {المعركة الأولى}

في اليوم التالي، وبعد نوم عميق حصلت عليه ججي للمرة الأولى منذ غادرت المخيم في رحلة اختبار القدرات ذاك، نهضت دون أن يوقضها أحد وهي بنشاط تام وغسلت وجهها قبل أن تسرع لا رتداء ملابسها وتتوجه إلى النار التي أشعلتها الأم وسط الخيمة.. فجلست قريبة وتناولت منها كوباً من الحليب الساخن المحلى بالعسل والأم تقول لها بابتسامة "هذه المرة الأولى التي أجدك فيها تنهضين دون أن أضطر لإيقاظك عدة مرات.."

قالت ججي بحزم "لأنني نمت بعمق البارحة.. ومنذ اليوم، لن تحتاجي لإيقاظي مجدداً يا أمه.. فلا تقلقي لأمرى.."

قالت ستينا بأسى "كيف لا أقلق لأمرك مع تلك الهالات السوداء التي تبدو واضحة تحت عينيك والشحوب الشديد الذي يبدو على وجهك؟.. لقد أمضيت الأيام الماضية بقلق شديد ورعب غامر مما يحدث لك وأنت وحيدة وبعيدة عن المخيم، ولم أصدق عيني عندما رأيتك تدخلين الخيمة البارحة قطعة واحدة.."

لم تعلق ججي بينما استمرت ستينا في تدميرها وهي تناول تينا ذات الثمانية أعوام بعض الخبز الذي غمسته في العسل.. وبعد أن أنهت ججي فطورها، وتبادلت حديثاً قصيراً مع أمها عن أيامها الماضية، فإنها أسرعت تحمل سيفها وتغادر الخيمة نحو مجلس أبيها الذي يتخذة عادة وسط المخيم.. مع سماحه لها بالجلوس على بساطه، فإن هذا كان إذناً لها بالاقتراب من مجلسه والمشاركة في الحديث الدائر بين رجاله.. لذلك كانت ججي بلهفة شديدة للانضمام إليهم اليوم عوض الانزواء وحيدة في جانب المخيم والتدريب دون توقف كما تفعل عادة..

لدى وصولها للموقع الذي يجلس فيه قادور عادة مع رجاله، ويتحلق حوله بعض الرجال الأقل سلطة في القبيلة، رأت قادور يشير لها لتقرب منه.. ولما فعلت، ووجدته يشير إلى البساط الذي يجلس عليه في دعوة واضحة، لاحظت على الفور نظرات الاستنكار والبغض من العيون المحيطة بها.. وسمعت أحد الرجال

الجالسين قرب قادور يقول باعتراض "أنت لست جاداً في هذا يا قادور!.." نظر له قادور متسائلاً بهدوء "جادٌ في ماذا؟"

أشار الرجل لججي معلقاً بحنق "في السماح لـ... لابنك في الجلوس على البساط مع كبار رجال القبيلة.. الفتية مكانهم....."

قاطعها قادور قائلاً بصرامة "جام رجل.. لا يمكنك أن تعتبره أحد الفتية الذين لم يتم إعلانهم رجالاً بعد.."

قال الرجل بضيق دون أن يعبأ بصرامة قادور "وهل أصبح جام رجلاً حقاً؟.. نحن لم نرَ ما فعله، وكل ما عرفناه هو من حديثك أنت.. فكيف تريد منا أن نقتنع بما تقوله؟"

نظر له قادور والغضب يتنامى في ملامحه، عندها استدركت ججي قائلة "لا يمكنني الجلوس على البساط يا أبي.. سأبقى واقفاً مع البقية.."

فقال قادور بغضب "الأمر لم يعد يتعلق بك يا جام.. إن كبران يشكك في كلمتي، فكيف يمكنني أن آمنه على أوامري وهو يشكك بها بشكل صريح أمام رجال القبيلة كلها؟"

توتر كبران بشدة بينما شعرت ججي بقلق شديد.. إن مسألة تعتبرها تافهة كمسألة جلوسها على البساط يمكنها أن تثير فتنة بين رجال القبيلة.. فكيف يمكنها تفادي ذلك؟.. لو جرى أي أمر يمس القبيلة، فسيتزايد بغض الرجال لها ولن تقدر على أن تأمن حياتها بينهم.. فما الذي يمكنها فعله؟..

سمعت كبران يقول بضيق "لم أعن ذلك يا قادور.. لكن جام، مهما كان المركز الذي حصل عليه، لا يمكنه أن يساوي كبار رجال القبيلة.. أنت تبخسنا حقنا بهذه الطريقة وتقلل من شأن خدمتنا الطويلة والمخلصة لك.."

فقال قادور بحدة "لا شأن لهذا بذلك يا رجل.. أنا أتحدث عن استهزائك الواضح بقولي، وهذا ما لا يمكنني أن أغفره لك.."

قال كبران بحنق "لم يكن هذا ما حدث الآن.. فلا تحمّل الأمور أكثر مما تحتمل....."

قطع حديثه مع تقدم أحد رجال الأكاشي راكضاً من مجلسهم عبر الخيم القريبة، ولم يلبث أن تقدم من قادور فانحنى عليه وتبادل معه حديثاً هامساً لوقت قصير.. وسرعان ما انتفض قادور واقفاً بتقطيعة



شديدة، بينما تحفز رجال القبيلة حوله دون أن يعرفوا السبب الذي لأجله بدأ الانفعال على وجه زعيمهم بعد حديثه الهامس مع الرجل.. وبينما تنحى الرجل الذي قدم لتوّه، فإن آخرين قد اقتربوا من موقع الزعيم وهم يدفعون ثلاث رجال غربيي الهيئة أمامهم.. دقت ججي في وجوه الرجال الثلاثة محاولة معرفة هويتهم، لكن كل ما تبينته أنهم ليسوا من الأكاشي، رغم محاولتهم ارتداء ثياب مشابهة لثيابهم..

وبعد وصول المجموعة إلى قادور، أجبر الأكاشي الرجال على الركوع أرضاً خافضى الرؤوس.. فقال قادور مواجهاً رجاله "أين عثرتم عليهم؟"

تقدم أحد الأكاشي قائلاً "عثرنا عليهم عند حدود مخيمنا وظللنا نراقبهم لبعض الوقت حتى تأكدنا أنهم يتجسسون على مخيمنا هذا بالذات.."

نظر الرجال بغضب شديد نحو الجواسيس ممتعي الوجوه.. ثم تقدم منهم قادور قائلاً "من أنتم؟.. ومن أرسلكم للتجسس على مخيمنا هذا؟"

رفع أحد الجواسيس رأسه قائلاً بتوتر "لسنا جواسيس.. نحن عابري سبيل....."

فاجأته لظمة من أقرب الرجال إليه، بينما قادور يقول "نحن لا نتهاون مع الكاذبين.. نحن موقنون أنكم جواسيس للملك العربي، والكذب لن يفيد إلا في جعل نهايتكم أسوأ بمراحل.."

نظر الجواسيس لبعضهم البعض نظرة مذعورة، بينما قال قادور بشدة "ما هي مخططات الملك العربي؟.. إنه لم يرسلكم للسهول بهذه الكثافة كما يجري في الشهور الأخيرة إلا لأنه ينوي غزو السهول بجيوشه.. أليس كذلك؟"

تبادل الجواسيس النظرات الحذرة، ثم قال أولهم بصوت متوتر "نحن لا نعلم عن هذا شيئاً.. إنما نحن عابري سبيل افترقنا عن قافلتنا، ووجدنا أنفسنا في هذه الأنحاء.."

نظر قادور لأحد رجاله قائلاً "اقطع لسانه.."

اتسعت عينا الرجل بارتعاب، بينما أمسك أحد الرجال ذراعيه خلف ظهره بيد وأمسك رأسه ليشبثها باليد الأخرى.. وبين صياحه المرتعب، والنظرات المفزوعة من الرجلين الآخرين، قام رجل آخر من رجال قادور بسحب لسان الرجل وقطعه بسرعة ودون ترفق بخنجر صغير يملكه.. ارتقى الرجل أرضاً وهو يمسك فمه بألم بينما الدماء تتصبب من بين أصابعه المرتجفة ممتزجة بدموعه الغزيرة.. لكن أحداً لم يعبأ به

وقادور يضيف للرجلين الآخرين "والآن.. أريد الحقيقة دون كذب أو مداراة.. واعلموا أن عقابكما لن يكون أهون مما حصل له.."

قال الرجل الثاني بارتجافة "ولكن....."

لكن الثالث اندفع قائلاً بصياح منفعّل "لا تفعل هذا أرجوك.. سأخبرك بكل ما أعرفه.."  
نظر له الثاني مصعوقاً وقال بحنق "ما الذي جرى لك؟.."

قال الثالث بنظرات زائغة "لا أريد أن أتعذب دون سبب.. أنا لا أقوى على تحمل ذلك.."  
صاح به الثاني بحدة "لقد تطوعت لهذا ملء إرادتك.. فلم هذا الجبن الآن؟"

أجاب الثالث بغضب "تطوعت؟.. تقصد أجبرت على ذلك بعد أن رفض أغلب الرجال القيام بهذا العمل.. أنت تدرك قسوة الأكاشي، ولهذا السبب بالذات انسحب أغلب الرجال من هذا العمل رغم كل المغريات.. إنهم....."

قاطعهم قادور بصرامة وبصوت أعلى "ما هي مخططات الملك العربي؟.. أخبرني بكل ما تعرفه بالتفصيل.."  
نظر الرجل الثالث لرفيقه بارتجافة، ثم قال بصوت ينتفض "الملك فارس قادم على رأس جيش كبير إلى هذه السهول.. وقد أرسلنا لاستطلاع أمر قبائل الأكاشي والبحث عن أضعف ثغرة تبيح له التقدم في السهول قبل خوض أي حرب معكم.."

نظر له الرجل الثاني باحتقار وهو يغمغم "أيها الخسيس.."

فقال الثالث "يمكنك أن تشتمني كما تشاء.. لكن لن يمكنني الرد على شتائمك هذه بلسانٍ مقطوع.. أليس كذلك؟"

لم يعلق الثاني وهو ينظر لرفيقه الذي ظل ينتحب ووجهه منقبضٌ بألمٍ شديد دون أن يحاول شخص إيقاف نزيه جرحه.. بينما تساءل قادور "ما هو عدد جنوده وما هو عتاده؟.. ومتى تتوقع أن يصل لهذه السهول؟.. من أي موقع بالضبط؟"

قال الثالث بتردد "لا أعرف عدد جنوده، لكنهم لا يقلون عن خمسين ألف جندي.. وعتادهم متنوع بين البنادق والمدافع الثقيلة والسهام والسيوف بطبيعة الحال.. أما موعد وصوله لهذه السهول....."

وتلفت حوله بشيء من القلق قبل أن يضيف بتردد "لا نعرف الموعد بالضبط، لكن سيستغرق منه الوصول

للجبال الشرقية عدة أسابيع على الأقل.. وبعدها، يعتمد وصوله للسهول على سرعة جنوده في قطع الجبال وعلى مقاومة سكان الجبال له.."

نظر رجال القبيلة لبعضهم البعض بقلق وصدمة لهذا الخبر.. بينما قطب قادور بشدة وهو يسأل "من أي موقع بالضبط؟"

أسرع الرجل يقول "لا أعلم بالتحديد.. لكنه قرر أن يستغلّ أضعف نقطة من السلسلة الجبلية التي تفصل السهول عن باقي مناطق القارة العظمى.. أظنه سيستهدف الجزء الجنوبي منها والذي يلتقي بالبحر.."  
أطرق قادور مفكراً والجاسوس يتلفت حوله بقلق شديد.. ولما طال صمت قادور، قال الجاسوس بتوسل "والآن، بعد أن أخبرتك بكل ما لدي، أئن تطلق سراحنا؟.. نحن مجرد تابعين ولا نشعر ببغضٍ للأكاشي.. لقد أرغمنا على القيام بهذا العمل.."

نظر لهم قادور بصمت والرجل يضيف بالحاح "لو أطلقت سراحنا، فنعدك ألا نعود أدر اجنا للملك فارس.. سنهرب لإحدى الممالك الشمالية، ولن ننقل أي أخبار عن الأكاشي لملكنا أبداً.."  
رمقهم قادور بصمت، ثم قال لرجاله "نفذوا مهمتكم يا رجال.."

لم يتساءل الرجال عن مغزى تلك المهمة، بل استلّ كل رجل منهم سيفاً وطوّحه بسرعة نحو عنق أحد الرجال الثلاثة الراكعين أرضاً والذين لم يدركوا مغزى ما قاله قادور.. وخلال لحظة، تدرجت الرؤوس الثلاثة أرضاً بينما سقطت الأجساد الهامدة جانباً..

لم يعترض شخص من رجال القبيلة أو يبدي استنكاره لما جرى.. فقد جرت العادة بين الأكاشي على قتل الجواسيس فور رؤيتهم وحتى لو كانت الشبهة المحيطة بهم لا تتجاوز الشك.. ولولا وصية قادور لرجاله بجلب الجواسيس إليه لاستجوابهم لتمّ قتلهم فور القبض عليهم خارج المخيم.. وخلافاً للمعتاد، لم يلجأ أي رجل من الأكاشي لالتهام أي جزء من أجساد الجواسيس المقتولين.. فالأكاشي لا يعتدّون بالجواسيس ولا يعتبرون أنهم قد يحصلون على أي قوة من التهام أي عضو من أعضائهم، بل يعاملونهم معاملة أقرب للاحتقار والدونية..

ولما هدأ المكان، التفت قادور إلى أقرب رجاله وأكثرهم تأثيراً في القبيلة وقال "هذا يستدعي منا اجتماعاً عاجلاً يا رجال.. فلنتوجه لخيمتي لنعرف ما علينا تقريره في هذه المسألة.."

لم يخالفه أحد الرجال وعددهم لا يقل عن خمس، وسرعان ما اجتمع الرجال مع قادور في خيمته بعد أن غادرتها ستينا مع تينا.. بينما لم تتردد ججي في اللحاق بهم والبقاء في جانب الخيمة لتنفيذ أي طلب يطلبه منها قادور، وفي الحقيقة كانت تريد أن تروي فضولها مما سيدور من حديث بين الرجال بشأن هؤلاء الجواسيس.. ولما لم تجد اعتراضاً من قادور عندما تبعتهم، فإنها وقفت بصمت في جانب الخيمة البعيد بانتباه شديد.. بينما تحلق الرجال حول موقع النار التي كانت مطفأة في ذلك الوقت، ولما استقر الجميع ابتدرهم قادور قائلاً "ما رأيكم بما جرى اليوم؟.. لقد تجاوز الأمر الحد هذه المرة.. نحن نبعد مئات الأميال عن الجبال الشرقية، ووصول الجواسيس لهذا الموقع يستدعي تصرفاً حازماً منا هذه المرة.."

تساءل أحد الرجال الأكبر سنّاً في القبيلة "ما الذي تقترح علينا فعله؟.."

قال قادور "ما الذي تقترحوه أنتم عليّ؟.."

قلب رجل آخر كفيه مجيباً "وما الذي يمكن فعله حقاً؟.. لقد تم قتل الجواسيس، وهذا كفيل بتخليصنا من خطرهم.. ألا يكفي هذا؟"

قطب قادور قائلاً "هذا مجرد حل مؤقت لا يلغي الخطر الحقيقي.. ألم تسمع ما قاله؟.. الملك العربي قادم بجيوشه لهذه السهول.. لا يمكننا أن نقبع في مخيماتنا وننتظره بسكون.."

قال أحد الرجال "ما الذي يدعوك لتصديق هذا القول حقاً؟.. ربما حاول ذلك الجاسوس تهديدنا لكي لا نقوم بإيذائه.."

علق قادور "ألم تدرك أن إقراره بكونه جاسوساً هو أكبر خطر على حياته؟.. ما الذي سيجنيه من تليفق هذه الحكاية عن الجيش العربي الذي يتقدم منا بشكل حثيث؟"

فانبرى رجل آخر يقول "يمكننا أن نرسل رجالاً من القبيلة لتقصي الأمر.. بهذه الطريقة نتأكد من هذا الخبر قبل أن نتخذ أي قرار.."

قال قادور بضيق "مثل هؤلاء الرجال سيستغرقون وقتاً طويلاً وثمانياً لجلب مثل تلك المعلومات إلينا.. من الخطر لجوؤنا للسكون في مثل هذه الأوقات.. علينا التصرف بسرعة، وعلينا التصرف بحزم.."

تنهد الرجل الأكبر سنّاً بينهم، ثم تساءل "هل سترسل رجالك مرة أخرى لزعماء القبائل القريبة محاولاً استمالتهم من جديد؟.. لقد فعلت ذلك عدة مرات وجوّهت بالرفض في كل مرة.."

نهض قادور قائلاً بحزم "بل سأذهب بنفسى لتحقيق هذا الأمر.. فلن يقدر زعماء القبائل الأخرى تجاهل هذا الأمر لو واجهتهم بنفسى.. والأمر بين أيدينا لا يحتمل المماثلة والتسوية.. سأخذ نخبة من رجالى وسأرحل فجر الغد.."

ونظر لأحد الرجال مضيفاً "ستكون أنت المسؤول عن القبيلة يا سادر.. سأستأمنك عليها وأتمنى أن تكون عند حسن ظنى بك.."

تساءل سادر "كم سيطول غيابك فى تلك الرحلة؟"

أجاب قادور "لن يقل الأمر عن عدة أسابيع على الأقل.. لكن أتمنى ألا يطول أكثر من ذلك.."

وابتعد عن الرجال نحو مخرج الخيمة ليلاقي ججى التى وقفت جانباً تستمع لما يقال، ولما وصل إليها ورأى التساؤل الذى يطل من عينيها وهى تمسك سيفها بتحفظ، قال بهدوء "أعدّ العدة لرحلتنا هذه يا جام.. ستصحبني فيها بالطبع.."

التمعت عينا ججى بلهفة، ولم تتوان عن تنفيذ أمره فى اللحظة ذاتها بكل حماس.. لقد تمتت بشدة أن يصطحبها معه فى رحلته هذه، ولكنها خشيت من طرح الأمر عليه بنفسها.. لكنه لم يتركها بحيرتها طويلاً وها هو يعرض عليها مصاحبته فى هذه المهمة.. فكيف لها أن تكون أسعد من هذه اللحظة؟..

\*\*\*\*\*

تنهدت ججى بعد أن انتهت ذكرياتها إلى حيث بدأت هذه الرحلة التى هم فيها.. منذ بدأت رحلتهم هذه، والتى استغرقت منهم حتى الآن ستة أيام، اجتازت المجموعة الصغيرة والتى لا يتعدى عدد أفرادها عشرة رجال الجانب الشرقى من السهول.. وقد مروا بقبيلتين بالفعل قبل وصولهم لقبيلة (رأس الرمح) والتى لاقتهم بالرد ذاته كما جرى مع القبيلتين السابقتين.. زفرت ججى وشيء من الضيق يعتمر صدرها لكل ما سمعته اليوم، من رجال قبيلة رأس الرمح ومن رجال قبيلتها هي.. لماذا، بعد كل هذه السنوات وبعد كل ما فعلته لتثبت ما أصبحت عليه وما تستحقه بين رجال القبيلة، ما تزال تسمع التعليقات ذاتها وما تزال تواجه بالرفض ذاته؟.. هل ما تفعله أمر مستنكر لهذا القدر؟.. ألا يرون فيها أي شيء إلا كونها

(امرأة)؟!.. ألن يقبلوها بينهم أبداً مهما مرت السنوات عليها وهي تحاول الاندماج بهم؟..

انتبهت ججي من سرحانها على صوت أحد الرجال الذي اقترب بخطوات سريعة وهو يقول لقادور "هناك قافلة مجهولة الهوية في موضع قريب.. لا يبدو عليهم أنهم تجار، وأخشى ما أخشاه أن يكونوا جواسيس آخرين للملك العربي.."

اعتدلت ججي جالسة تستمع لما يقال بينما تساءل قادور "كيف أدركت ذلك؟" أجاب الرجل "القافلة لا تحمل أي نوع من البضائع إلا زاد أفرادها، ومكونة من الرجال فقط.. لا أعلم وجهتهم، لكننا بعيدون عن مسار القوافل التجارية القديم.."

غمغم قادور "أتظن أنهم ينوون تجاوز الجبال نحو مملكة ذلك الملك العربي؟.."

أجاب الرجل "أوربا هم قادمون منها نحو السهول متخفين بشكل قافلة عابرة.."

صمت قادور محاولاً قلب خياراته، فأضاف الرجل "لا يمكننا أن نتجاهل أمرها.. كما قال الجاسوس الذي قبضنا عليه قرب القبيلة أن الجيش يتقدم نحو السهول.. لذلك لا يمكننا أن نتجاهل أي جواسيس محتملين قد يحملون أخباراً عن قواتنا وتحركاتنا للملك العربي.."

فقال قادور "لكن هذه شكوكٌ لم تثبتوا منها.."

فقال الرجل "هناك أمرٌ آخر.. لقد رأينا أثناء مراقبتنا لهم أن ثلاث رجالٍ منهم قد انفصلوا عن القافلة لبعض الوقت.. غابوا لما لا يقل عن ساعتين قبل أن يعودوا وينفردوا بزعيم القافلة كما بدالنا بحديث طويل.."

نظر لهم قادور باهتمام والرجل يضيف "عند رؤيتنا هذا، لم يخامرنا أي شك أن تلك القافلة تتجسس على من تمرّ به من القبائل دون أن تكشف نفسها.."

فقال قادور "هذا ما يبدو.. علينا التحرك بسرعة ولو كان الأمر يندرج تحت الشك فقط.."

فقال الرجل "أعطنا الأمر يا زعيم.."

تساءل قادور "كم رجلاً هم؟"

أجاب الرجل "عشرون رجلاً فقط.."

نظر قادور للرجال من حوله، وعددهم لا يتجاوز العشر، ثم قال "فليذهب خمسة منكم.. أريد ثلاث

رجال منهم فقط، والبقية لست بحاجة إليهم.."

هز الرجل رأسه واستدار مبتعداً، فاستوقفه قادور مضيقاً "خذ جام معك.. سيكون الرجل الخامس معكم.."

نظر له الرجل بدهشة وقال "أيعني هذا أن أصطحب ثلاث رجال فقط معي بالإضافة لجام؟"

قال قادور بحسم "بل أربعة.. ألا تعدّ جام رجلاً؟"

أجاب الرجل باستياء واضح "بالنظر لانعدام خبرته وصغر سنه، لا يمكنني أن اعتمد عليه كما اعتمد على الرجال الأكثر خبرة.."

فقال قادور "كيف تتوقع منه أن يحصل على الخبرة وهو يتدرب وحيداً؟.. ثم إن أي واحد منكم لم يحصل على مثل تلك الخبرة إلا عندما قام الرجال الأكبر سنّاً بضمّكم إليهم في إحدى مهماتهم السابقة.."

سكت الرجل على مضض، بينما قال قادور "أنا أولئك أمره يا كاد.. تصرف به كيفما تشاء، المهم أن يعود وقد حصل على الخبرة التي ستؤهله لمهام أكبر وأقسى في الأيام القادمة.."

هز كاد رأسه موافقاً رغماً عنه، ثم أشار لثلاث رجال آخرين ليتبعوه قبل أن يلقي نظرة صامتة على ججي.. ففهمت ججي أنه يدعوها لتلحق به، ولم تتردد في فعل ذلك وهي تهرع للغبراء فتعلق سيفها في حزامها وتضع قوسها وكنانة السهام على كتفها ثم تمتطي ظهر الفرس بتأهب.. رغم رحلتهم الطويلة منذ فجر هذا اليوم دون راحة إلا القليل منها، لكن ججي كانت تشعر بتوتر وحماس كبيرين أطارا التعب والنعاس من عينيها وهي تتبع الرجال الأربعة بقيادة كاد حتى غادروا المعسكر صامتين.. دام سيرهم الصامت وسط الظلام شبه التام ساعة دون توقف ودون أن يتبادل أحدهم كلمة مع الآخرين.. وبعد تلك الساعة، أشار لهم كاد ليلتزموا الصمت وهو يقف بحصانه في موقع منخفض ويترجل عنه.. فتبعه الآخرون بصمت وهم يربطون الخيول في شجيرات قريبة لثلاث تهرب لأدنى صوت يفرعها، ثم تسلل الرجال الأربعة تتبعهم ججي عبر المنحدر القريب ونظروا من فوقه ليلحظوا على الفور تلك النار التي أشعلت وسط المنحدرات وتخلق حولها جمع من الرجال، بينما رُبطت الأحصنة في موقع قريب وبضع جمال أنيخت في جانب آخر..

التفت كاد إلى الرجال قائلاً "هذه المهمة لن تكون صعبة، فيمكننا التخلص من نصفهم مع هجومنا المفاجئ قبل أن يجدوا الوقت للتصدي لنا.. لا تنسوا أننا بحاجة لثلاث رجال أحياء.."

هز الرجال رؤوسهم موافقين، بينما أمسكت ججي مقبض سيفها بشدة وتوتر.. كانت تلك هي مواجهتها الأولى مع أعداء حقيقيين.. لقد تدربت طويلاً وبشكل مكثف لمثل هذه اللحظة، لكن رؤية أعدائها بشكل واقعي وهم يتسامرون ويضحكون غير مدركين للخطر المحيق بهم قد أثار في نفسها ارتباكاً كبيراً لم يرغب عن عيني كاد الذي قال "أعلم أنك تتوقع المشاركة في هذه المهمة، لكنك لست مستعداً بعد يا جام.."

قالت ججي بشيء من التردد "بل أنا كذلك.."

قال كاد بإصرار "لا أهتمك بهذا، لكنني أريدك أن تتدرج في هذا الأمر.. لن تستفيد شيئاً من الاندفاع في معركة قد تفقدك حياتك.. ونحن منشغلون بأعدائنا بحيث لن نتفرغ لمراقبتك وحمايتك.."

فقالت ججي بعناد "سأحمي نفسي بنفسي.."

تنهد كاد وقال "استمع إليّ وأطعني فأنا قائدك الآن.. ابق هنا وانتظر اقترابنا من القافلة.. وقبل أن نبدأ الهجوم الفعلي، أريدك أن تخلصنا من كل من تقدر عليهم بسهامك.."

نظرت له ججي باهتمام وهو يضيف "لا تبدأ باكراً فتحفز الرجال وتفقدنا عنصر المفاجأة، ولا تتأخر حتى نشتبك معهم.. عندها لن تتمكن من التصويب دون أن تخاطر بإصابة أحد رجالنا.."

هزت ججي رأسها موافقة وقد خفت ارتباكها وتوترها شيئاً ما.. ربما بهذه الصورة يمكنها أن تشارك دون أن تقترب من المعركة، وهذا يخفف من الضغط الذي شعرت به على أعصابها وهي تراقب أولئك الرجال.. صحيح أنها لا تملك مهارة فائقة في استخدام السهام، لكنها خجلت من ذكر ذلك وتخيب ظن رفاقها بها.. لقد تدربت بشكل شبه يومي، وعليها أن تثبت مهارتها التي اكتسبتها من التدريبات المكثفة تلك..

ابتعد الرجال الأربعة متسللين بدورة حول القافلة الغافلة عما يجري حولها، بينما بقيت ججي متوترة وهي تتناول قوسها وتثبت سهماً فيه بانتظار اللحظة الحاسمة.. رأت كاد والرجال يتسللون من جانب المخيم مستغلين صفّ الجمال التي تحجبهم عن الأنظار، دون أن يعبؤوا برغائهم المتوتر لاقتراب غرباء منها.. لكن صوتها جذب انتباه رجال القافلة وهم يصمتون ويلتفتون لموقع الجمال بدهشة وشيء من التوجس.. عندها شدّت ججي الوتر في قوسها وصوبته بإحكام وهي تتنفس بقوة لإفراغ توترها، ثم كتمت تنفسها لئلا يؤثر في تصويبها وهي تغمض عيناً وتحرك القوس بخفة قبل أن تطلق يدها.. فشق السهم الهواء بصفير خفيف لينغرز في ظهر أقرب الرجال ناحيتها والذي شهق لحظة قبل أن يهوي على وجهه والبقية ينظرون له بعدم



فهم دام لحظات ..

أسرعت ججي تضع سهماً آخر في القوس وتشدّ الوتر من جديد قبل أن تطلق السهم، وفي هذه المرة بعد أن انفضّ الرجال بذعر مع مرأى سهمها السابق، فإنها أخطأت هدفها مع حركة الرجال المفاجئة والسهم ينغرز عند قدم أحدهم.. وفي الآن ذاته، تعالت صيحة مفزعة من جانب المعسكر مع اندفاع كاد ورجاله من مخبئهم شاهري سيوفهم.. ثبت بعض رجال القافلة في موقعهم بصدمة ودهشة لهذا الهجوم، فكانوا فريسة سهلة للأكاشي الذين أسقطوا خمسة منهم بضربات سريعة، لكن البقية تراكضوا مبتعدين وكل منهم يبحث عن سيفٍ أو رمحٍ يقاتل به.. وبعد غياب عنصر المفاجأة، كان بقية الرجال متأهبين لقتال الأكاشي مع نسبة أربعة لواحد تقريباً لصالح رجال القافلة الأكثر عدداً.. لكن مهارة وسرعة الأكاشي لا يستهان بها وهم الذين يتعاملون مع السيوف كجزءٍ ممتد من أجسادهم ويطوحونها بمهارة مستهدفين الأعناق والرؤوس بغير تردد..

أما ججي التي بقيت في موقعها بصمت دون أن تتلقى أمراً بالمشاركة، فقد ظلت متأهبة بسهمٍ جديد وهي تراقب المعركة بتوتر هائل.. لم تكن هذه المعركة الأولى التي تراها رأي العين، فقد رأت الكثير منها منذ صغرها.. لكن كانت المرة الأولى التي تشارك في إحداها كأى رجل من الأكاشي.. ورغم أن دورها اقتصر على اقتناص الأعداء من مبعدة، إلا أن ذلك لم يخفف التوتر الذي شعرت به وهي تصوّب على رجال القافلة بين لحظةٍ وأخرى محاولة اقتناص أحدهم، ثم تعديل عن ذلك خوفاً من إصابة أحد رفاقها..

لاحظت في تلك اللحظة جسداً أسود ينهض من موضعٍ بعيدٍ شيئاً ما عن القافلة.. راقبته ججي للحظة ثم تحركت من موقعها محاولة الاقتراب منه ورأته يراقب المعركة بصمتٍ مخبئاً في موقعه.. ثم رأته يقترب من الجمال التي بدأت تحاول النهوض فزعة وهي ترغو بصوتٍ عالٍ بينما الجسد الأسود يتسلل خلفها محاولاً التخفي عن أعين المهاجمين.. لم تدرك هوية ذلك الجسد، لكنها أدركت نيته على الهرب مع اتجاهه لموقع الأحصنة والتي عجزت عن الفرار بسبب اللجام الذي يقيد لها أشجاراً قريبة.. كانت تعرف أن السماح لأحد أفراد القافلة بالهرب ممنوع بتاتا مع تشديد قادور على ذلك مهما كانت النتيجة.. فشددت وتر القوس بعد أن ألقته سهماً، وصوّبت بثبات وهي تكتم أنفاسها، ولما اقترب الشخص من الموضع الذي صوّبت السهم إليه، أطلقت الوتر ليندفع السهم شاقاً الهواء ويرتكز عند قدمي ذلك المجهول.. ارتد المجهول بذعر

واضح، بينما شتمت ججي في سرّها بعد أن خاب مسعاها في الإطاحة بذلك الشخص.. عندها لم تجد بداً من التدخل بنفسها لئلا تسمح له بالهرب مع انشغال بقية الرجال بالمعركة الدائرة.. فاستلّت سيفها وقفزت هابطة من ذلك المنحدر نحو موقع الشخص الذي تلفت حوله بذعر شديد قبل أن يستدير هارباً بعد أن لاحظ اقترابها منه، لكن ججي استغلت خفتها وسرعة خطواتها وهي تركض خلفه وتطوّح سيفها بقوة في اللحظة التي استدار لينظر إليها بارتباك وهو يحاول حماية نفسه بذراعيه.. فأصابه السيف بضربة في ذراعه اليسرى وهو يسقط أرضاً متألماً بصوت واضح..

اقتربت منه ججي دون تردد وقد أنستها تلك المطاردة الصغيرة قلقها السابق من المواجهة المباشرة مع أعدائها.. لم يكن ذلك الشخص مسلحاً، ولم يبدو أنه سيقاومها بأي شكل كان، لكنها لم تتردد وهي ترفع سيفها عالياً وتتقدم منه خطوة أخرى.. فصاح الشخص بذعر شديد "مهلاً.. لا تقتلني أرجوك.."

توقفت ججي لوهلة وهي تسمع جملته التي قالها بلهجة سيئة لا تكاد تُفهم.. كانت تلك هي المرة الثانية التي تسمع فيها هذه اللهجة في حياتها، ولم يكن ذلك منذ زمن بعيد.. فمدّت يدها بالسيف نحو الشخص وهي تقول آمرة "انهض لكي أراك.. وحذار من القيام بأي حيلة لأنني لن أرحمك عندها.."

نهض الشخص بشيء من التردد وهو يمسك ذراعه المصابة بيده الأخرى، ولما وقف متجاوزاً الجمال القريبة بحيث ألقّت النار البعيدة بعض الضوء عليه، تأملته ججي بشيء من الصمت واهتمام كبيرين.. كان ذلك الشخص مجرد فتى لا يكبرها بكثير، ورغم أن ملاحظته كانت باهتة مع الظلام الذي لم تفلح النيران في التغلب عليه، لكن ججي اتسعت عيناها نوعاً ما وهي تدرك هويته.. فغمغمت "أهو أنت؟"

صمت الفتى وهو يتراجع بشيء من الدهشة دون أن يزول ذعره، فاستوقفته ججي بحزم قائلة "لا تتحرك خطوة من موقعك.."

أطاعها الفتى بشيء من القلق بينما سمعت ججي صوت كاد وهو يقترب منها بسيفه الملوّث دماً "هل بقي منهم أحد؟.. من هذا الفأر المختبئ؟"

لاحظت ججي الهدوء الذي خيم في الموقع بعد أن نجح الرجال في التخلص من أغلب رجال القافلة، بينما ركع ثلاثة منهم مرتعيين أمام الأكاشي باستسلام.. وبينما اقترب كاد من الفتى، رفع الأخير ذراعيه بذعر شديد وكأنه يحمي نفسه بتلك الذراعين الهزيلتين.. وقبل أن يقترب كاد منه اندفعت ججي لتقول "مهلاً.."

لا تلمسه بأذى.."

نظر لها كاد مقطباً، فأضافت بسرعة "اتركه لي.. فأنا أريده.."

قال كاد عاقداً حاجبيه "لا يمكنني تركه.. لقد أمر الزعيم بقتلهم جميعاً إلا ثلاثة منهم، ولا أظن هذا الفتى يصلح لما يريده الزعيم.."

قالت ججي بإصرار "لا يمكنك أن تقتله.. أنا سأتحمل مسؤولية بقائه حياً.."

فقال كاد بإصرار وصرامة "مستحيل.. أطع أمر قائدك يا جام ولا تضطرنى لاتخاذ تصرف آخر معك.."  
أسرعت ججي تقول "ألا تظن أن هذا الفتى سيكون أسرع في البوح بما يعرفه من أولئك الرجال؟.. ثم إنني أتحمل نتيجة قراري هذا أمام الزعيم.. فمم تخشى؟.."

قال كاد باعتراض "قولك غير مقنع.. ثم إن الفتى ليس عربياً، لذلك هو بلا فائدة لنا.."

لم تعلق ججي على هذا القول فهي كانت تعرفه سابقاً، بينما استدار كاد إلى الفتى مضيفاً "ملاحظه تدل على أنه من الكشميت.. أليس كذلك؟"

اتسعت عينا ججي بتعجب بينما بدا الارتعاب في وجه الفتى وهو ينظر لكاد الذي تفحص ملامحه على ضوء النار البعيدة.. وبداله أن موته وشيك ومحتم تماماً رغم محاولات ججي.. ومع صمت ججي، تقدم منه كاد بسيفه الملوث بالدماء وهو يقول "استعدّ يا فتى.."

تراجع الفتى خطوة حتى سقط أرضاً وهو يرفع ذراعيه أمام وجهه ويغمض عينيه بذعر.. ولما هوى السيف نحوه وتعالى صوت صليل عال في المكان، فتح الفتى عينيه ليتطلع بدهشة لججي التي وقفت أمامه وهي تصدّ ضربة كاد بسيفها مغممة من بين أسنانها بغيظ "أخبرتكم أنني أريد الفتى.. لا تتسرع بالقضاء عليه يا كاد.."

قال كاد مقطباً "هل ترفض أوامر قائدك يا جام؟"

ثبتت ججي بنظراتها أمام كاد مقطبة، وبعد صمت قصير تراجع كاد قائلاً بابتسامة جانبية "يبدو أنك مستميت للحفاظ على حياته.. هل أعجبك لهذه الدرجة؟.."

لم تعلق ججي وهي صامدة في موقعها أمام كاد، فاستدار الأخير مضيفاً "لا بأس.. يمكنك الاحتفاظ به في الوقت الحالي حتى يقرر الزعيم ما نفعه به.. لكن لو بدرت منه أي شبهة لا تعجبني فسأمر بقطع عنقه في"

الحال.."

زفرت ججي بينما ابتعد كاد قائلاً للفتى بسخرية "كن حذراً يا فتى.. سيظل سيفي معلقاً فوق عنقك.."  
 عادت ججي للفتى المدعور زافرة، ثم ركعت قريبة وهي تغمغم بخفوت "عليك أن تكون شاكراً.. ها أنذا  
 أرد لك الدين وأنقذ حياتك كما أنقذت حياتي.."

نظر لها الفتى بارتعاب للحظات، ثم بدا أنه انتبه لهويتها مما جعل حاجبيه يرتفعان وهو يقول "أهو أنت؟"  
 أشارت له ججي ليصمت وهي تتلفت خلفها، بينما تساءل الفتى بقلق ورعب بالغ "ألن يقوموا بقتلي؟"  
 قالت رافعة إصبعها أمام شفيتها "لن يفعلوا.. ما لم تهوور وتخبرهم أنك أنقذت حياتي قبل أيام.. اتفقنا؟"  
 كان هذا تهديداً واضحاً منها، لكن الفتى لم يجد إلا التسليم بالأمر وهو يهز رأسه موافقاً في وعد صامت  
 دون أن يكف جسده عن الارتجاف.. ثم نهض ليقف قربها متطلعاً لما حوله.. ولم تكن رؤية الأشلاء من  
 حوله والدماء التي صبغت الأرض العشبية تمنحه أي راحة بال.. أعادت ججي سيفها لحزامها وهي تدفع  
 الفتى لينضم للأسرى، ورغم ذعره الواضح فإنها لم تحاول الترفق به وهي تجذبه من ملابسه لينضم لرفاقه  
 الراكعين في جانب المكان.. والذي لا يشك أحدهم أن مصيره لن يكون مبشراً بأي خير على يد الأكاشي..

\*\*\*\*\*

بعد أن انتهى الرجال من جمع الأسلحة واقتياد الأحصنة والجمال وكل ما يمكن غنيمته من تلك القافلة،  
 عادوا المعسكر قادور وكل منهم يجرّ حصاناً عليه أحد الأسرى وقد ربطت يده خلف ظهره بالسرج..  
 وكذلك فعلت ججي بالفتى وهي تجذب حصانه بعد أن تأكدت من ربط يده بإحكام في السرج لئلا يفكر  
 بالهرب.. وعند وصولهم للمعسكر، لم تتمالك ججي نفسها وهي تقفز من على ظهر الغبراء وتسرع لأبيها  
 بابتسامة ظافرة وتقول "لقد أنجزنا المهمة كما طلبت يا أبي.."

ابتسم قادور بدوره معلقاً "أحسن صنعاً يا جام.. سأنتظر رأي كاد بك، فهو الأقدر على تقدير ما فعلته في  
 هذه المهمة.."

ثم نظر خلفها معلقاً "لكني أرى أربعة أسرى.. ألم أطلب منكم إحضار ثلاثة فقط؟"

تعالى صوت كاد يقول "هذا ما قلته لجام.. لكنه أصرّ على إحضار هذا الفتى وعدم قتله.. لا أعلم ما فائدة شاب صغير من الكشميت فيما فعله.."

أسرعت ججي تقول "أرجوك يا أبي.. لا بد أنك ستستفيد من هذا الفتى أكثر من بقية الرجال.. فهو لن يقدر على المراوغة والخداع وبيع بعض التهديد سيخبرنا صراحة عن هوية تلك القافلة وما كانت تفعله في هذه الأنحاء.."

قال كاد باعتراض "لكنه كشميتي.."

أجابت ججي "لكنه صاحبهم طوال هذه الرحلة.. فلا بد أنه لاحظ أو عرف شيئاً من أمورهم.."  
فقال قادور لكاد "أحضر الفتى، وأبق بقية رجال القافلة على شيء من المبعدة ليسمعوا ما يقال دون تدخل.."

أسرع كاد لتنفيذ أمره، بينما قالت ججي باستعطاف "أرجوك يا أبي.. لا تقتل هذا الفتى.."

قال لها قادور بتعجب "نحن نقتل الجواسيس بعد استجوابهم.. وأنت تدرك ذلك.."

فقالت بضيق "ألا يمكنك استبقاء هذا الفتى فقط؟.. إنه ليس عربياً، لذلك أستبعد أن يكون جاسوساً.. يمكننا أن نستبقه كخادم لنا.. وموته لن يفيد أحداً.."

راقب قادور الفتى الذي جذبته كاد حتى موضع قريب، وقال لججي بسخرية "خادم؟.. بهذا الجسد الضعيف، فإنه يحتاج لمن يخدمه أكثر من أن يكون خادماً لأحد.."

قالت ججي برجاء "ألن تحقق لي هذا الطلب فقط يا أبي؟"

نظر لها قادور بنظرة متفحصة وقال "ما الأمر يا جام؟.. لم أنت لحوح للحفاظ على حياة هذا الفتى؟.. ما الذي تبغيه منه؟"

أدارت ججي بصرها جانباً قائلة "لا أبغي منه شيئاً.. لكن أرى أن موته دون ذنب فعله هو أمر مأساوي.."  
ضحك قادور بشكل أثار تعجب الرجال من حوله، ثم قال لججي "للمرة الأولى أسمع رجلاً من الأكاشي يصف الموت بأنه مأساوي.. أخبرني الحقيقة يا جام ولا داعي للمواراة.."

شعرت ججي بحرج كبير.. كانت تريد إنقاذ حياة الفتى لكي ترد له الدين المعلق في عنقها، لكن لا يمكنها أن تخبر أباهما عما جرى لها واضطرارها للاعتماد على هذا الغريب لإنقاذ حياتها.. قلبت الأمرين معاً بتوتر

كبير، ثم رأت أن وفاءها بالدين أكثر أهمية من معرفة أبيها بحادث مرّت عليه أيام عدة.. عندها جذبت نفسها لتهدئة توترها وأخبرته بالحادثة التي جرت لها وهي بعيدة عن القبيلة، ولقائها بالقافلة وإنقاذ هذا الفتى لحياتها.. بينما ظل قادر يستمع لها بتعجب وصمت حتى فرغت من حكايتها.. ثم نظر للفتى المرتعب وقال " رغم أنني حانق لكذبك عليّ في السابق وإخفاء هذا الأمر عني، لكن لا يمكنني إلا أن أفعل ما طلبته مني.. فلولا معاونة هذا الفتى لك، لفقدت ابني الثاني في وقت مبكر جداً.. "

نظرت له ججي بابتسامة راحة، بينما قال قادر "لكن هذا لا يمنع أن أستجوبه لأعرف الحقيقة منه.. " أمر ججي بأن تقرب الفتى منه، فجذبتة ججي دون ترفق وأجبرته على الركوع عند قدمي قادر دون أن تفك وثاقه.. رفع الفتى بصره بارتجافة إلى قادر الذي نظر إليه بصمت للحظات ثم تساءل "ما الذي جاء بكشميتي وحيداً لهذه السهول؟.. أأست جاسوساً؟"

قال الفتى بارتجافة "لا.. وهل يرسل الكشميت شخصاً صغيراً مثلي لمثل هذه المهمة؟.."

تساءل قادر "إذن ما الذي جاء بك لهذه الأنحاء؟.."

نظر له الفتى بشيء من التوتر، ثم أدار وجهه مغمماً "أفضل الاحتفاظ بأسبابي لنفسي.."

لاحظ النظرات الغاضبة من الرجال القريبين، بينما قال قادر بصرامة "يمكنك أن تحتفظ بأسبابك تلك وأنت ترى رأسك يتدحرج بعيداً عن جسدك.. أو يمكنك أن تخبرني بما جاء بك لهذه السهول الآن ودون كذب.."

تحولت رجفة الفتى لنفضة رعب وقد أدرك أنه قد تجاوز حدوده، ثم نظر للأرض مجيباً "بسبب بعض المشاكل التي وقعت فيها في كشميت، هربت من المملكة وأتيت لهذا المكان.."

تساءل قادر بتعجب "وأى مشاكل تأتي بك لهذا المكان البعيد عن موطنك؟"

زفر الفتى للحظة وهو متردد في الإجابة، ثم قال بصوت خفيض "لقد قتلت شخصاً في كاشتار.. وأنا هاربٌ منذ ذلك الوقت.."

بدت السخرية على وجوه بعض الرجال وهم يتأملون جسد الفتى الهزيل، بينما غمغم قادر بتعجب "حقاً؟.. هذا أمرٌ مفاجئ من شخصٍ مثلك!.."

أضاف الفتى "كنت أنوي الذهاب لمملكة وادي النسور، وهي كما سمعت عنها مملكة آمنة وبعيدة عن

الحروب الدائرة وسط القارة.. لكنني لم أدرك أن عليّ اجتياز سهول الأكاشي للوصول إليها.. وقد حالفني الحظ بالانضمام لهذه القافلة التي ما شهدت منها أي تصرف أنكره.."

صمت جازاً على أسنانه، ثم قال ببعوض لم يملكه "لكن كان يجب أن نصطدم بكم قبل الوصول لهدفنا.. كان يجب أن أدرك أن حظي سيء منذ البدء.."

لم يعلق قادور على قوله وهو يسأله "لو كنتم متجهون للشمال، فلماذا وصلت القافلة لهذا الموقع الأقرب للشرق وللجبال التي تفصلنا عن باقي القارة؟.. مسارها يجب أن يقطع الجزء الغربي من السهول.. هذا يطيل المسافة كثيراً.."

صمت الفتى وهو يدير بصره جانباً، فقال قادور بإصرار وحزم "أجب سؤالي.. ما الذي دعى القافلة لاجتياز كل هذه المسافة التي تبعدهم أكثر وأكثر عن هدفهم؟"

أجاب الفتى بعد تردد وبعد أن ألقى نظرة على بقية رجال القافلة "لقد أصرّ قائد القافلة على اتخاذ هذا المسار دون أن يخبرني بالسبب، ولم أكن أملك الاعتراض على ذلك.."

عاد قادور يسأله بحزم "وما الذي رأيته من هذه القافلة؟.. إنها ليست قافلة تجارية بالتأكيد.."

تردد الفتى بشكل واضح وهو يقلب بصره فيمن حوله، فقال قادور بصرامة "يحسن بك أن تفصح عن كل ما تعرفه دون تردد.."

عندها قال الفتى خافضاً رأسه "في كل ليلة نخيم فيها في أحد المواقع، كان قائد القافلة يرسل أربعة من رجاله في مهمة لا أعلم عنها شيئاً.. ولما سألته عن السبب، أخبرني أن هذا مجرد احتياط لئلا يداهمنا الأكاشي ونحن بغفلة من الأمر.."

اتسعت عينا ججي باهتمام وهي تستمع إليه، بينما رمق قادور الرجال الذين كسا الشحوب وجوههم وهو يقول "هذا يثبت الأمر.. ذلك الرجل كان يرسل جواسيسه لاستطلاع مواقع القبائل وكل ما يمكن جمعه من معلومات.. أليس كذلك؟"

انبرى أحد الأسرى يقول "لا يا سيدي.. هذا غير صحيح.. كان القائد يرسلنا لاستكشاف المواقع حول القافلة لئلا نفاجأ بهجوم من الأكاشي.. فقد سمعنا بما يفعله الأكاشي بأي عربي يعثرون عليه في هذه السهول، ولم يكن هذا يطمئنا بأي حال.."

علق كاد بسخرية "لكن لم يبدُ أنكم كنتم مستعدون للدفاع عن أنفسكم عند وصولنا إليكم.."

فقال الرجل "هل تصدق قول هذا الصبي على ما نقوله نحن؟.."

قال قادور وهو يعود لحيمته "لا.. لكنني سأستجوبكم بنفسني وأحصل على كل ما أريد معرفته بالتأكد.."

قالت ججي "وما الذي أفعله بهذا الفتى؟"

قال قادور "أطلق سراحه.. لا يبدو لي أنه كاذباً، ولا يمكنني الأمر بقتله بعد كل ما جرى منه سابقاً.."

اقتاد الأكاشي الأسرى الثلاثة نحو خيمة قادور، بينما ظل الفتى ينظر لما حوله بقلق شديد.. فرأى ججي

تقترب منه وتفك وثاقه قائلة "افرح يا هذا.. أنت محظوظ فقد أمر أبي بإطلاق سراحك.."

بدت المرارة على وجه الفتى عوض الارتياح وهو ينهض بشيء من الوهن ويتلفت حوله للمعسكر

الصغير.. بدا توتره عارماً وهو يلقي بنظرة مذعورة على أي رجل يتحرك قربيه، فضربت ججي كتفه براحة

يدها وهي تقول ضاحكة "لا داعي لهذا الذعر أيها الجبان.. لن يخالف شخص أمر الزعيم أبداً.. لذلك

أنت في أمان جزئي ما لم تُثر غضبي.."

غمغم الفتى بمرارة "أمان؟.. وحتى متى سيدوم ذلك؟"

قالت مفكرة "حتى تفارق معسكرنا هذا.. لا يمكنني أن أضمن حياتك في المرة القادمة التي نلتقي فيها.."

قال الفتى بأسى "ولك أين يمكنني الذهاب؟.. أنا مقضيّ علي في كل الأحوال في هذه السهول الوحشية.."

جلس جانباً ورمى رأسه على ذراعيه وهو ينتفض بشدة، فقالت ججي وهي تقف أمامه "كف عن هذا

الخنوع يا فتى.. أأنت رجلاً؟.. ما الذي يثير ذعرك؟"

نظر لها بحدة وقال بصوت متهدج "ما الذي يثير ذعري؟.. أنتم.. الأكاشي كلهم يثيرون ذعري.. أتظنين

أنني، بعد أن رأيت رفاقي يقضون نحبهم أمام عيني بأبشع وسيلة ممكنة، يمكنني أن آمن على نفسي وأنا

وحيد في هذه السهول؟.."

وخفض رأسه قائلاً بمرارة "لم أصدق رؤية أولئك الرجال الذين اصطحبوني معهم وكانوا بغاية الكرم

واللطف معي، لم أصدق رؤية البشاعة التي تم التخلص منهم بها.."

جلست ججي قريبة وقالت "سرعان ما تنسى هذا.. المهم الآن أن تفرح لنجاتك فقد كان موتك وشيكاً

للغاية.."



زفر الفتى معلقاً "أتظنين أنني يمكن أن أفرح بعد أن تلقوني في السهول وحيداً؟.. أشك أن تمنحوني أي حصان لأرحل عليه، ناهيك عن الزاد والماء الذي سرقتموه من القافلة.."

قالت ججي بحدة لم تملكها "لم نسرقه.. الأكاشي لا يقومون بتصرف خسيس كالسرقة.. لقد أصبح كل ما تملكه القافلة غنيمة لنا بعد أن قضينا عليهم.."

فقال الفتى بحدة مماثلة "ولم القضاء على قافلة مسالمة تمر بسهولة لكم؟.. لم عليكم أن تكونوا أفتح من كل الإشاعات التي تناقلها الناس عنكم؟"

قالت ججي بحنق "إنهم جواسيس.. كيف تريد منا التصرف مع جواسيس للملك الذي ينوي غزو أرضنا والقضاء علينا؟.."

قطب الفتى معلقاً باستياء "قد لا يكون الأمر بالسوء الذي تظنونه حقاً.. ربما لو تعاونتم مع الملك العربي، فلن يلجأ لحربكم وقتل أي رجل من رجالكم.."

فقالت ججي بسخرية "أهذه هي فكرتك عن التصرف الأمثل للحرب القادمة؟.. للأسف، الأكاشي لا يتصرفون بهذا الخنوع الذي أنت عليه.."

ونفضت مغادرة بحنق واضح، بينما زفر الفتى وهو يحدق بالأرض العشبية عند قدميه.. ما الذي سيفعله بعد أن يلقيه الأكاشي كالكلب في هذه السهول؟.. كم يوماً سيتمكن من العيش وهو وحيد قبل أن يقضي نحيبه جوعاً أو عطشاً أو بسيف أحد الأكاشي؟.. ياله من حظ يزداد سوءاً مع كل لحظة تمضي..

\*\*\*\*\*



## الفصل الخامس {لقاء الزعماء}

في اليوم التالي، أعطى قادور الإشارة لرجاله باستكمال الرحلة نحو مخيم طاغار، والذي يقع في موقع أقرب لوسط سهول الأكاشي.. كانت أغلب قبائل الأكاشي تلجأ للترحال مع بدء الشتاء جنوباً، ثم تعود صيفاً لموقعها السابق سعياً وراء المراعي الأكثر ثراءً ونفعاً لماشيته.. لكن قبيلة طاغار وهي الأكبر والأكثر ثراءً بين الأكاشي قد كفت عن هذه الرحلات منذ أمد بعيد.. فهي رغم كثرة أفرادها تتمكن من تجاوز شهور الشتاء القاسية معتمدة على نفسها وثروتها في تجاوزه، وهي القبيلة الوحيدة التي سعت لبناء خيمة واسعة دافئة لاحتضان ماشيتها طوال ليالي الشتاء القارسة.. لذلك لم يكن صعباً على قادور تحديد موقعها والاتجاه إليها بعد انتهائه من أمر قبيلة (رأس الرمح) التي رفضت عرضه بشكل صريح..

في ذلك النهار، وجد الفتى ججي تقرب منه فتناوله القليل من الطعام وقربة ماء قائلة "انهض.. سنرحل حالاً.. احتفظ بما يمكنك الاحتفاظ به من الماء، فهو شحيح لدينا ولن تحصل عليه كلما رغبت به.."  
تناول الفتى الطعام دون تعليق وإن بدا توتره واضحاً، ثم سأله "ما الذي جرى لرجال القافلة الثلاثة؟"  
أجابت ججي "استجوبهم الزعيم وتيقن من كونهم جواسيس للملك العربي.. فأمر بقطع رقابهم جميعاً.."  
سرت رجفة في جسد الفتى لهذا الخبر وشهيته للطعام تتلاشى تماماً، فدرس الطعام والقربة في جراب الحصان الذي ناولته ججي لجامه.. كان كل ما يدور بذهنه هو ما سيفعله به الأكاشي في هذه الرحلة.. أهم سيمتنعون عن قتله حقاً؟.. وماذا سيحدث له بعد أن يتركه الأكاشي وحيداً في هذا المكان؟.. أم أن وجوده معهم أسوأ بمراحل؟.. ما عاد يدري ما الأسوأ في كل ما مر به في حياته القصيرة والتي لا تتجاوز ستة عشر عاماً..

وبعد أن امتطت ججي ظهر الغبراء، اقتربت من الفتى على ظهر الفرس وقالت "أسرع، سنرحل خلال لحظات.. ولن نتأخر لأجلك أبداً.."

نظر لها الفتى متسائلاً "إلى أين أنتم ذاهبون؟"

أجابت ججي متأملة الرجال من حولها "نحن متجهون لوسط سهول الأكاشي.. نحتاج ليومين تقريباً قبل

الوصول لهدفنا.."

غمغم الفتى بتوتر "ماذا عني أنا؟.. ما الذي ستفعلونه بي؟.."

هزت ججي كتفيها مجيبة "لا شيء.."

نظر لها الفتى بدهشة وهي تضيف بابتسامة جانبية "أنت أنقذت حياتي، لذلك أنا أضمن لك حياتك مالم تقم بأي تصرف متهور.. يمكنك الرحيل لو أردت.."

فغمغم الفتى بقلق "إلى أين سأذهب وأنا وحيد ولا أعرف الاتجاه السليم للوصول لمملكة وادي النسور؟.. سأتوه في هذه السهول حتى أقضي نحبي جوعاً.."

نظرت ججي حولها بصمت للحظات، ثم نظرت إليه قائلة "يمكنك البقاء معنا لو أردت.. الخيار لك.."  
نظر لها بشيء من الصدمة.. يبقى مع الأكاشي؟.. قد تكون الفتاة مدينة له بحياتها، لكن أعني هذا أنه سيكون آمناً على حياته معهم؟.. كيف يمكنه أن يتحمل البقاء مع قبيلة متوحشة لن تتردد في التهام أجزاء من ضحاياها بكل استمتاع؟..

لم يكن قد حسم أمره بعد وهو يمتطي ظهر الحصان، لكنه زفر وتبع الفتاة بصمت خلف القافلة الصغيرة..  
لم يكن يملك أي خيار في هذه اللحظة.. سيبقى معهم، وسيغادر عندما يتمكن من العثور على طريقة ملائمة للوصول لمملكة وادي النسور..

سمع الفتاة تسأله في تلك اللحظة "ما هو اسمك يا هذا؟.. لا أستطيع مناداتك بـ (يا فتى) في كل مرة.."

غمغم الفتى "اسمي كين.."

نظرت إليه معلقة "يبدو لي الاسم هادئاً ويناسب شخصاً مثلك.."

بداله ذلك نوعاً من الاستهزاء، لكنه لم يملك التعليق على ذلك وهي تضيف "اسمي فا-جام.. يمكنك أن تناديني جام كما يفعل الجميع.. ومادمت معنا، عليك أن تتبع قوانيننا وأن تراقب تصرفاتك.. لا يمكنني حمايتك لو قمت بأي حماقة تغضب بقية الرجال.."

تساءل كين بعد تردد "هل جام هو اسم فتى، أم فتاة؟"

نظرت له ججي مقطبة، ثم قالت بلهجة صارمة "حذار من إثارة غضبي أيضاً.. أنا لست فتاة ولا أسمح لك باعتباري كذلك.."

ثم أضافت وهي تدير وجهها للأمام "وعليك أن تفعل شيئاً بلكنتك السيئة هذه.. إنني بالكاد أفهم ما تقوله.."

لم يعلق كين رغم أنه مازال بدهشة من أمر هذه الفتاة بعد كل ما سمعه عن قوانين الأكاشي التي تحرم ركوب المرأة على ظهر الخيول.. لكنه لم يتمكن من سؤالها عن هذا وما يشغل تفكيره في تلك اللحظات هو ما سيجري له مع هذه القافلة الصغيرة من الأكاشي الذين كان يخشاهم بشدة قبل أن يلقاهم بالفعل.. والآن، بعد أن التقاهم ورأى تصرفاتهم، ازدادت خشيته وتوجسه منهم أضعافاً مضاعفة..

\*\*\*\*\*

أمضى كين يومه مع قافلة الأكاشي بحالٍ يرثى له.. لم يتمكن من النوم في الليلة الماضية بعد المذبحة التي جرت أمام عينيه، وقضى ما بقي من الساعات التي تسبق الفجر مسهداً يتلفت بذعر لأي حركة أو صوت يسمعه.. وفي هذا اليوم استمر سير القافلة لوقت طويل دون راحة تقريباً حتى منتصف النهار، حتى شعر كين برأسه يتطوح يميناً ويساراً وهو لا يكاد يرى ما حوله من التعب..

ومع نهاية اليوم وإقامة رجال الأكاشي المعسكر المؤقت لمبيتهم، انزوى كين جانباً بعيداً عنهم وقبع قريباً من حصانه وهو يرتجف من البرد الذي ازداد مع حلول الليل.. ورغم تعبته الشديد، لم يكن بحالٍ يسمح له بالنوم أبداً وقلقه لم يخف لوجوده مع تلك القبيلة المتوحشة.. حتى وصلت إليه ججي معلقة "يمكنك أن تكون نافعاً على الأقل وتشعل النار لنفسك.."

غمغم كين وهو يضم ثيابه لجسده بحثاً عن الدفء "لا أعرف كيف أفعل ذلك.."  
نظرت له ججي باستنكار وهي ترمي بحزمة حطب أرضاً، ثم غمغمت وهي تنشغل بإشعال النار "من أي عالم أنت؟.. هل تشتعل النار من تلقاء نفسها في بلادكم؟"

أجاب كين بضيق "بل لدينا من يقوم بهذه المهمة عنا.."

نظرت له باهتمام معلقة "أتعني عبيداً؟.. إذن هذا يعني أنك من عائلة غنية.."

أدار كين وجهه بتوتر كبير وغمغم "الكشميت بكافة طبقاتهم يستخدمون العبيد لأداء الأعمال اليومية.."

ابتسمت ججي معلقة " ومع ذلك.. أكاد أجزم أنك من عائلة غنية بالنظر ليديك الناعمين هاتين.. " نظر لها كين بتوتر وهي تضيف " أكاد أجزم أنك لم تستخدمهما يوماً لكسب رزقك بأي شكل من الأشكال.. "

أدار كين وجهه جانباً وقال " ما كُنْتُه في تلك البلاد قد انتهى.. ولا يهملك في شيء.. " قالت ججي بابتسامة " بالفعل.. هو لا يهمني بشيء.. "

صمت كين وهو ينظر للنار الوليدة غارقاً في أفكاره التي سرحت به تجاه كشميت وما جرى فيها منذ رحيله عنها.. ثم زفر بيأس وهو يفكر بوضعه الحالي.. إنه موقن بأهمية رحيله عن هذه القافلة وإكمال رحلته للشمال.. لكن هل يجروء على فعل ذلك وحيداً؟.. لقد قلّت القوافل بشكل كبير في السهول مع الإشاعات التي تطايرت عن هجوم الأكاشي عليها لأدنى شبهة بكونهم جواسيس الملك فارس.. وهو لم يرَ قافلة أخرى في هذه الأنحاء غير تلك التي ارتحل معها منذ وصل السهول مختبئاً في قاع إحدى السفن..

اختفت ججي من الموقع ملبية نداء زعيم القافلة، والذي أدرك كين أنه أباه.. فزفر بحدة وهو يشعر بمعدته تتضور جوعاً.. إنه لا يجروء حتى على طلب بعض الطعام، وما منحتة إياه الفتاة قد استنفذه طوال ساعات النهار.. وحتى مع حرصه على الاقتصاد، إلا أن الكمية القليلة لم يبقَ منها شيء لعشائه..

استخرج قربة الماء التي كانت معه وجرع جرعات صغيرة منها ليهدئ جوعه، ثم رفع بصره للنجوم التي تعلو رأسه وهو يزفر من جديد.. لقد اعترف أمام قادور أنه قتل شخصاً في كشميت ولذلك هو هارب منها، فهل ما فعله جريمة؟.. هل يستحق ما فعله أن يهرب من موطنه ويعبر البحر الشاسع مختبئاً في قاع سفينة ضيقة وسط الفئران والصناديق ذات الرائحة النتنة؟.. هل يستحق أن يمرّ بهذه التجربة المريعة التي عاشها في هذه السهول الدموية والتي لا يزال جسده يرتجف لذكرها؟..

لو عاد به الزمن لتلك اللحظة التي أغمد فيها خنجره في قلب ذلك الشخص، هل كان سيرتكب جريمته تلك من جديد ويعود لهذه المعاناة التي يعيشها؟.. أم أنه سيتدرد ولو للحظة؟..

في ذلك الوقت، لم يراوده التردد ولو لهنيهة وعزمه يجعله يتجاهل كل نتائج عمله ذلك.. لكن الآن.. بدأت بعض الشكوك تراوده عن صحة قراره، فالجزء الذي حصل عليه من ذلك الفعل أسوأ مما توقع بكثير..

لاحظ كين في تلك اللحظة ججي قادمة تجاهه حاملة بعض الطعام، مما هيّج جوعه أكثر فأكثر.. وبينما هي

تمر قرب أحد رجال الأكاشي، والذي بدا أنه الأصغر سناً في المجموعة، انتبه كين لذلك الرمح الذي طوّح الرجل جزءه الخشبي نحو ساقه ججي بضربة قوية لم تتمكن من تفاديها.. فسقطت ججي سقطه مؤلمة رغم أنها حاولت تفادي ذلك بذراعيها، بينما أطلق الرجل ضحكة ساخرة وهو يعلق "انظروا للرجل الصغير الشجاع.. أتمنى أن تستمتع بطعامك هذه الليلة.."

دهش كين من تصرف الرجل تجاهه ججي، والتي نهضت ونفضت الغبار عن ملابسها، وحملت الطعام الذي سقط على الأرض قبل أن تكمل سيرها نحوه بصمت ودون أن تبدو المهانة على وجهها لما جرى.. ازدادت دهشة كين وهو يراقب سير ججي وهي مرفوعة الرأس، وازدادت التساؤلات التي كانت تدور بذهنه عن هذه الفتاة التي تنكر كونها كذلك.. ما الذي يحدوها لفعل ما فعلته؟.. لا يبدو أن ما تفعله يجلب فخر رجال القبيلة بها، بل بدا له واضحاً أن عدداً منهم يكرهونها بغيض شديد.. وربما ما كان يمنع سيوفهم من الإطاحة بها كونها ابنة زعيمهم..

جلست ججي قرب النار ونفضت ما علق من رمال برغيف الخبز الذي أحضرته، قبل أن تناوله لكين قائلة "خذ.. يبدو أن حصتنا من الطعام تقلص بسرعة.. عليّ النهوض باكراً صباح الغد ومحاولة صيد بعض الطرائد لئلا نهلك جوعاً.."

تساءل كين "ما كان ذلك؟!"

نظرت له بعدم فهم، فشرح قائلاً "لقد لاحظت أن الرجل تعمد عرقلة سيرك وإسقاطك.. فلم يفعل ذلك؟"

قالت وهي تتناول الرغيف الخاص بها "أمرٌ لا شأن لك به.."

بدا عدم اهتمامها بالحديث عن الموضوع، أو تظاهرها بعدم الاهتمام، أمراً مستغرباً كذلك.. لو كانت فتاة عادية كاللواتي عرفهن سابقاً، لتلاحقت الكلمات على شفيتها دون توقف، ولربما صاحب ذلك بعض الدموع والبكاء بشعور عارم من الإشفاق على النفس.. فلم تظاهر هذه الفتاة بالقوة لهذه الدرجة؟.. أهى مقتنعة حقاً أنها تستطيع أن تصبح رجلاً لو حاولت ذلك بإخلاص؟..

قرر ألا يبحث في الأمر أكثر من ذلك، وغمغم لنفسه "يبدو أن الأمور في هذه السهول ليست بالبساطة التي تبدو عليها رغم بدائية شعبها.. لكنها يمكن أن تثير التعجب والعديد من التساؤلات دون شك.."

وقضم قضمة من رغيفه الذي علقت به بعض الرمال.. لكنه في تلك اللحظة، ومع جوعه الشديد، بدأ ألد من أشهى الأطعمة التي عهدتها في عالمه السابق..

\*\*\*\*\*

مع انتصاف اليوم التالي، كانت القافلة الصغيرة قد تمكنت من الوصول لوجهتها الواقعة وسط السهول.. كان مخيم طاغار هو الأكبر الذي رآته ججي، ولم تملك دهشتها وهي تتلفت حولها متأملة الخيام الأكبر حجماً من المعتاد والأكثر زخرفة وزينة مما اعتادته في قبيلتها.. كانت الماشية التي رآوها في المراعي القريبة هائلة العدد، ومن عدد الخيم التي تراها أمامها قدرت أن تلك القبيلة مكونة مما يزيد على خمسة آلاف عائلة، وهو عدد كبير جداً مقارنة بباقي القبائل وبقبيلة (أبناء الذئاب) الذي يصل تعداد العوائل فيها لما يقارب الألف عائلة فقط..

تساءلت ججي وهي تسير بفرسها قرب أبيها "كيف تتمكن هذه القبيلة من الترحال بهذا العدد الكبير؟" قال قador بهدوء "طاغار هو الشخص الوحيد الذي تمكن من كسر القاعدة التي يلتزم بها الأكاشي.. فقد استقر في هذا الموقع الأكثر ثراءً في السهول لوجودهم قرب نبع ماءٍ وفير.. وبدأت قبيلته بالتوسع وبدأ يضم عوائل أخرى بشرط حصوله على ولائها التام.. وهو الآن، رغم أنه يقارب الثمانين عاماً، يحكم قبضته على هذه القبيلة كأفضل قائد يمكن أن يحصلوا عليه.."

قالت ججي بدهشة "لم أكن أعلم أن أمراً كهذا ممكن بين الأكاشي.."

غمغم قador "كل شيء ممكن بشيء من الحكمة وحسن التدبير.. أتمنى أن تتسع حكمة طاغار ليستوعب طلبتي هذا ويقبل الانضمام إلي.. فهو سيكون باعثاً لكثير من القبائل للانضمام إلينا دون قيد أو شرط.."

ساد الصمت أفراد القافلة الصغيرة وهم يذفون المخيم الكبير الذي امتد لمسافة واسعة من المنطقة.. وكان كين أكثرهم صمتاً ودهشة وهو يتأمل ذلك المكان الغريب بالنسبة له.. للمرة الأولى يتوغل في إحدى مخيمات الأكاشي ويقرب من حياتهم العادية.. لذلك لم يملك فضوله وهو يتأمل كل ما تقع عليه عيناه ويحاول تفسير التنظيم الذي تسير عليه القبيلة ومستويات أفرادها ومراكزهم.. لكن، لدهشته العميقة،

لاحظ أن حياة الأكاشي متساوية نوعاً ما ولا تبدو الطباقية بينهم واضحة كما هي في مملكة كشميت.. قد يملك بعضهم بيوتاً وخيماً أكبر من الباقين، وقد يملك بعضهم ماشية أكثر، لكنهم في الظاهر يبدون متساوين في اللبس والهيئة والطعام وخلافه.. وبهذا تزايد فضوله أكثر فأكثر وهو يتناسى قلقه وارتعابه الدائمين منذ فقد القافلة التي صاحبتة في رحلته وسط السهول..

توقف الراكب وسط الساحة التي تتوسط هذا المخيم، وترجل قador يتبعه البقية بينما تقدم منهم رجل من رجال القبيلة قائلاً "ما هذه الصدفة السعيدة يا قador؟.. لم نرك هنا منذ أمد بعيد.."  
صافحه قador قائلاً بابتسامة باهتة "ليست صدفة بالتأكيد.. أين طاغار؟"

أشار الرجل لحيمة كبيرة قرب الساحة، وتقدمه إليها بينما أشار قador لرجاله ل ينتظروه في موقعهم.. وسار يتبع الرجل حتى دخل الحيمة الواسعة والتي كانت مظلمة شيئاً ما مقارنة بالخارج.. تقدم قador من منتصف الحيمة حيث فرش فراش بسيط قرب موضع النار التي تتوسط الحيمة كما هي العادة، ورأى على الفراش رجلاً عظيم الهامة رغم جلوسه، بلحية طويلة كثة بيضاء، وحاجبين كثين تدليا على عينيه شبه المغمضتين، بينما استطال شعره الضعيف حتى تدلى على ظهره كخيوط من صوف الأغنام..  
وعند اقتراب قador، رفع طاغار رأسه قائلاً بصوت عميق "مرحباً بك في مخيمنا يا قador.. لقد كنت أتوقع وصولك.."

تساءل قador وهو يقترب من مجلس طاغار "يبدو أن الأخبار تطير بسرعة هذه الأيام.."  
ابتسم طاغار وقال "بالفعل.. لقد أرسلت إليّ قبيلة (رأس الرمح) تستشيرني في الطلب الذي تقدمت إليه بها.."

لم يعلق قador وهو يجلس قرب طاغار ويضع سيفه جانباً، بينما أضاف طاغار وهو يمسد لحيته الطويلة الكثة "يبدو أنهم قلقون بشدة من العرض الذي عرضته عليهم.. يخشون أن يكون الأمر خدعة منك لإزاحتهم من طريقك، ويشكّون أن تكون لديك نوايا توسعية في السهول.."

قال قador بضيق "ما هذا الهراء؟.."

علق طاغار "هذا كان رأيي بالفعل.. على توقعات كيراد بشأنك وعلى توقعاتك أنت بشأن الملك العربي.."  
رفع قador حاجبيه بدهشة للرفض المباشر الذي حصل عليه فور قدومه، ثم قال باستياء "كيف تتهمني بأن



ما أحمله إليك مجرد هراء؟.. أنت لم تستمع إليّ بعد.."

غمغم طاغار "سأستمع لكل ما لديك بالطبع.. لكنني أصرّ على أن كل تخميناتك لا أساس لها من الصحة.."

غالب قادور استياءه الشديد لهذا، وفضلّ الماضيّ قدماً في هذا الحديث عوض الاستسلام لغضبه والرحيل دون الحصول على مساندة قبيلة قوية كهذه.. فهو سيكون الخاسر الوحيد بهذه الأحوال.. سحب قادور نفساً عميقاً وهو يرتب أفكاره والكيفية التي سيطرح بها رأيه، ثم انطلق في الحديث يحدوه الأمل أن تحدث كلماته بعض التغيير في رأي طاغار..

بينما دار حديث طويل بين قادور وطاغار منفردين في الخيمة، فإن ججي جثت على الأرض بانتظار عودة أبيها وهي تغرز السيف أمامها كعادتها.. فجلس كين قريها وتساءل وهو يتلفت حوله "لقد سمعت أن العرب متحضرون كثيراً ويمتلكون الكثير من الأنظمة التي تنظم حياتهم.. لكنني دهشت لما رأيت الأكاشي يعيشون عيشة بدو بصورة همجية.."

غمم الاستياء ججي لوصفه شعبها بهذه الصورة، فقالت بحنق "نحن لسنا عرباً.. لو كان الأمر كذلك، لما رأيت هذه المعارك التي تدور بيننا وبين الملك العربي.."

فتساءل "لم أكن أعلم ذلك حتى وصلت السهول.. لكن كيف لا تكونون عرباً رغم أن لغتكم هي العربية؟"

نظرت للأعلى مفكرة للحظة، ثم عادت ببصرها إليه مجيبة "مما سمعته، أن الأكاشي في الأصل ليسوا عرباً، ولهم لغتهم الخاصة بهم.. لكن مع قريهم من العرب وتعاملهم معهم، وخضوعهم لسيطرتهم في أزمانٍ قديمة، بدأ الأكاشي يفقدون لغتهم ويتخذون العربية لغة لهم لأنها الأسهل في التواصل والمعاملات.. ما بقي من اللغة القديمة الأسماء التي نسمي بها.."

غمغم الفتى "أليس هذا ضعفاً من الأكاشي؟"

قالت ججي بحدة وحزم "ليس ضعفاً.. الأكاشي لا يتصفون بالضعف بتاتاً.. لكنها تغيرات حدثت منذ زمن بعيد ولا يمكنك أن تتهم بها شخصاً معيناً أو قبيلة معينة.."

لمحا في تلك اللحظة قادور يقترب منها، فقفزت ججي واقفة واقتربت منه متسائلة "كيف جرى الأمر؟"

لم يجبهها قادور وعبوس وجهه يدلّ بوضوح على الرد الذي حصل عليه.. وبإشارة من يده، امتطى الرجال أحصنتهم دون تساؤل وقادور يقوم بالمثل قبل أن يوجه حصانه خارجاً من المخيم بصمت..

غلب القلق الرجال لصمت قادور وعبوسه، لكن أحدهم لم يسأل عن مغزى مغادرتهم السريعة للمخيم دون أن يرتاحوا فيه ولو لوقت قصير.. وبعد أن ابتعدوا عن المخيم وعن مراعي الماشية التابعة له، أمرهم قادور بأن يعسكروا في الموقع ويقضوا الليلة هنا..

أطاعه الجميع بصمت ودون تساؤل، ولما جلس قادور جانباً واجتمع حوله بقية الرجال، تساءل كاد "ما الذي جرى بينك وبين طاغار يا زعيم؟.. هل رفض الاستجابة لمطالبك؟"

قال قادور مقطباً "لم يرفض بشكل تام.. لكنه لم يقبل كذلك.."

نظروا له بدهشة وتعجب، فأضاف "لقد أخبرني في البدء بعدم اقتناعه بالقضية التي طرحتها أمامه.. وبعد أن استمع لكل ما لديّ ولكل ما جرى لنا مع الجواسيس، وبعد إلحاح مني ليتخذ تصرفاً حازماً إزاء هذا الأمر، أخبرني عن موافقته الجزئية على ذلك.."

تساءل كاد "وما الذي تنطوي عليه هذه الموافقة الجزئية؟"

أجاب قادور "أي أنه قبل بأن يمدني بالرجال والأسلحة لو اندلعت الحرب بالفعل، لكن لن يفعل قبل أن تصله أخبار عن وصول الجيش العربي لهذه السهول.. وقطعاً لن يفعل ذلك ما لم تنضم بقية القبائل إليّ.."

قال كاد باستنكار "وماذا لو لم ترضخ بقية القبائل كما جرى لنا مع من مررنا بهم؟"

هز قادور كتفيه بقلة حيلة وقال "رغم أنني أصرت أن يكون هو البادئ، إذ سيتبعه عدد غير قليل من القبائل.. لكنه ذكر أن هذا هو بالذات السبب الذي يمنعه من ذلك.. لا يريد لباقي القبائل أن تتبع قراراً اتخذته ثم تلومه على النتائج.."

صمت الرجال وقد غمرهم ضيق شديد لهذا الفشل الذي يقابلهم في كل موقع.. ولولا ثقتهم الكبيرة بكلمة زعيمهم وطاعتهم العمياء له، لصرّح بعضهم بيأسه من هذه الفكرة وفضّل العودة للقبيلة لمواصلة حياته العادية دون الاهتمام بما قد يجري في مستقبل بعيد لا يعرفه أحد..

في تلك الليلة، اقتربت ججي من أبيها ووقفت خلفه حيث انعزل عن البقية في جانب المعسكر.. كان مستغرقاً في تفكير عميق، ولم تفتها تلك الزفرات التي يطلقها بين حين وآخر.. عندها قالت "أبي.. ما الذي

تنوي فعله الآن؟.. هل ستذهب لإقناع قبيلة أخرى بالانضمام إلينا؟.."

غمغم قادور "كنت أمل أن يحدث طاعار تغييراً في هذا الموضوع.. لا أدري لم يستهين الكل بأمر ذلك الملك الذي يهدد أمننا بهذه الصورة؟!.."

تساءلت ججي "لأنه قد أمضى عشر سنوات منذ بدأ بتأسيس مملكته تلك.. أليس كذلك؟.. إنه لم ينجح طوال تلك السنوات في تخطي الجبال والتغلب على الأكاشي أبداً.. فما الذي يقلقك الآن؟"

نظر قادور للهِلال الذي اعتلى صفحة السماء بصمت للحظات، فاقتربت ججي وجلست قربها قائلة "أما أن لك أن تكف عن هذا القلق وتهتم لشؤون قبيلتنا يا أبي؟"

قال قادور وهو ينظر إليها "هناك علامات توجب قلقي أكثر فأكثر في الشهور الماضية.. ولا يمكن لعاقل أن يغفل عنها.. أولاً هناك أمر القوافل التي كانت تمر عبر السهول في الطرق التجارية المعتادة، وأغلبها قوافل عربية.. لقد بدأت تتناقص منذ سنتين تقريباً حتى كادت تختفي رغم أن طريقها الذي يمر عبر السهول من أكثر الطرق التجارية أهمية في المنطقة.."

قالت ججي باهتمام "سمعت أنهم يخشون من هجوم الأكاشي عليهم واتهامهم بأنهم جواسيس.. ألم يحدث هذا مع القافلة الأخيرة التي التقينا بها؟"

أجاب قادور هازماً رأسه "لا.. عندما بدأت القوافل تتقلص، لم تكن هناك أي حوادث اعتداء من الأكاشي عليها ولم تنتشر شائعات مثل تلك قبلها.. مع اختفاء القوافل بدأنا نعثر على أنماط غريبة من القوافل والأفراد، لا تحمل بضائع ولا تسير في مسار القوافل التجارية المعتاد.. ومع البحث والتقصي أدركنا أنهم جواسيس للملك العربي وقد انتشروا في السهول كلها.. وهنا بدأ الأكاشي بملاحقتهم وقتلهم للتخلص من خطرهم وما قد يحملونه من معلومات عنا لأعدائنا.."

ظلت ججي تستمع إليه باهتمام وهو يضيف "بدأت الأسلحة والمعدات التي نملكها تتناقص بسبب تخلي بعض التجار عن التعامل معنا ورفضهم بيعنا للمواد اللازمة لصنعها.. نحن نصنع الأسلحة بأنفسنا، لكننا نحتاج لبعض المواد والمعدات التي تمكننا من ذلك.. ونجلب أغلب ما نريده من بعض المدن القائمة في الشمال.. وهذا الرفض من أعجب ما مر بي، فكيف يتفق عدد كبير من التجار من مدن متفرقة وبعيدة عن بعضها البعض على كلمة واحدة وفي وقت واحد تقريباً؟.. ألا يدلُّك هذا أن للملك العربي يدٌ في هذا

لحرماننا من العون؟"

قالت ججي بدهشة "لكن ما شأن الملك العربي بتلك المدن الشمالية؟.. إنها ليست تابعة له.. أليس كذلك؟"

أجاب قادور زافراً "لكنها موالية له منذ عدد من السنين.. لذلك يمكنه الضغط على ملوكها لتسيير التجارة بما يوافق مصالحه.. ثم جاء حديث أولئك الجواسيس الذين قبضنا عليهم قرب مخيمنا لتؤكد أن كل شكوكي كانت حقيقية.."

شدت ججي قبضتها على السيف في حزامها وهي تقول بتوتر "أنت واثق مما تقوله يا أبي؟.. لمَ إذن يرفض الأكاشي تصديقك بهذه الصورة؟"

قال قادور بحزم "لا أدري.. لكن لن يسعهم إلا الندم عندما يهاجمهم الملك العربي وهم بغفلة من الأمر.. وأنا لا أتمنى رؤية هذا يحدث.."

قالت ججي بحماس "لا تقلق.. حتى لو فوجئنا بهجوم من أعدائنا، فنحن لن ننكسر بسهولة.. الأكاشي هم الأقوى والأكثر شجاعة بكل تأكيد.."

ابتسم قادور معلقاً "لا أشك بذلك يا جام.. لكن ليت الأمر يُحسم بالشجاعة والقوة فقط.."

قاطعها صياح من أحد الرجال وهو يقول "يا زعيم.. هناك فرقة صغيرة من ثلاث رجال تقترب منا.. نهض قادور وأسرع إلى البقية متسائلاً "هل علمتم هويتهم؟"

أجاب الرجل "من الصعب ذلك في هذه الليلة المظلمة.. لكن يبدو لي من خوذاتهم ذات القرون أنهم من الأكاشي.."

وقفت ججي قرب البقية تتأمل الفرقة الصغيرة التي تقترب منهم بشكل حثيث.. كانت قادمة من اتجاه معاكس للموقع الذي يقع فيه مخيم طاغار، لذلك كانوا متأكدين أنهم ليسوا مبعوثين من طرفه.. فمن هم إذاً؟..

توجس الجميع وهم يتحفزون لاستقبال هؤلاء الرجال المجهولين، حتى باتوا على بعد عدة خطوات من المعسكر فقاموا بإيقاف أحصنتهم بحدة وأحدهم يصيح "هل الزعيم قادور هنا؟"

اقترب قادور عدة خطوات وهو يتساءل "من المتحدث؟"

قفز الرجال الثلاثة من على أحصنتهم وتقدم أولهم ليركع أمام قادور قائلاً "يا زعيم.. لقد أتينا من المخيم بناءً على طلب سادر برسالة عاجلة إليك.."

تعرف قادور في المتحدث وجه أحد رجال القبيلة، فتساءل "تحدث بما عندك.."

فقال الرجل وهو يقف بتوتر "بعد رحيلكم بأيام معدودة، جاءتنا فرقة من الأكاشي ينتمون لقبيلة (نجم الشمال) المتاخمة للجبال الشرقية.. كانوا في حالة يرثى لها، ومعهم القليل من النسوة والأطفال، بالإضافة لأخبارٍ سببت لنا قلقاً كبيراً.."

تحلق الجميع حوله وهم ينصتون باهتمام وقلق كبيرين، بينما أضاف الرجل "قبيلة (نجم الشمال) قد تعرضت لهجوم غادر وقوي من جيش الملك العربي.. ورغم مقاومة رجال القبيلة بكل ما يملكونه فإن جيش الملك تمكن من القضاء على مقاومتهم والتخلص منهم بعدها وتدمير المخيم بشكل كامل.."  
اتسعت الأعين بصدمة كبيرة بينما قطب قادور بصمت والرجل يضيف "لم ينجُ من هذا الهجوم إلا الفرقة التي لجأت إلينا.. وقد لجأت لقبيلتنا بالذات بوصية من زعيمهم قبل مقتله، نسبة للعلاقات المتينة بيننا وبينهم منذ سنوات طويلة.."

فقال قادور باستنكار "كيف حدث كل ذلك؟.. لقد أخبرنا الجواسيس أنه سيستغرق عدة أسابيع للوصول للجبال التي تفصلنا عنهم..!"

فقال الرجل بتوتر شديد "لم يصل الجيش بعد.. هذه فرقة متوسطة من جيش الملك العربي وصلت للسهول.."

غمغم قادور بصدمة "فرقة متوسطة فقط فعلت كل هذا؟"

ثم نظر لرجاله مضيفاً "ظني أن هذه الفرقة قد أتت للتمهيد لوصول الجيش.. لئلا يباغت بهجوم عليه فور تخطيه الجبال وبعد رحلة منهكة سيخوضها لتجاوزه.."

قال كاد بقلق "ما الرأي الآن يا زعيم؟.. ما عاد يمكن السكوت على هذا الأمر.."

فقال قادور بحزم "نعود لما انطلقنا له.. سأتحدث مع طاغار من جديد، وهذه المرة سيقنع بما أقوله دون جدال.."

أسرع أحد الرجال يجذب حصانه إليه، فامتطاه قادور وانطلق مع رجلين من رجاله نحو مخيم طاغار من

جديد.. بينما بقيت ججي تراقبهم بقلق وشيء من الانفعال.. يبدو أن الحرب وشيكة بالفعل.. وهي بقدر خشيتها منها بقدر ما هي منفعلة لما يجري حولها من أحداث.. إن ما يجري الآن أكثر إثارة من البقاء في المخيم والانشغال ببعض الأعمال العادية التي لا تتغير أو تتبدل يوماً بعد يوم..

وفي مخيم طاغار الذي سكن مع اقتراب منتصف الليل، اندفع قادور نحو خيمة طاغار دون أن يعبأ بالرجل الذي يحرس الخيمة وقد حاول إيقافه.. وفي الداخل، رأى طاغار مجتمعاً مع بعض رجاله وقد نظروا لقادور بشيء من الاستنكار.. بينما قال الرجل الذي كان يحرس الخيمة "لقد حاولت منعه من الدخول يا زعيم.. لكنه أبى ذلك.."

تساءل طاغار بهدوء "ما معنى ما حدث يا قادور؟.. لقد أخبرتك برأيي الصريح على طلبك، فما الذي تملك قوله بعد هذا؟"

قال قادور بحزم "أتيت لأخبرك أن الرأي قد خانك للمرة الأولى يا طاغار.."

قال أحد الرجال باستنكار "ما الذي تقوله يا قادور؟.. هل أتيت للهزء بزعيمنا؟"

فقال قادور بصوت أعلى متجاهلاً اعتراض الرجل "لقد أخبرتني أن رأيي بخصوص الملك العربي مجرد هراء.. شكوكٌ لا أساس لها من الصحة.."

قال طاغار "ومازلت أظن ذلك.."

فقال قادور بحزم "هذه الشكوك التي لا أساس لها من الصحة قد وصلت لحدود السهول، وهجمت على قبيلة (نجم الشمال) بغفلة منهم.. وقد أبيدت تلك القبيلة بشكل شبه كامل إلا من شراذم تمكنت من الهرب قبل أن تصلها يد الجنود العرب.."

قفز الرجال واقفين باستنكار شديد، بينما ظل طاغار ينظر لقادور بصمت لوقت طويل.. ثم خفض بصره وقال "هذا يقلب الأمور رأساً على عقب.."

فقال قادور "لقد حذرتكم من هذا.. ورغم ذلك، فقد جرى الأمر أسرع مما توقعت أنا.."

تنهد طاغار وغمغم "بهذه الحالة، لا أملك الصمت إزاء ما جرى.."

قال أحد الرجال بعد صمت "ولمَ علينا أن نعبأ لأمر تلك القبيلة؟.. لم نكن على وفاق معهم على كل حال.."

نظر له قادور باستياء وقال "أتظن أن الملك العربي قد أتى ليخلصكم من أعدائكم؟.. إنه يسعى للتخلص منا جميعاً.. إلا لو كنت تريد أن تحني رأسك للملك بمذلة على أمل أن يستبقيك على قيد الحياة.."  
علق طاغار قائلاً "هذا ما لا نرضى به.. وما جرى لقبيلة (نجم الشمال) سيجري لنا بالتبعية لو صممتنا على هذا.."

ثم أشار لقادور قائلاً "اجلس يا قادور.. يبدو أن حديثنا سيطول هذه المرة.."  
وفي هذه المرة، كان قادور أكثر ثقة بالنتائج التي سيحصل عليها من هذه المناقشات مع التطورات الأخيرة..

\*\*\*\*\*

مع فجر اليوم التالي، كان عدد من رجال قبيلة طاغار قد انطلقوا في مهمة محدودة ولكل منهم وجهة مغايرة للبقية.. فكل منهم حمل رسالة شفوية من طاغار إلى زعماء عدد من أكبر وأقوى القبائل في السهول، وبدعوة مؤكدة لإجراء اجتماع عاجل وسريع لا يحتمل التأجيل، مع التشديد بأن يتم الاجتماع ليلة اكتمال القمر القادم بعد ما يقل عن عشرة أيام..

بقي قادور معسكراً خارج مخيم طاغار رافضاً دعوته للبقاء في خيمة يخصصها له.. وقد قام بإرسال بعض رجاله في مهمة عاجلة وهي استطلاع ما جرى لقبيلة (نجم الشمال) وتحديد ما فعلته تلك الفرقة بعد احتلالها ذلك الموقع.. هل باشرت بالسير نحو موقع آخر والاشتباك مع قبيلة أخرى أم أنها فضّلت الحفاظ على موقعها انتظاراً للبقية فرق الجيش التي ستلحقها عما قريب؟..

في تلك الأثناء، كان كين منزوياً كعادته في جانب المعسكر يستمع لما يصله من أحاديث.. وقد بدا الهم والقلق أشد ما يبدو على ملامحه.. وقد علقت ججي على ذلك قائلة "ما بالك؟.. هل أفزعك ما يجري؟"  
قال بقلق "أليس ذلك بديهاً؟.. الحرب على وشك أن تشتعل في هذه السهول، وأنا لا دخل لي فيها.. فما الذي أفعله هنا؟"

فقال ججي بغير اهتمام "إذن ارحل.."

نظر لها بشيء من الضيق.. أتهازأ به؟.. بعد أن قتلوا رفاقه وتخلصوا من وسيلته الوحيدة للترحال في هذه

السهول، تطالبه بالرحيل بكل بساطة؟ .. إنها واثقة وتحلى بشجاعة لأنها محاطة بجمع كبير من بني قومها، لكنه وحيد.. وحيد ولا يأمن على نفسه البقاء ولو لليلة واحدة وسط هذه السهول..

سمعها تسأله "هل تخشى الموت؟"

قال بضيق "ألا تخشيه أنت؟"

أطلقت ضحكة قصيرة وعلقت قائلة "لقد تهددت الموت بالقتل عندما كنت في الخامسة من عمري..".  
نظر لها بدهشة وهي تضيف "لم أكن وقتها أفهم معنى الموت.. كل ما أعرفه أنني فقدت أخي الأكبر سيجان بسببه.. كنت وقتها غاضباً وحزيناً لفقده، وقد عاهدت أبي أنني سأقضي على هذا المسمى موتاً فور رؤيتي له وأستعيد سيجان منه.."

غمغم كين "أكنت حمقاء بهذه الصورة؟"

قالت باعتراض "كنت صغيراً جداً.. كما أنني كنت أحب أخي سيجان فهو لطيف ورفيق معي.. لذلك، لا أظني أخشى الموت حقاً بل أخشى الهزيمة والانكسار.. وهما أمران يبغضهما الأكاشي بشدة..".  
صمت كين وهو منطوٍ على نفسه.. يزداد تعجبه من هذه الفتاة في كل مرة يتحدث فيها معها، وتزداد دهشته من الأكاشي ومن حياتهم الغريبة هذه.. أن يخشى المرء الهزيمة ولا يخشى الموت.. أن يقضي حياته مرتحلاً من موقع لآخر ويبغض الاستقرار والتطور.. أن يحمل هذا الفخر بأصله وهذه الكبرياء رغم أنه شعبٌ لا يشكل إلا نقطة صغيرة في بحر شعوب هذا العالم الواسع.. ما الذي يجعل الأكاشي مختلفين بهذه الصورة؟..

ورغم الأيام القليلة التي قضاهما وسطهم، فإنه لم يحصل على إجابة مقنعة لكل هذه الأسئلة..

\*\*\*\*\*

مضت أيام هادئة على المعسكر الذي أقامه قador ورجاله على مقربة من مخيم طاغار، قبل أن يبدأ توافد زعماء القبائل الأخرى بتتابع.. ورغم أن هذا يحقق مسعى قador الذي بذل فيه جهده مراراً، لكن ذلك لم يكن يملأ صدره بأي سعادة مع الأخبار التي تتوالى عن جيش الملك العربي..



فقد علم قادور من رجاله الذين عادوا من رحلة الاستطلاع التي قاموا بها أن الفرقة التي سبقت الجيش قد استقرت في مخيم قبيلة (نجم الشمال) المدمر بشكل كامل.. فبدأ واضحاً أنها تنتظر قدوم باقي فرق الجيش لتبدأ غزو هذه السهول..

وفي اليوم المحدد، اليوم الثالث عشر من الشهر القمري، كان الزعماء المدعوون قد اكتملوا وعسكروا في جوانب قريبة من مخيم طاغار.. وفي تلك الليلة، توجه قادور لحضور الاجتماع مع رجلين من رجاله تاركاً البقية في المعسكر، فوجد المخيم وقد ازدحمت ساحته بجماعات من مختلف القبائل التي صاحبت زعمائها في هذا الاجتماع غير الاعتيادي.. كان مثل ذلك الاجتماع نادر الحصول، إن لم تكن هذه هي السابقة الأولى في تاريخ الأكاشي.. ففي المعتاد لا يجتمع أكثر من ثلاثة زعماء معاً لمناقشة أمر حرب من الحروب الدائمة بين القبائل أو للتوصل لمعاهدة جديدة تجمع بينهم وتؤلف حلفاً جديداً يقوي أو اصر العلاقة بينهم.. وعندما التقى قادور بكيراد، زعيم قبيلة (رأس الرمح) في ساحة المخيم، قال الأخير بضيق "هل نجحت في التأثير على طاغار بكلماتك يا قادور؟"

قال قادور تعليقاً على ذلك "أتظن أنني لفتت أمر ذلك الهجوم لأقنعه بهذا الأمر؟"

لم يجب كيراد وهو يتجه إلى خيمة طاغار تابعاً من سبقه من الزعماء، وعددهم لا يقل عن عشرة رجال، فتبعه قادور داخلاً الخيمة التي عبقت برائحة الشاي العطري التي لم تفلح في إزالة رائحة دخان الأعشاب التي يدخنها بعض الرجال بغلايينهم.. فجلس قادور في موقعه ملاحظاً الاستياء على أغلب الزعماء وقد اضطرب بعضهم للجلوس في موقع واحد مع أحد أعدائهم، أو ضيقهم من نجاح قادور في جمعهم رغم رفضهم السابق والصريح له.. وأخيراً تحول انتباههم إلى طاغار الذي قال بصوته المتحشرج "لا بد أن الاستياء يغمركم لهذا الاجتماع الغريب، فبعضكم لا يحاول إخفائه من وجهه.. لكن أن الأوان لنجتمع ولو مرة واحدة على كلمة واحدة.. فنحن نواجه خطراً كبيراً كنا نتفادى التفكير به لسنوات طوال.. لكن ما جرى لا يمكن السكوت عليه.."

ثم أضاف مقلباً بصره بين الزعماء "أنتم تعلمون أنني أحاول جمعكم على كلمة واحدة منذ أكثر من ثلاثين عاماً.. لكن عناد الأكاشي مشهور ولا يمكن التغلب عليه.."

فقال أحد الرجال باستياء "كنت تريد جمعنا تحت زعامتك، ولم ترضَ بالتخلي عنها.. فكيف تتهمنا بالعناد

وَأنت تفوقنا في ذلك؟"

قال طاغار بهدوء "لو كنت أعلم أنك تمتلك بعض الحكمة يا براد لوليتك الزعامة دون تردد.."

أمسك براد سيفه الذي وضعه جانباً وقال بغیظ "وهل أتيتُ هنا لتهزأ بي؟"

أمسك أحد الرجال يده لتهدئته بينما قال طاغار "لا.. بل أتيتكم أنا بدعوة واضحة لنسيان خلا فاتكم وعداواتكم التي لا تهدأ للحظة.. فهل يمكنكم ذلك؟"

ساد الصمت الرجال دون أن يبدو الاقتناع على الوجوه، فزفر طاغار بحدة وقال بصوتٍ أعلى "حسناً.. إليكم رأيي في الأمر.. إن لم تجتمعوا اليوم على كلمة واحدة، فلا سلطة لأحد عليكم.. لكن عندما تواجه قبيلة كل واحد منكم هجوماً من الجيش العربي وتتم إبادة تامة، فنحن نرفض المعاونة في صدّ هجومهم عنكم ونرفض استقبال من يهرب من تلك القبيلة ليلجأ إلينا مستغلاً ما نملكه من خيرات ومستفيداً من الحماية التي سيحصل عليها معنا.. أیكون هذا الحل أكثر ملائمة لعقولكم؟.."

فقال قادور "لا أظن الأمر الذي ندعو إليه بهذا السوء.. نحن لا نريد منكم مالا ولا نريد التدخل في أموركم.. نريد أن تجتمع القبائل على كلمة واحدة وتسير رجالها في جيش واحد لمواجهة الجيش العربي.. كل قبيلة تدافع عن نفسها وعن مركزها وكل ما تملكه، وهذا سيكون الدافع الوحيد لكم للانضمام إلينا.."

فقال براد دون أن يخفي استياءه "ولمن ستكون قيادة الجيش ذاك؟.. لك أم لطاغار؟"

قال طاغار "أنا لن أتمكن من المشاركة، فكما تعلمون لم أعد قادراً على امتطاء ظهر حصاني.. لذلك سأرسل من ينوب عني من الرجال.."

فقال قادور "منعاً لنشوب أي خلافات، وهي لا بد ستطفو في حلف غير مسبوق بين الأكاشي مثل هذا، فأنا أرى أن نقوم بتعيين أربعة منا لقيادة هذا الجيش، على أن تتم القرارات فيه بالتشاور ولا ينفرد بها أحد.."

التفت طاغار حوله معلقاً "هل هذا يرضيكم؟.. أنتم تعلمون أننا لا نملك وقتاً طويلاً للتشاور في الأمر.."

فقد مرت عدة أسابيع منذ حدث ذلك الهجوم، ولا نعلم أين وصل الجيش العربي الآن.."

قال قادور "لقد أرسلت فرقة من رجالي لمراقبة الجيش وإبلاغنا بتحركاته.. حتى الآن هم معسكرون في مخيم قبيلة (نجم الشمال)، ولو قاموا بأي تحرك فسيصلنا خبرهم بأسرع ما يمكن.."

غمغم طاغار "حسناً فعلت.."

فقال براد بضيق "تبدو لي موالياً لقادور وتحابي كل ما يفعله يا طاغار.."

قال طاغار بصرامة "لأنه لم يفعل إلا الصواب.. ما السيئ في خضوعكم لاتفاقٍ واحدٍ مرة على الأقل؟.. إنه لن يחדش كبريائكم المزعوم بأكثر مما سيفعله الجيش العربي عندما يدمر مخيماتكم ويسبي نساءكم ويقتلكم شر قتلة.."

تلقت كيراد حوله في وجوه الزعماء الذين بدوا في صراعٍ حول قبولهم هذا الأمر أو رفضه، ثم قرر أن يكون هو البادئ، فاعتدل في مجلسه ووضع سيفه أمامه قائلاً "أنا أثق بك يا طاغار وأثق برأيك السديد دائماً.. قادور أيضاً رجل ذو حكمة نعرفها تمام المعرفة.. لذلك، سيكون سيفي وسيف رجالي تحت تصرفكما ما لم يؤد الأمر لخضوع قبيلتي لأي قبيلة أخرى.."

فقال طاغار "وأنا أضمن ألا يتم ذلك.."

تطلع بقية الزعماء في وجوه بعض بصمت، ثم بدأوا بالموافقة على المشاركة واحداً تلو الآخر.. فما يعرفه الأكاشي حق المعرفة، أنهم رغم قوتهم وشجاعتهم لا يمكنهم أن يواجهوا جيشاً كبيراً كجيش الملك العربي فارس.. كما أن الإمكانيات الضعيفة التي يملكونها، وخذلان التجار لهم في السنوات الماضية قد أضربهم بشكل أكبر مما قد يتخيله المرء..

وبعد أن تأكد طاغار أن القبائل العشر، ومن يواليهم من القبائل الأخرى، قد استقرت على رأي واحد، قال للزعماء الماثلين أمامه "لدينا يومان اثنان لنستقر على رأي واحد بخصوص هذه الحرب الوشيكة.. أريد أن أعرف كم رجلاً ستقدم كل قبيلة وكم سيفاً ودرعاً يمكنها توفيره.. من سيتكفل بالموونة ومن سيتقدم لتجهيز الموضع الذي سيعسكر فيه الجيش دون أن نفاجاً بهجوم غادر من الأعداء.. يجب أن نتفق على كل أمر مهما كان صغيراً قبل أن يعود كل زعيم لقبيلته فيحشد رجاله ويلتقي بالبقية في الموقع الذي سنحدده الآن.. لا نريد أن نغفل عن أي أمرٍ قد يسبب الفرقة والشقاق في صفوفنا قبل أن نهزم عدونا ونبعده عن أرضنا وللمرة الأخيرة.."

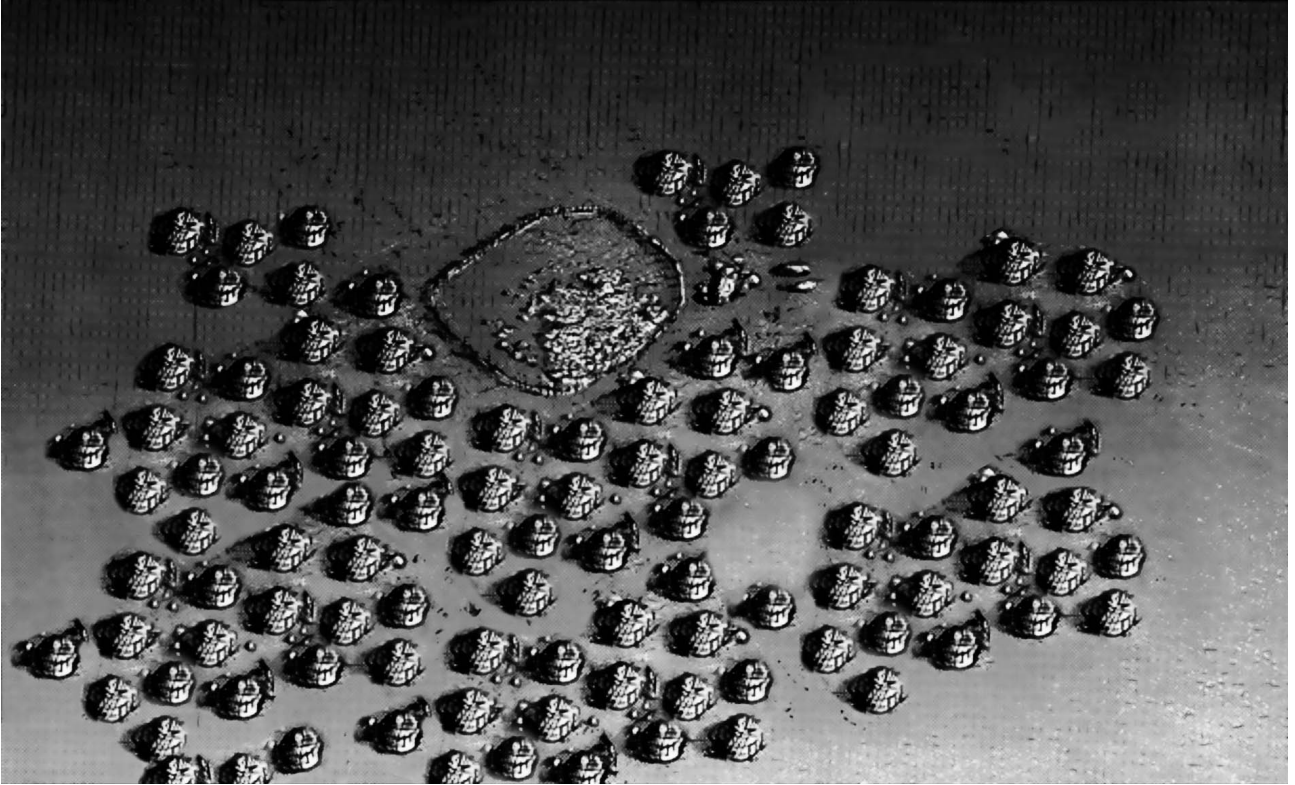
هز الرجال رؤوسهم موافقين قوله، فأضاف وهو يرفع يده بكوبه "فليكن اجتماعنا على كلمة واحدة في هذا اليوم هو بداية لاتحاد الأكاشي جميعهم في مستقبلٍ قريب.. هذا ما تمنيته منذ زمنٍ طويلٍ ومازلت أتمناه

وأرجوه.."

غمغم قador وهو يرتشف رشفة من كوبه "أنت متفائلٌ يا طاغار.."

ابتسم طاغار معلقاً "التفاؤل خيرٌ من غيره بالتأكيد.."

\*\*\*\*\*



## الفصل السادس {يوم اللقاء}

مع فجر اليوم الثالث، كانت الفرق المنتمية للقبائل العشرة قد بدأت انطلاقها في رحلة العودة لمخيماتها.. وفي الآن ذاته، كان قادور يجتمع مع ثلاثة من أخلص رجاله وهو يقول لهم "أنا سأنتقل مع بقية الرجال نحو موقع اللقاء الذي حدده الزعماء قريباً من مخيم قبيلة (نجم الشمال).. عليكم أن تعودوا برسالتي هذه إلى سادر بأسرع ما يمكنكم.. على سادر أن يجمع كل رجلٍ قادرٍ من رجال القبيلة ويزودهم بكل ما يحتاجونه من مؤونة ومن أسلحة ودروع وخيل.. فليحتفظ بخمسين رجلاً لحماية القبيلة وليبقَ هو فيها نيابة عني، وليرسل لي بقية الرجال بكل عتادهم ليلاقوني في الموقع الذي سأحدده لك.."

قال أحد رجاله "سيستغرق هذا بعض الوقت منا يا زعيم.."

قال قادور بحزم "أريد أن أجد الرجال أمامي في مدة أقصاها أسبوعٌ واحد.. نخيمنا ليس بعيداً عن مخيم قبيلة (نجم الشمال)، والوقت ليس ملائماً للاسترخاء والمهاملة.. احرص على أن تجلب لي بضع رجال من قبيلة (نجم الشمال) الذين لجؤوا إلينا سابقاً.. سنحتاج لكل ما يمكننا معرفته عن موقع العدو وما يمكننا استغلاله لهزيمته.."

هز الرجال رؤوسهم موافقين، وغادروا دون إبطاء لتنفيذ أمره.. وعند خروجهم، دخلت ججي الخيمة قائلة "أهي الحرب حقاً يا أبي؟"

أجاب قادور "أجل يا جام.. فهل أنت خائف؟"

جلست ججي قريبة منه وقالت "لا.. لكن، هل ستسمح لي بالمشاركة فيها؟"

نظر لها قادور مفكراً وهي تضيف برجاء "أرجوك يا أبي.. هذه هي الحرب الأولى التي سأشهدها، ولا أريد أن تفوتني فرصة المشاركة فيها.. فاسمح لي بأن أشارككم بكل ما أملك.."

ربت قادور على كتفها قائلاً "حسناً.. سأسمح لك بذلك، شرط أن لا تتعدى الدور الذي سأرسمه لك.."

هتفت ججي بفرحة ظاهرة "أعدك بذلك يا أبي.. لن أخالف أمرك أبداً.."

فقال قادور "إذن استعد.. سنرحل بعد قليل.."

قفزت ججي واقفة وغادرت الخيمة بحماس شديد.. وفي الخارج، رأت كين يقف بانتظارها وقد قال بذعر واضح لدى رؤيته لها "أصحيح ما سمعته من البقية؟.. أنتم ذاهبون لمواجهة الجيش العربي؟"

قالت ججي بحماس "أجل.. سنرحل حالاً، وقد وافق أبي أن أشاركهم في هذه الحرب.."

ثم قالت وهي تنطلق نحو الغبراء التي ربطت لجامها في شجرة قريبة "أنا بأشد الحماس لهذه التجربة.. لقد خشيت للحظة أن يعيدني أبي للقبيلة دون أن يسمح لي باللحاق بهم.."

قاطعها كين وهو يصيح "أنت مجنونة.."

نظرت له ججي مقطبة بينما قال كين بعصبية "أنت لازلت طفلة.. مهما تدربت ومهما أصبحت أكثر مهارة في استخدام السيف، فستظلين أضعف من أن تواجهي رجالاً بالغين في حربٍ شرسة لا تعرف هوادة.."

قالت ججي بغیظ "لا أسمح لك بذلك.. أنا رجل، ولن أكون أقل عن بعض الرجال في هذه الحرب.."

صاح كين بحنق "وما الذي تعرفينه أنت عن الحرب؟.."

سمعا صوت قادور وهو يقول "ما هذا الصياح؟.."

فقالت ججي بضيق "كين يظني لا أقدر على المشاركة في هذه الحرب، وأني لن أكون كبقية الرجال أبداً.."

علق قادور قائلاً "وهل تعباً لما يقوله هذا الغريب؟"

أسرعت ججي تقول بحزم "لا.."

فقال قادور "إذن اذهب واستعدّ كما طلبت منك.."

استدارت ججي مغادرة دون اعتراض، بينما وقف كين شاحب الوجه أمام قادور الذي ثبت نظراته عليه، ثم قال بهدوء "أخبرني أيها الكشميتي.. ما الذي تنوي فعله الآن؟.. ألم تكن ترغب بالرحيل؟"

قال كين بشحوب "وكيف أرحل وحيداً دون زادٍ يكفيني وبلا قافلة أصحابها؟"

فقال قادور "هذا ما لا شأن لنا به.. نحن مقبلون على حربٍ كما تعلم، ولسنا في وقتٍ يسمح لنا بمنح ما نملكه لغريب.. لذلك، عليك أن تقرر ما ستفعله الآن.. إن كنت تريد الرحيل فارحل، وإن بقيت معنا،

فعليك أن تكون مفيداً لنا على الأقل.."

خفض كين وجهه بصمت دون أن يعثر على إجابة يمكنه أن يجيب بها، عندها غادر قادور تاركاً كين غارقاً

في حيرة تامة مما عليه فعله في الأيام القادمة مع نذر الحرب الوشيكة..

\*\*\*\*\*

بعد مسير امتد لأيام طويلة، وصلت فرقة قادور للموضع الذي عسكر فيه رجاله ممن أرسلهم لمراقبة الجيش العربي.. كان ذلك الموضع يبعد مسافة آمنة من موقع الجيش وفي مكان يسمح لهم بالاختباء عن أعين جواسيسه.. وقد كان قادور هو الأول وصولاً من بين الزعماء الأربعة ومن بين جميع فرق الأكاشي التي يتوقع منها الوصول خلال الأيام القادمة..

وبينما عسكر قادور في ذلك الموقع متخذاً إحدى الخيم كمجلس له يتلقى فيه الأخبار من رجاله، فإن ججي قد قضت أوقاتها تتدرب على الرماية بالسهم لتحسين مهاراتها أكثر من السابق.. لم يكن لديها ما تفعله، ولم يسمح لها قادور بالتجوال على ظهر الغبراء لئلا تلفت إليها الأنظار وتثير انتباه جيش الأعداء لوجودهم.. لذلك اكتفت ججي بالتمرين أغلب الأوقات بينما جلس كين يراقبها بصمت لفترات طويلة..

ثم غمغم وقد أشعرته مباحثتها بالضيق "وما الفائدة من كل هذا؟.."

تساءلت وهي تشدّ الوتر بسهم جديد "ما الفائدة من ماذا؟"

قال ملوحاً بيده "ما الفائدة من كل هذا؟.. أتصدقين أن يتمكن رجال الأكاشي بسيفهم وسهامهم من القضاء على جيش منظم يمتلك بندق ومدافع ستبيدكم في لحظات؟"

أطلقت ججي سهمها ليصيب الشجرة التي استخدمتها كهدف، ثم نظرت إلى كين معلقة "وما الحل برأيك؟.. أن نستسلم ونزوي في خيامنا حتى يصل إلينا الأعداء ويقتلوننا؟"

فقال كين "يمكنكم الاستسلام ببعض الشروط التي تحفظ دماءكم.."

قالت ججي باعتراض "الأكاشي لا يلجؤون للاستسلام.."

فعلق بضجر "وهل يفعل الأكاشي أمراً إلا القتال وقتل بعضهم البعض.."

نظرت له بسخرية قائلة "وهل يمكنك أنت أن تفعل خيراً من هذا؟.. ما الذي ستفعله في هذه الحرب الوشيكة؟"

ظل كين مطرقاً لبعض الوقت، ثم قال بمرارة "وما الذي يمكنني فعله؟.. لو حاول أحدهم قتلي، فلن أستطيع الدفاع عن نفسي ولو للحظات.."

نظرت له ججي بشيء من الاهتمام، ثم قالت "لطالما قلت إنك بحاجة لشيء من التدريب حتى تواجه المخاطر.. الكثير من التدريب في الواقع.. لكن مع المعركة الوشيكة، لا يسعنا إلا القيام بإجراءات حاسمة لحل هذا الإشكال.."

نظر لها باستغراب متسائلاً "ماذا تعنين؟"

تركته عائدة لخيمة أبيها بصمت وهو يراقبها مستغرباً، ولم تلبث أن عادت حاملة سيفها، وسيفاً آخر قائلة "انهض.."

كان يودّ رفض ما تطلبه منه وهو مدرك أنه لن يعجبه بحال، لكنه لم يعترض وهو ينهض فيقف مقابلاً إياها وججي ترمي السيف عند قدميه قائلة "يبدو لي أن جرح ذراعك السابق قد غدا أفضل حالاً.. لذا، احمل سيفك وبارزني.."

قال بقلق "لا أظني بحاجة لذلك.."

قالت بحزم "أطع ما أقوله لك.. بارزني حتى تتغلب عليّ أو تعجز ذراعك عن حمل السيف بشكل تام.. لن نتوقف لأي سبب آخر.."

حمل كين السيف بشيء من التردد.. فقالت ججي "اهجم عليّ.. هيا.."

أمسك كين السيف بيديه الاثنتين بسبب وزنه الثقيل وهو يتعجب من قدرة ججي الأصغر سناً على حمله بيد واحدة.. لكنه بعد تردد اندفع نحو ججي وهو يطوح السيف نحوها، لكن ججي التي لم تتحرك من موقعها واجهت ضربته بضربة من سيفها أطارت سيفه بعيداً.. تراجع كين خطوة وهو يمسك يده بشيء من الألم بسبب تأثير الضربة عليها.. فقالت ججي "عليك ألا تجعل هجومك واضحاً لعدوك بل تباغته.. حاول من جديد.."

غمغم كين "أيجب أن نفعل ذلك حقاً؟"

قالت ججي بإصرار "استعد سيفك يا كين وبارزني.."

تراجع كين بخطوات مثقلة نحو السيف الذي سقط جانباً، ثم حمله وعاد نحو ججي وهو يقف بشيء من



التأهب.. وبعد لحظة اندفع نحوها من جديد محاولاً تسجيل نقطة لصالحه، لكن مرة بعد مرة كانت ججي تفلح في صدّ ضرباته وفي كثير من الأوقات ترمي سيفه بعيداً.. ولم تتردد في إحدى المرات من تجاوز ضربة من سيفه وهي تنحني وتضرب ركبته من الخلف بمقبض سيفها بحيث أسقطته أرضاً على ظهره.. عندها وقفت وقالت "أنت بالفعل بحاجة لجهد كبير.. ألا يمكنك أن تنجح في ضربة واحدة على الأقل؟.. لو كانت الضربات المباشرة صعبة عليك، فيمكنك اللجوء لبعض الحيل كما فعلت معك الآن.."

شعر كين بالضيق، وقال وهو ينهض نافضاً ملابسه "لا أظني بحاجة لذلك الآن.. لقد اكتفيت من هذه التمريعات.."

واستدار مغادراً ليصل لسمعه قول ججي بشيء من الهزاء "يا للضعف الذي أنت عليه.. هل ستهرب حقاً؟"

التفت ينظر إليها مقطباً، فأضافت بابتسامة متسعة "أأنت رجل حقاً؟"

هتف كين بانفعال "أنا رجل.. لم تتهميني بهذا الشكل المهين؟.."

قالت ججي بسخرية "حقاً؟.. أنت لا تملك أي عضلات، وبشرك أنك من أجمل فتاة في القبيلة.. كيف تطلق على نفسك لقب رجل وأنت لا تقدر على حمل هذا السيف بذراع واحدة؟.."

نظر لها كين بوجه محتقن وقال "سأقدر على ذلك.. سأثبت لك أنني رجل.."

مالت تجاهه وهي تقول بهزاء "أتحداك أن تفعل هذا يا فتاة.."

تزايد احتقان وجهه للإهانات التي يسمعها، والأشوأ أن تأتي هذه الإهانات من فتاة تصغره بالسن.. ففوجئت به ججي يقفز نحوها حتى أسقطها أرضاً وجثم فوقها وهو يتنفس بسرعة متزايدة دليلاً على غضبه الشديد.. ثم قال بحقن "سأثبت لك أنني أفضل منك وأقوى....."

قطع قوله عندما فوجئ بها ترميه على ظهره وتجثم على صدره بدورها قائلة "كيف ستفعل ذلك؟.."

حاول كين مقاومتها، ثم صاح بحقن "أطلقيني.."

قالت ججي بابتسامة جانبية "لو تمكنت من الخلاص مني فسأعترف بأنك خصم لا يستهان به.."

أبتعت قولها بأن وضعت قدميها على يديه وهي تجلس على صدره.. ولعشر دقائق، حاول كين بجسده الضعيف أن يرميها من فوقه ويتخلص من ثقلها ومن ضغط قدميها على ذراعيه، لكنه في النهاية استسلم

وهو يقبع في موقعه لاهثاً.. عندها أطلقت ججي ضحكة وهي تقول "يبدو أن الطريق أمامك طويل جداً لتصبح رجلاً فعلاً.. وأنا أرثي لحالك مع المعركة الوشيكة هذه.."  
ونفضت لتسمح له بالاعتدال وهو ينظر لها بغیظ شديد، ثم قال بحدة "مهها يكن.. أنت مجرد فتاة.. ولن تكوني رجلاً مهها فعلت.."  
فوجئ بها تلكمه بكل ما تملك بحيث أعادته للأرض من جديد.. ثم غادرت مدممة "أحمق.."  
بينما بقي كين في موقعه وهو يهتف بحنق "تبألك.. لقد عضضت لساني.."  
وبصق الدماء التي تجمعت في فمه وهو يعتدل جالساً.. كان الضيق في نفسه يتزايد بشدة.. يودّ لو يفر من الموقع كله.. فكيف يمكنه ذلك دون أن يخاطر بنفسه؟.. مع الحرب الوشيكة، فلا بد أن السهول تعج برجال الأكاشي الذين سيوجهون أنفسهم لهذه البقعة، لذلك لا يشك أنه سيقابل جماعات منهم لو رحل الآن، ولا يستطيع أن يضمن نفسه منهم حتى لو كان بحماية زعيم هذه القبيلة.. فكم سيبقى ملاحقاً الأكاشي في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل؟..

\*\*\*\*\*

بعد عدة أيام، بدأ تدفق الأكاشي نحو الموقع الذي عسكر فيه قادور في الجزء الجنوبي من السهول.. وعند وصول رجال قبيلة (أبناء الذئاب) للموقع، تمكنت ججي من رؤية مینار بينهم وقد جاء على رأس ألفي رجل بكامل عدتهم وعتادهم.. فأسرعت لملاقاته قبل أن ينطلق للقاء قادور، واقتربت منه تحدّثه بسعادة تامة وشغف واضح عن هذه الحرب الوشيكة ووعد قادور لها للمشاركة بها.. فابتسم مینار وهو يربت على رأسها قائلاً "تبدو سعيداً لهذه الحرب يا جام.."  
قالت بتعجب "ألست سعيداً أنت أيضاً؟"  
أجاب مینار "سأكون سعيداً بالتأكيد عندما نهزم أعدائنا ونعود لمخيمنا سالمين.."  
فقالت ججي بحماس "سنفعل ذلك بالتأكيد.."  
لر يعلق مینار ولم تبد الحماسة على وجهه كما توقعت وهو يربت على كتفها ويغادر بحثاً عن قادور.. لكن

هذا لم يُثر إحباط ججي فهي تعرف أن لمينار رأياً يخالف الجميع في كل أمر.. فما يثير إعجاب البقية بسبب لمينار ضيقاً واضحاً، وما يفرح له بقية الرجال بسبب لمينار توجساً تتعجب له أحياناً.. ورغم أنه يكون على صواب أغلب الأوقات، لكن ججي لم تُردِ إطالة التفكير في الأمر هذه المرة وهي تعود لتدريباتها التي لا تكاد تتوقف..

وعندما اكتمل جيش الأكاشي بانضمام الفرق التابعة للقبايل العشرة ومن والاهم من القبائل، كان عدد الرجال لا يقل عن عشرة آلاف رجل.. ورغم أنها المرة الأولى التي يجتمع فيها هذا العدد الكبير من الأكاشي في موقع واحد، لكن عددهم لم يكن يوازي جيش الملك فارس الذي اكتمل وصوله للمسهول وعسكر في موضع يقع شمال مخيم قبيلة (نجم الشمال) المدمر.. كان الجيش العربي يقارب الخمسين ألفاً من الخيالة والمشاة ورماة السهام وفرق المدفعية.. لذلك كان الفارق مهولاً بين الجيشين دفع قادور للتفكير ملياً في الأمر وهو يقف على تل مرتفع يشرف على السهل المكشوف حيث بدأت فرق الأكاشي في إقامة مخيماتها والإعداد للبقاء في هذا الموقع حتى تنتهي الحرب الوشيكة..

طال وقوفه في ذلك الموقع وهو يفكر في حل لتجاوز ذلك الفارق ومنع المذبحة الوشيكة التي تكاد تقع على رؤوس الأكاشي.. مهما كان الأكاشي أكثر قوة ومهارة وشجاعة، فلا يمكنهم التغلب على طلقة مدفع أو رصاص البنادق.. فهو قد رأى في شبابه بعض الحروب التي قامت في الممالك الشمالية وشهد الدمار الذي تحدثه تلك المدافع بالمدن الحصينة، فما بالك بمخيمات هشة ورجال لا يملكون إلا دروعاً حديدية لحماية أجسادهم؟.. وبوصول براد، وهو زعيم قبيلة (الأرقت) صاحبة المخيم الأبعد بين قبائل الأكاشي، فإن الزعماء الأربعة قد اجتمعوا في ذلك الموقع متخذين لهم خيمة تتوسط المعسكر للاجتماع فيها.. فبالإضافة لقادور، كانت القيادة موزعة بين براد وكيراد وشين.. وبينما كان الآخرون يتصفان بالهدوء ويلجأون للعقل في كل تشاورٍ مع البقية، فإن براد شكل معضلة لقادور بعصبيته وحنقه من اضطراره للجوء للزعماء الثلاثة في أي أمر يخص هذا الجيش.. والموقف الذي هم فيه لا يحتمل أي خلاف أو شجار بينهم على أي قرار يخص هذه الحرب.. فلو غضب براد لأي أمر أو جدال، فلا يشك قادور أنه قد ينسحب من هذه الحرب معتبراً ذلك الخلاف إهانة له، وهذا سيجعل موقف الأكاشي أضعف بمراحل..

وعندما اجتمع الزعماء الأربعة في الخيمة المنصوبة لهم، في وقت مبكر من ذلك النهار، وقف قادور أمامهم

صامتاً للحظات، يفكر ملياً فيما عليه قوله لإقناع البقية برأيه.. فقال براد بضيق كعادته "لم ترفض إخبارنا بما لديك يا قادور؟.. أنت صامت منذ بعض الوقت وترفض الحديث عما يجول بذهنك رغم كل تساؤلاتنا.."

غمغم قادور "ولم هذه العجلة يا براد؟.."

قال براد بضيق متزايد "يغيظني صمتك هذا.. هل تستهين بنا؟"

علق كيراد قائلاً "الاتفاق كان أن يتم الأمر بيننا بالتشاور.. ولا يستفرد أحدنا برأيه أبداً.."

جلس قادور عندها وقال "لديّ عرضٌ لكم، وأريدكم أن تفكروا به ملياً.. كما تعلمون، عددنا لا يصل لربع عدد جنود جيش العدو.. وهذا يعني أن كل رجل من رجالنا سيواجه ما لا يقل عن خمسة من جنود العدو لتتمكن من هزيمته بشكل تام.."

قال براد بسخرية "كما تعلم، كل رجل من رجالنا يساوي عشرة من رجالهم.. لا أحد يتفوق على الأكاشي في القوة والمهارة أبداً.."

فقال قادور بحزم "هذا لو لم نحسب حساباً لما يملكونه من بنادق ومدافع.. أنسيتم أن الجيش العربي لا يجارب بالسيوف إنما يمتلك أدوات أكثر تطوراً وقوة مما نملكه نحن.."

فقال كيراد "ما الذي تقترح علينا فعله؟.. أن نستسلم؟"

قال قادور "وهل أتينا كل هذه المسافة لنستسلم؟.. طبعاً لا.. لكن يجب أن نلجأ للحيلة للتغلب على عدونا، وإلا وجدنا أن ثلثي جيشنا قد قتل دون أن نتمكن من هزيمته.."

فقال شين "هذا ليس من أساليب الأكاشي.. نحن نهجم بقوة ومباشرة، وستكون لنا الغلبة بالتأكيد.."

هز قادور رأسه معلقاً "قد يكون هذا صحيحاً في حروبنا بين بعضنا البعض، فنحن نتساوى في القوة وفي القدرات.. لكن هذا لا ينطبق على عدونا.. إنه يتفوق علينا في كل شيء.. فإما أن نباد شر إبادة، أو نتغلب عليهم بالحيلة.."

قال شين باستياء "كما قلت لك، الأكاشي لا يلجؤون للحيلة أبداً.. أنت مصرّ على إذلالنا بهذه الصورة؟"

قال قادور بحزم "أليس مذلاً أن تهزم جيوش الأكاشي في أول مواجهة لها أمام عدوها؟.. لن تقوم للأكاشي قائمة لو هُزِمنا هنا، وسيطوي التراب كل ما تشبثون به من قوانين وأعرافٍ بالية.."

ساد الصمت للحظات، ثم قال كيراد وهو يعقد ذراعيه أمام صدره "وما هي حيلتك تلك إذًا؟" مال قادور تجاههم وهو يقول "عدونا يتوقع منا أن نهجم مع بدء نهار الغد، عندما ترتفع الشمس في كبد السماء وتغدو ساحة القتال واضحة أمام أعيننا.. لكنني أرى ألا نتظر حتى طلوع الشمس.. سنهجم عليهم عندما تغيب شمس هذا اليوم، وعندما يخلد جنودهم للراحة استعداداً للمعركة المنتظرة في اليوم التالي.. وفي ذلك الوقت، ستكون هجمتنا أقوى بمراحل.."

نظر له الزعماء الثلاثة بدهشة وشيء من عدم الاقتناع، ثم قال براد بحدة "كيف سنتمكن من تمييز أعدائنا من رفاقنا؟.. ثم إن عنصر المفاجأة هذا سيمكنتنا من التغلب على جزء من الجيش، لكن ما إن يدرك الجنود أنهم تحت الهجوم فسيقاومونا بشدة ولن نحقق شيئاً بهذا الهجوم مع الظلام الذي سيشتت رجالنا.."

قال قادور "لن نهجم مباشرة قبل اتخاذ بعض الاحتياطات، وعند الهجوم المباشر، يمكن لرفاقنا تمييز بعضهم البعض بهذه الخوذات.. الجنود العرب يرتدون خوذات خالية من القرون التي تميز الأكاشي، لذلك لن يكون صعباً على الرجال تمييز رفاقهم في هذه المعركة.. كما أن الالتحام المباشر سيكفينا شر مدافع العدو الذي لن يتمكن من استخدامها لئلا يصيب جنوده.. وتبقى هناك البنادق التي يستخدمها الجنود بشكل فردي، والتي علينا إيجاد حل للتخلص منها قبل بدء الهجوم بالفعل.."

علق شين بعدم اقتناع "خطتك لا تزال عائمة وبها الكثير من الثغرات.."

فقال قادور "لازلت أحاول إحكام الخطة، لكني لازلت مقتنعاً أنها أفضل من الهجوم المباشر حينما يكون العدو مستعداً لصدنا ومتحمساً لهزيمتنا.."

عندها قال براد بصرامة "وهذا يجعلني أكثر شكاً في هذه الخطة.. فلنلتزم بالخطة الأصلية كما اتفقنا عليها مع طاغار.. لقد كانت هذه الخطة باتفاق الزعماء العشرة الذين حضروا ذلك الاجتماع، ولا يحق لك الآن تغييرها بدون سبب وجيه.."

فقال قادور بحزم "لكن طاغار ليس معنا الآن، ولا يمكنه تقييم الموقف من موقعه البعيد مثلنا نحن.. لقد أوكلوا إلينا مهمة قيادة هذا الجيش، وعلينا أن نتخذ التصرف الأفضل الذي لن يقودنا لمذبحة تطيح برجالنا دون فائدة.."

اعترض شين قائلاً "لم أنت مقتنع أنها ستكون مذبحة؟.. لمر هذه الاستهانة برجالنا؟"

قال قادور بحدة "ولم هذا الإصرار على موقف واحد حتى لو كانت النتيجة مختلفة عما كنتم تأملونه؟.. الكل يعتبر الأكاشي بدائيين ووحشيين لا يعرفون التعقل، فلا تجعلوا تلك الصورة تثبت في عقول أعدائكم بهجومٍ يخلو من أي تعقل أو تدبير.."

فقال براد بحدة "لن نقتنع حتى نحصل على خطة شاملة ومفصلة.."

دخل أحد رجال كيراد الخيمة في تلك اللحظة، فتقدم من الزعماء الأربعة قائلاً "هناك رسولٌ من الملك العربي برسالة إلى قادة الأكاشي.."

أشار كيراد له ليدخل الرسول، ولم يلبث الرجل أن أدخل رجلاً عربي الهيئة واللباس، يتبعه اثنان من الجنود العرب، وقد وقف وسط الخيمة دون أن ينحني للزعماء وهو ينظر حوله بصمت.. فقال قادور "أأنت رسولٌ من الملك فارس؟"

قال الرسول بعد لحظة صمت "أين زعيم الأكاشي؟"

صاح براد قائلاً بحق "وما شأنك؟.. أجب عن السؤال أو إئتنا بما عندك وارحل دون إبطاء.."

بدا أن هذا الأمر لم يعجب الرسول وهو يحدق في وجوه الزعماء محاولاً معرفة هوية زعيم الجيش، مما جعل توجس قادور يزداد وهو يسأل بصرامة "أجب عن السؤال يا هذا.. أنت رسولٌ من الملك فارس؟.."

بعد بعض الصمت قال الرسول "لقد جئت برسالة من قائد الجيش العربي عرارة....."

قاطعته قادور وهو يميل نحوه متسائلاً "لم أرسلك القائد إلينا؟.. أليس من المفترض أن تكون الرسالة مرسلة من الملك فارس؟.. أليس هو من يقود الجيش؟.."

قال الرسول بضيق "لا شأن لي بهوية مرسلها.. إنما أنا رسولٌ عليّ إبلاغكم رسالتي والعودة بالرد للقائد.."

فقال شين بهدوء عاقداً ذراعيه على صدره "لكن هذا ادعى لارتيابنا.. هل يستهين بنا الملك فارس ليقوم بتوسيط قائده لمخاطبتنا؟.."

نظر الرسول حوله بتوتر شديد، ثم قال بصرامة مفتعلة "لا يهمني ما تسألون عنه.. إنما أنا رسولٌ من القائد عرارة، وهو يأمركم أن تستسلموا وتحفظوا دماء رجالكم.."

انفجر براد ضاحكاً بسخرية بينما رفع شين حاجبيه باستهانة واضحة.. فأكمل الرسول بشيء من الحنق "تصرفكم سيحدد مصيركم ومصير قبائل الأكاشي جميعها.. فلو رفضتم الاستسلام، لن يتردد جيشنا في

سحقكم وتدمير قبائل الأكاشي جميعها حتى لو لم تشارك في هذه المعركة.. إن جيشنا الذي دحر جيوشاً أضخم وأكثر عدداً وعدة، لن يعجزه أن....."

قاطعها قادور قائلاً للرجل خلفه "خذوهم واستجوبوهم حتى نعرف سبب صمت الملك فارس بهذه الصورة المريبة.."

فوجئ الرسول والجنديان معه بخمسة من رجال الأكاشي يقبضون عليهم، ثم سحبوهم خارج الخيمة رغم مقاومتهم الشديدة والرسول يصرخ بحنق "لا يحق لكم ذلك.. أنا رسول، وليس من حقكم استجواب الرسل في الحروب.. هذا ينافي كل القوانين.."

فقال قادور بصوت واضح "هذا ليس في قانون الأكاشي، لسوء حظك أنت.."

بعد رحيل الرسول والجنديين، قال براد ضاحكاً "أسمعت ما يقوله قائد ذلك الجيش؟.. إنه يجرؤ على المطالبة باستسلامنا دون قيد أو شرط.. من يظننا؟"

علق قادور عاقداً ذراعيه على صدره "لا تستهن بالأمر.. هذا الرسول كان مجرد جاسوس لتحديد هوية زعيم الأكاشي.. لا بد أنه ينوي التخلص من قائد الأكاشي بحيلة غادره، وهو يظن أن الأكاشي ستنكسر عزيمتهم لو شهدوا مقتل زعيمهم أثناء الحرب أو قبلها.."

علق شين بهدوء "لكنه لا يعلم أن هذا الجيش له أربعة زعماء.. لسوء حظه.."

نهض كيراد قائلاً "سأذهب لاستجواب الثلاثة بنفسي.. وبعد أن نعرف حقيقة الأمر، قد يتسبب هذا بتغيير مخططاتنا كلها.."

لم يعلق أي من الزعماء الثلاثة وقادور يجلس في موقعه يحدق في البساط أمامه.. عليه أن يُحْكِم خطته ويتأكد من جميع جوانبها قبل عرضها على بقية الزعماء.. أرواح الرجال في هذا المعسكر، وفي مخيمات القبائل التي تنتظر بقلق، ستتحدد في هذه الحرب.. وأي غلطة قد يرتكبها الأكاشي، ستؤثر فيهم لسنوات قادمة قد لا يحصلون فيها على حريتهم بعدها أبداً..

\*\*\*\*\*

بعد نصف ساعة، عاد كيراد لمجلس الزعماء والدماء تلتطخ جزءاً من ملابسه.. وعند دخوله، قال للبقية "الملك فارس قد رحل من معسكر جيشه.."

نظر له الزعماء الثلاثة بدهشة وهو يضيف "قبل يوم، وصل رسولٌ يحمل أخباراً من وسط المملكة سببت قلقاً كبيراً للملك ودفعته للرحيل مع فرقة من أخلص جنوده.."  
تساءل قادور مقطباً "وهل أخبرك بالسبب؟"

أجاب كيراد "يقال إن بعض القلاقل والثورات اندلعت عند نهر يقال له (النهر الأبيض) وسط مملكته.. وقد خشي الملك أن يفقد سيطرته على المملكة أثناء انشغاله بمقاتلة الأكاشي.."  
فقال براد معلقاً "هذا يوم سعدنا.. أليس كذلك؟.. مهما كانت هوية القائد الذي يقود هذا الجيش، فغياب ملكه سيكون من الأسهل علينا التخلص منهم دون عسر.."  
قال قادور بتقطعية "لا.. بل العكس هو الصحيح.."

نظروا له بدهشة، فأضاف زافراً "لو شارك ملكهم فارس، وتمكنا بحيلة من القضاء عليه، فسيتشتت الجيش بالكامل في تلك اللحظة.. وسيغدو من السهل علينا القضاء على الشرازم التي ستولي هاربة ولن تقوم لها قائمة بعدها.. أما بغياب الملك، فسيصمد الجيش لئلا يخذل الملك الذي ولأهم هذه المهمة، وسيخلصون له في غيابه على أمل أن يمددهم ببعض الإمدادات لو طال أمد القتال.."  
نظر الرجال لبعضهم البعض وقد فاجأهم منطق قادور، بينما أضاف هو "لكن.. علينا فعل ما يمكننا فعله.. لا يمكننا تأجيل هذه المعركة أكثر مما فعلنا.."

ثم نظر إليهم مضيفاً "سأخبركم بخطتي.. ولو كانت لديكم عليها اعتراضات فيمكننا تغيير بعض جوانبها لتلائم الجميع.. لكن أؤكد لكم أننا لن نحقق النصر بهجوم مباشر حيث يمكن للجيش العربي استخدام جميع إمكانياته.."

بعد عدة ساعات قضاها قادور في التشاور مع الزعماء الثلاثة وتقليب الخطة من كافة جوانبها، وبعد أن انضم لهذا الاجتماع بعض الرجال الذين عينهم الزعماء كقادة لفرق الأكاشي، خرج قادور من الخيمة زافراً بشدة.. نظر للمخيم حوله، فرأى ججي تجلس على صخرة في جانب المكان بانتظاره.. كانت قد سئمت من التمرين بشكل متواصل وآلتها ذراعها، لذلك فضّلت انتظار أبيها وسؤاله عما سيجري في هذه الحرب..



فقال لها قادور وهو يشير لها لتتبعه "جام.. لقد طلبتُ من باشتا أن يضمك لفريق الرماة.. لذلك اذهب إليه لتستمع للخطة التي قررناها والتوزيع الذي سيعتمده أثناء المعركة.."

قالت ججي باعتراض "لكنني أكثر مهارة في استخدام السيف عن الرمي بالسهم يا أبي.. أريد أن أقاتل إلى جوارك في هذه المعركة.."

هز قادور رأسه نفيًا وقال "أنا لن أقاتل إلا عندما تستدعي الحاجة لذلك.."

نظرت له ججي بدهشة لهذا الجواب، فوضع يده على كتفها قائلاً "سأكون وسط المعركة مع من سيشارك من الزعماء، لكن لا يمكننا أن نندفع وسط ساحة القتال دون أن نخاطر بحياتنا.. لو مات القادة، فسيعجز الرجال عن معرفة ما عليهم فعله، وسيتفكك الجيش قبل أن تتمكن من النصر على أعدائنا.."

فقالت ججي بحزم "ورغم ذلك، أريد أن أشارك بالمعركة.. لا أريد البقاء مختبئاً في موقع بعيد.. ولن أكتسب أي خبرة من مراقبة الحرب من موقعي الآمن.."

قال قادور بحزم "عليك إطاعتي.. فأنا أفعل ما بوسعي لحمايتك يا بني.."

ثم وضع يده على رأسها مضيفاً بنبرة حزينة "لا أريد أن أخسرك في سن صغيرة كهذه.. كما فقدت أخاك سيجان بسبب تسرعني في الاعتماد على قدراته.."

نظرت ججي لأبيها بانفعال، ثم قالت وهي تقف وقفة حازمة "كما تشاء يا أبي.. أنا رهن إشارتك في كل ما تطلبه مني.."

ربت قادور على رأسها بخفة مبتسماً، ثم غادر تاركاً ججي تقف قابضة على سلاحها بشدة.. ثم استدارت بدون تردد وسارت باحثة عن باشتا.. لقد تحددت مهمتها في الحرب الوشيكة، ولا يمكنها أن تخيب ظن أبيها بعد كل السنوات التي قضتها إعداداً لمثل هذا اليوم.. سترضى بهذا الدور الصغير، وتكبت طموحها الأكبر ليومٍ آخر.. يومٌ قادمٌ في المستقبل القريب بالتأكيد..

\*\*\*\*\*

في جانب آخر من جوانب تلك المعسكرات التي أقامها الأكاشي على مساحة واسعة، عثرت ججي على

ذلك المدعو باشتا بعد بعض البحث، فاقتربت منه قائلة "لقد أرسلني الزعيم قادور لأنضم إلى الرماة.. فأخبرني بما عليّ فعله.."

نظر لها باشتا بنظرة استياء واضحة ثم قال لها "انضم للبقية حتى أشرح لكم خطتي.."

سارت ججي لتجلس جانباً مع مجموعة من الرماة لا يقل عددهم عن عشرون رجلاً من قبيلتها ومن القبائل الأخرى، والذين يكوّنون فرقة الرماة الأولى ضمن ثلاث فرق ستشارك في الحرب.. ولم يفتها دمدمة أحد الرجال بصوت واضح "هذا ما كان ينقصنا.. وكأننا بحاجة لحظ سيئ أكثر مما نحن فيه.."  
لم تأبه ججي لذلك القول وهي تولى باشتا اهتمامها.. كانت بحاجة لفهم ما يدور حولها، وبحاجة لإثبات نفسها أمام أبيها وأمام القبيلة كلها.. ورغم أن الخطة التي شرحها باشتا للرجال كانت بسيطة، لكن ججي ظلت تستمع له بانتباه وتوتر.. كانت تخشى من أن تفشل فيما يطلب منها، وتخشى أن يتسبب ذلك في إذلال أبيها الذي سعى لرفع منزلتها بين قبيلتها وبين الأكاشي عموماً.. ألن يكون فشلها مادة للسخرية من أبيها زعيم قبيلة (أبناء الذئاب)؟..

بعد أن أنهى باشتا شرح الخطة، قال للرجال "عليكم بنيل بعض الراحة حتى المساء.. قد تطول المعركة لساعات، وعليكم أن لا تستسلموا للتعب وتفشلوا في المهمة المطلوبة منكم.. لذا كونوا مستعدين.."  
بدأ الرجال بالتفرق وكل منهم يغادر للخيمة المخصصة له، بينما ظلت ججي جالسة في موقعها بتقطيعة شديدة تفكر في أمر تلك المعركة الوشيكة.. وقبل أن يتعد الرجال من حولها، شعرت ججي بتلك الركلة التي أصابت ساقها بشكل مؤلم، ولما التفتت للمتهجم عليها بعبوس رأت أحد رجال قبيلة أخرى يقول "ما الذي تفعله فتاة جالبة للنحس بيننا ونحن على أبواب حرب كبيرة؟.. هل أتوا بك هنا لتسليّة الرجال؟"  
نهضت ججي بغضب وهي تضع يدها على سيفها، فضحك الرجل قائلاً "حقاً؟.. أنتوين إخافتي بسيفك هذا يا فتاة؟"

قبضت ججي على سيفها بشدة وهي مقطبة.. هل تتصرف كما يوحي لها غضبها، أم تصمت وتتغاضى عما يجري أمامها؟.. لقد اعتادت على التغاضي طوال سني عمرها، ولكن أن يتعدى عليها رجل من قبيلة غريبة لا من قبيلتها هو أكثر من طاقتها على التحمل.. ولما همّت بأن تسحب سيفها بغضب، فوجئت بيد تمسك يدها وصوت كاد القريب يقول بحدة "ألديك اعتراض على جام؟.. لو كان لديك ما يقنعني فسأصمت

ولن أعترض، وإن لم يكن مقنعاً، فحاذر من خنجري الذي لن أتردد بقطع لسانك به.."

قال الرجل بحدة "أتهدني يا هذا؟.. ولأجل من؟.. لأجل فتاة حمقاء؟!.."

قال كاد بغضب "جام جزءٌ منا، وفردٌ من قبيلة (أبناء الذئاب).. لا يمكننا تقبل إهانة مواجهة نحوه، ولا يمكننا الصمت على ما يجري.."

همَّ الرجل بالصياح بغضب بدوره، عندما لاحظ عدداً من رجال القبيلة يقفون خلف كاد بوجوه تنضح غضباً، فراجع الرجل خطوة وهو يقول بحنق "لو خسر الأكاشي هذه الحرب، فلن يكون ذلك إلا بسبب هذه الفتاة التي ستجلب لنا الشؤم.. ولو حدث ذلك، فلن يقدر شخصٌ على حمايتها من سيفي.."

ونظر شذراً لججي قبل أن يغادر وهو يشتم بحنق.. تنفست ججي لتهدئة غضبها وقد أراحها أنها لم تتدخل في ذلك الجدال مما قد يزيد الأمر سوءاً، ثم التفتت إلى كاد متسائلة بشيء من الحيرة "هذا غريب.. لم أتوقع أن تدافع أنت عني.."

قال كاد بضيق "لست أدافع عنك، بل أرفض أن يعامل فرد من القبيلة باستحقار واستهانة.. فهذا سيجرُّ المهانة علينا جميعاً لو تجاهلنا الأمر.."

واستدار مبتعداً تاركاً ججي واقفة في موقعها بصمت.. وقبل أن تلحق به لشكره، وقد شعرت أن من واجبها فعل ذلك، سمعت صياحاً في جانب المعسكر جذب انتباه الجميع.. وكما تراكض الرجال من حولها نحو ذلك الموقع، لم تتردد ججي في اللحاق بهم ورؤية سبب ذلك الصياح.. وفي وسط المعسكر، استطاعت ججي أن تدفع نفسها بين جماعة من الرجال الذين شكّلوا حلقة حول ذلك الموقع، ولما تمكنت من رؤية ما يجري لاحظت رجلين غربيين رماههما الأكاشي أرضاً بينما اقترب قادور وبراد من الموقع متسائلين "ما الذي يجري؟"

اقترب أحد رجال الأكاشي قائلاً "لقد قبضنا على هذين الجاسوسين في موقع قريب من المعسكر.. فما الذي نفعله بهما؟"

نظر الرجال للرجلين الذين دارا بعيونهما فيمن حولهما بتوجس، ثم تقدم منهما براد وسأل أحدهما "ما الذي جاء بكما لهذا الموقع؟.. هل أرسلكما الملك العربي للتجسس علينا؟"

لم يجبه أحدهما وهما لا يرفعان بصريهما، فقال براد بحنق "ألن تجيبا على أسئلتنا؟.. هذا لن يؤدي بكما إلا

للموت.."

فقال أحد الرجلين بهدوء "ونحن نفضل الموت على أن نشيَ بجيشنا ونخونه في مثل هذه الأوقات.."

فتساءل الرجل القريب من الأكاشي "ما الذي نفعه بهما الآن؟"

نظر لهما براد وقال بعصبية "اقطعوا رأسيهما.. أهذا سؤال؟.."

استوقفه قادور قائلاً "لا.. جردوهما من ملابسهما أولاً.."

نظر له الجمع بدهشة شديدة، فقال قادور بإصرار "افعلوا ما طلبته منكم.."

أجبر بعض الرجال الرجلين المتسللين على خلع ملابسهما، بينما قال براد بسخرية "هل أعجبتك ملابسهما يا

قادور؟"

أجاب قادور "أجل.. ولا أريدها أن تتلطح بدمائهما.."

وبعد أن استولى الأكاشي على ملابس المتسللين، أمرهم قادور بقتلها ودفنها في جانب المعسكر لئلا يعثر

عليها أحد من الأعداء.. ثم عاد لخيمته مضيفاً "استدعوا لي ريجاد.."

أسرع أحد رجاله لتنفيذ أمره، بينما تبع براد قادور داخل الخيمة وهو يقول باستياء "أنت تتصرف بأسلوب

عجيب يا قادور دون أن تقدم لي تفسيراً.. فهل تستهين بي؟"

قال قادور وهو يجلس جانباً "لا.. لكنني لم أرد التحدث بالأمر أمام الجمع.."

تساءل براد مقتطياً "أتخشى وجود جواسيس أم خونة في جيشنا؟"

قال قادور "لا.. لكن السرية أفضل لنا فيما نريد إنجازه.. ستفهم الأمر بعد قليل فكن صبوراً.."

جلس براد بشيء من الضيق وقلة الصبر، بينما ظل قادور في موقعه يحرق في الملابس الموضوعه أمامه.. هي

تختلف في نوعيتها وفي شكلها عن ملابس الأكاشي اختلافاً كبيراً وملحوظاً، ولذا، ستكون مفيدة لهم كثيراً

فيما يخطط لفعله بها.. بعد لحظات دخل ريجاد الخيمة قائلاً "هل طلبتني يا زعيم؟"

رفع قادور بصره إليه قائلاً "اجلس يا ريجاد.. أريد أن أوكل إليك مهمة هامة وخطيرة.. فهل أنت لها؟"

قال ريجاد بحزم "طبعاً يا زعيم.. وهل تقاعست يوماً عن تأدية ما تطلبه مني؟"

فقال قادور "لكنك قد لا تعود حياً من هذه المهمة.. فلو راودك أي شك في قيامك بها، أنصحك أن تراجع

الآن.."

ظل ريجاد ثابتاً في موقعه بإصرار.. عندها اعتدل قادور في مجلسه وقال " سأوكل إليك، وإلى كاد، مهمة التسلسل إلى معسكر الأعداء.. "

نظر له ريجاد باهتمام بينما قال براد بدهشة "كيف يمكنها ذلك مع التحفز الذي يبدو عليه الأعداء؟" قال قادور مشيراً للملابس أمامه " هذه الملابس ستساعدكما، وسيتسللان في جناح الظلام وهذا سيخفي الكثير من هويتكما.. كما أن اللغة لن تكون حاجزاً أبداً.. "

ونظر إلى ريجاد مضيفاً "المهم ألا تثير الانتباه بأي شكل كان.. على كل واحد منكما التسلسل وحيداً والعمل متفرقين عن بعضكما البعض.. فلو سقط أحدكما، عندها قد يتمكن الآخر من النجاة ولا نخسر فرصتنا الأخيرة لتحقيق بعض الأهداف من هذه المهمة.. "

فقال ريجاد "اعتمد عليّ يا زعيم في كل ما تريده.. لن نفشل في هذه المهمة مهما استلزم منا الأمر.. " هز قادور رأسه راضياً، ثم شرح له خطته بشكل واف ومفصل.. فبهذه الخطة، يمكن لجيش الأكاشي أن يكسب نقطة تفوق كبيرة على أعدائه الأكثر عدداً وتجهيزاً، ويوفر على نفسه عناء حرب طويلة قد تنهكه وتقطع أوصاله.. وبعد رحيل ريجاد، قال براد باعتراض "أنت أرسلت رجالك للموت توأاً.. "

فقال قادور بثبات "المهم أن ينجح فيما طلبته منها قبل ذلك.. فالموت سيطل منّا من يطاله دون أن نملك ردعه.. المهم ألا يندحر الأكاشي في هذا الموقع أبداً.. ومهما كانت الخسائر.. "

\*\*\*\*\*



## الفصل السابع {ساحة الوغى}

بعد نهارٍ طويلٍ سادته صمتٌ شبه تامٍ في معسكر الأكاشي، ومع غروب الشمس الوشيك في تلك الساعة، بدأت الحركة تشتد وتزداد حدة في المعسكر الذي شغل بقعة واسعة من جنوب السهول التي تلفحها الرياح القارسة..

وفي ذلك الوقت، شعرت ججي بيد مينار توقضها وهو يقول "استيقظ يا جام.. لقد حان الوقت..". اعتدلت ججي جالسة بسرعة وقد طار النعاس من عينيها وهي تتلفت في الخيمة التي خصصت لأبيها.. ودون تردد ولو لثانية، نهضت من فراشها وغسلت وجهها ثم أسرعت للاستعداد بشكل كامل للحظة الحاسمة.. فتناولت بعض الطعام الذي حمله مينار إليها، ثم ارتدت خوذتها وحذاءها الجلدي طويل العنق والمدعم بشرائح معدنية تؤمن بعض الحماية لساقها، وحملت قوسها وكنانة السهام، دون أن تنسى أن تعلق سيفها في حزامها كاحتياط رغم أن دورها لن يتطلب منها استخدامه.. ولما غادرت الخيمة، رأت مينار يقف قرب قادور وهما يتحدثان في أمر المعركة الوشيكة، بينما كان الاستنفار بادياً في أرجاء المعسكر الكبير من حولهما..

ولما رآها قادور، اقترب منها وربت على كتفها قائلاً "أأنت مستعد يا جام؟"

قالت بحزم "بالطبع يا أبي.."

فقال قادور بابتسامة "كن حذراً يا بني.. ولا تدع الحماسة تجرفك في الحرب، وإياك أن تغادر موقعك..". هزت رأسها موافقة، ثم انطلقت متخطية بعض الخيم القريبة باحثة عن باشتا.. لكن خطر لها خاطرٌ جعلها تتراجع في خطواتها عائدة لخيمة أبيها لتجد كين منزوياً في جانب الخيمة كعادته بصمت، فاقتربت منه زافرة وهي تغمغم "أما زلت مذعوراً كما كنت دائماً؟"

وتناولت سيفاً مما يملكه أبوها، فوضعتة في يد كين وهو ينظر إليها بصدمة قائلاً بصوت يرتجف "ما الذي تتوقعين مني فعله؟.."

أجابت بسرعة "لا أتوقع منك شيئاً.. هذه الحرب لا تخصك، ولن تفيدينا بشيء حتى لو رغبت بالمشاركة

فيها.. ابق هنا لحراسة متاعنا ودافع عن نفسك بهذا السيف ضد أي اعتداء من الجنود العرب.."  
 ظل كين ينظر للسيف بامتعاض شديد، فقالت ججي "أنت لست منيعاً حتى لو بقيت في هذا الموقع البعيد  
 وحتى لو كنت غريباً عن الأكاشي.. ورغم بقاء بعض الحراسة في المعسكر، لكنهم يعدون على الأصابع..  
 فضع في ذهنك أنك قد تواجه هجوماً في أي لحظة وكن على استعداد لصدّه.."

لم تنتظر منه رداً وهي تتعد بخطوات سريعة، فيما بقي كين رابضاً في مكانه وهو يشد قبضته على مقبض  
 السيف ويدمدم "وما شأني أنا بكل هذا؟.."

أما ججي، فقد غادرت الخيمة متجهة نحو الموقع الذي حدده باشتا لهم للقاء، ومن بعده ستنتقل مع بقية  
 الرماة نحو موقعهم المحدد قبل بدء المعركة.. كانت الساعات تمضي والمعركة تقترب، فتتزايد دقات قلب  
 ججي بشيء من التوتر والحفاصة لهذا الحدث الكبير في حياتها والذي لم تشهد مثله قط..

ومع تقدم الساعات في الليلة، جلس قادور مع الزعماء الثلاثة وسط المعسكر الذي ساد السكون وهم  
 صامتون وحوهم وقفت جماعة قليلة من الأكاشي.. ساد الصمت المكان والرجال بكامل استعداداتهم  
 للمعركة الوشيكة، حتى جاء أحد الرجال مسرعاً إلى قادور وقال "يا زعيم.. لقد تمكن ريجاد وكاد من  
 اختراق معسكر الأعداء بنجاح.. لقد راقبناهما حتى تأكدنا من ولوجهما المعسكر قبل وقت قصير.."

فتساءل قادور "ماذا عن فرق الرجال؟"

أجاب الرجل "كل فرقة في موقعها بآتم استعداد بانتظار رؤية إشارة البدء.."

فنهض قادور قائلاً "إذن.. بقي القليل وتبدأ الحرب.."

نهض بقية الزعماء بينما تحفز الأكاشي مستعدين ليتبعوا الزعماء ويموهم وسط هذه المعركة.. فحمل قادور  
 خوذته التي كان يضعها بجانبه، بالقرنين البارزين في جوانبها، ثم قال لرجاله "هيا يا رجال.. وحاذروا من  
 إصدار صوت يشي بما ننتويه قبل أن نبدأ الهجوم بالفعل.."

تقدم الرجال بكامل أسلحتهم بينما قال براد بشيء من الضيق "مازلت أظن أنها خطة لن تنجح.."

قال قادور بحزم "سيوضح هذا خلال ساعة يا براد.. فكن صبوراً.."

وسار متقدماً الرجال نحو حصانه مغمغماً "الصبر هو كل ما نحتاج إليه.."

\*\*\*\*\*

قبل بعض الوقت من هذا، كان ريجاد يسير في أرجاء معسكر الجيش العربي وهو يشدّ يده على السيف المعلق في حزامه.. كان قد ارتدى رداء الجنود العرب، وأخفى ملامحه بلثامٍ بينما تغطي الخوذة التي يستخدمها الجنود شعره الأشقر.. ورغم المراقبة التي كانت موزعة في أرجاء معسكر الجيش العربي، لكن ريجاد تمكن من التسلل متخفياً بالظلام السائد ومتفادياً ضوء المشاعل التي تضيء المعسكر..

كانت الحركة قد خفتت في المعسكر بعد أن مرت عدة ساعات منذ غربت شمس هذا اليوم، وبدا أن الكثير من الجنود قد خلدوا للنوم استعداداً للمعركة المتوقعة في اليوم التالي، وإن بقي عدد معقول منهم لحراسة المعسكر ومراقبة جوانبه.. فحاول ريجاد التسلل بعيداً عن أنظارهم متخيراً المواقع التي لا تلقي المشاعل بضوئها فيها، وبدأ يدق ببصره في الخيام التي يمر بها محاولاً الوصول لهدفه قبل أن يكشفه الجنود.. كان المعسكر يحتل بقعة واسعة جداً من السهول شمالي مخيم قبيلة (نجم الشمال) المدمر، وقد نصبت الخيام القماشية الواسعة لتضم كل واحدة منها ما لا يقل عن عشرين جندياً.. لذلك، أدرك ريجاد أن بحثه سيطول لوقت طويل ولن يتمكن من التجوال في المعسكر كاملاً بدون المخاطرة بكشف نفسه.. عندها اتخذ طريقه نحو قلب المعسكر مخمناً أن خيمة القائد ستكون في الوسط بالتأكيد لحماية قائد الجيش بشكل أكبر..

كانت الخطة الخاصة بريجاد تتضمن أن يتعرف على خيمة قائد الجيش، فيعطي الإشارة للرماة بموقعها حيث ستكون مهمتهم الأولى هي حرق ذلك الموقع بسهامهم المشتعلة لاحتجاز القائد في هذا الموقع وبعض الحظ التخلص منه.. عندها سيقع الجنود في فوضى عارمة ولن يتمكنوا وسطها من تلقي أي أوامر من قادتهم وستقل مقاومتهم للأكاشي بدرجة كبيرة..

بعد بضع خيام، وجد ريجاد مجموعة من الجنود يجلسون في جانب إحداها متحلقين حول النار وهم يتحدثون ويتناولون بعض الطعام.. لم يتمكن ريجاد من التراجع في خطواته حتى لا يلفت الأنظار إليه، لذلك أدار وجهه محاولاً إخفاء ملامحه وهو يستدير ليتخذ طريقاً آخر.. وبينما ظل يسير بسرعة عادية لئلا يبدو كأنه يحاول الهرب، سمع أحد الجنود يقول متذمراً "ليتني أستطيع احتساء بعض الشراب.. إنه لمن المحزن أن نضطر لمواجهة هذا البرد القارس دون أن نحصل على بعض الشراب لتدفئة أوصالنا.."



علق آخر قائلاً "أتريد أن تخوض معركة الغد وأنت مخمور؟"

فقال الأول بحنق "وربما يكون الغد هو آخر عهد لنا بالحياة.. أفلا يمكنني الحصول على هذه المتعة الصغيرة قبل موتي؟.."

غمغم آخر قائلاً "أشعر أن الملك قد أرسلنا لنموت بالفعل.. فمن يقدر على مواجهة هذه القبائل الهمجية حقاً؟.."

فقال الثاني باستياء "لمر كل هذا التشاؤم قبل المواجهة الفعلية؟.. أنتما تثيران بؤس الجميع.."

رفع أحد الجنود رأسه ملاحظاً ريجاد الذي ابتعد عنهم، فصاح به "أيها الجندي.. ما الذي تفعله هنا؟.."  
أدرك ريجاد أن الحديث موجه إليه، لكنه تظاهر بأنه لم يسمعه وهو يستدير خلف إحدى الخيام القريبة..  
عندها نهض الجندي قائلاً "يبدو لي ذلك الجندي مشبوهاً.. لماذا تجاهلني؟.."

سار بضع خطوات تابعاً ريجاد، عندما سمع صوتاً يناديه قائلاً "رافع.. القائد يطلبك في خيمته.."  
نظر الجندي للمتحدث، ثم نظر للموضع الذي اختفى عنده ريجاد بينما علق أحد الجنود "يبدو أن التوتر قد أصابك بالوساوس.. هل بدأت تشك بجنودنا أيضاً؟.."

تردد الجندي للحظات، ثم استدار مغادراً وهو يقول لرفاقه "انفضوا يا رجال.. عليكم الاستيقاظ باكراً استعداداً للمعركة الوشيكة.."

وغادر نحو خيمة القائد بينما تدمر الجنود من خلفه بضيق وحنق.. وفي جانب خيمة أخرى، نظر ريجاد بحذر لذلك الجندي الذي ابتعد بخطوات سريعة.. لقد انتبه لذلك النداء الذي نادى به أحد الجنود هذا الجندي، وأدرك أنه لو تبع الجندي فسيقوده الخيمة القائد بأسرع وسيلة.. لذلك، وبعد أن ابتعد الجندي عن رفاقه، فإن ريجاد بدأ يتبعه من على مبعده وبخطوات حذرة وصمت تام.. سار متجاوزاً مجموعة من الخيام محاولاً ألا يلفت نظر الجندي الذي يلحقه ولا أي جنود آخرين، حتى لاحظ أن ذلك الجندي قد دلف خيمة كبيرة لكنها لا تختلف في مظهرها الخارجي عن البقية..

وقف ريجاد في موقعه يراقب الخيمة وما حولها، ثم دار حول الخيمة متفادياً مدخلها، وتوجه إلى مشعل قريب فتناوله من موضعه وهو يتلفت حوله.. عاد لخيمة القائد وهو ينظر لأعلى حيث يمكنه أن يشعل النار في الخيمة دون أن يتمكن أحد من إطفائها، كما أنها ستكون علامة كافية لبقية الأكاشي كما هو متفقٌ

عليه.. تراجع ريجاد خطوة وهو يمد يده بالمشعل متتويماً رميه بأقوى ما يملك ليسقط فوق الخيمة ذات السطح المستوي، عندما فوجئ بالأمر الحارق الذي اشتعل في يده تلك بينما سقط المشعل من يده رغماً عنه.. استدار ريجاد وقفز للخلف بشكل تلقائي ليجد أنه تجاوز ضربة سيف بشيء من الحظ.. ومن خلفه، رأى ذلك الجندي الذي كان يلحقه وهو يقول بغضب "كنت أدرك أنك متسلل من صمتك وخطواتك المتوترة.. ما الذي تنوي فعله يا هذا؟.."

تراجع ريجاد وهو يمسك ذراعه التي تؤلمه محاولاً إيقاف الدماء المتصبية، بينما تقدم الجندي من جديد وهو يرفع السيف بكلتا يديه قائلاً بحدة "تكلم.. هل تحاول النيل من القائد؟.. ألهذا السبب تسللت إلينا؟.."

لم يجبه ريجاد وهو يراقب الموقف للحظات.. عليه أن يتم هذه المهمة بأسرع ما يكون، فلن يتحرك رجال الأكاشي خطوة واحدة قبل أن يروا العلامة التي سيرسلها.. ولو طال الأمد به قبل أن يرسل العلامة، فقد يفتن الجنود لاقتراب الأكاشي منهم ويفقدون بذلك عامل المفاجأة، والذي يهدده هذا الجندي في تلك اللحظة.. تقدم الجندي خطوة وهو يقول بغضب "تكلم يا هذا وإلا قطعت رأسك.."

لكن ريجاد كان قد اتخذ قراره بالفعل، فقفز على الجندي الذي فوجئ بذلك الهجوم فمد يده بالسيف محاولاً إصابة ريجاد.. لكن الأخير أمسك السيف بيده غير عابئ بالجرح الذي قد يسببه له، فأبعده من طريقه وهو يلتحم مع الجندي الذي فوجئ بالطعنة تصيبه في بطنه من خنجر صغير يمسكه خصمه.. حاول الجندي ضربه من جديد، فتفادى ريجاد الضربة وهو يركل الجندي بقوة حتى سقط على ركبته، ثم أسرع يدير سيفه في ضربة قوية نحو عنق الجندي أسقطته خلفاً متشحطاً في دمه..

لهت ريجاد بتعب وهو يستشعر الألم في ذراعه التي أصيبت سابقاً بالإضافة للجرح الذي سببه له السيف في راحة يده.. لكنه تجاهل كل هذا وهو يهب نحو المشعل وبحركة سريعة يرميه بقوة نحو الخيمة فيسقط فوقها متدحرجاً للحظة قبل أن يسكن في موقعه والنار تبدأ عملها بسرعة ودون أي تباطؤ..

تراجع ريجاد خطوات وهو يتناول السيف الذي سقط من يد الجندي، ثم وقف يراقب النار التي بدأت تستعر في رأس الخيمة بوضوح في هذه الليلة المظلمة.. جذب نفساً عميقاً وهو يسمع تصايح الجنود من حوله واقترابهم من موقعه.. ما تزال مهمته في منتصفها، وما يزال ملتزماً بتنفيذها مهما ازداد الوضع صعوبة..

\*\*\*\*\*

في الجانب الآخر من المعسكر، تسلل كاد بدوره بخفة مستغلاً انشغال بعض الجنود على مبعدة بالتهم طعامهم.. رغم الحرب الوشيكة، لكن الجنود بدوا مسترخين بلا أي حذر أو توجس لما حولهم أو لمن قد يمر بهم.. بداله بوضوح أن فارق العدة والعدد قد عبث بعقولهم وأوهمهم أن نتيجة المعركة محسومة سلفاً لحسابهم، لذلك لم يملك كاد ابتسامة سخرية ارتسمت على وجهه وهو يشد اللثام عليه ويسير متخيراً المواقع المظلمة التي لن تكشفه للآخرين.. في ظلمة هذه الليلة، لم يكن تمييزه عن بقية الجنود ممكناً رغم أنه لا يرتدي دروع الجنود، لكن كاد بقي متحذراً في سيره وهو يتوغل في المعسكر بصمت حتى وجد نفسه أمام البئر الوحيدة في هذا المعسكر.. كان قادور قد استجوب رجال قبيلة (نجم الشمال) عند انضمامهم إليه، وتفحص تفاصيل هذا الموقع الذي يعرفونه حق المعرفة.. لذلك، ومع إدراكه أن هذا البئر هو الوحيد الذي يزود الجيش بالماء، قرر أن عليه تدمير هذا البئر في حال طال القتال لعدة أيام.. عندها ستواجه الجيش العربي مشكلة حقيقية متمثلة في نفاذ ماء الشرب الصالح للجنود، وستقل عزيمتهم أكثر فأكثر وبالتالي يصبح من السهل التغلب عليهم..

تلقت كاد حوله متفحصاً خشية أن يلمحه أحد، ثم استخرج من ثيابه خرقة قماشية ملفوفة.. ومنها أخرج الجسد الهامد لإحدى الأفاعي السامة المنتشرة في هذه السهول.. فأفرغ محتوى الخرقة في البئر ثم رمى الخرقة جانباً وهو يسمع صوت الماء بعد سقوط الجسم فيه.. عندها غمغم لنفسه "كان هذا سهلاً للغاية.. بقي عليّ البحث عن المدافع وذخيرتها لتنفيذ الجزء الأخير من....."

وجد في تلك اللحظة يداً تقبض على كتفه وجندياً يقول بصرامة "ما الذي فعلته يا هذا؟.."

استدار كاد متوجساً وهو يبعد تلك اليد عن كتفه متراجعاً للوراء، لكن الجندي قبض على ملابسه بشدة وأزاح اللثام عن وجهه قائلاً "من أنت؟.. ولم تخفي وجهك بهذه الطريقة المريبة؟.."

سحب كاد سيفه بسرعة وتهديد، لكن لثامه كان قد سقط بالفعل والجندي يصيح "أنت من الأكاشي؟!.."

وجه كاد ضربته بسيفه نحو الجندي، لكن الأخير تفادها وهو يقفز خلفاً ويصيح بغضب "كيف تمكنت من

التسلل للمعسكر؟.. وما الذي فعلته بالبئر؟.."

لاحظ كاد اقتراب عدد أكبر من الجنود على صياح ذلك الجندي، فاستدار بسرعة محاولاً الابتعاد قبل أن يقبضوا عليه.. لكنه توقف قبل أن يصطدم بجندي آخر اقترب من خلفه، فيما وجه له ذلك الجندي ضربة قوية على يده أجبرته على إسقاط سيفه.. ثم قبض على عنق قميصه دون أن يسمح لها بالفرار قائلاً بتقطيعة "ما الذي تفعله هنا أيها الأكاشي؟.."

صاح الجندي الأول بانفعال "لقد رأيته ينظر من فوهة البئر باهتمام.. أنا واثق أنه قد فعل شيئاً بالبئر.."

فوجد كاد الجندي الذي يقبض على عنق قميصه يهزه بشدة صائحاً "ما الذي فعلته يا هذا بالبئر؟"

نظر له كاد بصمت وتحد واضح، فدفعه الجندي حتى أسقطه أرضاً ووجه البندقية نحوه حتى لامست فوهتها جبينه، وقال بغضب "سأقتلك أيها الجاسوس.."

استوقفه أحد الجنود قائلاً "مهلاً.. علينا استشارة القائد.. كما أننا لا نعلم ما فعله بالبئر حتى الآن.. يجب أن نستجوبه قبل ذلك.."

قال الأول بحق "أتظن أن رجلاً من الأكاشي سيستجيب لنا مهما استخدمنا ضده من وسائل؟.. فلنقتله قبل أن ينجح في الهرب ويعود بأخبارنا لمعسكر الأعداء.."

اعترض الثاني قائلاً "ولكن...."

فقال الأول وهو يرفع البندقية من جديد نحو رأس كاد "تياً.. لن أنتظر أكثر من هذا.."

لم يحاول كاد إغماض عينيه وهو يواجه البندقية بصمت وتحدٍ، فقد كان هروبه ميؤوساً منه مع الجنود المحيطين به، وآخر ما يرغب به هو إظهار ذعره أو خوفه من الموت.. وعوضاً عن صوت الرصاصة العالي، فإن ما سمعه كاد كان صوت صياح في جانب آخر من المعسكر.. ولما استدار الجميع نحو الموقع، لم يفتهم رؤية النار التي اشتعلت في إحدى الخيام وسط المعسكر.. فقال أحد الجنود بتوتر "أليست هذه النار قريبة من خيمة القائد؟.."

بدت الصدمة بليغة على وجوه الجميع، فحاول كاد استغلال تلك الفرصة وهو يركل الجندي القريب منه بقوة، واستدار مندفعاً نحو ثغرة بين الجنود الذين شدهوا لما جرى.. لكن الجندي سارع لرفع بندقيته وإطلاق رصاصة أصابت ساق كاد وجعلته يتعثر فيسقط وهو يصيح متألماً.. عندها كان الجندي قد لحق به

بخطوات واسعة وهو يصوب بندقيته نحوه، ولما أدار كاد رأسه نحو الجندي، قبض الجندي على مجمع ثيابه وقال بحنق "كم فأراً تسلل إلى معسكرنا؟"

قال كاد بسخرية "أكثر مما قد تتخيل.."

نظر له الجندي بعبوس وغضب، بينما جلجلت ضحكة كاد وهو يقول "لا تفرح بتمكنك مني.. فقريباً ستفترش جثتك هذه السهول ككل أحرق يحاول غزونا.."

رفع الجندي بندقيته وأطلق رصاصة نحو رأس كاد قضت عليه في الحال ودماؤه تلتخ ملابس الجندي.. فترك الجندي جسد كاد يهوي أرضاً والتفت إلى رفاقه صائحاً "ما الذي تنتظرونه؟.. ابحثوا عن المتسللين، وليقم بعضكم بإطفاء النيران بسرعة والاطمئنان على القائد.."

لم يكذ يتم كلامه حتى سمع صياح الجنود القريبين.. ولما رفع رأسه عالياً، حيث أشار الجنود بأيديهم، رأى عشرات ومئات النيران التي ارتفعت عالياً في السماء قبل أن تهوي على رؤوسهم وعلى المخيم من ثلاث جهات دون هوادة.. وبينما تصايح الجنود وهم يحاولون الاختباء عن تلك السهام التي تتساقط بغزارة، فإن ذلك الجندي تراجع خطوات صائحاً "اللعنة.. هذا هجوم غادر.."

لكنه لم يجد رداً من رفاقه وأحد السهام المشتعلة يصيبه في صدره إصابة قاتلة أسقطته جوار جسد كاد الهامد، بينما بدأت النيران تشب في ملابسه بسرعة وشرهة..

\*\*\*\*\*

في موقع يطل على معسكر الجيش العربي، وعلى تلة تسمح للرجال بمراقبة المعسكر والاختفاء عن أنظار جنوده في آن واحد، قبعت فرقة الرماة الأولى التي يقودها باشتا بانتظار إشارة ريجاد المتفق عليها.. وبينهم، ربضت ججي تتطلع للمعسكر الذي بدا لها ساكناً وهي تمسك بقوسها وبكنانة السهام القريبة بتوتر كبير.. بقيت لحظات معدودة وتبدأ هذه الحرب، وهي الخبرة الأولى التي ستكتسبها ججي في هذا المجال.. لذلك تفاوتت انفعالاتها بين الحماسة للأحداث الوشيكة وبين التوتر لما قد يحدث فيها.. كانت الفرقة التي انضمت إليها ججي تتكون من عشرين رجلاً من الرماة، وقد تمركزت في الجزء الشمالي من المعسكر بينما

تفرقت فرقتين أخريتين من الرماة في الجزء الغربي والجنوبي منه.. بينما بقي الجزء الشرقي منيعاً بسبب الجبال الحادة التي تطلّ على المعسكر والتي لا يقدر الأكاشي على تسلقها بسبب انحدارها الشديد.. وعندما رأى باشتا إشارة ريجاد الواضحة، وهي الحريق الذي شبّ في خيمة قائد الجيش، صاح بمن قربه من الرجال "أطلقوا سهامكم الآن.. وركزوا على الموقع الذي تشتعل فيه النيران.."

كانت كل فرقة من الرماة قد أشعلت ناراً في أسفل التلة في الجانب المعاكس للمعسكر، وفي موقعٍ تغطي جانبه الصخور لئلا يفضحهم الضوء النابح من النيران.. فقام أربع رجالٍ بحمل المشاعل المشتعلة نحو الرماة، ليقوم كل منهم بإشعال مقدمة سهمه المغموس في الزيت، ومن ثم شدّ وتر القوس به وإطلاقه بقوة نحو معسكر الجيش العربي..

بدأ الرماة في رمي سهامهم المشتعلة بكل سرعة ومهارة، وتقاطرت السهام شاقة السماء نحو الخيم القماشية التي أقامها الجيش العربي لجنوده.. فكانت السهام تصيب مواضع متفرقة من المعسكر وتشتعل لها الخيام بسرعة كبيرة مثيرة بلبلة بين جنود الجيش الذين خلدوا للنوم منذ بعض الوقت ولم يستيقظوا إلا على الصياح وعلى دخان النيران.. وبينما تعالت الصيحات واضحة من المعسكر، فإن ججي كانت تشارك في رمي السهام بأسرع ما يمكنها بعد أن تشعل طرفها بمشعل قريب.. بدأت أصابعها تؤلمها من شدّ الوتر بقوة، لكنها استمرت في رمي السهام واحداً تلو الآخر وهي تتخيرّ المواضع التي لم تصلها النيران بعد في معسكر الأعداء..

وحسب الخطة التي سمعتها، كان عليهم حرق المواقع القريبة من خيمة قائد الجيش التي فضخ ريجاد مكانها، في محاولة للتخلص من القائد أو منع بقية الجنود من الوصول إليه وحمايته، ومن ثم حرق ما يمكن حرقه من المعسكر وإثارة بلبلة فيه قبل أن يتدخل جيش الأكاشي ويقضي على الجنود المذعورين متخلصاً منهم بأسرع ما يمكنه.. وعند تدخل جيش الأكاشي، يتوقف الرماة عن رمي السهام لئلا يصيبوا رفاقهم ويبقوا على أهبة الاستعداد لاصطياد أي هارب من معسكر الأعداء على ضوء النيران التي أنارت البقعة بشكل واضح..

في تلك الأثناء، كان ريجاد يمسك سيفه بقوة وهو يتلفت حوله في المعسكر الذي بدأت السهام المشتعلة تمطر عليه بغزارة.. ورغم النيران التي شبّت في أكثر من موقع حوله ورغم أصوات الصياح التي تعالت في

جوانب المعسكر، لكن ريجاد لم يساوره أي ذعر أو رغبة بالفرار وهو يدرك أن مهمته لم تنته بعد.. تجاوز جثة الجندي التي سقطت عند قدميه، وركض عائداً لخيمة القائد التي شبت النيران في أعلاها وبدأت تهاوى، ولما اقتحمها وجدها خالية ولم يعثر على أثر لقائد الجيش.. فقطب وهو يستدير مغادراً متلفتاً حوله.. لا بد أن القائد قد هرب عند اندلاع النيران في خيمته أثناء انشغال ريجاد، لكنه لا يقدر على الاستسلام الآن.. عليه أن يعثر على القائد، وأن يقتله بأي وسيلة كانت قبل أن يقتحم جيش الأكاشي المعسكر.. وإلا فإنه سيكون قد فشل في نصف المهمة التي أوكلت إليه..

ركض في جوانب المخيم ملاحظاً أن الجنود لم يعترضوا طريقه وسط البلبلة التي عمّت المكان وقد ظنوه جندياً مثلهم.. وفي موقع لا يبعد الكثير عن خيمة القائد، وجد الأخير واقفاً وسط مجموعة من رجاله قاموا برفع الدروع المعدنية حوله لحمايته من السهام المشتعلة، بينما كان القائد يلقي تعليماته لنائبه وجنوده بحدة وانفعال.. استطاع ريجاد التعرف عليه من هياته التي تختلف عن البقية ومن إحاطة الجنود له وحمايته بتلك الصورة، مما لا يدع مجالاً للشك في هويته..

ظل ريجاد رابضاً في موقع جانبي يراقب الوضع، محتمياً ببعض الصناديق عن السهام المشتعلة التي تساقطت على رؤوسهم دون تمييز.. وبعد وقت قصير، خفت حدة تساقط السهام على المعسكر، وبدأ الجنود بإنزال دروعهم من حول القائد الذي صاح برجاله "استعدوا للالتحام مع العدو.. لا بد أنهم سيهجمون على المعسكر الآن.."

نهض ريجاد عندها وهو يتحسس الخنجر المخفي في ثيابه، ثم اندفع نحو القائد صائحاً "سيدي القائد.. هناك معلومات هامة عن الهجوم الذي نواجهه.."

لم يتحفز الجنود لمرآه بسبب ملابس الجنود التي يرتديها، وريجاد يستغل الظلام الجزئي للاقتراب من القائد.. بينما نظر له القائد بتقطيب قائلاً "من أنت أيها الجندي؟.. وأي معلومات تملك؟"

لم يخفف ريجاد اندفاعه عند اقترابه من القائد وهو يقول بانفعال "الأكاشي يتقدمون من الجانب الشمالي للمعسكر.. إنهم على مشارف المعسكر بالفعل.."

وجد جندياً يمد ذراعه ليوقفه قائلاً بحدة "قف مكانك وتحدث دون انفعال يا هذا.."

لم يكن يفصل ريجاد عن القائد إلا متران تقريباً، ولم يكن يسمح بأن تفشل خطته الآن لأي سبب.. فقام

بركل الجندي القريب بقوة، ثم رمى الخنجر الذي يملكه نحو القائد الذي لم يكن قد ارتدى درعه بعد مع تلاحق الأحداث الأخيرة.. أصاب الخنجر جانب عنق القائد دون أن يقتله، فسارع لوضع يده على موضع الإصابة وهو يتراجع خطوة بألم، بينما قفز ريجاد نحوه قبل أن يفلح أحد الجنود بإيقافه.. وبعينين متسعيتين، رأى القائد ذلك السيف الذي استلّه ريجاد من أحد الجنود القريين بغفلة منه، فيما رمى ريجاد جسده على القائد وهو يغمد سيفه بقوة في عنقه وأسقطه أرضاً بعنف..

تدافع الجنود نحو القائد صائحين بغضب، بينما سحب ريجاد السيف بعد أن تأكد أن القائد قضى نحبه.. فطوّح سيفه نحو أقرب الجنود إليه محاولاً إيجاد ثغرة للهرب عبرها.. لكن الجندي أوقف اندفاع السيف ببندقيته، فيما وجد ريجاد أن سيفاً آخر قد غاص بين لحي كتفيه بقوة شهق لها وترنح في وقوفه.. قبل أن تتبعها ضربات أخرى حتى أسقطته جوار ضحيته وقد انسلت منه الحياة بسرعة لا تصدق..

\*\*\*\*\*

عندما صاح باشتا بفرقة الرماة ليتوقفوا عن رمي السهام، أطفأت ججي السهم الذي أشعلته للتو في الأرض، وربضت في موقعها وهي تلهث بانفعال مراقبة ساحة المعسكر الذي اشتعل دون هوادة.. وبعد وقت قصير، وقد كفّ الرماة الذين تمركزوا في الجانب الآخر من المعسكر عن رمي سهامهم كذلك، بدأت ججي تسمع الصياح العالي الذي اندلع من الجزء الغربي للمعسكر.. وفي ذلك الموقع، استطاعت أن ترى المئات والآلاف من الأكاشي يتدفقون نحو معسكر الأعداء على أقدامهم وسيوفهم تلتهم بضوء النيران وهم يطلقون صياحهم المرعب لإثارة فزع الأعداء بكل وسيلة ممكنة.. تخطى الأكاشي الحراسة الواهية أمام المعسكر والتي لم تصمد للحظات، وبدؤوا يقتحمون الخيام ويقتلون كل جندي يمر بهم دون تردد لئلا يمنحهم الفرصة للمقاومة واستخدام بنادقهم في صدّ الهجوم..

ودون تردد أيضاً، بدأ الجنود باستعادة أسلحتهم ومواجهة هذا الهجوم الذي باغتهم ونشر الفوضى في معسكرهم.. لكن هذه الفوضى بالذات هي ما صعّب على الجنود استخدام البنادق لمواجهة أعدائهم، بينما فضّل الأغلبية استخدام السيوف التي لا يستخدمونها إلا وقت الحاجة في مثل هذه الحروب.. فبدأت عدة



معارك تنشب في مواقع عديدة من المعسكر وصليل السيوف يعلو بوضوح في تلك المواقع.. انهالت الضربات يميناً ويساراً، وبدأ بعض الجنود وعدد أقل من الأكاشي يتساقطون جرحى أو قتلى دون أن يتمكن أحد من الالتفات إليهم وسط هذه الأحداث..

ظلت ججي تراقب الموقف بانفعال شديد وهي تودّ لو تهبط وتشارك البقية في القتال.. لم يكن القتل هو ما تهدف إليه، لكنها عجزت عن البقاء في موقعها بصمت مع كل الأحداث التي تجري في المعسكر.. ولولا أوامر أبيها الصارمة في هذا الشأن، لتجاهلت باشتا والبقية وركضت نحو معسكر الأعداء شاهرة سيفها لتشارك في الحرب الدائرة، وهو أمر تعجبت له بنفسها ولم تتوقعه بتاتاً..

سمعت صياح باشتا بهم وهو يقول "انتبهوا لكل شخص يحاول مغادرة المعسكر والهرب منه.. اقتلوا أي جندي عربي يحاول الفرار.."

ظلت ججي متأهبة وهي تراقب الوضع، ولاحظت على رأس تلة تقع غرب المعسكر أن فرقة أخرى من الأكاشي تمركزت في ذلك الموقع تراقب المعركة الدائرة، ورغم بعد المسافة والظلام المهيمن، لكنها أدركت أن تلك الفرقة تضم القادة الأربعة الذين أتوا المراقبة سير المعركة عن كثب وإصدار أي أوامر جديدة تتماشى مع الأحداث الجارية..

سمعت في تلك اللحظة صيحة من أحد الرجال وهو يقول "هناك فرقة صغيرة من الجنود تحاول مغادرة المعسكر.."

فصاح باشتا بهم "أفضوا عليهم.. لا تركوهم يغادروا المكان.."

بدا بوضوح أن تلك الفرقة التي لا يتجاوز عددها عشرون جندياً، تحاول الوصول للموقع الذي تمركز عنده قادة الأكاشي.. ورغم السهام التي تطايرت نحوهم بغزارة، إلا أنهم اكتفوا بصدّها بدروعهم المعدنية التي شكلت واقياً لأجسادهم وهم يستمرون في سيرهم الحثيث دون أن يعبؤوا الأمر من سقط منهم..

حاولت ججي بدورها إسقاط من يمكنها إسقاطه من الأعداء مستهدفة السيقان التي تبدو واضحة من أسفل الدروع.. ورغم أنها تمكنت من تعطيل اثنان منهم، لكن الفرقة كانت قد ابتعدت عنهم رغم تناقص عددهم الواضح.. فقال أحد الرجال بتوتر "هل نلحق بهم ونتصيدهم بسيوفنا؟.."

قال باشتا مقطباً "لا.. الأوامر واضحة بلأنغادر موقعنا.. مع هذا العدد القليل، سيتمكن الرجال

المصاحيين للزعماء من التخلص منهم بسهولة.."

كفت ججي عن رمي السهام وهي تربض في موقعها منفعة، وإن لم تتخل عن السهم والقوس في يدها بانتظار أن تلمح أي هارب من المعسكر الذي اشتعل وعمته الفوضى العارمة.. وبينما هي كذلك، سمعت صوتاً خافتاً متألماً من خلفها صاحبه سبة غاضبة، فاستدارت مدهوشة لترى عدداً من الأعداء يقتربون من موقعهم محاولين التسلل ومداهمتهم باستخدام السيوف، وقد تخلوا عن البنادق في هذه المرة لمباغته فرقة الرماة.. فمع انشغال الرماة بالمعسكر القريب، كان حذرهم مما يدور خلفهم قد تراجع بشكل كبير حتى سقط عدد من الرجال بأيدي الجنود الذين صعّدوا التلة ركضاً..

تلاحقت أنفاس ججي بقوة وهي ترى أقرب الجنود إليها يركض نحوها شاهراً سيفه.. ومع المفاجأة، ارتبكت ججي للحظة وعيناها تتسعان وهي تسمع تصايح بضع رجال حولها بأمر، لكنها تداركت نفسها مع منظر السيف الذي انعكس عليه ضوء النيران خلفها، فرفعت قوسها بسرعة وأطلقت السهم نحو الجندي القريب.. طار السهم ليستقر في عنق الجندي ويسقطه خلفاً متدحرجاً نحو أسفل التلة، بينما حاولت ججي تمالك انفعالها وهي تنهض وتشد القوس بسهم جديد وتطلقه على جندي آخر كان يستهدف أحد الأكاشي.. لكن مع التحام أغلب الجنود مع بقية رفاقها، فإن ججي فضّلت استخدام السيف خوفاً من أن تصيب سهامها أحد الأكاشي.. ودون تردد، اندفعت ججي نحو جندي التحم مع أحد الرماة، فلم تتردد ججي للحظة وهي تغرز سيفها في خاصرته بقوة حتى سقط أرضاً، فأغمد رجل الأكاشي سيفه في صدر الجندي وقضى عليه قبل أن يلتفت إلى ججي صائحاً بغضب "لم أطلب منك معاونتي.. أتريني ضعيفاً؟"

صاحت ججي لتتغلب على الصوت العالي حولها قائلة "نحن لسنا في نزال فردي لتخشى أن يعيرك الآخرون بتدخلي.. يجب أن تتغلب على هؤلاء المتسللين، لنعود لمهمتنا الأصلية.. أم أنك نسيت؟.."

استدار الرجل مبتعداً وهو يدمدم بغیظ، بينما التفتت ججي حولها بحثاً عن صيد سهل بين الأعداء.. كانت الدماء تغلي في جسدها، وتشعر بشيء من التوتر والقلق الممتزج بانفعال تتسارع له دقائق قلبها.. وبدلاً من أن تفر مذعورة، فإنها شعرت بحماس وانفعال شديدين وهي تهوي بسيفها على فخذ جندي آخر فتسقطه أرضاً ثم تهرع لآخر.. كان قصرها وحجمها الصغير يجعل الجنود يتغاضون عنها وهم مندمجون في النزال

مع الرجال الأضخم والأكبر عمراً.. لذلك كان سهلاً على ججي التسلسل بينهم وجندلة من تستطيع الوصول إليه، أو عرقلته بحيث تمكّن رفاقها من القضاء عليه.. ولما سقط الجندي الأخير، وقفت ججي ممسكة بسيفها بشدة وهي تنظر للأجساد الساقطة أمامها، وقد تناقص عدد رفاقها للنصف.. ثم سمعت باشتا يقول وهو يمسح الدماء عن سيفه "الحرب لمرنته بعد يا رجال.. عودوا لمواقعكم حتى تصلنا تعليقات أخرى من القادة.."

مسحت ججي الدماء عن سيفها بطرف قميصها الملطخ بالدماء بالفعل، ثم علقته في حزامها وهي تنظر لجندي قريب سقط بعد أن فصل أحد الرجال رأسه.. ما استرعى انتباهها فيه هو ذلك السيف الذي يقبض عليه بقبضته.. كان سيفه يختلف اختلافاً كلياً عن سيوف الأكاشي العريضة والحالية من أي زينة.. فسيفه كان ضعيف النصل وطويله، بزخارف بديعة نقشت عليه بالإضافة لمقبض فضي مزخرف جذب أنظارها بشدة.. انحنت ججي وجذبت السيف من يد الجندي، ثم وضعت في حزامها مع سيفها الآخر قبل أن تعود لموضعها السابق متناولة قوسها وأحد السهام باستعداد.. الحرب ما تزال ضارية وسط المعسكر.. ومهما استغرق الجيشان فيها قبل إنهاؤها بشكل كامل، فعلى ججي ألا تبارح موقعها بتاتاً.. مهما طالت الساعات لتحقيق ذلك..

\*\*\*\*\*

عندما سقط قائد الجيش العربي أمام جنوده، حدث اضطراب كبير وبلبلة عارمة بين من شهد الأمر من الجنود.. ورغم ذلك، أسرع نائبه لاستلام الأمور وهو يصيح بمن قربه "اثبتوا في مواقعكم يا رجال وتخلصوا من الأكاشي.. يمكنكم تمييزهم بسهولة بسبب خوذاتهم.. استخدموا البنادق ولا تواجهوهم مباشرة.."

اقترب أحد الجنود منه قائلاً بتوتر "سيدي.. لقد حاول جنودنا الوصول للرماة والقضاء عليهم حتى يتمكنوا من الوصول لقادة الأكاشي، لكن تم القضاء عليهم بشكل تام.."  
فقال القائد الجديد بحقن "انس أمرهم الآن.. لن نستفيد أمراً ما لم نتخلص....."

فوجئوا برؤية ذلك السهم الذي اخترق صدر القائد وأسقطه أرضاً غير بعيد عن القائد الأول.. وعلى خيمة قريبة، وقف أحد الأكاشي معتمداً على الدعامة التي تثبت الخيمة وهو يشد قوسه بسهم جديد ويرمي به جندياً آخر دون تردد.. ارتفعت البنادق نحو ذلك الرجل وتطايرت الرصاصات لتلقيه قتيلاً من موقعه، بينما هجمت مجموعة أخرى من الأكاشي نحو ذلك الموقع وهم يندفعون وسط الجنود مطوحين سيوفهم يميناً ويساراً دون تأن أو تردد..

تراجعت تلك الجماعة من الجنود مع تدفق الأكاشي وهم يتفرقون في الموقع، بينما صاح أحدهم "اثبتوا يا رجال.. لا بد أن نتصر عليهم فنحن أكثر عدداً وعدة.."

لكن الجنود تراجعوا أكثر فأكثر والذعر في نفوسهم يتزايد بشدة.. كانت وحشية الأكاشي تتمثل أمامهم بأقسى صورها.. فالرؤوس المقطوعة والأطراف المبتورة ليست أقل ما يحصل عليه الجنود بسيوفهم، وهم لا يترددون أمام البنادق أو لمراى عدد الجنود الذي يفوق أعدادهم بمراحل.. تساقط الجنود كالفراش أمام نار متوهجة، وبدأ الفرق يبدو بوضوح بينهم وبين الأكاشي الذين تقدموا في كل مرة بينما تراجع الجنود بشكل متعثر وقد فقدوا القائد الذي يمكن أن يرتب صفوفهم وينظم هجومهم..

ومع توالي الهجمات في جوانب المخيم، انكسرت إرادة الجنود خلال لحظة وانهمزوا بشكل تستغربه الأعين ومن بقي منهم يترأضون نحو الجبال القريبة متخلين على كل أسلحتهم وعتادهم ومتاعهم، بينما لم يتردد الأكاشي في الاندفاع خلفهم واصطياد من تطاله سيوفهم ورماحهم وسهامهم.. بدأت الجيوش المعتدية تتشتت في السهول وهي تهرب عبر الجبال القريبة محاولة العودة لموطنها قبل أن يمسحها الأكاشي عن الوجود.. ورغم أن الأكاشي قد خسروا الكثير من الرجال بالفعل، لكن لم يبدُ عليهم أنهم سينهزمون في وقت قريب..

ومع مرأى هروب الجنود نحو الجبال القريبة، ومع تساقط العديدين منهم بسهام بعض رماة الأكاشي، فإن البقية قد كفوا عن القتال وملاحقة الجنود وهم يطلقون صيحات احتفالية بهذا النصر الذي جاء أبكر مما توقع كل القادة.. تعالت صيحاتهم في السهول الخالية، ورددت صداها الجبال القريبة مضاعفة بحيث أثارت فزع الجنود المهزومين أكثر فأكثر.. وبينما وقفت ججي متلفطة حولها للرجال القريبين وهي تشد يدها على قوسها بانفعال لم تملكه، فإنها وجدت نفسها بعد ذلك تصيح بأعلى صوتها مقلدة الأصوات التي تتردد

حولها وهي ترفع قوسها عالياً.. كان ذلك نصرها الأول، وكان شعوراً لا يصدق ذلك الذي انتابها وهي تجد نفسها وسط جيش الأكاشي تحتفل بالنصر معهم وتتباهى به مثلهم..

\*\*\*\*\*

مع أولى أشعة الشمس التي أعلنت بدء يومٍ جديد على السهول، كانت الحرائق لا تزال مشتعلة في جوانب المعسكر الذي أقامه الجيش العربي في سهول الأكاشي.. كانت أغلب الخيام قد تحولت لأنقاضٍ متفحمة، بينما ما بقي منها صامداً قد أخذت النيران تأكل أطرافه بسرعة وانعدام صبر.. ووسط المعسكر، افترشت الجثث الساحات وتكومت في جوانب المكان وسط رائحة قبيحة من مزيج الدماء مع رائحة الجثث المتفحمة..

سار قادور وسط المعسكر بصمت متأملاً جوانبه ومقدراً خسائر الأكاشي في هذه المعركة.. كانت فرق الأكاشي قد خسرت ما يقارب ألفي رجل، وهو عدد غير قليل مقارنة بعدد الأكاشي إجمالاً.. لكنه لا يعد شيئاً مقارنة بما خسره الجيش العربي في هذه المعركة.. فجثت الجنود المتناثرة في جوانب المعسكر يقدر عددها بما لا يقل عن عشرون ألفاً، بينما فرّ البقية منهم بعد أن قتل القائد وأغلب قادة الألوية، ولم يستلم زمام الأمور في الجيش أي رجل بعده.. فاضطرّ البقية للفرار متراجعين عبر ممرات ضيقة تعبر السلسلة الجبلية عائدين لمملكتهم بشكلٍ مخزٍ..

وبينما وقف براد في وسط المخيم منتشياً بالانتصار الذي حققه الأكاشي، وقام شين وكيراد بإلقاء الأوامر لرجالهم بالتقاط ما يمكن التقاطه من غنائم قبل الانسحاب من الموقع، فإن قادور وقف بصمت يتأمل جثث الرجال التي تفحمت وما عاد بإمكان أحد التعرف عليها.. لم يشعر بالحسرة على من فقدهم من الرجال، لشعوره أنهم قد ماتوا بطريقة مشرفة كأكاشي ولضمان حرية السهول من أي اعتداء.. لكنه استاء لظنه أنه قد أخطأ في حساب الخسائر أو أن هؤلاء الرجال قد ماتوا السوء تقدير منه.. وبعد صمتٍ طويل قضاه متأملاً جوانب المعسكر، استدار إلى كيراد القريب منه قائلاً "هل سنبقى هنا لانتظار عودة الجيش العربي؟"

نظر له كيراد بشيء من الاستنكار وعلق "طبعاً لا.. علينا العودة إلى مخيماتنا بعد أن نجتمع الغنائم.. لقد انكسرت شوكة الجيش العربي ولن تقوم لهم قائمة بعد اليوم في هذه السهول.."

غمغم قادور بغير اقتناع "لا أظن ذلك.."

فقال كيراد بضيق "لا يمكننا ترك مخيماتنا مكشوفة أكثر من هذا.. من يعلم ما قد يجري فيها ومن قد يتهاجم عليها من القبائل الأخرى مستغلين غيابنا.."

قال شين الذي اقترب والتقط الحديث الدائر بينهما "ألر يقيم طاغار بمخاطبة باقي القبائل التي لم تشارك في هذه الحرب؟.. لقد وعد بأن يرسل إليهم الرسل مطالباً بوقف أي حروب داخلية حتى نفرغ من عدونا المشترك هذا.."

علق قادور عليه قائلاً "لا أشك بأنه قد فعل ذلك.. لكن ليس هذا ما يهمني الآن.. أتظنون أن الجيش العربي قد اندحر حقاً ولن يعاود مهاجمتنا من جديد بعد أن يستجمع شتاته؟.. ربما حاولوا إيهامنا بتراجعهم وهم على ثقة أننا لن نلحق بهم عبر الجبال.."

غمغم كيراد وهو يتعد "أنت تبالغ.."

فقال قادور بضيق "لا نريد أن يعود الجيش بعد حصوله على إمدادات من الملك العربي فيجد البقعة خالية ومؤهلة لعودته بهذه البساطة.."

لم يجبه أحدهم وكيراد يقول لرجاله "أسرعوا يا رجال.. بعد أن تحصلوا على قسط من الراحة، سنرحل عائدين لمخيمنا بأسرع ما يمكن.."

زفر قادور وهو يرى شين وبراد يحدوان حذو كيراد، بينما اقترب أحد الرجال من قادور متسائلاً "هل سنرحل نحن أيضاً يا زعيم؟"

أجاب قادور باستياء "وهل نقدر على غير هذا؟.. رجالنا وحدهم ليسوا قادرين على مواجهة الجيش العربي في حال عودته، كما أن الاستياء سيغمرهم لرؤية رحيل البقية بينما هم مجبرون على البقاء في هذا الموقع لأجل غير مسمى.."

عاد الرجل يتساءل "إذن، ما الحل؟.."

تطلع قادور حوله، ثم قال "أخبر الرجال أننا سنرحل بعد أن يحصلوا على بعض الراحة.. واستدع لي

تبريق.."

استدار الرجل منفذاً أمره، بينما لاحظ قادور ججي التي اقتربت منه راكضة وابتسامة عريضة على وجهها وهي تصيح "أنت بخير يا أبي؟"

قال قادور بابتسامة "هذا السؤال أوجهه لك يا جام.. ما الذي فعلته في هذه المعركة؟.."

قالت بحماس "لقد تصرفت كما طلبت مني يا أبي.. لكن فاجأنا الأعداء مفاجأة كبيرة.. فقد....."

انطلقت ججي تروي لقادور ما جرى لها مع فرقة الرماة في الليلة الماضية، وما فعلته أثناءها مغلفة كلماتها بحماس كبير وانفعال أكبر، بينما استمع لها قادور بابتسامة صامتة ونظرة رضى تتبدى في عينيه.. ولما فرغت ججي من حديثها، ربت قادور على كتفها قائلاً "رائع.. ليس أكثر مني فخراً بك الآن يا جام.."

شعرت ججي بالسعادة تكاد تطفح من صدرها وهي تمسك يد قادور اليمنى وتنحني واضعة يده على جبينها بحركة يمارسها الأكاشي وتدلّ على الاحترام الشديد، وقالت بصوت متهدج "لم أكن لأحظى بفخرك ولم أكن لأصبح ما أنا عليه دون تعليماتك وصبرك عليّ يا أبي.."

ربت قادور على رأسها بابتسامة، ثم قال مشيراً لما حوله "ألا تريد أي غنيمة من هذه الحرب؟.. هي حريك الأولى، ولا بد أن تحصل على تذكارات منها.."

رفعت ججي السيف الذي استولت عليه من الجندي العربي وقالت "هذا يكفيني.."

ثم تساءلت "وأين هو مینار؟.. لم أره منذ انتهت هذه الحرب.. أهو بخير؟"

فقال قادور بابتسامة "ذلك الثعلب لا يمكن لأحد التغلب عليه.. لا بد أنه عاد للمعسكر.. عد أنت أيضاً وخذ قسطاً من الراحة بعد هذا المجهود.. سنغادر مع نهاية هذا اليوم دون إبطاء.."

هزت رأسها موافقة، واستدارت لتغادر عندما استوقفها قادور قائلاً "ما الذي سنفعله بالكشميتي يا جام عند رحيلنا؟"

نظرت ججي له وقادور يضيف "لا يمكننا أخذه معنا إلى القبيلة.. وهو لم يحاول المغادرة ولو لمرة واحدة طوال هذا الوقت.."

قالت ججي باهتمام "ولم لا نصطحبه معنا للقبيلة؟.. إنه لا يملك وطناً يعود إليه.. من المحزن أن يبقى تائهاً في العراء وحيداً.."

غمغم قادور "من الغريب أن يلجأ شخص للبقاء مع الأكاشي لوقت طويل.. فسمعتنا لا تسمح للغرباء بذلك.."

فقلت ججي "لكنه أنقذ حياتي سابقاً.. فليبق معنا حتى يرغب بالرحيل بنفسه.."

فقال قادور وهو يستدير مبتعداً "لا بأس.. افعل ما يحلو لك يا جام.."

عندها غادرت ججي عائدة إلى معسكر الأكاشي دون إبطاء.. كان قلة من الأكاشي قد لجؤوا للعودة للمعسكر بينما بقي الجزء الأعظم منهم لنهب كل ما يمكن حمله من غنائم من الجيش المنهزم، وتكونت أغلبها من السيوف والدروع وبعض الأطعمة والملابس.. بينما تركوا البنادق في مواقعها لأنهم لا يهتمون بها ولا يعرفون كيفية استخدامها لذلك هي بلا قيمة عندهم، إلا من فكر ببيعها للمدن والقرى القريبة من السهول..

وصلت ججي إلى المعسكر الذي كان شبه خالٍ من الرجال، وسارت فوراً إلى خيمة أبيها لتجد كين نائماً بوضعية الجلوس كما تركته في الليلة الماضية، وقد انتبه مذعوراً عندما سمع صوت خطواتها واعتدل جالساً وهو يقبض على السيف بيده.. ولما رآها، قال بشيء من القلق "هل انتهت المعركة؟"

أجابت ججي بابتسامة "لقد انتهت المعركة منذ أمد بعيد.. وكانت الهزيمة من نصيب الجيش العربي المعتد بنفسه.."

رفع كين حاجبيه بصدمة كبيرة لهذا الخبر، وقال مذهولاً "كيف تمكنتم من ذلك؟.. كيف تغلبتم على المدافع والبنادق بسيوفكم ودروعكم فقط؟"

ركعت قربه وقالت مشيرة لعقلها "ببعض الحيلة.. ولكي لا يستهين بنا أعداؤنا ظانين أننا مجرد قبائل همجية بلا عقل.."

ظل كين صامتاً يحاول استيعاب مثل ذلك الخبر الغريب.. كان واثقاً أشد الثقة أن الأكاشي سيهزمون خلال الساعات الأولى، وعندها سيجد أن جنود الجيش العربي سيندفعون نحو هذا المخيم ليقضوا على من بقي من الأكاشي فيه.. وكونه من الكشميت لن يجعل موقفه أفضل في أعين الجنود العرب، فالمودة بين الكشميت والعرب مفقودة منذ بدء تكوين المملكة العربية بقيادة الملك فارس.. لذلك قضى الساعات الماضية مرتعباً في موقعه بانتظار هجوم الجيش العربي على هذا المخيم..



انتبه لججي التي قالت بابتسامة متسعة "كن سعيداً يا كين.. بما أنك لا تملك موطناً ترحل إليه، فلقد وافق أبي على أن تعود معنا لمخيم قبيلتنا.."

لكن كين لم يظهر أي سعادة لهذا الخبر، وهو يخفض وجهه ببؤس واضح، فقالت ججي بابتسامة جانبية "العيش مع قبيلتنا لن يكون سيئاً أبداً.. صدقني.."

غمغم كين "أنت تقولين هذا لأنها موطنك.."

فقالت ججي "وهل تملك مكاناً آخر ترحل إليه؟"

صمت كين دون إجابة وهو لا يملكها حقاً.. مع مرور الأيام، تضاعف حماسه للرحيل لمملكة وادي النسور، لكن بقاءه في سهول الأكاشي ضرب من المستحيلات أيضاً.. فما الذي يمكنه أن يفعله؟.. هل يعود أدراجه لكشميت ويواجه قدره؟.. هل يهيم على وجهه ويرى أين ستقوده قدماه؟..

قطع تفكيره قول ججي وهي تضرب كتفه بقوة "صدقني هذه المرة.. ستحب العيش معنا كثيراً.. على الأقل، لن تشعر بالملل.. وستكون أيامك حافلة بالكثير من الأحداث.."

نظر لها بغير تصديق، فمالت تجاهه مضيئة "سأضمن ألا يحدث ذلك.. سأؤكد أنك ستخوض تدريباً قاسياً، وخلال سنة ستصبح شخصاً مخالفاً تماماً لما أنت عليه الآن.."

تنهد كين مغمماً "وهل سأبقى هنا سنة كاملة؟"

هل يترك هذه الفتاة التي تظن نفسها رجلاً تسوقه أينما تشاء؟.. هو بالفعل غير مستقر على أمر.. لا يزال يخشى الرحيل وحيداً في هذه السهول، ولا شك أن القوافل ستبقى منقطعة عن هذه السهول مع أخبار الحرب التي لا يشك أن يصل خبرها أطراف الأرض الأربعة.. فحتى متى يستطيع الصمود في هذه السهول الدموية؟..

متى سيقدر حقاً أنه سيغادر هذه القبائل الذي لا يزال يصر أنها متوحشة ولا تتصرف بعقلانية؟..

لكن لا يسعه إلا أن يصبر حتى تسنح له الفرصة الملائمة لذلك.. ولا يعلم حتى الآن متى سيكون ذلك..

\*\*\*\*\*

## الفصل الثامن {سنوات الرخاء}

توالت ضربات الموج القوي على ذلك المنحدر الحاد بصوتٍ مسموعٍ في الجزء الجنوبي من سهول الأكاشي، وتناثر الرذاذ على الصخور مكوناً شلالاً خفيفاً من القطرات التي تطايرت لمسافات غير معتادة.. قبل أن تنحسر الموجة عائدة للبحر الذي ينتظرها أسفل المنحدر وتتأهب لضربة جديدة رغم أنها لم تفلح في كسر ثبات المنحدر الصخري.. وفي جزء قريب من ذلك المنحدر، تناثرت الخيم ذات الأساس الخشبي التي يغطيها قماش سميك بلون أبيض مع بعض الزخارف مكونة مخيماً على شيء من الاتساع يخص قبيلة (أبناء الذئاب).. كان الضباب الخفيف قد بدأ ينسحب استعداداً لاستقبال شمس ذلك اليوم، بينما هدأت القبيلة في مخيمها الشتوي بعد أن استقرت في الموقع منذ عدة أسابيع..

وفي خيمة متطرفة، لا يزيد حجمها عن حجم أصغر خيمة في الموقع، استيقظ كين من نومه على تلك الرائحة المميزة التي احتشدت في المكان وأطارت النوم من عينيه.. نظر حوله في الخيمة ملاحظاً النار التي أشعلت وسطها، بينما جلس ذلك الشخص محني الظهر قربها وهو يعبث بغليون بسيط في يده.. فنهض كين معلقاً "هل يجب أن تبدأ يومك في كل مرة بهذه الأعشاب التي تخنقني برائحتها الكريهة يا مينار؟"

غمغم مينار وهو يحشو غليونه بالمزيد من الأعشاب "لو جربتها مرة لما كففت عن تدخينها.."

علق كين وهو يغسل وجهه بهاء في إناء جانبي "لا أريد الاعتماد على هذه الأشياء.."

تقدم من النار وجلس قربها وهو يقول بنفضة "لقد ازداد البرد هذه الأيام.. أليس كذلك؟"

قال مينار "لن تكون الأمور أفضل في وقت قريب بتاتاً.."

لر يعلق كين بل تساءل "هل استيقظت ججي؟"

أجاب مينار "لم تصرّ على مناداته بهذا الاسم رغم محاولاته العديدة لإقناعك بالعدول عن ذلك؟"

قال كين بإصرار "هل أنت أم لا؟"

فقال مينار "لقد أتى جام قبل فترة ووجدك نائماً.. فغادر متذمراً من كسلك الذي لا يطاق كما وصفه.."

علق كين بضيق "كان عليك إيقاظي عندها.. لا بد أنها تركتني ورحلت كالعادة.."

فتساءل مینار "ما الذي ستفعله إذا؟"

هز كین كتفيه مجيباً " سأذهب للبحث عن بعض الطرائد بنفسي.. الشتاء على الأبواب، ونحن بحاجة لمخزون إضافي قبل أن تقل الطرائد في هذا الموقع من السهل.."

تأمل مینار كین بصمت للحظات.. لقد مرت ست سنوات منذ انضم كین لقبيلة (أبناء الذئاب)، والآن وقد بلغ الثانية والعشرين من عمره فإنه قد اكتسب طولاً يقارب طول مینار، وإن بقي جسده نحيفاً بشكل بالغ رغم كل محاولاته للتغلب على ذلك.. استطال شعره حتى لامس كتفيه، وقد اعتاد على ربطه خلف عنقه، بينما اكتسبت بشرته شيئاً من السمرة لطول بقائه في العراء كما يفعل أغلب الأكاشي.. وقد أصبح أقوى وأكثر صلابة مما كان عليه عندما أحضرته ججي معها وهو لا يتجاوز السادسة عشر من عمره، رغم ما يبدو عليه من نحول ورغم أنه لا يزال أضعف من الأكاشي عموماً.. فعلق مینار بابتسامة "لشد ما تغيرت في هذه السنوات يا كین.."

نظر له كین بعدم فهم، فأضاف مینار "لقد أصبحت أشبه ما يكون بالأكاشي.."

غمغم كین وهو ينهض "أتمنى ألا أكون قد اكتسبت همجيتهم ووحشيتهم بعد.."

ضحك مینار لتعليقه، بينما حمل كین سيفه وقوسه، وغادر نحو مربط الخيول الواقع شرق المخيم ليفك رباط حصانه ذي اللون البني والعرف الأشقر مع نجمة بيضاء على جبهته.. فقام كین بتثبيت السرج على ظهره ثم امتطاه وتلفت حوله بحثاً عن الغبراء، لكنه أدرك أن ججي قد غادرت بالفعل بعد أن تأكد من غياب فرسها من وسط القطيع.. عندها لكز كین حصانه وركض به مبتعداً عن المخيم ومحاذياً المنحدر الذي يمتد لمسافات طويلة حتى الأفق..

رغم مرور السنوات على انضمامه للقبيلة، ورغم مرور الأشهر والسنوات عليه وهو يرافقها من مخيمها الصيفي للمخيم الشتوي بشكل سنوي، لكنه لم يجد في نفسه دافعاً للرحيل وحيداً.. رغم بلوغه مبلغ الشباب، لكنه لم يجد لديه القدرة على قطع هذه السهول دون مرافقين ومنظر تلك القافلة التي سالت دماء أصحابها وتناثرت أشلاؤهم في بقعة واسعة من ذلك الموقع لا تزال تقض مضجعه.. كما أنه لم يكن يملك وطناً يتلهف للعودة إليه وهو الذي غادر وطنه متسللاً هارباً من الجريمة التي ارتكبها والتي لن تمر مرور الكرام كما يثق تماماً..

عندما وصل لمخيم هذه القبيلة للمرة الأولى، أخذته ججي لمينار وطلبت منه استبقاءه معه واعتباره تلميذاً من تلاميذه.. ورغم اعتراض مينار بأنه لا يملك تلاميذ ولا يستقبل أحداً في خيمته التي يعيش فيها وحيداً، لكن ججي رجته بكل حماس وطلبت منه تغيير الفتى ليصبح أشد قوة وأكثر بأساً مما هو عليه.. ورغم تجاهل مينار لطلبها ذلك في البدء، لكن ججي استمرت في سحب كين معها كل يوم أثناء قيامها بالتدريبات.. ودفعته للتدريب بشيء من القسوة والإلحاح حتى اعتاد مينار على وجوده معها وأصبح يتولى تدريبه بنفسه دون اعتراض هذه المرة.. ورغم كل شيء، لم يستمع أي منهما لاعتراض كين ولرفضه، ولم يعبأ أحدهما لرأيه في الأمر..

والآن، بعد السنوات هذه، لم يعد أحد يلاحظ وجود كين في المخيم أو يستنكره.. ورغم أن الكثيرين منهم ينادونه بالكشميتي، لكنهم يتعاملون معه كما يعاملون أي رجل آخر من رجال الأكاشي.. أما مينار، فسرعان ما تألف مع كين وأصبح بالنسبة إليه أقرب للعائلة التي لا يملكها.. مع أنه في المعتاد لا يصرح بهذا بشكل علني، لكن كين يدرك أن مينار يستطيب وجوده معه ويستمتع بالخدمات التي يقدمها له كين عن طيب خاطر..

تنهد كين وهو يراقب السهول من حوله.. لقد تغيرت أمور كثيرة بالفعل طوال تلك السنوات.. ما عاد ذلك الفتى المذعور الذي يرتجف لرؤية رجل من الأكاشي.. ورغم أنه لا يشاركهم في مهامهم ورحلاتهم الفردية، ولا يستمتع ببعض الاحتفالات الدموية التي يقومون بها عند القبض على بعض أعدائهم، لكنه أصبح أكثر اندماجاً معهم مما تخيل في أكثر أحلامه جموحاً.. ورغم أنه أصبح أكثر ثقة بنفسه، وما عاد يقلق لمغادرة المخيم وحيداً بحثاً عن الطرائد، لكنه لم يجرؤ على الرحيل قط.. وكلما مرت السنوات، قلّ لديه ذلك الدافع للرحيل مع استحالة عودته لوطنه.. ازداد ارتباطه بالقبيلة أكثر عن السابق، وأصبح يرى أن البقاء معهم ليس سيئاً حقاً كما تخيل..

أحكم كين لف المعطف الجلدي حول عنقه اتقاءً للبرد، ولكز حصانه وهو يدور بعينيه حوله بحثاً عن طريدة يصطادها.. لا بد أن ججي قد خرجت بدورها للبحث عن طرائد لعائلتها، ولا بد أنها ستعيّر بها اصطاده كالعادة.. لكن هذه المرة، لن يسمح لها بالتغلب عليه أبداً.. سيتغلب عليها ولو مرة واحدة في حياته..

\*\*\*\*\*

بعد أن ارتفعت الشمس في السماء، وبعد أن أنهت النسوة أعمالهن اليومية وبدأن بالتحضير لغداء رجال القبيلة، فإن تينا قد هرعت عابرة الخيم التي تفصلها عن نهاية المخيم حتى انفرج المنظر أمامها عن تلك السهول الفسيحة الواسعة.. تلاحقت أنفاسها بانفعال وهي تزيج خصلات شعرها الأشقر للوراء متأملة الأفق بصمت.. الآن، وهي في الرابعة عشر من عمرها، قد أصبحت تينا أقرب شياً لأمها وبدأت كنسخة مصغرة منها.. ورغم أن تينا كانت ذات جمال ملحوظ وقامة فارعة رغم صغر سنها، لكنها لم تكن تهتم بنظرات الشباب التي تلاحقها ولا بالغزل الذي يلقيه بعضهم على مسامعها.. لم تكن تهتم بشباب الأكاشي بتاتاً، ولم تكن تهتم بنظرات الإعجاب ولا بالكلمات الجلفة التي يظنونها غزلاً قد يوقعها في حبائلهم.. لم يكن يهمها إلا ذلك الشاب الهادئ الذي يبدو كنسمة هادئة مقارنة بخشونة شباب قبيلتها وقسوتهم..

ومع انعتاق ججي من مهام النسوة المعتاد، فإن أعمال عائلتها قد وقعت على كاهل تينا التي قامت بكل ما تطلبه منها ستينا دون أي تدمير.. شريطة أن تحصل على بعض الوقت تسترقه استراقاً من أعبائها لرؤية كين والتحدث إليه على وجه الخصوص..

تنهدت تينا وهي جالسة على صخرة بانتظار عودة كين.. عادة يعود عند منتصف النهار ليحضر الطرائد التي اصطادها، وبقاؤها هنا كان وسيلة ممتازة للقاء بعيداً عن الآخرين وقضاء الوقت وحيدة معه.. وهو أمر بالكاد يحدث مع وجود ججي معه أغلب أوقات النهار.. تنهدت تينا مرة أخرى وهي تهمس "أين أنت يا كين؟.. لا تدعني أنتظر هكذا.."

كانت بشوق للحديث معه عوض استراق النظر إليه من بعيد كما تفعل عادة.. فهو إن لم ينشغل بتدريباته اليومية، فإنه يقضي أوقاته في مجالس الرجال يستمع لأحاديثهم وليعرف آخر الأخبار التي وصلت إليهم.. لذلك لا تجرؤ تينا على الاقتراب منه بسبب معاملة الأكاشي الدونية للمرأة وكرههم لوجودها في مجالسهم.. الوحيدة التي حصلت على استثناء من هذا هي ججي، أو بالأصح جام، ولشد ما تحسدها تينا على هذا.. هي لا ترغب بأن تعامل كرجل، ولا تهتم بأمر بقية الرجال.. كل ما يهمها أن تكون قريبة من

كين اللطيف وتستمع لصوته الهادئ وهو يتحدث بدون صخب وانفعال كما يفعل الأكاشي عادة.. لمحت في تلك اللحظة ذلك الحصان الذي يتقدم منها بشكل حثيث، فتلاأت عينها وتورد خداهما بشدة وهي تراقب الحصان وراكبه.. بدأ قلبها يخفق انفعالاً وخفضت وجهها بتوتر وهي تعدل خصلات شعرها الشقراء الناعمة التي تنسدل على جبينها.. ما زاد توترها اليوم هو عزمها على البوح لكن بمشاعرها.. لقد امتلأ صدرها بحب قوي عجزت معه عن كتمانها ورغبت أن تفصح له عن هذا الحب بشدة.. إنها تكاد تجزم أنها يبادلها ذلك الحب.. لا بد أنه يخجل من التصريح به بالنظر لشخصيته الهادئة، وهي لا تكره هذا ولا يهملها أن تكون هي البادئة.. ستصارحه بحبها، وستنال حبه بكل تأكيد..

بعد لحظة، سمعت الحصان يصهل وصاحبه يجذب لجامه لإيقافه على بعد خطوات منها، فاستدارت إليه بلهفة وانفعال لترى ذلك الحصان الأشقر الذي شاب لونه شيء من الحمرة، وعرفه الأشقر يتحرك مع تلمله.. دهشت وهي ترفع بصرها للراكب على ظهره، وقد أدركت أن هذا ليس حصان كين.. فرأت رجلاً غريباً يتجاوز كين في العمر بعشر سنوات على الأقل، أسمر البشرة شيئاً ما بشعر بني أشعث ولحية كثة.. ومن بين ملامحه العابسة التمتع عيناه السوداوان الحادتان بينما برز جرح واضح على جبينه ممتداً حتى جانب أنفه..

دهشت تينا من منظره الذي أثار في نفسها بعض التوجس وهي مدركة أنه ليس من رجال قبيلتها، فتراجعت خطوة بينما قال الرجل بصوت خشن "يا صغيرة.. أين الزعيم قادور؟.."

ابتلعت ريقها للحظة ثم أشارت للمخيم قائلة بصوت مبحوح "في خيمته وسط المخيم.."

لكنه لم ينطلق في طريقه بل لبث للحظة يتأملها بصمت مما أزعجها وهي تدير رأسها جانباً.. وأخيراً، سمعته يقول "إلى اللقاء يا صغيرة.."

وابتعد بسرعة على ظهر الحصان تاركاً تينا تدمدم بغیظ "من الصغيرة أيها الأعمى؟.."

كانت قد بلغت الرابعة عشر من عمرها، والفتيات في سنها يتزوجن وينجبن الأطفال ويصبحن مسؤولات عن عوائلهن.. فكيف يجرؤ هذا المعتوه على اعتبارها صغيرة؟.. إنها لا تستنكر زواجها في هذا الوقت، بل إنها تتمناه في هذه اللحظة.. تتمنى أن تتزوج من كين، وتحلم في أغلب الأوقات أن يصارحها بحبه لها وبأنه يعشقها منذ أمد بعيد.. ألن يكون ذلك رائعاً؟.. ربما هو لا يلتفت لها ويظهر عدم اهتمامه بها

لأنه يخشى من أن يفتضح أمر حبه لها.. ربما يخجل من أن تلتقي عيناه بعينيها لأنها ستقرأ لهفته عليها فيهما بوضوح.. لا بد أن هذا هو سبب صمته الوحيد وسبب عدم تصريحه لها بحبه الذي تكاد تقرأه في ملامحه حتى لو هرب بعينه منها..

بعد بعض الوقت، لاح لها كين بحصانه، فهبت واقفة بسرعة وانتظرت قدومه حتى اقترب منها وأوقف حصانه متسائلاً "ما الأمر؟.. أهناك ما جرى في المخيم؟.."

قالت بابتسامة وهي تدفع خصلة من شعرها خلف أذنها "لا.. فرغت من أعمالي وأحببت انتظار عودتك.. ربما تحتاج مساعدة في الاهتمام بصيدك الذي جلبته.."

أشار كين لزوج من الأرناب ربطها من سيقانها خلفه، وقال "هذا كل ما حصلت عليه اليوم.. لقد لاحظت قدوم رجل غريب للمخيم، فأتيت لرؤيته ومعرفة سبب قدومه إلينا.."

دمدمت تينا رغماً عنها "آه.. ذلك المعتوه الذي بلا عينين.."

نظر لها بتعجب، فقالت وهي تقترب منه "تجاهل ذلك الشخص، فلا يبدو على رجل أشعث مثله أي أهمية.. ما رأيك بأن تصطحبني في جولة في هذا المكان؟.. أريد البحث عن بعض الأعشاب الطبية التي أوصتني بها أمي، ووجودك سيساعدني بالتأكد.."

تساءل كين "ما الذي كان يريده الغريب من مخيمنا؟.."

قالت بضجر "يريد لقاء أبي.. أرجوك يا كين.. تعال معي.."

لكن كين قال وهو يترجل عن حصانه "فيما بعد يا تينا.. لا بد أن الغريب يملك بعض الأخبار الهامة.."

وناولها الأرناب وهو يجرح حصانه مبتعداً، فقالت تينا بغیظ "وهل أتيت من أجل الأرناب؟.."

وزفرت وهي تتعد بدورها مدممة "تباً لذلك الرجل الغريب.. لقد أفسد يومي.."

وفي خيمة قادور، كان الرجل الغريب يجلس مع قادور الذي بدت الابتسامة الغريبة على وجهه بحيث دهش كين لها عندما ولج الخيمة.. ولما رآه الغريب ظل يراقبه بتعجب، بينما قال قادور "هذا هو كين.. أنت تذكره في صغره، أليس كذلك؟.."

تساءل الغريب بسؤال موجه لكين في الأساس "أذكره، وأتعجب من استمرار وجوده في هذه القبيلة حتى الآن.. ما الذي يجبرك على البقاء وسط هذه السهول يا فتى؟.."

غمر الاستياء كين من الاستهانة الواضحة في صوت الغريب، لكنه أجاب بلهجة حيادية "أمور شتى دفعتني للبقاء هنا.. وأنا لم أعد فتىً لو لم تلاحظ هذا.."

قال الغريب "وما هي تلك الأمور؟.."

أجاب كين "لو أردت إيضاحها، لأخبرتك بها منذ البدء.."

فقال الغريب لقادور باستنكار "كيف تسمحون له بالبقاء بينكم؟.. ربما كان جاسوساً للكشميت.."

نظر له كين بضيق، بينما ضحك قادور قائلاً "لا تعباً لما قاله يا كين.. فهو يحب التلاعب بمشاعر من حوله.."

تساءل كين بفضول لم يستطع كبحه "ومن هو هذا الغريب؟.."

أجاب قادور "هذا تبريق.. إنه أحد رجالي المخلصين، لكنه كان بعيداً في رحلة طالت بضع سنوات، ولم يعد إلا الآن.."

ثم التفت إلى تبريق متسائلاً "ما هي الأخبار التي جلبتها لي؟.. أتمنى أن يكون غيابك قد أثمر معلومات هامة ولا تكون قد قضيت تلك السنوات في السكر والعريضة.."

أجاب تبريق ملوحاً بيده "لا تقلق.. إن الحانات في المدن العربية لا تقدم إلا أسوأ نوع ممكن من الشراب.."

قال قادور بغیظ "أهذا هو العذر الوحيد الذي منعك من ذلك؟.."

ضحك تبريق معلقاً "وهل كنت تظني أرتاد الحانات لمجرد المتعة؟.. تلك الأماكن هي الأفضل للتقصي وجمع الأخبار عن أي أمر.."

سمعا باب الخيمة يفتح في تلك اللحظة، ودلفت منه ججي قائلة بصوت تتعمد جعله جهورياً "هل استدعيتني يا أبي؟"

التفت الثلاثة إليها وقادور يقول "اقترب يا جام.."

اقتربت ججي حتى جلست قرب أبيها واضعة سيفها جوارها كعادتها.. لم تكن ججي في التاسعة عشر من عمرها تشبه الفتاة التي كانت عليها في الثالثة عشر بشيء.. فقد ازدادت طولاً حتى قاربت طول قادور، وأصبح جسدها أقوى مما تكون عليه الفتيات عادة وامتلكت ذراعين قويتين بشيء من العضلات الخفيفة لطول تدريبها الذي لا تتخلى عنه بشكل يومي، وشعرها الأحمر القصير قد استطال حتى لامس كتفيها



بشكل مشابه لبقية الرجال في قبيلتها، وإن بقي غير مستوٍ الأطراف وهي تقطعه بخنجرها الحاد بشيء من الإهمال.. ورغم ملامحها التي تحمل بعض جمال أمها، لكن تقطيعها حاجبيها الدائمة ونظراتها الحادة وتحديثها بصوت تتعمد خشونته جعل الأعين لا تلاحظ ذلك الجمال مطلقاً..

التفت قادور إلى ججي قائلاً "أنت تذكر تبريق.. أليس كذلك؟.. لقد أرسلته في مهمة طويلة منذ تلك المعركة التي هزمنا فيها الجيش العربي.. وقد عاد للتو من مهمته تلك.."

قالت ججي باهتمام "وما هي تلك المهمة التي استغرقت منه ست سنوات لإنجازها؟"

أجاب قادور "هذا أمرٌ لا يعرف به الكثيرون في القبيلة.. بعد انهزام الجيش العربي وعودته عبر الجبال لمملكته، خشيت أن تكون هذه خدعة من الملك حتى يحشد حشوداً أكبر ويستجلب مدداً أكبر من المدن القريبة.. وبما أن بقاءنا في ذلك الموقع من السهول كان عسيراً والقبائل تتحرق للعودة لمخيماتها التي تركتها شبه عارية من أي حماية، عندها كان الرأي الذي سيضمن به ألا يباغتنا الجيش من جديد هو في إرسال فرقة تتقصى أمره في الجانب الآخر من الجبال.."

وأشار إلى تبريق مضيفاً "ولما استشرت تبريق بهذا الأمر، وهو من أخلص رجالي، فإنه رفض رحيل فرقة من الرجال للمملكة العربية.. ففرقة كاملة كفيلة أن تثير الانتباه وتلفت الأعين إليها خاصة مع الحرب التي انتهت وأخبارها تصل للمدن العربية كافة.. أما رحيل رجل واحد فلن يلفت الأنظار حتى لو كان من الأكاشي.."

غمغمت ججي "لكن الأكاشي لا يقومون بالتجسس على غيرهم.."

قال قادور بحزم "رغم كرهنا لذلك، لكن كان علينا أن نفعل هذا لنحمي أنفسنا من أعدائنا.. الاعتماد على الحظ وحده لن ينعنا في مواجهة عدوٍ يعدُّ العدة للهجوم علينا في أي وقت.."

التفت ججي إلى تبريق متسائلة باهتمام "غيابك طوال هذا الوقت هو بشارة جيدة لنا.. أليس كذلك؟"

نظر له كين وقادور باهتمام مماثل، فقال تبريق "ربما.. فكما تعلمون، تراجع الملك العربي قبل بدء معركة (الليلة البيضاء) كما يطلق عليها العرب، وذلك بسبب بعض القلاقل والثورات التي حدثت قرب النهر الأبيض.. يبدو أنها قد أثارت قلق الملك فارس بشدة ليتراجع في مثل ذلك الوقت.. ومن نتائج ذلك أن تمكنا من القضاء على الجيش العربي وردعه عن سهولنا بشكل تام.."

علقت ججي قائلة "أتعني أننا لن نكن لنهزمهم لولا غياب الملك عن جيشه؟"

قال تبريق بابتسامة جانبية "لا.. لكن ذلك ساعد ولو بشكل محدود.. ومنذ رحيلي عن السهول قمت بتتبع آثار الجيش المهزوم حتى التحق بالجيش الذي يملكه الملك العربي وانضم إليه في مقاومة تلك الثورات التي قامت بها بعض المدن القديمة في الموقع.."

سأل قador "وهل تمكن من ذلك؟"

أجاب تبريق "استغرق الأمر عدة أشهر ليقوم بذلك، ثم عدداً آخر من الأشهر ليحفظ النظام ويعين بعض الولاة ويعدّ جيشه من جديد.. وبعد أن انتهى واطمأن لذلك الموقع، انطلق بجيشه نحو موقع قريب من أحد الأنهار وسط القارة، ثم انشغل عندها ببناء مدينة جديدة وعظيمة.. ويبدو أنه يتهيأ لجعلها عاصمة له ومقرّاً لحكمه، وقد سمعت أنه أطلق عليها اسم (زهراء المدائن).."

تساءلت ججي باهتمام "أهذا يعني أنه صرف النظر عن احتلال السهول؟"

قال قador عاقداً ذراعيه على صدره "لا أظن ذلك بتاتاً.. لا بد أنه يرجئ ذلك لوقت آخر.."

فقال تبريق "ربما.. لقد ظللت أجوب المواقع القريبة من موقع الجيش وأتخسس الأخبار والشائعات التي يتداولها العامة بحثاً عن خبر يتعلق بحرب وشيكة بيننا وبينهم.. لكن الحديث كان في الأغلب حول الثورة التي قامت والمدينة التي يبنها الملك الجديد.."

فقال كين معلقاً "لا بد أنه أراد أن يؤسس ملكه ويشد قبضته على ما يملكه من أراضٍ بالفعل قبل أن يفكر بالتوسع في هذه المناطق.."

قال تبريق باهتمام "لقد خمنت أنا ذلك أيضاً.. يبدو أن القلاقل التي حدثت وسط ملكه قد أشعرته بالتهديد، وبأن مملكته ليست بعيدة عن التفكك والانكسار.."

تساءلت ججي "لكن متى سيكف عن التفكير باحتلالنا وإجبارنا على الانصياع له؟.. لم هذه السهول بالذات؟"

أجاب قador "لأنه يرى أن السهول ليست تحت سلطة ملك يحكمها، ولذلك فهي أرضٌ متاحة لكل من يقدر على السيطرة عليها.. لقد حاولت الممالك الشمالية فرض سيطرتها علينا والوصول لمنفذ أكبر للبحر القريب، لكنها فشلت في ذلك واقتنعت بأن هذه السهول لا يمكن أن تكون لغير الأكاشي.."

عندها قالت ججي بحماس "وسيدرك الملك العربي ذلك قطعاً.. لقد هزمناه مرة، ولن نتردد في هزيمته مرة أخرى.."

قال تبريق بهزء "هزمناه؟.. ألم تكن طفلاً وقتها؟"

نظرت له ججي مقطبة وقالت "لقد شاركت في تلك الحرب.. كنت مع الرماة، وقد أدّيت دوري كأفضل ما يكون.. ولو لم يمنعني أبي من المشاركة مع الأكاشي بسيفي، لما ترددت في خوض غمار المعركة.."  
نظر تبريق إلى كين متسائلاً "وماذا عنك أيها الكشميتي.. هل شاركت في تلك الحرب أيضاً؟"  
صمت كين بتقطيية وججي ترمقه بابتسامة، ثم قالت ضاحكة "كين كان يجرس متاعنا عندها.."  
ازدادت تقطيية كين باستياء وهو يعلق "لستُ من الأكاشي، ولم يكن لديّ سبب قوي لأشارك في حرب لا علاقة لي بها.."

فقال تبريق بابتسامة "لكنك لم ترحل حتى الآن.."

نظر له كين عابساً وهو يقول "وهل تريد مني أن أفعل؟"

شعرت ججي بالضيق الذي بدا على وجه كين وبالتوتر الذي يشعر به في جلستهم هذه، فضربته بقوة على كتفه وهي تقول بابتسامة "لا داعي لهذا الانفعال.. نحن نمزح معك دون شك.."  
حاول كين محو العبوس الذي يبدو على ملامحه، بينما قال قادور "لا أحد يتمنى رحيل كين.. فهو قد أصبح منا بالفعل.. وإن لا يزال رقيق القلب لا يتحمل طقوسنا الوحشية كما يصفها.."  
تعالت ضحكات البقية على تعليقه بينما لم يتمكن كين من إخفاء استيائه هذه المرة.. ثم قفزت ججي واقفة وقالت "يبدو أن علينا الرحيل قبل أن ينفجر كين غضباً.. وهو أمر نادر الحدوث، لذلك لا يمكنني أن أضمن النتائج.."

نهض كين بدوره، وغادر الخيمة بصمت وججي تسير معه.. ثم قالت بعد خروجهما "هذا أمر نادر الحدوث بالفعل.. أن أراك غاضباً بهذا الشكل!.."

قال كين بضيق "بالطبع سأغضب لجعلكم إياي مادة للسخرية في مجلسكم ذلك.."

فقالت ججي ضاحكة "أعتبر هذه سخرية؟.. كان عليك رؤية ما فعله الرجال بي عندما أعلنني أبي رجلاً.. ستعرف عندها كيف تكون السخرية مؤذية بحق.."

نظر لها كين بصمت ودهشة متعجباً من استهزائها بأمر كهذا.. لكن بدا أن ججي لا تحمل أي ذكريات مريرة بهذا الخصوص، ولم يبد أنها تبغض أحداً من رجال قبيلتها على ما كان منهم سابقاً.. ورغم السنوات التي قضاها مع ججي، ورؤيته لبعض تلك السخرية والإهانات التي كانت تظاها في صغرها، لا يزال متعجباً من قوة إرادتها ومرحها مع كل ما جرى..

بعد رحيل ججي وكين، قال تبريق "لقد تغيرت أمور كثيرة في القبيلة منذ رحيلي.."

تساءل قادور "أي أمور تعني؟"

أجاب تبريق "قبل رحيلي، كان جام يواجه غضباً شديداً من رجال القبيلة ويتعرض للسخرية منهم بشكل يومي.. الآن، أرى أن الآخرين قد تقبلوا وجوده شيئاً ما وما عاد أمره مستنكراً.."

قال قادور بهدوء "ما يخص جام هو قرارٌ يخصني وحدي.. لذلك لا يحق لأحد الاعتراض عليه.. وجام قد أثبت أنه أفضل من كثير من شباب القبيلة، فلا يجروُ أحد على السخرية منه بتاتاً.."

عاد تبريق يقول "لكنه بالفعل كان يواجه سخرية ومضايقات من الكثيرين.. لكن يبدو أن جام لم يكن يخبرك بشيء عنها.."

فقال قادور بحزم "لو أن جام اشتكى لي عن هذا الأمر، لكان هذا دليلاً على ضعفه وقلة حيلته.. ولم أكن لأرضى بهذا بتاتاً.."

غمغم تبريق "إذن كان من حسن حظه أنه لم يفعل.. لا بد أن هذا كان اتباعاً لنصيحة مينار.."

تساءل قادور وهو يرمق تبريق "وهل شاركت أنت بتلك المضايقات والسخرية؟"

ضحك تبريق مجيباً "أتظنني سأخبرك أنني كنت كذلك بكل بساطة؟.. لكن اطمئن.. لم يكن لي دخل في الأمر، ولم يكن يهمني ما تفعله بجام.. فأنا لست من ذوي العقول المتشددة ولست أو من هذا الحديث عن الشؤم الذي تجلبه المرأة.."

فقال قادور بهدوء "إذن، فزوجتيك تعيشان في نعيم بالتأكيد.."

ابتسم تبريق ابتسامة جانبية معلقاً "أتهزأ بي يا زعيم؟.."

ابتسم قادور بدوره دون أن يعلق.. ثم نظر لتبريق بجدية مضيفاً "أريدك أن تحدثني بما فعلته في السنوات الماضية بكل تفصيل يا تبريق.. وهذه المرة، لا تغفل عن أي تفصيل أو نقطة ولو بدت لك تافهة.. فلا

ندري أي أمر قد يكون سبباً في تغيير حياتنا الهادئة هذه.."

\*\*\*\*\*

في ذلك اليوم، وبعد عودة كين من جولته المسائية على ظهر حصانه، وبعد أن ربط حصانه في المربط الخاص بالخيل في جانب المخيم وسار بصمت عائداً للخيمة مینار، تنهت لسمعه صوت ضحكٍ صادرٍ من الخيمة بشكلٍ تعجبٍ له.. ولما دلف الخيمة لاحظ على الفور تلك الرائحة الشهية التي تعبق في المكان، ثم انتبه لوجود تينا قرب النيران المشتعلة وسط الخيمة وهي تتحدث مع مینار وتضحك بتبسط.. وحالما رآته، التمت عيناها وهي تقول "ما الذي أحرّك لهذا القدر يا كين؟.. كاد الطعام يبرد قبل أن تصل.."

تساءل كين "أأنت من حضر هذا الطعام؟"

أجابت بابتسامة "أجل.. استخدمت زوج الأرنب التي أحضرتها صباحاً.. وحضرت لك بعض الأرز بلحم الأرنب والخضار.."

نزع كين معطفه ووضع جانباً مع سيفه ونزع حذاءه.. كان الجو دافئاً في الخيمة مقارنة بخارجها.. فجلس كين قرب النار واغترف بعض الطعام من القدر في إناء صغير وشرع بتناوله بصمت.. ولما عيل صبر تينا وهي تراقبه منتظرة رأيه، سألته "ما رأيك؟.. أهو لذيذ الطعم؟"

رفع كين رأسه ونظر لها للحظة قبل أن يخفض بصره كعادته ويقول "بالطبع.. كل ما تطبخينه لذيذ الطعم عادة يا تينا.."

احمر خد تينا بسرور واضح بينما غمغم مینار "لقد أخبرتك برأيي بالطعام منذ البدء.. لكن هذا لا يكفيك كما يبدو.."

قالت تينا باحتجاج "بل أنا أهتم برأيك يا مینار.. لكني خشيت ألا يعجب هذا الطعام كين.."

ونظرت لكين مطولاً وهي تقول "نحن لا نعلم نوع الطعام الذي يتناولونه في كشميت.. ربما كان طعامنا المحلي لا يناسب أذواقهم.."

علق مینار "لا يحق لكين التذمر بتاتاً، ولا أظنه يكره طعامنا بعد كل تلك السنوات.."

فقال كين "لم أقل إن طعامكم لا يعجبني.. بل إنه لذيذ حقاً.."

وأنتهى ما في صحنه بينما قالت تينا باعتراض "أنت لم تأكل إلا القليل.. ألا تريد المزيد؟"

هز كين رأسه نفيًا، بينما تعالَى صوت ججي من المدخل وهي تقول "رائحة لذيذة.. لا تقولوا لي إن هذه رائحة الطعام الذي يحضره مینار!.."

التفت الثلاثة إليها وكين يقول بابتسامة "لا أظن مینار بقادر على تحضير طعام بهذه اللذة بتاتاً.."

فغمغم مینار بحنق "يا لك من ناكر للجميل.."

دخلت ججي دون حرج وكأنها معتادة على ذلك، وجلست قرب النار وهي تقول بشهية واضحة "أهو طعام تينا إذا؟.. يا لك من بخيلة.. لم تستبق بعض هذا الطعام لي ولأبويننا؟"

غمغمت تينا بشيء من الكدر الواضح "هذا كان صيد كين، لذلك هو الأحق بتناوله.."

لم تعلق ججي وهي تضع الجزء الأعظم مما بقي من الطعام في صحن آخر وتبدأ بالتهامه بسرعة.. عندها علق مینار قائلاً "أذهب لمنزلك لو كنت جائعاً لهذا الحد يا جام.. أريد استبقاء بعض هذا الطعام للغد.."

قالت ججي باعتراض "أنت بخيل بما لا تملكه يا مینار.. هذا يفوق الحد.."

ابتسم كين مراقباً شجارهما الذي اعتاد عليه، بينما نظرت له تينا بكدر ثم رمقت ججي بشيء من الضيق الواضح.. كانت تتمنى لو لم تقاطع ججي جلساتها القصيرة مع كين، ففي حضورها كان انتباه كين ينتقل من تينا إلى ججي وتفشل تينا في الحصول على اهتمامه بشكل شبه تام.. لم تكن تينا تعزو اهتمام كين بججي إلا لأنها تجربه على ذلك بصوتها العالي وحديثها المتواصل وضحكات الخشنة.. في نظرها، فإن ججي بالنسبة لكين ليست إلا صديقاً مقرباً تجمعها هوايات واهتمامات متشاركة.. بينما لا تتمكن تينا من الاجتماع بكين إلا للحظات قصيرة فقط كلما تسنى لها ذلك..

بعد أن أنهت ججي طعامها، انشغلت بحديث مع مینار حول بعض الأخبار التي سمعوها من تبريق هذا اليوم وتخصّ تحركات الملك العربي.. عندها وجدتها تينا فرصة للحديث مع كين وهي تميل عليه وتهمس

بعينين متلائيّتين "كين.. ما رأيك بأن نخرج لنسير قليلاً؟.. أكاد أختنق من هذه الخيمة الخائفة.."

نظر لها كين بشيء من الحيرة وتساءل "ألا تشعرين بالبرد في هذا الجو القارس؟"

رغم خيبتها لرده السريع، لكنها تساءلت بخفوت "هل تخشى علي؟"

قال كين بإخلاص "بالطبع.. أنت رقيقة ولا تتحملين هذا البرد الشديد.."

احمر خدا تينا بشدة وهي تهمس "حقاً؟"

ثم قالت بلهفة "لكن البرد لا يهمني ما دمت معك.."

ابتسم كين متعجباً من قولها، فخفق قلب تينا بقوة لا بتسامته وهي تتأمل ملامحه بصمت.. بدت لها ابتسامته عذبة جميلة بشكل كبير، وما خفق له قلبها أن تلك الابتسامة كانت موجهة لها بالذات.. لها هي وحدها..

لكن قاطعتها ججي وهي تقف قائلة "كين.. ما رأيك بنزال سريع بالسيف بعد هذه الوجبة الدسمة؟.. لا أظنني أستطيع النوم بمعدة متخمة كما أنا الآن.."

هز كين رأسه موافقاً على الفور، ونهض تابعاً ججي دون أن يعبأ ببرودة الجو الشديدة خارج الخيمة.. أما تينا، فقد وجمت وهي تراقبه بصمت وحيرة.. لماذا يتركها بعد كل ما جرى؟.. إنها لا تفهمه حقاً.. لقد حاولت مرات ومرات أن تدفعه ليبوح بمشاعره لها، لكنه لم يفعل ذلك ولا في أي مرة.. ما الذي يدفعه للهرب والمراوغة كما ترى منه؟.. أهو يخشى من غضب أبيها؟.. لا بد أن ذلك هو السبب.. إنه يخشى أن يغضب زعيم القبيلة من تقرب كشميتي من ابنته وقد يعد ذلك تعدياً على حرمة بيته.. لكن تينا لا تهتم لما قد يقوله أبوها، كل ما يهمها أن يبوح لها كين بما تهوى سماعه وتنتظره بشغف كل يوم..

سمعت مینار يسألها في تلك اللحظة "هل لك ببعض الشاي الساخن؟.. سيدفئ أوصالك في هذا البرد.."  
غمغمت تينا وهي تنهض "لا.. لا أرغب بذلك.."

وگادرت الخيمة بصمت فقد انتفت حاجتها للتواجد في تلك الخيمة برحيل كين.. زفرت وهي تخرج لتلتقاها البرودة القوية خارجاً، بينما تناهى لسمعها صليل السيوف من موقع قريب.. هل تذهب لمراقبتها عسى أن تسنح لها الفرصة للاختلاء بكين؟.. لكنها عدلت عن تلك الفكرة، فججي لن تسمح لها بذلك وستظل تلاحقها بتعليقاتها وحديثها المتواصل طوال الوقت.. لماذا تشعر تينا بهذا القدر من الغيرة من ججي؟.. إنها مقتنعة أن كين لا يراها كفتاة.. فهي لا يمكن أن تبدو لأحد إلا كرجل حتى لو كانت تتصنع ذلك.. ومع ذلك، تصاب تينا بغيرة شديدة لقربها من كين وتبسطها معه بهذا الشكل..

عادت تينا تزفر وهي تقطع صفاً من الخيم باتجاه خيمة أبيها والمشاعل المتفرقة تنير طريقها، عندما سمعت صوتاً يقول بشيء من السخرية "من يرى تنهداتك هذه يظنك تحمليين جبلاً من الهم على رأسك.."

التفتت بدهشة لتجد ذلك الرجل الغريب الذي عرفت أن اسمه تبريق يجلس جانباً وسيفه على ركبته.. بدا لها أنه كان يعتني بسيفه، وقد دهشت لأنه بدأ الحديث معها وهو يضيف "ما الذي يجعل فتاة صغيرة مثلك تزفر بهذه الحدة والكآبة؟"

شعرت بالضيق من جديد لنعته إياها بالصغيرة للمرة الثالثة هذا اليوم.. لم تكن بمزاج رائق للمزاح معه، لذلك قالت بشيء من الضيق "وما الذي يهّمك أنت بما أفعله؟.. اهتم بأمورك.."  
ابتسم تبريق معلقاً "هذا أسلوب وقح للتعامل مع شخص أكبر منك.. ألا يمكنك إظهار بعض الاحترام؟"

قالت بسخرية "سأفعل ذلك بالتأكيد يا عماه.."  
وغادرت بخطوات سريعة تاركة تبريق يغمغم بشيء من الحنق "عم؟!.. هل أبدو كبير السن لهذه الدرجة؟"

لم يكن عمر تبريق يتجاوز الثلاثين إلا بسنة أو اثنتان، ولذلك استاء من ذلك الوصف وهو ينهمك في العمل على سيفه قائلاً لنفسه "عندما غادرتُ القبيلة لم تكن تلك الفتاة إلا طفلة صغيرة.. والآن هي تهزأ بي؟.. يا للسخرية.."

\*\*\*\*\*

بعد مبارزة محدودة بالسيف في جانب من جوانب المخيم، توقف كين وججي بعد أن شعرا بالألم في ذراعيهما لذلك المجهود، وجلسا جانباً يتأملان السهول المظلمة والسكون الذي يعمّ الموقع وججي تقول "ها قد غلبتك كما أفعل في كل مرة.. متى ستكف عن إثارة مللي وتحقق بعض التغيير ولو لمرة في حياتك؟"  
قال كين بهدوء "عندما تسمحين لي بذلك.. أنت قوية، وأنا لا أقدر على التفوق عليك مهما حاولت.."  
تساءلت ججي "أأنت لا تقدر ذلك حقاً؟.. أم أنك تخشى غضبي لو هزمتني بالفعل؟"  
علق كين "أنت تغضبين في كل الأحوال دون سبب لذلك.."  
فقال بتذمر "أنت لا تمتلك اللطف الكافي يا هذا.."



لم يعلق كين وهو يرمق السهول بصمت، بينما تساءلت ججي "لم ترحل قط يا كين؟"

تساءل بدوره "وهل كنت تتمنين رحيلي حقاً؟"

أسرعت تقول "لم أعن ذلك.. لكنك لم تكن راغباً بالبقاء في هذه السهول.. كنت تكرهها، وتكره الأكاشي.. ظننت أنك ستبقى معنا فترة قصيرة حتى تعثر على قافلة ترحل معها.. لكنك لم تفعل هذا قط طوال السنوات الماضية.."

هز كين كتفيه مجيباً "لم تراودني الرغبة بالرحيل عن القبيلة أبداً.."

فقال ججي مفكرة "لكن هذا يثير تعجبي أكثر فأكثر.. ألم ترغب بالعودة قط إلى مملكة كشميت؟.. لا بد أن البحث عنك قد خفت بعد هذه السنوات.. ألا تشتاق لعائلتك؟.. ألا يضايقك البقاء مع غرباء في هذه الحياة التي لطالما وصفتها بأنها قاسية ووحشية؟"

نظر لها كين قائلاً "أيسوؤك أنني قررت البقاء مع القبيلة التي أصبحت أقرب إلي من عائلتي؟"

غمغمت ججي بدهشة "حقاً؟"

فنهض كين واقفاً وقال "كيف يمكنني أن أترك مينار وأنا أثق أنه سيكتفي بتدخين تلك الأعشاب الضارة دون الاهتمام بغذائه وصحته؟.. كيف أغادر متخلياً عن طعام تينا الذي لم أذق ما يفوقه لذة؟.."

ونظر لججي مضيفاً بابتسامة "وكيف أغادر وأنا أثق أنك لن تجدي أحماً يرضى بمنزلتك في ليلة باردة كهذه الليلة؟"

ابتسمت ججي بدورها وهي تنهض قائلة "أنت محق.. لقد بدأت أتجمد بالفعل.."

وضربت ذراع كين بقبضتها قائلة "سعيدة أن لديك ما يدفعك للبقاء هنا.. وكما قلت لك، لن يجيب الأكاشي آمالك أبداً.."

وابتعدت نحو خيمة أبيها بينما وقف كين يراقبها بصمت.. ثم نظر للسهول الساكنة مغمغماً "كل ما أرجوه ألا تخيب آمالي بالفعل يا ججي.."

\*\*\*\*\*

## الفصل التاسع {أهذا هو الحب؟}

بعد عدة أيام، وفي عصر ذلك اليوم والشمس تلقي أنوارها الصفراء على ما تظاله من خيمة قادور، جلست تينا في جانب الخيمة وفي يدها ثوبٌ أزرق اللون.. انشغلت بعملها بشكل شبه تام وهي تقوم بتطريز الثوب بأشكال هندسية بديعة يتخللها بعض الخرز الملون جميل المنظر.. كان هذا الثوب من ضمن مجموعة أثواب تقوم تينا بتطريزها وإعدادها كما تفعل الفتيات عادة لليوم الذي تزف فيه إلى زوجها ومنزلها الجديد.. وقد كانت تينا تستمتع بهذا العمل ولحظات الهدوء هذه التي تسمح لها بالتحليق في أحلام يقظة مخالفة للواقع الذي تعيش فيه..

وبينما انشغلت تينا في عملها بصمت، وصلتها أصوات عالية تقترب من الخيمة، ثم لاحظت دخول ججي للخيمة وهي تتحدث بصوتها العالي كعادتها يتبعها مینار.. ثم تبعهم كين بصمت كعادته، فتورد خدا تينا بشكل لا إرادي وهي تترك ما بيدها وتقترب منه متسائلة "الجو بارد بشدة في الخارج.. أليس كذلك؟.."

أجاب كين "بلى، ربما يهطل الثلج في أي لحظة.."

تجاوزها تابعاً مینار وججي، لكن تينا استوقفتها وهي تمسك بيده قائلة "لو خلعت معطفك البارد هذا، فستشعر بالدفء أكثر قرب النار.."

تمسكتها الدهشة للملمس أصابعه الباردة بشدة، فأمسكت يده بيديها قائلة بدهشة "يدك تكاد تتجمد من البرد.. كم بقيت في الخارج معرضاً للبرودة؟"

سحب كين يده معلقاً "ليس بالوقت الطويل.. لقد كنت أعتني بالأحصنة مع ججي، واستغرق ذلك منا بعض الوقت.."

لكن تينا تمسكت بيده قائلة باعتراض "كيف يمكن لججي القاسية أن تجعل شاباً رقيقاً مثلك يعمل في مثل هذا الجو القارس؟"

نظر لها كين بدهشة وشيء من الاستنكار، فأدركت تينا أنها قد أخطأت في اختيار كلماتها، بينما دمدم كين بضيق "أنا لست ضعيفاً لهذه الدرجة.."

وسحب يده بشيء من الحدة وهو يتعد.. بينما وقفت تينا ضامّة يديها لصدرها وهي تهمس لنفسها بارتباك

"لقد انزعج مني.. لا بد أن كلماتي قد آذته.. ما الذي يمكنني فعله ليساعمني؟.."

سمعت صوتاً خلفها يقول بهزء "ما بالك؟.. تبدين مفزوعة كأنك رأيت غولاً.."

التفتت بحدة لتجد ذلك البغيض تبريق يتأملها بتعجب، فاستاءت لرؤيته وهي تتعد عنه صامتة، بينما علّق

تبريق "ما سبب تجاهلك لكل ما أقوله بهذه الصورة؟.. هل ترينني شبحاً أمامك؟"

لم تحاول الالتفات إليه والتعليق على كلماته البغيضة.. بينما ظل تبريق يراقبها بابتسامة، حتى لاحظ اقتراب

قادر الذي قال "يبدو أن البرد هذه السنة سيكون أقسى من المعتاد.. أخشى أن تتأثر السهول بهطول ثلج

كثيف فتضرر الماشية من ذلك.."

دلفا الخيمة وجلسا قرب النار الدافئة مع البقية بينما علق مينار "ما رأيك بأن نحذو حذو طاغار؟.. لقد

ابنتي حظيرة كبيرة وواسعة لتضمّ الماشية في أكثر من موقع من مخيمه.. وبذلك هو يجنبها البقاء في العراء

عندما تصبح الليالي أشد قسوة عليها.."

قال قادر مفكراً "هذا سيستدعي عملاً طويلاً ومجهداً من الرجال.."

فقال مينار "لكنه سيكون مثمراً على مدى شهور الشتاء كلها.. الثلج يزداد غزارة سنة بعد سنة دون أن

نتخذ أي تدابير لتفادي خسائرننا كل سنة.."

فقالت ججي بحماس "ولم لا نأخذ باقتراح مينار؟.. الشباب لا عمل لهم في مثل هذه الأوقات، ولا

تعوزهم القوة ولا الوقت.."

علق تبريق قائلاً "أرجو أن تعفوني من مثل هذه المهام.. لا أحب هذه الأعمال اليدوية.."

فقالت ججي بابتسامة جانبية "لا تقلق.. لقد حددت الشباب بالتحديد لهذا العمل، لذلك أنت مستثنى

بشكل تلقائي يا تبريق.."

قال تبريق بحنق "أتهزأ بي يا هذا؟"

في ذلك الوقت، جلست تينا في جزء منعزل بحاجز من الخشب المزخرف مع أمها، وتناولت الثوب الذي

كانت تقوم بتطريزه بخيوط ملونة وهي تستمع للحديث الدائر وسط الخيمة بصمت بينما جلست ستينا في

موضع قريب وهي تقوم بغزل بعض الصوف بمغزل خشبي يدوي يتكون من قطعة اسطوانية سميكة من

الأعلى ونحيفة في الأسفل، وتعلوها قطعة خشبية دائرية.. كانت تينا تودّ لو تستمع لصوت كين مطولاً، لكن صوته هادئ وخافت لا تكاد تسمعه، بينما سرعان ما يغطي عليه صوت تبريق العالي.. فالتفتت إلى أمها القريبة متسائلة بضيق "من هو هذا الرجل المدعو تبريق؟.. منذ عودته وهو يلازم خيمتنا بشكل شبه يومي.. ألا يملك عملاً يقوم به؟"

أجابت ستينا وهي منهمة بعملها "إنه من أحد الرجال المقربين لأبيك.. فهو كان من رفاق سيجان، وقد تدرّباً معاً على يد مينار في صغرهما ولازمها في كل مرة يجتمع فيها مع قادور.."

لم يكن هذا يجيب عن تساؤلاتها، فهي كانت تود معرفة الطريقة للتخلص من وجوده الذي يسبب لها الضيق.. إنه لم يكف عن الهزء بها والسخرية منها منذ عودته.. لم يكن يسبب لها هذا الضيق لاعتيادها على المديح والملاحظات من بقية شباب القبيلة، لكن ضيقها نابع من تواجده الدائم أمامها وإفساده لبعض الأوقات التي تستمتع فيها بالحديث مع كين..

عادت تينا تتساءل "أين عائلته؟.. لقد سمعت أنه يعيش في خيمة وحيداً.. ولا يمكن لرجل في عمره ألا يكون قد تزوج قط.."

علقت ستينا "لقد سمعت أنه متزوج بالفعل، ولديه زوجتان اثنتان لكن كل منهما تعيش مع قبيلة مختلفة.."  
فقلت تينا بضجر "ولم لا يحضر زوجته وينشغل بها عنا؟.."  
نظرت لها ستينا قائلة "وما سبب ضيقك منه لهذه الدرجة؟.."

أدارت تينا وجهها بعيداً بسرعة وهي تجيب "لا شيء.. لكنني لا أشعر بالراحة ولا حرية الحركة في الخيمة أثناء وجوده.. نظراته تسبب لي الضيق، وأشعر أنه ينظر لي باحتقار وسخرية دائماً.."

ابتسمت ستينا معلقة "وربما كانت نظرات إعجاب.."

انتفضت تينا شيئاً ما قائلة "لا.. لا يمكن ذلك.."

تأملتها ستينا وهي تقول بابتسامة متسعة "ولم لا؟.. وهل هناك رجل لا يرمقك بإعجاب في القبيلة كلها؟.."

ثم تنهدت وهي تعود لمغزها مضيفة "أتمنى ألا يجني عليك جمالك هذا يوماً ما.."

نظرت تينا لأمها بشيء من الدهشة لهذا التعليق، ثم تنهدت بدورها وهي تتأمل التطريزات المنمنمة التي

تزيّن الثوب بين يديها.. لا يهمها أن تكون جميلة، ولا يهمها أن تثير إعجاب أحد.. فهي لا تريد حباً ولا إعجاباً إلا من شخص واحد في هذه القبيلة كلها..

\*\*\*\*\*

مضت عدة أيام وتينا تلاحق كين بشكل شبه يومي.. كانت تتحين الفرص التي تشغل فيها ججي مع أبيها فتنتقل تينا للبحث عن كين وتبادل حديث قصير معه.. ورغم كل تلك الأيام، لم تحظ من كين إلا بقليل من الكلمات وأقل منها من النظرات وهو منشغل بشكل شبه دائم.. وفي الأوقات التي تجده منعزلاً يحدق في الأفق بصمت، كان عندها أقل تفاعلاً معها من أي وقت آخر..

لكن، مهما فعلت، يظل كين يشغل تفكيرها أغلب الأوقات حتى وهي بعيدة عنه.. لم تكن تدرك كيف يمكن أن يكون للحب سطوة كهذه عليها.. إنها تحلم به وهي نائمة ومستيقظة.. بل إنها خططت لحياتها معاً حتى يصبحا جدين لعدد كبير من الأبناء والأحفاد.. ومثل ذلك التفكير يشعل خديها احمراراً وهي تهمس لنفسها "ستكون حياة سعيدة دون شك.."

وبعد تلك الأيام، انهمكت تينا بتحضير طعام العشاء لأسرتها وهي تخطط لما عليها فعله.. كانت تفكر بدعوة كين لتناول الطعام معهم في خيمة أبيها.. لا بد أن يعتاد ذلك لأنه سيصبح جزءاً من هذه العائلة بالتأكيد..

ابتسمت لنفسها بسعادة لهذه الفكرة عندما سمعت نداء أبيها لها.. فتركت ما بيدها واقتربت منه متسائلة "ما الأمر يا أبي؟.. أهنالك ما تريد مني القيام به؟"

قال لها قادور "اجلسي يا تينا.. هناك حديث ضروري عليّ التحدث معك به.."  
جلست تينا بدهشة من أمرها دون أن تفوتها نظرات التوتر من أمها الجالسة على مقربة.. ولما استقرت أمامه، قال قادور "اليوم، أتاني شخص لطلب يدك للزواج.."

خفق قلب تينا شيئاً ما وكين يتبدى لها في خيالها.. ثم قالت بارتباك "من الذي طلبني للزواج؟"  
قال قادور وهو يرمقها بنظراته "إنه شخص أعرفه تمام المعرفة.. شاب مناسب لك ولا يمكن أن تحصلي

على أفضل منه.. إنه شجاع ومقتدر مالياً ومعروف في قبيلتنا، لذلك هذا الزواج يناسب ابنة زعيم القبيلة بالتأكيد.."

لا تدري لِمَ هيأتينا خيالها أن تلك الأوصاف تنطبق على كين.. رغم أن وصف (مقتدر مالياً) لا يمكن أن ينطبق عليه بحال، لكن باقي الأوصاف تدلّ عليه بالتأكيد.. هل تجرأ كين أخيراً وطلب يدها؟.. أيمن أن يحمل لها هذا اليوم مفاجأة مذهلة كهذه بعد طول انتظار؟..

عادت تسأل بارتباك أكبر محاولة إخفاء لهفتها "من هو يا أبي؟"  
أجاب قادور "إنه تبريق.."

بهتت تينا وهي تحرق في وجه أبيها وقد ظنت أن سمعها خانها، فعادت تسأل "من؟"

قال قادور بصرامة "ما بك؟.. ألم تسمعي ما قلته؟.. لقد طلبك للتبريق للزواج.. وأنا قد وافقت عليه.."  
غمر شيء من الهلع صدر تينا لقول أبيها، واندفعت تقول بدون مراعاة للاحترام المفروض عليها ناحيته "لكنه متزوج.. أليس كذلك؟.. سمعت أن له زوجتين في قبائل أخرى من السهول.."

قال قادور "هذا شأن يخصه ولا يخصنا.."

قالت بانفعال "لكنه يخصني.. لا أريد الزواج من رجل متزوج ويفوقني عمراً بكثير.. من قال إنه شاب؟.. إنه كهل يقترب من الشيخوخة بخطوات سريعة.."

علا صوت قادور قائلاً بصرامة "أنا لم أناديك لأطلب رأيك يا تينا.. أنت تعلمين أنك لا تملكين الخيار مادمتُ قد وافقت.. أنا أعرف الرجل حق المعرفة، وأعرف أنك لن تشقي معه.."

قالت بحرقة "لكن يا أبي..."

فقال قادور بحزم "لقد أعطيته كلمتي.. ولن أكسرها أبداً.. استعدي فسيقام العرس مع منتصف هذا الشهر.."

نظرت له تينا بصدمة وعدم استيعاب.. أحقاً يتوقع منها أبوها أن تتزوج ذلك الرجل المزواج ذو اللسان السليط؟.. كيف يجرؤ رجل مثله على طلب يد فتاة مثلها؟.. إنه لا يستحقها، وهي لا تستحق مصيراً كهذا..

أشارت لها أمها لتعود لأعمالها ولا تستثير غضب أبيها، فنهضت تينا متثاقلة وعادت لعملها بوعي غائب..

وبعد أن أطالت التفكير فيما جرى وهي مذهولة من السرعة التي نال بها تبريق موافقة أبيها، عزمت على التصرف بمفردها.. إنها واثقة أنها لن تجد أذنًا صاغية لا عند أبيها ولا أمها.. لكن ربما استطاعت إقناع شخص آخر بإفساد هذا الزواج الذي لا يمكن أن تسمح له أن يتم..

بعد أن أنهى قادر عشاءه، وانشغلت أمها ببعض الأعمال، غادرت تينا الخيمة وسارت في جوانب المخيم متلفتة حولها.. وبعد بحث قصير، استطاعت أن تلمح تبريق الذي كان عائداً من وسط الساحة حيث يجتمع الرجال عادة، وقد همّ بدخول خيمته عندما سمع نداءً حاداً يناديه.. توقف تبريق متلفتاً حوله، فرأى تينا تقترب منه وحاجبها منعقدان بشدة.. فابتسم متسائلاً "ما بال حاجباك معقودان بشكل دائم؟.. هل ولدت هكذا؟"

قالت له بشيء من الحدة "كيف تجرؤ يا هذا؟.."

قال رافعاً حاجبيه "أغضبك قولي لهذه الدرجة؟"

شدت قبضتها بقوة وهي تقول بعصبية "لا أعني هذا.. كيف تتجرأ على طلب يدي من أبي؟.. من تظن نفسك؟"

صمت وهو يتأمل ملاحظها الغاضبة، ثم غمغم "أغضبك طلبي هذا؟.. لم؟"

قالت بحدة "لأنه أمر يثير الاستنكار.. ألسنت متزوجاً؟.. لم لا تحضر زوجتيك لهذه القبيلة وتكف بصرك عن بقية الفتيات؟"

فقال تبريق بابتسامة جانبية "هل وصلتك تلك الأخبار؟.. أهذا هو سبب غضبك الوحيد؟"

قالت بحنق "ليس هذا فقط.. أنا لا أريد الزواج من رجل كهل.. أنا لا زلت صغيرة، وأنت لا تستحقني.."

عقد تبريق ذراعيه على صدره وقال "فارق السن هذا ليس مستغرباً بين الأكاشي.. وهذا لم يمنع أباك من الزواج بأملك.. أليس كذلك؟"

اعترضت بحدة "لا يهمني أمر أبوي.. ما يهمني هو رأيي أنا.. وأنا لا أريد ذلك.."

فقال بهدوء "ما المطلوب مني إذا؟"

قالت بحزم "أن تذهب إلى أبي وتخبره بتراجعك عن هذه الخطبة.."

رفع تبريق حاجبيه قبل أن يتسهم معلقاً "بهذه البساطة؟ .. أتظنين أن قادور لن يغضب لذلك؟ .."  
نظرت له معقودة الحاجبين، فمال نحوها قائلاً "ثم من قال إنني سأرضخ لطلبك هذا بكل بساطة؟ .. لو لم  
يكن لديك سبب مقنع غير الذي ذكرته، وهو لا يقنعني أنا، فأقترح أن تغادري لثلاثي إليك الأناظر  
بوقوفك معي هكذا.."

أسرعت تقول بغضب "كل أسبابي مقنعة.. وما يجب أن يقنعك أكثر أنني لا أحبك.. لا يمكنني أن أتزوج  
رجلاً لا أحبه، بل أبغضه بشدة.."

فقال تبريق بابتسامة جانبية "الحب ليس أساساً للزواج عند الأكاشي.. لا بد أنك تدركين ذلك فأنت لم  
تعودي صغيرة.. أليس كذلك؟"

واستدار ليدخل خيمته، بينما وقفت تينا تتميز غيضاً من ردوده الباردة متجاهلاً غضبها وتصريحها بكرهها  
له.. ما الذي يريده هذا المأفون؟ .. ولم يسعى خلفها هي بالذات؟ .. لم كان عليه أن يختارها هي دوناً عن  
بقية فتيات القبيلة كلها ويحطم أحلامها التي بتتها لسنوات طوال؟ ..

لكنها لن ترضخ له ولما رسمه لها أبوها أبداً.. ربما عليها أن تكسر حاجز الصمت الذي التزمت به  
لسنوات، وتخطو الخطوة الأولى لعلها تؤتي نتائجها هذه المرة..

\*\*\*\*\*

في فجر أحد الأيام، دلفت ججي كعادتها خيمة مینار وهي تقول "كين.. أنت جاهز؟"  
رأت مینار يجلس قرب النار يشرب مشروباً دافئاً، بينما لاحظت أن كين لا يزال في فراشه غارقاً في النوم..  
فاقتربت من مینار وهي تقول بغیظ "ألم يستيقظ ذلك الكسول بعد؟ .. لقد اتفقنا أن يصحبني اليوم.."  
تساءل مینار "وأين تنوي الذهاب؟"

أجابت "لقد فقدنا فرساً ووليدها البارحة.. وقد أرسلني أبي للبحث عنها واستعادتها قبل أن يسرقها  
شخص ما.. لقد أصرّ كين على أن يرافقني، وانظر إليه كيف هو غارق في أحلامه.."  
قال مینار "دعه.. ربما كان متعباً.. هل استيقظ قادور؟"



أجابت ججي "أجل.. سيخرج بعد قليل لمجلسه.."

لم يعلق مینار وهو ينهض ويغادر، بينما زفرت ججي وغادرت بدورها حانقة وهي تدمدم "لا تقم بلومي هذه المرة أيضاً يا أحمق.."

ساد الصمت المكان، وبقي كين نائماً وشيء من العبوس يغزو ملامحه وحببات العرق تحتشد على جبينه.. لا يدري كم بقي في نومه المضطرب ذاك، حتى استيقظ فجأة على أصوات خافتة صدرت في جانب الخيمة.. فاعتدل جالساً وهو يلاحظ من النور الخفيف الذي بدأ يتسلل من جوانب الخيمة ذلك الجسد النحيل الذي قبع في إحدى الزوايا، فتساءل بحذر "من هناك؟.."

أنته شهقة خافتة والجسد يعتدل واقفاً، ثم سمع صوت تينا وهي تقول "لقد أفرغتني.."

قال كين بدهشة "ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت؟.."

أجابت مشيرة خلفها "أحضرت لك طعام الإفطار.. خشيت أن تنهض باكراً وترحل مع ججي كعادتك دون تناول شيء، لذلك ارتأيت أن أباكرك بالفطور إليك.. وقد أخبرني مینار أنك لازلت نائماً.."

غمغم وهو يفرك جبينه "أنا لا أتناول شيئاً في المعتاد.. ما كان يجب أن تكلفي نفسك بعمل كهذا.."

شعر بصداع شديد، وتراءت له لمحات من الحلم القاتم الذي رآه في نومه ولم يوقظه منه إلا ضجيج تينا.. يذكر رؤية فرس ججي المفضلة، الغبراء، وقد اصطبغ سرجها وأجزاء من جسدها بالدماء.. وبدا من أقدامها المطلية بالدماء أيضاً أنها كانت تخوض في بركة دموية.. ولم ير أثراً من ججي إلا سيفها المغروز في السرج.. فهل هذه نبوءة بما سيجري؟.. أم أنها مجرد هواجس تمثلت في حلمه بتلك الصورة القبيحة؟.. لقد ساد سلامٌ غريب طوال السنوات الماضية التي قضاها هنا، فهل هذا على وشك أن ينتهي؟..

زفر وهو يعبس محاولاً تمالك نفسه، عندما شعر بتينا تجلس على فراشه قريبة منه وهي تتساءل بابتسامة "لم كل هذا العبوس والتنهدات؟.. ألم تحض بنوم مريح الليلة الماضية؟.."

قال وهو يرمقها بشيء من الدهشة لاقترابها من فراشه بهذه الصورة "لا.. إنه مجرد حلم بغیض.."

اتسعت ابتسامتها وهي تمد يدها لشعره الذي يصل لكتفيه، فتخللت خصلاته بأصابعها برقة وهي تغمغم "ما كان فحوى حلمك ذاك؟.."

ابتعد عنها شيئاً ما وهو يقول "كان الحلم يخص ججي، لكنني لم أرها بل رأيت فرسها فيه.. ورغم ذلك،

ربما لا يعدو الأمر مجرد هواجس....."

لاحظ أن تينا استعادت يدها وألقتهما في حجرها وهي واجمة، فتساءل بشيء من التعجب "ما الأمر؟.."

غمغمت تينا بضيق واضح "ججي.. ججي.. أهذا كل ما تفكر به؟.."

أجاب بابتسامة صغيرة "أجل.. فهي لا تسمح لي بشيء آخر في الواقع.."

لكن لم يبدُ أن تعليقه سيدفع تينا للابتسام وتقطيعها يزداد وهي تقول بصوت بدا تهدجه واضحاً "لماذا؟.."

ألا ترى غيرها حقاً؟.. ألا تنتبه لما حولك بتاتاً؟.."

رغم أنها كانت تحاول لفت انتباهه إليها بوضوح، لكنه لم يستوعب ما تقوله وهو يتساءل بحيرة "ماذا تعنين

يا تينا؟.. أفصحي أرجوك.."

استدارت إليه وهي تتشبث بملابسه قائلة برجاء "أنت لم تلاحظ وجودي بتاتاً ولم تلتفت نحوي أبداً.."

ورغم ذلك، منذ وعت عيناها فأنها لم أرَ غيرك، وعيناها لم تلاحقها ظل شخص آخر أبداً.."

استمع لها كين بصمت وصدمة، بينما أحاطت عنقه بذراعيها قائلة بصوت هامس "ألم تدرك أنني أحبك يا

كين؟.. ألا ترى حبي في عيني وفي ابتسامتي كلما رأيتك؟.."

شعر كين بصدمة أعجزته عن إجابتها وهي تضيف بتوسل "أنا أحبك يا كين ولا أطيق فراقك.."

جذبها كين لتفلمته وقال برفق "لم أدرك ذلك للحقيقة يا تينا.. وأشكر لك مشاعرك الرقيقة هذه.."

ولكن...."

نظرت له بشحوب وهي شبه متيقنة مما سيقوله، فيما أضاف كين "كما قلت لك قبل قليل، وكما تعلمين تمام

العلم، فأنا لا أرى سوى ججي.. ولا أظني سأرى غيرها بتاتاً.."

نظرت له وعيناها تترقرقان بالدموع وقالت بتهدج "لماذا؟.. لم لا ترى غيرها؟.. ما الذي يعجبك بفتاة

مثلها دوناً عن الأخريات؟"

غمغم كين وهو يفرك عنقه "في الواقع، أود أن أجد إجابة لهذا السؤال أنا أيضاً.."

فقال بمرارة "لم لا ترى حبي الكبير لك؟.. أنا لا أريد الافتراق عنك.. ولو لم تكن مهتماً بي فسوف.."

سوف....."

خفضت وجهها والدموع تسيل على خديها وهي تقول بنشيج "سيزوجني أبي لرجل آخر رغماً عني.. وأنا

لا أريد ذلك.."

وتشبثت بملابس كين قائلة بتوسل "لا أريد الزواج من رجل آخر يا كين.. ولن أطيق العيش مع رجل غيرك.. أرجوك، لنغادر هذا المكان.. لنهرب من هذه القبيلة ونرحل لأي موقع آخر تشاء الذهاب إليه.."  
نظر إليها كين بصدمة وقال "نهرب؟.. لا يمكنني أن أفعل ذلك يا تينا.. ولا يمكنني الهرب بك من هذه القبيلة.. أتريد من قادور أن يقتلني؟.."

خفضت وجهها بصمت ودموعها لا تتوقف عن الانهار، فمسح كين دموعها بيده وهو يقول "لم لا تحدثين أباك عن رفضك لمثل هذا الزواج؟.. لا أظنه سيجبرك على الزواج بمن لا ترغبين به.."  
ثم مسح على رأسها مضيفاً "أنا آسف لقول ذلك، لكنني لا أستطيع أن أستجيب لمشاعرك هذه.. ادخري مشاعرك الجميلة هذه لشخص يستحقها ويقدرها يا تينا.."

قالت بصوت متهدج "ومن الذي يستحقها غيرك؟.. لا يوجد بين الأكاشي من يستحق حباً ولا إعجاباً..  
إنما هم أجلافٌ همجيون لا يهمهم إلا القتل والتهام أعدائهم.."  
لم يتعجب كين لرأيها بالأكاشي، لكنه قال بابتسامة محدودة "هل أحببتني يا تينا فقط لأنني لا أنتمي للأكاشي؟.."

نظرت له تينا بصدمة وصمت.. هذا القول يعني أنها لا تحبه هو شخصياً بل تحب هويته التي تختلف عن بقية الرجال من حولها.. فهل هي كذلك حقاً؟..

كان هذا أسوأ اتهام لها، وربما ما أزعجها أنها لا تنكر صحته ولو بشكل ضئيل.. نهضت وغادرت بصمت وخطوات متعثرة وهي تكبح دموعها.. الآن يئست من إثارة اهتمام كين واستمالة نحوها بأي شكل كان..  
فما الذي سيجري لها بعد ذلك؟.. إنها لم تجربها بخبطة تبريق لها، فهل لو فعلت سيتغير كين ويبدى اهتماماً حقيقياً بها؟..

خرجت من الخيمة محتقنة الوجه وبغضب شديد وهي تفكر بججي.. ها هي خسرت مرة أخرى أمام ججي.. فهل ستبقى خاسرة طوال حياتها؟.. ولم تخسر دائماً كلما كان الأمر يتعلق بتلك الفتاة الخسنة التي تشبه بالرجال؟.. لم كان يجب أن تكون منافستها هي شقيقتها بالذات؟..

كادت ترتطم بشخص يقف قرب مدخل الخيمة.. ولما رفعت بصرها إليه رأت تبريق يقف قربها وهو ينظر

لها بصمت ووجه عديم الانفعال.. تراجعت خطوة ووجها يشحب شيئاً ما.. إنها تدرك ما سيجول برأس تبريق من أفكار لدى رؤيتها تخرج في هذا الوقت المبكر من خيمة كين.. لكن تبريق عوض إظهار غضبه لما رآه، فإنه قال بلهجة هادئة "هل اطمأن فؤادك الآن مع الجواب الذي حصلت عليه؟"  
احتقن وجهها بشدة وقد أدركت أن الحوار الذي دار في الخيمة قد وصل لسمعه بوضوح، فقالت بجفاء "هل تتجسس علي؟"

قال بدون أن ينفعل "تقريباً.. لقد لمحتك تدخلين الخيمة في هذا الوقت المبكر، وأنا واثق أن مينا ليس بداخلها.. فلم أستطع لجم فضولي لمعرفة ما تفعلينه في خيمة شاب وحيد.."  
قالت بهزء "ها أنت سمعت ما دار بيننا وأدركت مشاعري الحقيقية.. قد يكون هذا دافعاً لك للبحث عن أخرى تضمها لقافلة نسائك.."

وأشاحت بوجهها وهي تحاول تجاوزه.. مهما يكن الأمر، عليه أن يدرك أنها لا تعباً لما قد يظنه بها وبما قد يسمعه منها قيد شعره.. إنها تكرهه، ولن يهتما ما يدور برأسه من أفكار بتاتاً..  
لكن تبريق أمسك ذراعها بقوة واستوقفها قائلاً "ما الذي تفعلينه بالتدلل لشخص لا يعبك؟.. أهذا هو الحب الذي تلاحقينه بإصرار؟.. هل هذه هي السعادة التي تطمحين إليها؟.."  
نظرت له معلقة بسخرية "ومنذ متى يعباً رجل من الأكاشي بسعادة المرأة؟"

أطلق ذراعها وهو يتفحص ملاحظتها للحظة، ثم قال "لو ظننت لوهلة أنني سأصرف النظر عن زواجي بك بسبب ما سمعته، فأنت واهمة.. أنا أشد إصراراً الآن على امتلاكك أكثر من أي وقت مضى.."  
نظرت له بصدمة وهو يستدير مبتعداً، عندها صاحت بغضب "لا أتوقع أقل من هذا من مأفونٍ مثلك.."  
تجاهل ما تقوله وهو يتعد فيهما سمعت تينا كين من خلفها يقول "ما الأمر يا تينا؟.. ما سبب صياحك هذا؟"

نظرت له بمرارة شديدة ملاحظة القلق البادي في ملامحه، ثم استدارت مبتعدة بدورها.. هذا بالذات ما يزيد حسرة على رفض كين لها.. إنها لم تر بين الأكاشي من هو أكثر رقة وعاطفة منه، بينما رجال قبيلتها يمتازون بقساوة وخشونة تسبب لها ضيقاً شديداً وبغضاً عارماً لهم.. حتى لو كانت عاطفة كين موجهة نحو ججي بوضوح، لكنها تمتن ولو للحظة أن يتغير حاله معها.. أن يرمقها بذات العينين الشجيتين وأن

يبتسم لمرآها بذات الابتسامة الصافية.. لكنها واهمة، وستظل كذلك حتى يزوّجها أبوها من هذا الرجل الجلف وتغدو جارية عند قدميه لما بقي لها من العمر.. كيف للحياة أن تكون أقسى مما هي عليه الآن؟..

\*\*\*\*\*

في الليلة السابقة لعرسها المرتقب، كانت تينا شاحبة الوجه بشكل واضح للأعين وهي تدور بتوتر في خيمة أبيها تحاول شغل نفسها بأي عمل ممكن.. ولما رأت أباها يدلف الخيمة ويجلس قرب النار المشتعلة متحدثاً مع ستينا، فإن تينا توترت بشدة وهي تحاول دفع نفسها لاتخاذ خطوة حاسمة لم يسبق لها أن اتخذتها.. قد يكون الوقت متأخراً جداً، لكنها ستصرّ على رأيها وستصمد أمام غضب أبيها مهما كانت النتائج.. بعد أن شدّت عزمها، اتجهت إليه ووقفت في موقع قريب قائلة "أبي.. أريد أن أحدثك في أمر.." قال قador دون أن يلتفت إليها "ما هو ذلك الأمر؟"

جذبت نفسها لتهدئة توترها بينما ألقّت عليها ستينا نظرة قلقة.. وأخيراً قالت تينا "أنا لا أريد إتمام هذا الزواج.."

نظر لها قador بنظرة صارمة، فأسرعت تقول قبل أن يحاول إيقافها "لن أمته، ولن أتزوج تبريق.. حتى لو بقيت بلا زواج لما بقي لي من العمر، فلن أتزوج رغماً عني.."

فقال قador وهو يقطب بشدة "من قال إن لك رأياً في الأمر؟"

رغم أنها لا تجادل أباها في المعتاد، لكنها كانت عازمة في هذه اللحظة على أن تنال ما تريده.. فاندفعت تقول "لم لا يكون لي رأي؟.. أأست أنا من سيعيش تلك الحياة؟.. فلم لا يمكنني اختيارها؟"

قال قador محتداً "لأنني أعرف مصلحتك أكثر منك.. ستتزوجين تبريق وستكونين تحت حمايته.. عندها سيتقلص الحمل على ظهري قليلاً.."

نظرت له تينا بمرارة.. أكل ما يهم قador هو أن يتخلص من همها بغض النظر عن الحياة التي ستعيشها هي بعد ذلك؟.. عندها قالت بمرارة وحنق "لن أتزوجه.. لم اخترت رجلاً يكبرني بكثير؟.. أفضل أن اغمد خنجرأ في صدري على أن يتم هذا....."

فوجئت بصفعة مدوية من يد قادور على خدها ظل صداها يرن في أذنها.. بهتت تينا وهي تنظر لعيني قادور المشتعلتين وهو يقف أمامها قائلاً "إياك أن تتصرفي تصرفاً يذفن رأسي في الطين.. في الغد، ستتقلين لحيمة زوجك، وبعدها لا أريدك أن تفكري بالعودة لهذه الخيمة بتاتاً.. أنفهمين؟.."

ثم قبض على ذراعها بقوة آلتها وهو يضيف "ولو حاولت إبداء رفضك لهذا الزواج، فأنا من سيحز عنقك بسيفي هذا وسط ساحة القبيلة.."

وتركها مغادراً الخيمة بغضب ظاهر، بينما قبعت تينا أرضاً ودموعها تسيل بغزارة على وجهها.. رغم أنها لم تواجه أباهما بهذه الصورة من قبل، لكنها لم تتوقع أن يكون رد فعله صامداً لهذه الدرجة.. إنه حتى هدد بقتلها دون هوادة وبشكل علني أمام القبيلة كلها.. فما الذي يمكنها قوله أو فعله بعد هذا؟..

ظلت تينا تبكي بحرقة بينما اقتربت منها ستينا قائلة بتوتر "هل أنت سعيدة لما جرى لك الآن؟.. لم كان عليك الرفض بكل صراحة وأنت تعلمين أن الرفض غير مقبول بتاتاً؟"

قالت تينا باكية "لكنني لا أريد الزواج به.. أنا لا أحبه بل أبغضه بشدة.. لم علي أن أتزوج شخصاً لا يحبني إنما يريد مني أن أنجب له الأبناء وأكنس له بيته وأحضر له طعامه؟.. أهذه هي الحياة السعيدة التي كنت أرجوها؟.."

تنهدت ستينا وهي ترى دموعها، ثم مسحت على شعرها الأشقر ورتبت خصلاته وهي تقول بخفوت "يا صغيرتي، الحب شيء رائع بالفعل.. لكن الأهم منه هو حياتك هذه.. لا يجب أن تفسدي أيامك تفكيراً بالحب الذي لم تحصل عليه.. فهذا سيزيدك بؤساً وتعاسة ولن يتأثر بها شخص غيرك.."

فقالت تينا باكية "ولم يجب أن أعيش حياة دون حب؟"

نظرت لها ستينا بشيء من التردد، ثم تطلعت خلفها للتأكد من غياب قادور.. فقالت عندها "أتعلمين يا تينا؟.. لقد كنت صغيرة مثلك عندما تزوجني أبوك.. كنت قد تجاوزت السادسة عشر من عمري بالكاد، وأنا كما تعلمين من قبيلة أخرى.. وفي تلك القبيلة، كنت أحب شاباً من شباب القبيلة لا يكبرني إلا بقليل.. كان شاباً شجاعاً، وكان لطيفاً جداً معي.. كنت أحبه وكان يحبني، وكنت موقنة أن حياتي معه ستكون أجمل حياة أرجوها.."

نظرت لها تينا بصمت وهي تمسح دموعها، فأضافت ستينا "عندما تقدم لخطبتي من أبي، رفضه على الفور

لأنه كان معدماً.. حاولنا الهرب من القبيلة بعد رفض متكرر من أبي جوبه به في كل مرة، وكنا موقنين أننا نستطيع أن نحيا في موقع آخر بسعادة تامة.. لكن رجال القبيلة لاحقونا خلال وقت قصير، فأعادوني لأبي عنوة، حيث قام بتزويجي من أول طارق يطلبني منه.. وكان ذلك أباك.. وبالطبع لم يكن لي رأي في الأمر، فأغلب شباب القبيلة قد صرفوا التفكير بي بعد أن ارتكبت مثل تلك الجريمة التي يعتبرها الجميع شنيعة ومخجلة.."

تساءلت تينا بدهشة "وما الذي جرى لذلك الشاب؟.."

خفضت ستينا وجهها بمرارة لم تغب عن عيني تينا، ثم تنهدت وقالت بصوت متغير "عندما أعادني الرجال للمخيم، بقي الشاب مع عدد من الرجال في العراء.. ولم أره بعدها أبداً.. ومع الأكاشي، أنت تعلمين نهاية من قد يرتكب جرمًا مثلما حاول ذلك الشاب ارتكابه.."

نظرت لها تينا بإشفاق وستينا تضيف مرتجفة "لو أنني لم أحتث على الهرب، لربما كان حياً الآن.. وربما تمكن من الزواج من أخرى وعاش سعيداً مع أبنائه.. لكنني جنيت عليه بحبي ذاك وبالإلحاحي ألا أتزوج غيره أبداً.. ولم أفكر بعواقب ذلك عليه أبداً.."

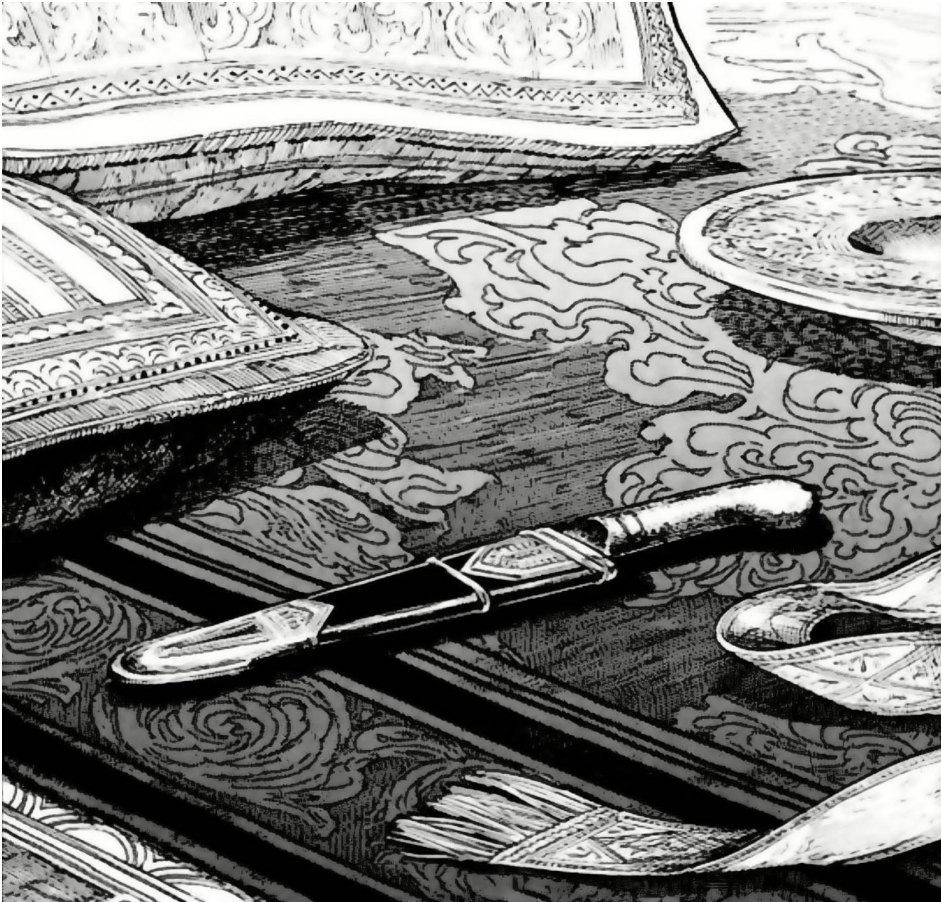
خفضت تينا بصرها بحزن متذكرة حديثها مع كين وإصرارها على الهرب معه.. هل كان سيواجه المصير ذاته لو فعل؟.. أم أن مصيره سيكون أقسى لأنها ابنة زعيم القبيلة ولأنه غريب عن الأكاشي؟.. غلبتها نفضة في جسدها والدموع تترقق في عينيها لذلك الخاطر، ثم خفضت بصرها وهي تقول بصوت مرتجف "لا تقلقي يا أمي.. لن ارتكب هذه الحماقة أبداً.. ولا يسعني إلا أن أطيع أمر أبي.."

ربتت ستينا على كتفها مشفقة، ثم غادرت بصمت تاركة تينا تفكر وغصة تؤلم حلقها لما آل إليه حالها منذ جاء ذلك الرجل البغيض.. كيف له أن يقلب حياتها بهذه الصورة في أيام قلائل؟.. وكيف لها أن ترضخ بهذه السرعة رغم ارتعابها من هذه الفكرة؟..

في تلك الليلة، انزوت تينا في جانب الخيمة بعد نوم أبويها متجاهلة خدها الذي لا يزال محمراً ويؤلمها بعد تلك الصفعة التي نالتها من أبيها.. فتحت صندوقاً متوسط الحجم بزخرفات منمنمة وشكل بديع كانت تحتفظ فيه بمجموعة كاملة من الأقمشة المطرزة المعدة لزواجها المرتقب كما تفعل الفتيات عادة في القبيلة.. فمنذ أن تبلغ الفتاة الثامنة من عمرها، تبدأ أمها أو إحدى النسوة في عائلتها بتعليمها الحياكة والتطريز

لتقوم بتجهيز مجموعة كاملة من الوسائد والفرش والمفارش استعداداً لزوجها وانتقالها لبيت زوجها الجديد.. بالإضافة للثياب عامة وثوب عرسها خاصة.. وقد اعتنت تينا بتطريز ثوب عرسها بشغف وتفكيرها منحصراً بكين.. أرادت أن تبدو أمامه يوم عرسها كأجمل فتاة في القبيلة، وهي كانت واثقة أنها لن تتزوج غيره أبداً.. أما الآن، بعد الرفض الذي واجهته من كل جهة، فإنها استخرجت ثوبها الأحمر الجميل بقماشه الحريري الناعم وتطريزاته الذهبية الدقيقة.. تأملته للحظات وهي تتذكر اعتراف كين بحبه لججي وحدها.. تأملت التطريزات المنمنمة الممتدة وهي تتذكر إعلان تبريق بكل صلافة أنه لن يتخلى عنها وأنه مصرّ على امتلاكها حتى لو كانت تحب غيره.. تأملت حواشي الثوب الجميلة وهي تتذكر الصفحة التي لم تشعر بمثلها قط من أبيها وهو يخبرها بكل قسوة أنها ستتزوج من تبريق وإلا قتلها بنفسه.. انهمرت دموعها على خديها لهذه الذكريات القاسية، وغامت الرؤية أمام عينيها وهي تدفن وجهها في الثوب وتنشج باكية دون أن يعلو صوتها لئلا تثير انتباه أحد فتلقى المزيد من التأنيب على ذلك.. غداً يوم عرسها الذي كانت تحلم به وتنتظره بكل لهفة وشوق.. غداً يوم عرسها، وليتها كانت تملك ثوباً أسود لترتديه حداداً على حياتها التي ستنتهي قبل أن تبدأ..

\*\*\*\*\*





## الفصل العاشر { عرس ورماء }

في اليوم التالي، وكان يوماً تبددت فيه الغيوم وبدأت الشمس تنير السهول وتنشر بعض الدفء في أرجائها بغير موعد، ابتدأت الاستعدادات باكراً للعرس المرتقب.. انشغل الرجال منذ ارتفاع الشمس في عرض السماء بذبح عدد كبير من الخراف تكفي لإطعام القبيلة كاملة ولضيافة من وصل من الضيوف لحضور هذا العرس.. سالت الدماء غزيرة وخضبت بقعة غير بسيطة من جانب المخيم، واصطبغت ملابس الرجال وأيديهم باللون الأحمر القاني.. وفي الآن ذاته، انشغلت النسوة بترتيب ساحة المخيم وتغطيتها بالمفارش المزخرفة التي جلبتها كل منهن من منزلها كما يفعلن عادة في كل عرس يقام في القبيلة.. بينما قام بعضهن بعجن العجين وإعداد مختلف الفطائر المحشوة والحلويات المحلية.. بعدها ومع ميلان الشمس لمغيبها، بدأت بتحضير أنواع الطعام الرئيسي للعشاء، من أرز باللحم والخضار وأنواع مختلفة من المرق وتحضير الخراف المشوية، وبدأت رائحة الطعام الشهى تغمر المخيم كاملاً ويسيل له لعاب الضيوف الذين احتشدوا وسط الساحة..

وبينما اجتمع الرجال وسط المخيم يحتسون أنواعاً من الشاي المعطر بالأعشاب المختلفة ويتبادلون الأحاديث مع الضيوف، فإن الفتيات قد سارعن لإنهاء ما عليهن من أعمال وارتداء أفضل ما يملكنه من ملابس وتسريح شعورهن الطويلة مع تزيينها بزينة فضية أو ذهبية، وتزيين أعينهن بكحل فاحم يزيد جمالهن ويلفت الأنظار إليهن.. كان الاحتفال يستغرق الليلة بطولها، وعندها تتمكن كل فتاة من استعراض جمالها ورقصها الفاتن، وربما اقتناص زوج قبل أن يتقدم بها العمر وتقل فرصها في الزواج بأحد الشباب.. وعندها لن يغدو أمامها إلا الزواج برجل يفوقها في العمر بعدة عقود دون أن تملك الرفض أو القبول..

عندما دخلت ججي الخيمة لرؤية تينا، بعد غروب الشمس ببعض الوقت، دهشت لمراى خطي الدموع التي سالت على خديها دون توقف.. كانت تينا قد ارتدت ثوب عرسها بلونه الأحمر الزاهي كما هي العادة في تلك القبائل، وقد كان على شيء من الاتساع مع حزام ذهبي يتوسطه يظهر دقة خصرها.. وعلى أطراف الكمين الواسعين كان الثوب مزداناً بحواشي مزخرفة مشابهة للتي زينت جزءه السفلي.. أما حلق الثوب

فقد كان مطرزاً بخيوط ذهبية لامعة على شكل زهور بديعة المنظر اعتنت تينا منذ صغرها بإتقانها.. وعلى أطراف الثوب أقراص معدنية رفيعة تلتصق بنور المشاعل وتصدر صوتاً ناعماً كلما حركت تينا ثوبها..

وقد اعتنت ستينا بتزيين وجه تينا منذ بعض الوقت.. فاستخدمت كحلاً شديداً السواد لعينيها الواسعتين بحيث أظهرت جمالهما، بالإضافة لنقاط موزعة بدقة في خديها وجبينها وذقنها كانت النسوة يؤمن أنها تبعد الحسد عن العروس الجميلة.. ولمسات خفيفة من دهن معجون بأعشاب تصبغه باللون الأحمر لإضفاء لون جميل على شفثتها وخديها.. أما شعرها فقد ظفرتة في جديلة سميكة على ظهرها وعطرتها بماء الورد، وتخللت خصلاته بعض الزهور البرية البيضاء بالإضافة لبعض الأوراق الموزعة بعناية تطبيقاً لتقليد قديم ورجاء عميق بأن يدوم الرخاء حياتها الخاصة وحياة قبيلتها عامة..

ورغم الجمال البادي على تينا بشكل ملحوظ، لكن الكآبة المخيمة على وجهها والدموع التي تسيل بلا انقطاع قد أفسدت أغلب زينتها وجعلتها بادية التعاسة..

اقتربت منها ججي بينما ظلت ستينا تتذمر وهي تقول بضيق "حتى متى ستستمرين بالبكاء؟.. لقد قمت بتصحيح الكحل في عينيك عدة مرات، وفي كل مرة تفسدينه بهذه الدموع التي لا تتوقف.."

قالت تينا بصوت متهدج "لكني لا أريد الزواج الآن يا أمي.. ولا أريد الزواج بهذا الرجل.."

شدت ستينا على كتفها بيد وقالت "وما الذي يمكننا فعله يا تينا؟.. هل تقدرين على رفض أمر من أهلك؟.. لقد حاولت ذلك قبلاً، وكانت النتيجة سيئة.. فما الذي تقدرين على فعله الآن؟"

خفضت تينا وجهها وهي تنشج بصمت، فزفرت ستينا بضيق لإدراكها أن دموعها لا تساوي شيئاً عند قادر أو غيره من الرجال.. ولما اقتربت منها ججي متسائلة "ما الذي يجري؟.. ما بالها تينا؟"

قالت ستينا بضيق "حاولي أن تهدئيها قليلاً يا ججي.. سأذهب لأرى ما فعلته النسوة بطعام العشاء.."

وغادرت متذمرة دون أن تمحو الكدر الواضح على ملامحها، بينما اقتربت ججي من تينا المنزوية في جانب الخيمة، وقالت برفق "ما الذي جرى يا تينا؟.. لم هذا البكاء اليوم بالذات؟"

نظرت لها تينا بشيء من الغيظ لأن شقيقتها لم تدرك ولو للحظة مقدار التعاسة التي شعرت بها في الأيام الماضية، ثم قالت باكية "أنت السبب فيما أنا فيه الآن.. لولاك، لتزوجت الرجل الذي أحب، ولما أجبرني أبي على الزواج من ذلك المأفون.."

نظرت لها ججي بدهشة وقالت "وكيف يكون هذا ذنبي أنا؟"

رمت تينا رأسها على ذراعيها وهي تبكي دون انقطاع، بينما لمست ججي كتفها متسائلة "أهناك من تحببته في هذه القبيلة يا تينا؟.. من هو؟.."

قالت تينا بتهدج "وما المهم؟.. لقد رفضني بكل صراحة، وأخبرني أنه لا يريد الزواج بي.. فما الذي أستطيع فعله الآن؟.."

ظلت ججي تنظر لها وهي بحيرة من أمرها.. استاءت للبوّس الشديد الذي تشعر به تينا، لكنها تدرك أنها لا تملك أن تعاونها بأي شكل من الأشكال.. فقادور لن يرضى بتدخلها في هذا الأمر، ولا يمكن إلغاء هذا العرس بعد أن ابتداء بالفعل.. فما الذي يمكن فعله؟..

سمعتا صوت امرأة قرب الباب تقول لهما "فلتستعد العروس.. سنخرجها للساحة بعد قليل لتقابل زوجها.."

وأطلقت زغرودة سعيدة وهي تبتعد لتنضم لبعض النسوة.. بينما قفزت تينا واقفة بتوتر كبير وقالت برجفة "لا يمكنني أن أصمت على هذا.. لا يمكن لأحد أن يجبرني على هذا الزواج.."

قالت ججي بضيق "تينا.. ما الذي يمكنك فعله الآن؟"

لم تجبها تينا وهي تتجه للجانب الخلفي من الخيمة، فأنصتت للأصوات لتتأكد من عدم وجود أحد قربها.. ثم رمت معطفاً عادي المظهر على كتفيها لتخفي ثوبها زاهي اللون، ورفعت جانب الخيمة الخلفي لتنسل منه.. لكن ججي سارعت لإيقافها وجذبها عائدة للخيمة وهي تقول بحنق "ما الذي تفعلينه يا مجنونة؟"

قالت تينا بانفعال "سأهرب.. ألم تدركي ذلك بعد؟"

قالت ججي بحزم "وتظنين أنني سأتركك تفعلين ذلك؟"

تدافعت الدموع من عيني تينا وهي تقول "لماذا؟.. لقد أفسدت أمنيتي بالزواج بمن أحب، والآن ترغميني على الزواج بمن أكره؟.. كيف يمكنك أن تكوني قاسية هكذا؟"

قالت ججي بحنق "أنت تتهميني بإصرار شديد أنني السبب في تعاستك هذه.. فما الذي فعلته؟.. كيف أبعدتك عن تحبين إن كان هو قد رفضك بنفسه؟"

لم تجب تينا وهي تشيح بوجهها، فأمسكت ججي كتفيها وقالت "أفيقي من أحلامك هذه يا تينا.. لو

فكرت بالهرب، فسيأمر أبي بقتلك على الفور.. حياة تعيسة كما تصفينها أفضل من أن تُقتلي في هذه السن الصغيرة.. فما الذي يحدوك لليأس بهذا الشكل؟"

ثم أضافت بابتسامة "كما أنني لا أظن أن تبريق سيء لهذه الدرجة.. لقد لاحظت نظراته إليك عدة مرات، وقد بدا لي أنه معجب بك، وربما كان يحبك.. لا يمكن أن تكوني تعيسة معه بالشكل الذي تتصورينه.."  
قالت تينا بصوت مرتجف "سهل عليك قول ذلك.. فأنت ستحصلين على الشاب الذي تحبينه دون شك.."

نظرت لها ججي بصدمة ودهشة، عندما دخلت ستينا الخيمة.. فقالت على الفور وهي تقترب منها "ما الحاجة لهذا المعطف البالي يا تينا؟.. ها قد أفسدت زينتك من جديد.."  
وأسرعت لنزع معطفها عن كتفيها وإصلاح ما تقدر على إصلاحه.. قبل أن تجذبها خلفها وهي تقول "هيا.. الجميع ينتظر عروسنا الجميلة.."

تبعتها تينا بصمت واستسلام والمرارة واضحة على وجهها.. هل يستحق الأمر منها أن تقتل على يد أبيها لتمنع هذا الزواج؟.. لقد فات أوان الندم، وما عادت تملك وسيلة للفرار من هذا المصير الذي تبغضه بشدة..

ولما دفعتها ستينا لتقترب من مجلس قادور، وسط زغارد متواصلة من النسوة المبتهجات، تعالي صفير إعجاب من بعض الشباب، بينما بدت غيرة واضحة على وجوه بعضهم ممن سعى لنيل حبها سابقاً دون أن تعباً بأحد منهم..

اقتربت تينا بخطوات راجفة من موقع أبيها، ثم جلست على يمينه بإشارة منه بينما جلس تبريق على يساره مرتدياً أبهى حلة يملكها.. وفي موقع بعيد جلست ججي قرب كين وتأملت تينا مغمغمة "انظر لتلك الحمقاء.. إنها لم تكف عن البكاء والتذمر، ولو ألقنت نظرة جادة على تبريق لأدرت مدى سعادته بها.."

قال كين "أتظنين أن سعادته تلك تعني أنه لن يعاملها بقسوة فيما بعد؟"

قالت ججي مقطبة "فليحاول ذلك.. صدقني ستهشم قبضتي أسنانه الأمامية دون أن أسأله عن سبب تصرفاته تلك.."

ابتسم كين دون تعليق، بينما قالت ججي "ما لا أفهمه أن تينا كانت غاضبة مني بشدة.. لقد اتهمتني عدة

مرات أنني سبب تعاستها هذه.. أهي تقول ذلك لأنني لم أتدخل في هذا الزواج ولم أطلب من أبي رفضه؟" نظر لها كين بشيء من القلق وقال "هل أخبرتك بالسبب لمثل تلك الاتهامات؟"

قالت ججي بحيرة "لا.. لقد كانت تبكي وتلقي كلاماً لم أفهم منه شيئاً.. وهذا ما زاد تعجبي.."

صمت كين دون أن يعلق وقد ارتاح لأن تينا لم تأت بذكره أمام ججي.. لم يكن يريد أن تعرف ججي بحب تيناله وسبب رفضه لها.. لا يدري لم، لكنه يشعر أن ججي ستكرهه لو أدركت أنه سبب تعاسة تينا هذه.. سمع ججي تقول بعد أن طال صمته ولاحظت شروده في النار التي تتوسط المخيم "ماذا عنك أنت؟.. ألا تفكر بالزواج؟"

نظر إليها كين وهو بدهشة من تحدثها في هذا الموضوع، فنظرت إليه مضيفة "أم أن فتيات الأكاشي لا يعجبنك؟.. أيجب أن تكون زوجتك من الكشميت؟"

تساءل كين بدوره "ماذا عنك أنت؟.. ألا تفكرين بالزواج؟"

ضحكت ججي بسخرية واضحة وقالت "أتزوج؟.. أتظنني أستطيع الزواج لأنجب الأبناء وأقضي أيامي أنجز أعبائي المنزلية وأطبخ الطعام وأخيط الثياب؟.."

وأشارت لساعدها مضيفة "لم أقم بتقوية ساعدي واكتساب تلك المهارات في استخدام السيف والقوس لأقضي أيامي زوجة لرجل ما.."

نظر لها كين بدهشة، رغم أن تلك الأفكار ليست غريبة على ججي.. ثم علق وهو يراقب الفتيات الراقصات قرب النار "لكن هذا لا يمكن أن يدوم يا ججي.. أنت صغيرة، لكنك يجب أن تتزوجي في يوم ما، ويجب أن تنشئي عائلة خاصة بك.."

قالت بسخرية "الأكاشي لا يعتبرون من تبلغ التاسعة عشر من عمرها صغيرة.. الفتيات يتزوجن قبل السادسة عشر من عمرهن، وأنا كما قلت لك لا أهتم بهذه الأمور.."

ثم أضافت بابتسامة جانبية "ثم إن أبي يعدني رجلاً.. أم أنك نسيت؟.."

لم يعلق كين على هذا القول بينما دفعت ججي كتفه بقبضتها وهي تضيف "ألا ترى الفتيات يبذلن جهداً محمواً للفت الانتباه برقصهن حول النيران؟.. لا تحيِّب آمالهن واختر إحداهن زوجة لك.. أنت في سن مناسبة لذلك تماماً.. ولا أظن أي فتاة ترفض الزواج بشاب وسيم وهادئ مثلك.."

وأضافت بهزء "هذا لو كان لهن الخيار بذلك حقاً.."

ظل كين ينظر للنار الكبيرة وسط المخيم وشيء من الاستياء يخامرهم.. لم يتحدث ججي في أمر الزواج بالذات؟.. لأنها لاحظت اهتمامه بها؟.. هل هي وسيلة غير مباشرة لتخبره أن يكف عن التفكير بها؟.. لكن لا.. ججي لا تستخدم أساليباً غير مباشرة أبداً.. إنها واضحة وصریحة في آرائها دون أن تعبأ بما قد يشعر به الآخرون تجاه ذلك.. وهذا أشعره باستياء أكبر..

إن ججي لم تره كرجل أبداً في يوم ما.. بالإضافة لكونها ترفض فكرة الزواج من الأساس.. أهذا يعني أن عليه أن ييأس منها بشكل تام وييأس من هذا الحب الذي لن يرى النور يوماً؟..

\*\*\*\*\*

بعد أن غادرت ججي لتهنئة العروسين، جلس كين قريباً من مینار الذي انعزل عن البقية يدخن غليونه بصمت ويحتسي بعض الشاي.. ولما جلس كين قربه بصمت، تساءل مینار وهو يعبث بغليونه الخشبي "ما بالك؟.. تبدو مغموماً.."

زفر كين بضيق للحظات، ثم غمغم "ججي لا تراني ندأ لها أبداً.."

تساءل مینار "أهذا مهم؟.."

قال كين بضيق "أعني أنها لا تراني كرجل أبداً.. تنظر لي نظرة دونية على الدوام، حتى لو لم تكن تعني ذلك.. وهذا ما يغیظني.."

علق مینار قائلاً "جام تربى على أن القوة هي الحكم الوحيد في علاقاته مع الآخرين.. فكيف تريده أخذك بعين الاعتبار وأنت أضعف منه بمراحل؟.."

قال كين قلباً كفيه "وما الذي يمكنني فعله؟.. مهما حاولت، لن أصبح أقوى منها أبداً.. جسدي ضعيف ولا يمكنني تجاوزها، وهذه هي الحقيقة المؤسفة.."

فعلق مینار "لا وجود لجسد ضعيف وجسد قوي.. هناك جسد أهمله صاحبه فغداً ضعيفاً، وهناك جسد بذل صاحبه فيه وقتاً وجهداً حتى أصبح قوياً.."

نظر كين لقبضتيه وهو يشد عليهما ويرخيها متسائلاً في نفسه كيف يمكنه أن يحقق أمراً كهذا، بينما سعل مینار عدة مرات وهو يدخن غليونه مستخدماً أعشاباً كريهة الرائحة، فغمغم كين "كيف يمكنكم أن تحتفظوا بقواكم وأنتم تستخدمون مواد ضارة كهذه العشبة الغريبة؟.. ألا تدرك أن تدخين مثل هذه الأعشاب يشد الصدر بأبخرة ضارة ويجعله ينتن بسرعة؟.."

نظر مینار لغليونه معلقاً "ربما.. لكنه أمر اعتدنا عليه بين الأكاشي، لذلك لا أرى مانعاً من ممارسته رغم ما تحاول تخويفي به.."

قال كين "ليس مجرد تخويف بل هو واقع.. لماذا يصير الأكاشي على الحياة البهيمية هذه ولا يحاولون التحضر؟.."

ضحك مینار لقوله قائلاً "هذا ما لا يمكن أن يحصل فلا تحلم به.."

دمدم كين وهو يتذكر تصرفات ججي الخشنة "أدرك ذلك.."

سادهما الصمت لبضع لحظات ولا يتردد إلا صوت مینار وهو ينفث دخان غليونه بهدوء ورتابه، ثم قال قاطعاً الصمت "أتعرف ما الذي سيجري لو حاول الأكاشي التحضر مثل باقي الأمم؟.."

نظر له كين بتساؤل، فأجاب مینار "لو حاولت قبائل الأكاشي نزع رداء همجيتها والتحلي ببعض التحضر كما تفعل باقي الأمم، فستغدو لقمة سائغة وسهلة لباقي الممالك التي تتلهم للحصول على هذه السهول والوصول للبحر الذي تطل عليه.. نحن قلة مقارنة ببقية الشعوب، وجل ما نخشاه أن ندوب في الممالك القريبة ونصبح ذكري لا يتذكرها أحد وتاريخاً لن يعبأ شخص بتسجيله وتخليده.."

لرعلق كين بموافقة ضمنية على ما قاله مینار وهو يتأمل النار المتوهجة أمامه، ثم غمغم "ألست نادماً لما نتج عن دفعكم ججي لتسلك مسلك الرجال؟.."

أجاب مینار ببساطة "لا.. فما ستواجهه وهي فتاة من الأكاشي سيكون أسوأ بمراحل.."

وأشار لتينا التي كانت تجلس في موقعها دون أن تخفي ملامح وجهها البائسة مضيفاً "وهذا أقرب مثال لما أعنيه.."

نظر كين لتينا التي لم ترفع بصرها منذ جلست في ذلك الموضوع.. وراوده شيء من تأنيب الضمير لرؤية البؤس في ملامحها.. لقد سعت إليه محاولة الخلاص من هذه الزيجة التي ترفضها، لكنه لم يقدم لها يد العون

ولم يعبأ لما يجري لها.. فهل هو سبب تعاستها هذه؟.. لكن كيف يجبر نفسه على الزواج بها وهو لا يراها إلا أقرب لشقيقة صغيرة له.. لم يكن اهتمامه بها يتجاوز ما قد يفعله لو كانت شقيقته بالفعل، فهل فسرت تينا ذلك تفسيراً خاطئاً؟.. وبالعكس من ذلك، رغم كل الاهتمام الذي يبديه كين تجاه ججي، فإنها لم تفهم في يوم من الأيام مقدار ما يحملها لها من مشاعر..

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي، وبعد احتفالٍ طال حتى ساعات الفجر الأولى، استيقظت تينا على بعض الجلبة في جانب من المكان.. تلفتت حولها ناعسة ملاحظة ملامح الخيمة الغريبة عليها، عندما صفا عقلها وتذكرت أنها ما عادت في خيمة أبيها، بل في خيمة زوجها البغيض ذلك.. فاعتدلت وهي تتلفت حولها بقلق.. لقد قضت ليلتها جالسة في زاوية المكان والدموع تغرق وجهها، ولا تزال آثار تلك الدموع واضحة على خديها وهي تشعر بالآلام شديدة في جسدها بسبب نومها بتلك الطريقة الغريبة..

انتبهت في تلك اللحظة إلى تبريق الذي كان يجلس قرب النار المشتعلة وسط الخيمة، ولما انتبه لتحركاتها المتوترة نهض واقترب منها قائلاً "هل استيقظت؟.. كيف يمكن لعروس أن تقضي ليلتها مندسة كفأر؟"

توترت تينا بشدة وغالبت غضبها من قوله وهي تنكمش على نفسها وتدير وجهها بعيداً بصمت.. فوجدته ينحني قربها ويناوئها كوباً من الفخار قائلاً "تناولي بعض الحليب الدافئ حتى أقوم بتحضير بعض الطعام لك.."

ولما لم يجد منها استجابة، وضع الكوب أمامها وعاد لموقعه لينشغل في عمله، بينما اعتدلت تينا في جلستها بألم شديد.. لاحظت في ذلك الوقت ذلك الغطاء الذي وضع على كتفيها وهي نائمة.. فشدهته حول جسدها لتحصل على بعض الدفء وهي تتمنى لو تتمكن من الاقتراب من النار.. لو أنه يغادر هذه الخيمة، لأمكنها التحرك بشيء من الحرية بدل الجلوس بذعر في زاوية المكان..

ظلت تراقب تبريق بصمت ومرارة وتخييل وجود كين مكانه.. لو كان كين هو زوجها، لكانت الآن أسعد فتاة في هذه القبيلة.. لو كان كين هنا.....



تذكرت نصيحة أمها لها بأن تصرف النظر عن الحب الذي لم تحصل عليه، والتعاسة التي ستتبع مثل ذلك التفكير.. ورغم عدم اقتناعها بهذا الأمر، لكنها فضّلت أن تتبع نصيحتها وهي تزفر بضيق وكدر شديدين..

التفت إليها تبريق وتأمل الكدر على ملاحظها، ثم اقترب منها قائلاً "هل ستظلين صامته طوال الوقت يا تينا؟.."

لم تجبه وهي تدفن وجهها بين ذراعيها، فقال وهو يجثو على ركبتيه أمامها "هل ستظلين غاضبة لزواجي منك بهذه الصورة؟"

نظرت له بحنق وغضب.. ثم دمدمت وهي تدير وجهها جانباً "وهل ظننت أنني سأقع في حبك فور زواجك بي رغماً عني؟"

قال تبريق "لا.. لكن لم أتوقع أن تقضي ليلتك باكية منتحبة بتلك الصورة.. لقد خشيتُ أن تقضي نحبك لشدة البكاء الذي رأيته البارحة.."

عادت لصمتها وحاجبيها معقودان بشدة.. مد تبريق يده وأزاح خصلة من شعرها برفق، فلاحظ أنها أبعدت رأسها عنه بضيق شديد وتوتر أشد.. عندها قال "ما الذي يمكنني أن أفعله لأنال رضاك يا تينا؟.. أتظنين أنني سعيد بتعاستك هذه؟"

قالت بغضب "لو كنت تريد سعادي لما سعيت للزواج بي رغماً عني وأنت تدرك أنني أحب رجلاً آخر.."  
قال بضيق "وأتركك لذلك الذي رفضك بكل صراحة؟.. ألا تفهمين أنك لم تكوني لتتزوجيه حتى لو أطلقت سراحك؟.. أنت الحمقاء الوحيدة التي لم ترَ اهتمامه المنصب على ججي وحدها.."

أشاحت تينا وجهها بغضب ومرارة، فتنهد تبريق وهو يتأمل ملاحظها بصمت.. ثم قال "لنعقد مهادنة بيننا ولو مؤقتاً.. سأفعل كل ما تطلبينه، شرط أن تزيلي هذا العبوس من ملاحظك ولا تظهري غضبك كلما رأيته.. أريدك أن تتناسي كرهك لي، وتمارسي حياتك بصورة عادية حتى تعتادي على وجودي.."

رغم يقينها أنها لا يمكن أن تتناسي كرهها له، لكن بدا لها هذا عرضاً لا يمكن تفويته.. فنظرت إليه وقالت بحزم "لا بأس.. شريطة أن تلتزم بما أطلبه منك.."

هز تبريق رأسه موافقاً، فقالت على الفور "أولاً، لا أريدك أن تلمسني.."

نظر لها تبريق بدهشة وتساءل "لم تزوجتك إذا؟"

قالت بعصبية "هل سترفض شرطي الأول؟.."

زفر بضيق وقال "حسناً.. لك ذلك.."

فقال بسرعة "ولا أن تتبسط معي بالحديث بتاتاً لو لم أكن أنا البادئة.."

هز تبريق رأسه موافقاً وهي تضيف "أعمالي سأقوم بها متى ما شئت.. ولا يمكنك التذمر لو لم أقم بأي منها.. سأخرج متى ما أشاء وأعود متى ما أشاء ولا يحق لك التدخل في أموري.. سأحدث من أشاء دون أن تفرض سلطتك عليّ...."

فقال تبريق بسرعة "لن أسمح لك بالحديث مع كين وملاحقته بعد أن أصبحت زوجتي.."

فقال بحنق "لا يحق لك التدخل في شرطي.."

فقال بصرامة "لا.. لو ظننت لوهلة أنني سأصمت وأنا أراك تتبسطين مع حبيبك وتضحكين معه فأنت واهمة.. أنا لن أسمح لك بإذلالني أمام القبيلة أبداً.."

ونفض مغادراً بغضب وتينا تقول حانقة "إذاً لا يحق لك أن تطالبني بالأغضب.. لا يحق لك المطالبة بأي شيء.."

وعقدت ذراعيها على صدرها بحنق وهي تزفر بشدة.. لقد ظنت لوهلة أن تبريق سيستسلم لطلباتها ويخضع لها.. لكنه، كما هم رجال الأكاشي جميعاً، لا يطيق أن تفرض عليه امرأة شروطها.. ولا يطيق ألا يظهر قسوته عليها كما اعتاد طوال حياته.. فكيف يكون تبريق أفضل من غيره كما تدّعي ججي؟..

\*\*\*\*\*

في الليلة التالية، كانت آثار ذلك العرس لا تزال باقية في جوانب المخيم.. وبينما رحل أغلب الضيوف مع بدء نهار اليوم التالي، فإن بعضهم قد فضل البقاء وتوطيد الأواصر مع قبيلة (أبناء الذئاب) لمصالح مشتركة بينهم..

في تلك الليلة الهادئة، والتي غاب قمرها خلف غيوم كثيفة منذرة بجو عسير، سكن كل شيء في المخيم

المقام على حافة المنحدر الصخري.. انزوى أغلب الأكاشي في خيامهم هرباً من البرودة التي تزايدت حتى ما عادت النار قادرة على تخفيفها ولو بشكل ضئيل.. خلت ساحات القرية من حلقات السمر المعتادة من الشباب والرجال.. ورغم النيران التي تشتعل كما هي العادة وسط تلك الساحات، إلا أن أصحابها قد كفوا عن الجلوس قربها تاركينها للريح تعبت بها، بينما كفّ الصبية عن الركض وسط القرية بنشاط كما يفعلون عادة.. وفي جانب المخيم، في الموقع الذي يطلّ على المنحدر والخليج من خلفه، جلس مینار بصمت متدثراً بمعطفه وهو يدخن غليونه ويرمق الأفق المظلم بصمت.. وبعد وقت قصاه وحيداً، انتبه لتلك الخطوات التي اقتربت منه وصوت ججي يقول "من العجيب وجودك خارجاً في مثل هذا الوقت.. هل تنتظر هطول الثلوج؟"

تساءل مینار "ماذا عنك أنت؟.. ما الذي أخرجك في مثل هذه البرودة؟"

جلست قربها قائلة "كنت أبحث عنك ولم أعثر عليك في خيمتك.. لقد مللت من البقاء في الخيمة دون عمل وأتيت للحدث معك.."

فقال مینار "وما الذي أتيت للحدث عنه؟"

صمتت ججي للحظات، ثم تنهدت وقالت "مازلت أشعر بالضيق لما جرى لتينا.. لقد رأيتها اليوم عندما قمت بزيارتها صباحاً.. كانت ما تزال تبكي لزواجها من شخص لا تحبه، وما تزال بأئسة المظهر بشكل لا يليق بعروس.. فهل أخطأت بعدم التدخل في أمرها قبل أن يتم هذا الزواج بالفعل؟"

نفث مینار دخان غليونه وقال "أتظن أن تدخلك يمكن أن يأتي بنتيجة أفضل لها؟"

قالت ججي بضيق "لا أعلم.. وهذا ما يسبب لي الضيق.. لا يسعدني رؤيتها بهذه الحالة، فهي شقيقتي الصغرى وأنا أتمنى أن أراها سعيدة.. لكن لا يمكنني أن أتهم تبريق بأنه سبب تعاستها.."

لم يعلق مینار وهي تضيف بتبرم "لقد كانت تبكي بحرقه قبل عرسها فلم أتمكن من معرفة أي أمر منها.. كل ما فهمته أنها كانت تحب شخصاً ما وكانت ترجو الزواج منه.. لكنه قد رفضها.."

ثم أضافت بغیظ "لو علمت من هو ذلك المأفون الذي يجرؤ على رفض فتاة جميلة كتينا ويتسبب بتعاستها، فلا بد أن يذوق مني لكمة أو اثنتان.."

علق مینار بابتسامة "وأنت لم تدرك من هو قط؟"

نظرت له ججي بشيء من الدهشة، ثم تشبثت بملابسه قائلة بانفعال "أتعلم أنت من هو؟.. أخبرني هوية ذلك الوغد بسرعة يا مینار.."

قاطعها مینار في تلك اللحظة وهو يحدق في الأفق البعيد بتقطعية قائلاً "أترى ما أراه يا جام؟"  
نظرت ججي للأفق الأسود حيث يشير بصمت للحظات، ثم تساءلت بحيرة "وما الذي تراه؟"  
أجاب مینار "أرى ناراً.."

أطلقت ججي ضحكة متعجبة وقالت "نارٌ وسط المياه؟.. يبدو أن بصرك قد وهن يا مینار.."  
قال مینار بحنق "ما الذي تعنيه.....؟"

قاطعها صوت انفجار قوي اندلع من موقع ما خلفها في المخيم، وقد كان من القوة بحيث تناثرت شظاياها في بقعة واسعة حوله.. استدار الإثنان خلفهما بذهول ودهشة ليريا تلك النار العظيمة التي اندلعت من أحد المواقع القصية في المخيم.. فقفزت ججي واقفة وهي تهتف "هل نتعرض لهجوم من إحدى القبائل؟"  
استلّت سيفها الذي لا تتخلى عنه وهي تهتمّ بالاندفاع نحو ذلك الموقع، لكن مینار أمسك ذراعها وهو يقول بجديّة وانفعال "مهلاً يا جام.. ألا ترى ما أراه حقاً؟"

قالت ججي بتوتر "ليس هذا وقته يا مینار.. يجب أن نصدّ المهاجمين قبل أن يلحقوا بنا خسائر أخرى.."  
لكن مینار لم يفلتها وهو يشير للأفق الأسود.. ولما دقت البصر هذه المرة للحظات، تراءى لها أن ناراً في موقع بعيد قد اشتعلت لوهلة قبل أن تنطفئ.. ولم تكد النار تنطفئ حتى سمعوا انفجاراً ماثلاً في موقع آخر من مخيمهم بحيث أثار ذعراً أكبر بين الأكاشي وهم يترაკضون هارين من عدو لا يرونه..  
نظرت ججي حولها بتوتر ودهشة، ثم هتفت "ما معنى هذا؟.. أتظن أن لتلك النار التي تشتعل عند الأفق علاقة بما يحدث هنا؟"

أجاب مینار "أغلب الظن أن هذا ما يحدث.."

واندفع عبر المخيم تتبعه ججي التي لم تتخلّ عن سيفها رغم أنها لا تعلم من العدو حقاً.. وبينما تعالی الصياح في جوانب المخيم وتراكض الرجال باحثين عن العدو ومحاولين إطفاء النار التي اشتعلت في موقع الهجومين السابقين، فإن ججي تلفتت حولها بحثاً عن المتسببين بذلك الانفجار دون أن ترى دخيلاً في المخيم.. ولم يكن صعباً العثور على واحد على ضوء النيران التي ألقّت وهجاً قوياً في بقعة واسعة من

المخيم.. فهل كان سببه حقاً تلك النار التي تشتعل وسط المياه؟..

اندفع مينار نحو قادور الذي وقف وسط ساحة المخيم يصيح برجاله ملقياً أوامره، فاقترب منه مينار وهو يسمعه يصيح "ابحثوا عن المهاجمين.. لا بد أن جماعة منهم قد بدأت الهجوم علينا بغفلة من الجميع.."

اعترضه مينار قائلاً "لا حاجة بكم للبحث عن عدو يا قادور.. فلن تعثروا على أحد.."

سأله قادور "ماذا تعني؟"

أجاب مينار بتوتر كبير "لأن عدونا لم يقترب منا عبر السهول.. بل عبر البحر القريب.."

نظر له قادور مصعوقاً وججي تقول بانفعال "رأينا ناراً تشتعل وسط البحر، وبعدها بدأت هذه الانفجارات تتابع في المخيم.. فما معنى هذا؟.."

فوجئوا في تلك اللحظة بانفجار قوي يصيب موقعاً وسطاً بين الخيم، فصاحت ججي وهي تستدير لذلك الموقع "لقد أصيبت خيمتك يا مينار.."

لم يعلق مينار بينما اندفعت ججي نحو الخيمة صائحة "كين..."

لم يتبعها مينار وهو يقول لقادور "ما العمل الآن؟ هذا هجوم لا قبل لنا به.."

قال قادور بحق "من الذي يقف خلف هجوم مثل هذا؟.."

علق مينار بتوتر قائلاً "ومن تظنه يكون؟.. عدونا الذي أوهمنا أنه صرف النظر عن محاولة غزونا منذ سنوات.."

في تلك الأثناء، كانت ججي تركض نحو خيمة مينار التي تهشمت بشدة واندلعت النيران فيها سقط من أخشابها تأكله بشراسة.. فاقتربت من بقايا الخيمة وصاحت "كين.. أنت بخير؟"

اندفعت نحو أقرب الأخشاب إليها وحاولت رفعها بأقوى ما تستطيع.. حاولت إزاحة الأخشاب بعيداً وإيجاد وسيلة للبحث عن كين تحت حطامها وهي تشعر بقلق شديد.. إنه لم يستجب لها بكلمة، فهل فقد الوعي؟.. هي واثقة من وجوده هنا لأنها رأته عندما أتت بحثاً عن مينار.. فما الذي جرى له؟..

ازداد توترها وهي تزيح ما تقدر عليه من أخشاب، حتى استطاعت أن ترى طرف ذلك المعطف الملقى أرضاً.. كان ذلك معطف كين، وهي تظن أنه كان يرتديه عندما رأته لآخر مرة.. فانقبض قلبها بشدة وهي تحاول رفع تلك القطعة الخشبية الكبيرة عن الموقع وتصيح "كين.. هل تسمعني؟.. أجبني أرجوك.."

لكنها لم تجد منه استجابة ولم تتمكن من رؤية وجهه أو جسده من تحت الركام.. فحاولت استنفار ما تملكه من قوة لرفع ذلك الجزء المنهار وهي تسمع صدى انفجار آخر يدوي في جزء آخر من المخيم.. لكنها لم تفلح في ذلك والقطعة الخشبية تهوي مجدداً تاركة ججي تلهث هامسة بذعر "ما الذي سأفعله الآن؟" شعرت بيد توضع على كتفها وصوت يقول "ما الذي تفعلينه؟"

استدارت بدهشة خلفها لتجد كين ينظر إليها بتعجب.. عندها زفرت وهي تهوي جالسة قائلة بتوتر "أنت لم تكن في الخيمة...! لقد ظننت لوهلة أنها قد هوت على رأسك.."

فقال كين "لقد سمعت الانفجار الأول، ولم أتمكن من البقاء في موقعي فخرجت لاستطلاع الأمر.. فغمغمت ججي "لحسن حظك بالتأكد.."

ساعدتها كين على النهوض متسائلاً بقلق "أأنت بخير؟.. ما الذي يجري هنا؟"

أجابت ججي متلפתة حولها "لا نعلم.. نرى ناراً وسط المياه في الجنوب ثم يندلع الانفجار فجأة وسط المخيم.. وأنا لا أفهم ما يجري حقاً.."

كف كين عن اللحاق بها وهو يقف مبهوراً، ثم هتف "أهناك سفن تربض وسط الخليج؟"

نظرت له بدهشة، بينما أمسك كين كتفيها وهو يقول بانفعال "هذه القنابل تطلقها المدافع من السفن.. إنه ليس هجوماً برياً إذاً.."

وركض نحو وسط المخيم حيث وقف قادور يصيح بمن حوله من الرجال "اخرجوا من المخيم واحتموا بأعلى تلة قريبة.. غادروا الموقع قبل أن تهوي القنابل على رؤوس الجميع.."

فهرع كين إلى مینار قائلاً "هل رأيت السفن التي تسببت بهذا الهجوم؟"

أجاب مینار بتوتر "لا.. لكننا نجزم بوجودها.. الظلام حالك بسبب الغيوم الكثيفة التي تحجب نور القمر.. ولا أعلم كيف يتمكن أعداؤنا من إصابة مخيمنا في هذا الظلام.."

فقال كين متلפתاً حوله "لا بد أنهم اهدتوا بضوء النيران المشتعلة في الخيم.. هذه النيران تدل على موقعنا بوضوح.."

استدار إليهم قادور قائلاً بتقطيعة "ساعدوا الأهالي على الهرب من المخيم بأسرع ما نستطيع.. هناك الكثير من الإصابات بالفعل، لكن لا نريد المزيد منها قبل مواجعتنا للعدو بالفعل.."

فقلت ججي وهي تمسك بذراعه "عليك الرحيل أنت أولاً يا أبي.. لا نريدك أن تصاب في مثل هذا الهجوم.."

وافقها مينار قائلاً "انسحب يا قادور مع المنسحبين من رجال القبيلة.. فما عاد لديك ما تفعله في هذا المكان.."

لم يعلق قادور وهو يهز رأسه إيجاباً.. بينما التفت مينار إلى ججي وكين قائلاً "سأعاون من أستطيع معاونته هنا.. عليكما إبعاد الخيول والماشية قبل أن يقضي عليها انفجار مثل هذا.."

هز الإثنان رأسيهما موافقين، وأسرعاً لتنفيذ ما طلبه وكين يتساءل بقلق "أتظنين أن الملك العربي قد أرسل سفنه في هجوم جديد؟"

قالت ججي مقطبة بغضب "ومن غيره؟.. تبأله.. هذه مواجهة غير عادلة.."

\*\*\*\*\*

في جانب آخر من المخيم، استيقظت تينا من نومها فزعة على صوت ذلك الانفجار.. كانت قد لجأت للنوم باكراً لكي لا تضطر لرؤية تبريق أو الحديث معه، وفضلت الهرب بهذه الوسيلة دون أن تملك وسيلة أخرى للخلاص من هذا الزواج.. لكن الانفجار المرعب قد أيقضها فتجمدت في موقعها وضربات قلبها تتزايد بشدة.. ما هذا الصوت المفزع؟.. هل كان جزءاً من حلمها؟.. لكن الصياح والوهج الذي بدأ يتعالى من موقع بعيد من الخيمة قد جعلها توقن أنها لم تكن واهمة..

أسرعت تغادر الخيمة بقلب واجف لترى النيران مشتعلة في إحدى الخيم التي لا تبعد عنها بكثير، بينما اندلع انفجار آخر في موقع آخر من المخيم شهقت له تينا وهي تقول فزعة "يا إلهي.. أهذه نيران من السماء؟.."

تلقت حولها بحثاً عن تبريق فلم تعثر عليه، فانطلقت في المخيم بحثاً عن عائلتها لتطمئن عليهم.. كان تراكض الرجال وصياح بعض النسوة يفزعها أكثر فأكثر، ولم تشعر بالراحة حتى رأت خيمة قادور منتصبه في موقعها كالعادة، ورأت أمها تقف أمامها مفزوعة بدورها.. اندفعت تينا إلى أمها صائحة "أمي.. أنتم

بخير؟"

أسرعت ستينا تضمّمها إلى صدرها وهي تقول بصوت مرتجف "أنت بخير يا صغيرتي؟.. شكراً للسماء.. ظننت أن الانفجار الأخير كان قريباً من خيمة زوجك.."

تساءلت تينا بقلق "كيف ججي وأبي؟.. هل هما بخير؟.."

رأتا قادور قادماً نحوهما بخطوات مسرعة، فأسرعت إليه تينا وهي تقول "أأنت بخير يا أبي؟.. كيف هي ججي؟"

قال قادور بسرعة "كلنا بخير.. أسرعاً بالمغادرة مع البقية خارج المخيم.. لا يزال الهجوم يستهدفنا، وما يزال الأوغاد بعيدين عن قبضة أيدينا.."

قالت ستينا بقلق "ما الذي يجري هنا؟.. من هم؟.. وكيف أمكنهم إحداث تلك التفجيرات الهائلة في المخيم؟"

رأت قادور يسرع للخيمة فيتناول خوذته ويرتديها، ثم تناول سيفه ودرعه وستينا تسأله بالحاح "من هم هؤلاء يا قادور؟"

أجاب قادور وهو يهرع خارجاً "إنه هجوم من الملك العربي كما يبدو.. وهو قادم عبر البحر.."

ثم نظر إلى الفرع في وجهيهما وأضاف "أطيعا ما طلبته منكما.. غادرا المخيم دون إبطاء.."

وغادر لموقع آخر من المخيم، بينما جذبت ستينا يد ابنتها وهي تركض مع من مرّ قربها من رجال ونساء القبيلة مغممة بقلق "من أين أتانا هذا الهجوم الغادر يا ترى؟.. إن ابنتي لم تكد تهنأ بعرسها يومين

متتاليين.. يا للحظ السيء.."

تبادر لذهن تينا في تلك اللحظة أنها لم تبحث أو تسأل عن زوجها بتاتاً.. لكن لم تكن تملك رفاهية الوقوف والسؤال عنه في تلك اللحظة وهي تركض مع أمها التي تقبض على يدها بقوة.. هو رجل، ويمكنه تدبر

أموره جيداً.. كما أنه ولا بد منشغل بامر هذا الهجوم، لذلك لا تظنه سيبحث عنها أو يقلق لأمرها.. فلم عليها هي أن تقلق لأمره؟.. تبعت أمها مغادرتين المخيم وهي تبعد تبريق عن ذهنها تماماً، بينما انفجار آخر

يدوي في الجانب البعيد من المكان مطيحاً بمجموعة أخرى من الخيام..

وفي جانب آخر من المخيم، انطلق كين مع ججي نحو الماشية التي علا صوت ثغائها المذعور والأحصنة



التي تصهل وترفس محاولة الخروج من الموقع الذي احتجرت فيه وصوت القذائف يثير ذعرها بشدة.. رأنا عدداً من الرجال يحاولون إبعاد الماشية عن ذلك الموقع ويفتحون جوانب السور المحيط بها لمنحها القدرة على الابتعاد بأسرع ما تستطيع.. فاقتربت ججي تعاون الرجال في هذا وهي تصيح بكين "قم بإبعاد الماشية نحو السهول على ظهر حصانك.. يجب ألا نتركها تتشتت فزعة من الأصوات العالية.."

لم يعلق كين وهو ينطلق نحو حصانه فيمتطيه دون سرج، وحمل سوطاً يستخدمه الرجال لتوجيه الماشية في المراعي القريبة، ثم سار بحصانه يتقدم القطيع الذي ركض مغادراً الموقع بهياج شديد.. وبفرقات من سوطه، كان كين يدفع الماشية الشاردة لتعود لبقيّة القطيع وهو يوجهها نحو التلال القريبة، ولم تلبث ججي وأحد الرجال أن انضما إليه على ظهور الأحصنة وهما يقتادان من يمكنهما اقتياده من الأحصنة الأخرى بعيداً عن المخيم.. وقفت ججي على ظهر الغبراء للحظة تتأمل المخيم الذي اشتعل بعدة نيران متفرقة، ثم صاحت بكين الذي انشغل بإعادة بعض الخراف الوليدة التي ذعرت وهي تركض مبتعدة "كين.. يجب أن أعود للمخيم.."

صاح بها كين "لماذا؟.. علينا إنهاء ما نفعله هنا.."

فقالته بقلق "يجب أن أعود لأرى ما يفعله أبي.. إنه لن يغادر المخيم قبل مغادرة الجميع.. أنا واثقة من هذا.."

وأدارت الغبراء وهي تصيح "أترك لك إنجاز باقي الأعمال هنا.."

اندفعت مبتعدة بينما صاح بها كين "مهلاً.. لا تكوني حمقاء....."

قاطعته صوت انفجار قوي اندلع بينهما وأضاء المكان لوهلة بينما دفعته قوة الانفجار بقوة حتى سقط حصانه وهو يصهل بذعر.. كان كين محظوظاً لتفادي سقوط الحصان عليه، وقد حاول الاعتدال جالساً بعد أن نهض الحصان وركض مبتعداً.. ولما ألقى نظرة على موقع الانفجار تجمد للحظات وهو يغمغم "ما هذا الحظ السيئ.."

كان الانفجار قد سقط وسط جزء من الماشية التي تخص القبيلة، فأصاب أعداداً كبيرة منها.. ولما تبدد الدخان الناتج عن ذلك الانفجار، رأى كين بوضوح الأشلاء المتناثرة والدماء التي صبغت بقعة كبيرة أمامه، أما الرائحة الناتجة فكانت عسيرة على الوصف..

بعد أن فقد كين حصانه، نهض وركض محاولاً الدوران حول موقع الانفجار ومتفادياً وطاء الأشلاء وهو يصرخ "ججي.. أنت بخير؟"

سمع صوتها وهي تنهض من على مبعدة "أنا بخير.. كان من الممكن أن تسقط هذه النار على رأسي.."  
ونظرت خلفها للموضع الذي سقطت فيه القنبلة وهي تضيف بأسى و غضب شديدين "هذه الماشية هي أغلى ما نملك هنا.. ياله من هجوم حقير.."

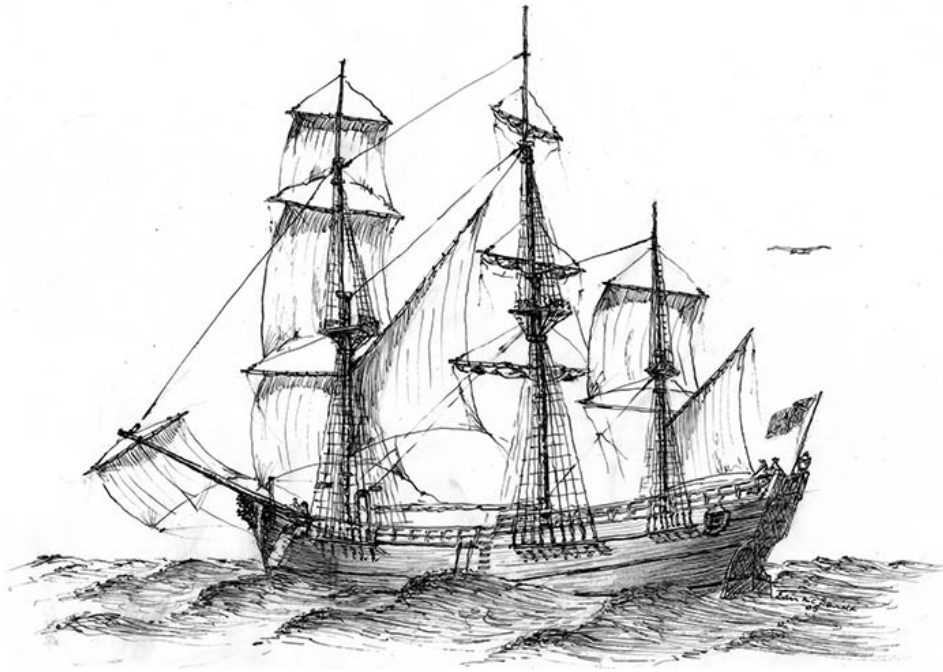
غمغم كين بقلق "أتظنين أنهم يعبؤون بالماشية أو بحياتكم نفسها؟"  
ثم تلفت حوله وهو يضيف "ما الذي سنفعله الآن؟"

سمعا صيحة من الرجل الذي سبقهما مع باقي القطيع "أريد بعض المساعدة هنا.. لقد أصبح الوضع عسيراً على السيطرة بعد هذا الانفجار الذي أصاب القطيع بالذعر.."  
فغمغت ججي "لم يعد لدينا بدٌ من تهدئة الوضع هنا.."

أسرعت نحو الغبراء التي عادت إليها بعد أن هدأ زعرها قليلاً، فامتطتها وأردفت كين خلفها قائلة "لنبحث لك عن حصان جديد.. ولننهد هذا الأمر قبل أن يزداد سوءاً.."

فغمغم كين بقلق وهو ينظر للمخيم خلفه "حتى متى ستظل تلك القنابل تسقط على رؤوسنا؟"  
مع كل ضربة جديدة، كانت النيران تشتعل في موقع جديد في المخيم، والمزيد من الضحايا يسقطون والأكاشي عاجزون عن ردع هذا الهجوم.. فمتى سيكف أولئك الأعداء عن لعبتهم المميتة هذه؟..

\*\*\*\*\*



## الفصل الحادي عشر {ليلة دهماء}

في تلك الليلة المظلمة، والتي غاب قمرها خلف الغيوم الكثيفة، كانت هناك أضواء مختلفة تضيء جوانب مخيم قبيلة (أبناء الذئاب) بشكل لم يتوقعه سكانه.. فمن الخليج القريب، انطلقت القذائف نحو المخيم تتفجر وسطه مطيحة بعدد كبير من الخيام الهشة التي لا تصمد أمام قوة ذلك الانفجار، بينما وجد سكان تلك الخيام أنفسهم مدفونين تحت العوارض الخشبية الساقطة من السقف إن لم يقتلهم الانفجار بالفعل.. ووسط تلك الانفجارات والنيران المشتعلة، انطلقت ججي تجوب المخيم باحثة عن أبيها بعينيها.. كانت قد فرغت من إنقاذ ما أمكنها إنقاذه من الماشية التي تملكه القبيلة، بالإضافة للأحصنة والمهور وغيرها من الحيوانات.. ثم أكلت أمر تلك الحيوانات لبعض رجال القبيلة ومعهم كين، وعادت للمخيم باحثة عن أمها وعن تينا.. ولما اطمأنت لهروبها من المخيم بنجاح بشهادة أحد الرجال في المخيم، انطلقت في جوانب المخيم لتعاون فيما يمكنها المعاونة به.. ولما لمحت مینار الذي كان يبذل جهده لاستخراج إحدى العوائل من أنقاض خيمة مدمرة، اقتربت منه هاتفة "أين أبي؟"

أجاب مینار بحنق "وكيف لي أن أعلم ذلك؟.. استدع بعض الرجال لمعاونتنا.. هناك عائلة كاملة مدفونة تحت أنقاض هذه الخيمة.."

تلقت ججي حولها قائلة "الكل مشغول بأمر أو بآخر.. لا أظنك ستجد عوناً حتى لو طلبته..". سمعت بكاءً يتردد من تحت الأخشاب الهاوية، فأدركت أن عدة أطفال قد حبسوا تحتها دون أمل في الخروج.. بينما استمرت القذائف تنطلق نحو المخيم بين حين وآخر دون أن يملكوا وسيلة لردعها.. عندها لم تتردد ججي في معاونة مینار على إزاحة إحدى العوارض وهي تصيح "إن لم نغادر قريباً فستهوي النيران علينا.."

قال مینار "علينا إنقاذ من يمكن إنقاذه أولاً.."

تعاون مینار مع أحد الرجال في رفع العارضة الخشبية عالياً رغم ثقلها واستحالة زحزحتها، بينما لم تتردد ججي في الاندفاع أسفلها عندما لاح لها وجه أحد الصبية وأمسكت يده وهي تصيح "تثبت بي.."

تمسك الصبي بذراعها وهي تسحبه برفق واحتراس حتى تمكنت من إخراجه من موقعه.. وقبل أن تعود لاستعادة من يمكنها إخراجه فوجئت بالعارضة تهوي بقوة مصدرة صوتاً عالياً.. فصاح مینار بالرجل "لا يمكننا رفعها.. أحضر فأساً لنكسرهما.."

بدأ الصبي الذي نجا بالبكاء ذعراً لمرأى ما حدث، بينما اندفعت ججي في جانب آخر محاولة إيجاد منفذ آخر للعائلة المحاصرة.. ولم يلبث أن اقترب منها رجلان آخران وعاوناه مینار في إبعاد ما تهاوى من خشب تلك الخيمة واستخراج من حوصرتحتها وهم بين جريحٍ بجرحٍ بالغ وبين من هو مصابٌ ببعض الرضوض فقط.. ومن جانبها، استطاعت ججي استخراج طفلة صغيرة كانت مندسةً في جانب المكان دون أن تتمكن من الوصول لأبويها، فحملتها ججي وعادت بها لأمها المتراعة وهي تقول لها "خذي أطفالك وغادروا المخيم نحو التلال القريبة.. لا يزال الخطر محلقاً فوق رؤوسنا.."

سارعت الأم لتنفيذ قولها وهي تجذب أطفالها وتغادر المخيم بخطوات سريعة، بينما قالت ججي للأب الذي كان يمسك كتفه بألم شديد "غادر أنت أيضاً، بإصابة كإصابتك هذه لا أظنك ستقدر على معاونتنا في شيء.. فارحل واعتن بعائلتك حتى ننتهي.."

نظر الرجل بقلق إلى مینار، فاستحثه الأخير قائلاً "ما يقوله جام هو الصواب.. غادر قبل أن تزداد الأمور سوءاً هنا.."

غادر الرجل بعد شيء من التردد، بينما التفتت ججي إلى مینار متسائلة بقلق "هل ستزداد الأمور سوءاً هنا بالفعل؟"

قال مینار بضيق "لا أشك بذلك.."

وهرع مبتعداً ليعاون جماعة أخرى من أفراد القبيلة، فلم تجد ججي بداً من اللحاق به وهي تفكر في مغزى قوله.. كيف يمكنهم أن يتمكنوا من صدّ الأسوأ فيما هم غارقون في ما هم فيه؟..

\*\*\*\*\*

عندما اندفع تبريق إلى خيمته، شعر بشيء من الراحة لرؤية فراش تينا خالياً.. لكن عاد القلق إليه مع

صوت الانفجار الذي تجاوز صده صوت الصراخ الصادر عن بعض النسوة والأطفال في المخيم.. هل غادرت تينا مع من غادر، أم أنها في موقع آخر من المخيم؟..

انطلق نحو خيمة قادور بحثاً عنها، فقد تكون اتجهت إليها للبحث عن عائلتها.. ولما رأى قادور وسط الساحة يصيح برجاله ملقياً أوامره، اقترب منه تبريق قائلاً بقلق "أين تينا؟.. هل جاءت إليك؟" أجاب قادور "لابد أنها رحلت مع أمها بعيداً عن المخيم.."

ظل تبريق قلقاً وهو يراقب ما يجري حوله، دون أن يفوته رؤية السيف في يد قادور والخوذة على رأسه، وقد دلّه هذا على استعداد الزعيم لهجوم مباشر من الأعداء.. عندها لم يتمكن تبريق من كبت جماح قلقه واندفع مغادراً المخيم بحثاً عن تينا.. كان يريد الاطمئنان عليها، وأنها قد تمكنت من المغادرة قبل أن تهوي قبلة فتصيبها أو تصيب إحدى الخيم فتسقط على رأسها.. سار بخطوات راكضة عابراً صفّاً من الخيم نحو التلال التي تقع قرب المخيم، ولما ارتقى إحداها تمكن من رؤية جمع من النساء والصبية وكبار السن قابعين خلفها ينظرون للهجوم على المخيم بقلق وتوتر شديدين.. تلفت تبريق حوله حتى لمح تينا في جانب المكان وهي تجلس منزوية بذعر قرب أمها، فهرع إليها وقال بقلق "هل أنت بخير يا تينا؟.. هل أصبت بمكروه؟" بدت عليها الدهشة لرؤيته ولتساؤلاته في مثل هذا الوقت، فهزت رأسها نفيّاً وهي تدير بصرها جانباً.. فغمغم تبريق متنهداً "شكراً للسماء.. خشيت أن تصابي بإحدى تلك القذائف دون أن أكون قريباً لأحميك.."

ظلت تينا تنظر له بدهشة متزايدة، بينما تلفت تبريق حوله مضيئاً "لكن موقعكم هذا غير آمن بعد.. عليكم أن تتعدوا أكثر من هذا.."

وصاح بمن حوله "اذهبوا للاحتباء بإحدى التلال الأبعد من هذه.. لا تزالون في خطر ما دمتم هنا.. قد نواجه هجوماً مباشراً من الجنود عما قريب.."

استوقفته ستينا متسائلة بقلق شديد "أين ججي؟.. هل رأيتها؟"

قال تبريق متوتراً "لا أعلم.. يقول مینار إن جام وكين قد ذهبوا لإبعاد الماشية والخيول قبل أن يصيبها الانفجار.."

فقال ستينا بقلق شديد "لا أظن ججي ستطيع ما يقال لها.. لابد أنها ستغمس في إنقاذ من يمكن إنقاذه

وسط المخيم.. أرجوك يا تبريق ابحث عنها وأحضرها إلينا.."

قال تبريق "سأفعل ذلك.. فأنا عائد للمخيم بالفعل.."

ونظر لتينا القلقة مضيفاً "لا تتحركي من موقعك يا تينا.. وكوني بخير حتى أعود.."

لم تعلق تينا على قوله بينما استدار تبريق مبتعداً فيما تراجعت النسوة حاملات أطفالهن بحثاً عن موقع أكثر أمناً مع الانفجارات التي تتالت في المخيم القريب.. وقبل أن يبتعد تبريق عدة خطوات، وجد تينا تقبض على ذراعه ووجهها ينطق بقلق شديد.. ورغم شكه بأن هذا الانفعال موجه له حقيقة، لكن راوده أمل أنها قد تقلق لشأنه بالفعل.. فغمغم برفق "ما الأمر؟"

قالت له بتوسل "أرجوك يا تبريق.. ابحث عن كين وأخرجه من المخيم.. أعده مع ججي بأي وسيلة كانت.."

وجم تبريق لقولها وهو صامت بضيق، بينما أضافت تينا بإلحاح "أنا أدرك أنك تكرهه، لكن أرجوك ساعده وأخرجه قبل أن يصيبه مكروه.. سأفعل كل ما تشاء لو أطعنتي في هذا الطلب فقط.."

فقال تبريق بوجوم "وتظنين أنني قد أحب أن أحصل على جزاء لقاء إنقاذك المأفون؟.."

وغادر دون أن يعدها بأي شيء.. بينما وقفت تينا تنظر له وقد تزايد انفعالها.. قد تكون تجاوزت الحد في طلبها هذا من زوجها بالذات، لكن خوفها غير المتعقل لم يسمح لها بتقدير أفعالها حقاً.. وبالنظر لوجهه تبريق قبل رحيله، فإن هذا لا يبشرها بأي خير.. أيمن أن يحاول تبريق التخلص من كين انتقاماً من حبها له؟.. لو حدث ذلك، فلن يحاسبه أحد مع الفوضى التي تعم أرجاء المخيم.. وستكون فرصة سانحة له ليفعل ما يشاء..

فهل جنت تينا على كين بحبها هذا وستسبب بسلبه حياته؟..

\*\*\*\*\*

لم يستغرق ذلك الهجوم على المخيم أكثر من ساعة من ساعات تلك الليلة المظلمة، لكنه استطاع تدمير أكثر من ثلث المخيم ونشر النار في جزء كبير منه بحيث صار المكان كله مهدداً بأن يتحول لكومة رماد لو لم

يتدارك الأكاشي الوضع قبل أن يستفحل.. ورغم ذلك، انشغل عدد ضئيل منهم في إطفاء النيران، بينما انشغل الجزء الأكبر في إنقاذ من لم يحالفه الحظ بالهرب من الخيمة قبل سقوط دعوماتها الخشبية الثقيلة على رأسه، وبالطبع قبل أن تنالها النيران وتقضي عليه معها..

وبعد مضي تلك الساعة العسيرة على أفراد قبيلة (أبناء الذئاب)، أطلق مينار زفرة وهو يتلفت حوله قائلاً "أظن أننا تمكنا من إخراج الجميع.. أليس كذلك؟"

علقت ججي بشيء من الضيق "الأحياء منهم على الأقل.."

ظل قادور الذي وقف قريباً صامتاً وهو يتلفت حوله، ثم نظر إلى مينار معلقاً "لقد توقف الهجوم!.."

نظروا إليه بصمت وهو يقول بحزم "أندرون معنى هذا؟"

تلفت مينار بدوره في المخيم الصامت فيما قال تبريق الذي اقترب منهم "أجل.. يبدو أن العدو سيحاول النزول والهجوم علينا بشكل مباشر.."

نظر قادور لأحد رجاله الذي كان قريباً وقال "سوقا.. استدع من غادر من الرجال.. أخبرهم أن يستعدوا بأسلحتهم وعتادهم.. الأعداء سيصلون مخيمنا قريباً، وعلينا أن نتقم لكل ما خسرناه بسببهم.."

غادر سوقا مع أحد الرجال لينفذ أمره، بينما استدار قادور وسار نحو جانب المخيم المواجه للبحر يتبعه مينار، بالإضافة لتبريق وججي وكين الذي لحق بهم بعد أن فرغ من أمر الماشية.. وقبل أن يصلوا للمنحدر استوقفهم كين قائلاً "مهلاً، لو خرجتم من خلف الخيام فقد يراكم الأعداء بوضوح.. لا بد أنهم يملكون مراقباً يراقبون به المخيم بحثاً عن أحياء.. لا نريدهم رؤيتنا والهجوم علينا بقنابلهم مجدداً.."

فقال مينار "مراقب؟.. وما هو؟.."

أجاب كين "إنها أداة اسطوانية تحمل عدسة في جانبيها، تمكن حاملها من رؤية مسافات أبعد مما يراه بعينه في المعتاد.."

قالت ججي باستنكار "أهذا سحر؟.."

علق كين "لا.. إنها أداة بسيطة نستخدمها منذ زمن، لكن الأكاشي لا يعرفون عن هذه الأمور شيئاً.."

فقال قادور وهو يتأمل الأفق المظلم "الهدوء الذي نراه لا يبشر بخير بعد هجوم عنيف كهذا.. ما الذي أراده أصحاب تلك السفن بالهجوم على مخيمنا؟.."

علق مينار "إرعابنا وفرض سيطرتهم على الموقع.. لا بد أنهم رأوا أن استعراض قواهم بهذه الطريقة السافرة قد تفزع الأكاشي وتجعلهم يرتعدون خوفاً من نيران العدو.."

فتساءلت ججي وهي تتلفت حولها "كيف تظنهم سيصلون لهذا المخيم؟.. لا يمكنهم الاقتراب بالسفن لئلا تتحطم على الصخور التي تنتشر في الخليج كله.."

غمغم كين بتوتر "لا أظنهم يغفلون عن هذه النقطة.. لا بد أنهم سيستخدمون القوارب الصغيرة لنقل الجنود نحو الشاطئ ومن ثم صعود المنحدر نحو المخيم.."

فقال تبريق قابضاً على سيفه "فلنقم بحرق تلك القوارب بسهام مشتعلة.. هذه أسرع وسيلة للخلاص منهم.. أليس كذلك؟.."

قال كين باعتراض "لا.. السفينة ستكون قريبة منا وتراقب ما يجري.. لو رأت محاولتنا للتخلص من جنودها فلن تتردد في قصفنا بغزارة.."

نظر له تبريق مقطباً، فأضاف كين قائلاً "والحل للخلاص من هذا القصف هو في انتظار وصول الجنود إلى المخيم.. وفي تلك الحالة، حتى لو قمنا بالاشتباك معهم، فلن تجرؤ السفينة على التدخل لئلا تصيب جنودها.."

علقت ججي "لكن رؤية تقدمهم من مخيمنا تثير غيظي بشدة.."  
سمعوا تبريق يقول "انظروا.. ها هم الأوغاد قد ظهروا.."

انتبهوا في تلك اللحظة لتلك السفن التي بدت على شيء من الوضوح عند اقترابها من المنحدر.. بدت في البدء كأشباح سوداء في تلك الليلة المظلمة، وعند اقترابها أكثر فأكثر منهم بدت معالمها واضحة لهم شيئاً ما، ولم يكن ذلك يشعرهم بالراحة أبداً.. كانت لا تتجاوز ثلاثة سفن، لكن حجمها يفوق سفن البضائع أو الركاب التي قد يراها الأكاشي بين وقت وآخر وهي تمخر عباب الخليج نحو جانب آخر من القارة.. كانت عظيمة الحجم، وقد أضفى عليها الظلام مهابة أشعرت كين بشيء من القلق وهو يغمغم "كم جندياً تحمل تلك السفن على ظهرها؟"

فقال قادور معلقاً "لا يهم ذلك.. من يحاول منهم الوصول إلينا، فسنقضي عليه على الفور.."

قال كين بقلق "وماذا عن السفينة ومدافعها؟.. لو علموا أنكم تخلصتم من جنودهم الذين وصلوا



للمخيم، فيمكنهم قصف المخيم وسحقه بشكل تام من هذه المسافة القريبة.."

علق مينار قائلاً "لكننا لا نملك وسيلة للتخلص من هذه السفن.. سنفعل ما نقدر عليه، ولن نسمح للملك العربي بالتفوق علينا بأي وسيلة.."

سمعوا خطوات راكضة خلفهم، ورأوا سوقاً مع فرقة من الرجال تقترب منهم وهو يقول "يا زعيم.. الرجال متأهبون كما أمرت.. وسيصلون إليك خلال لحظات.."

تساءل قادور "والنسوة والأطفال؟"

أجاب سوقاً "في موقع بعيد خارج المخيم مع الماشية التي تمكنا من إنقاذها.."

فراجع قادور لوسط المخيم وهو يقول "استعدوا بكل ما تملكونه من أسلحة ودروع.. أخبرهم أن يكمنوا للجنود في زوايا المخيم ولا يهاجموهم مباشرة حتى يكتمل عددهم.."

أسرع سوقاً لإطاعته، فيما استدار قادور إلى كين وتبريق القربيين منه قائلاً "عليكما أن تراقبا تلك السفن والجنود عليها.. أخبرانا بكل ما يجري لنستعد لاستقبالهم جيداً.."

أطاعه تبريق وهو ينطلق مع كين عائدين لمكمنهما السابق قرب المنحدر، بينما ألقى قادور أوامره لمن وصل إليه من الرجال ليستعدوا لاستقبال عدوهم بكل ما يملكونه من أسلحة.. لم يكن من الصعب الاختباء في المخيم مع الدمار الذي حاق به، والنيران التي تشتعل في أطرافه تلقي بضوئها وسطه بشكل يمنحهم رؤية جيدة لمن قد يتسلل فيه في هذه الليلة المظلمة.. سار قادور بدوره ليكمن في أحد المواقع مع مينار وهو يستل سيفه قائلاً "هذه ضربة غادرة في وقت لم نتوقعه بتاتاً.. كيف كنا نقدر على تفادي مثل هذا الهجوم الذي أتانا من حيث لم نتوقع ونتهياً لصدّه؟"

فقال مينار وهو يركع قابضاً على سيفه بيد ومتناولاً درعاً حصل عليه في موقع قريب "لم يكن ذلك ممكناً، وليس لك ذنب في ما جرى.. لا أظن أن هذا الهجوم هدفه الانتقام منك بالذات، ولا أظن الملك العربي كان يدرك أنك المحرك الرئيسي في الحرب التي هزمناه فيها قبل ست سنوات.."

فقال قادور زافراً "ورغم ذلك، لا يمكنني التغلب على شعوري بأنني السبب فيما وصلت إليه القبيلة هذه الليلة.. كان عليّ أن أبتعد عن هذا المكان المكشوف، وأخمن أن عدونا سيلجأ للبحر بعد أن عجز عن احتلال سهولنا براً.. والآن، لا أحد يدري ما سيحل بنا حتى طلوع شمس الغد.."

غمغم مینار "کن متفائلاً.."

نظر قادور لوجه مینار بصمت للحظات، ثم تساءل "أمازلت علی وعدك لی بخصوص جام یا مینار؟"

نظر له مینار مقطباً وقال "وهل وعدتك بشيء حقاً؟"

قال قادور بإصرار "بلی.. وعدتني.. لو لم تكن موافقاً علی ما طلبته منك، لما التزمت الصمت یومها.."

فقال مینار بضيق "ولم هذا التشاؤم؟.. إنه لیس أول عدو نواجهه فی مخیم القبيلة.."

قال قادور وهو يتأمل المخیم المدمر "لكنی لا أحب ترك أي شيء للزمن.. أحب أن أطمئن علی كل ما

سیجری، وأن تسیر الأمور كما خططت لها تماماً.."

فغمغم مینار "أنت مجنون.."

صمت قادور بابتسامة جانبية.. رغم ضيق مینار الواضح وعدم تردده فی اعتراض أي أمر لا یعجبه من

قادور، لكن قادور لم یثق فی شخص یوماً كما وثق فیهِ، ولم یکن لیضمن شخصاً آخر علی جام أبداً..

ولذلك، لم یکن یهابه لا اعتراض مینار فهو یثق أنه سیؤدی المطلوب منه بكل التزام وأمانة.. فقط لو كان

یقدر علی أن یضمن حیاته فی الساعات القليلة القادمة..

\*\*\*\*\*

فی الجانب الآخر من المخیم، كان تبریق یربض فی موقع یخفيه عن الأعین وهو یراقب السفن التي اقتربت

أكثر فأكثر محاذرة من الارتطام بالصخور التي تتوزع فی بقعة واسعة من ذلك الخلیج.. ورغم توتر الموقف

الذي كانت القبيلة فیهِ، إلا أن كلمات تینا له قبل عودته للمخیم لا تزال ترن فی أذنیهِ.. نظر لکین القریب

والذي بدأ القلق واضحاً علی وجهه، ثم قال له فجأة بدون تمهید "أتعلم؟.. لو قمت بقتلك الآن، فلن

یدرك شخص أنني الفاعل وسط المعركة التي ستنشأ فی المخیم.."

نظر له کین بصدمة وعینان متسعان محاولاً أن یدرك سبب تلك الجملة التي ألقاها تبریق.. ثم قال رافعاً

حاجبیه "ولم قد تفعل ذلك؟.. هل تسببت فی أغضابك دون أن أدري؟"

أجاب تبریق مقطباً "أنا أبغض وجودك ذاته.. فهل هذا كاف؟.."

وإزاء الصدمة التي تزايدت في وجه كين، أدار تبريق بصره جانباً وقال مدمماً بحنق "ما الذي أعجبها بفتى رقيق مثلك؟.. هذا ما لم أفهمه قط.."

صمت كين وقد بدأ يستوعب الأمر، ثم غمغم بتردد "أتعني تينا؟"

قال تبريق باستياء "طبعاً.. ومن غيرها؟"

شعر كين بضيق واستياء لأن تبريق قد عرف بحب تينا له.. فكيف عرف ذلك؟.. وهل دار شجار بينه وبين تينا بسبب ذلك الحب؟.. فنظر إلى تبريق متسائلاً "هل آذيت تينا بسبب ذلك الأمر؟" نظر له تبريق بغضب وهو يقول "أظنني وضيعاً لهذه الدرجة؟.. بالطبع لم أفعل.. كل ما يهمني أنها لن تخونني يوماً ما.."

صمت كين وهو لا يدري كيف يشرح لتبريق ما جرى بينه وبين تينا، وبأنه لا يظنها من النوع الذي قد يخون بهذه البساطة.. ثم سمع تبريق يقول "ولو لم ترفضها صراحة قبل زواجي بها، لظللت أشك بها وبك حتى الآن.."

فغمغم كين "إذن أنت تعرف الأمر كله.."

صمت تبريق وهو يراقب السفن التي توقفت عن الحركة على شيء من المبعدة من المنحدرات، ثم قال "لماذا لم تلجأ للزواج ممن تريدها حتى الآن يا كين؟.."

نظر له كين بصمت ودهشة، فأضاف تبريق بضجر "أنا أعرف أنك تحب ججي، فلا داعي للمناورات وأجيني.."

أدار كين وجهه جانباً وهو يشعر باحتقانه لحديث تبريق الصريح.. رغم أنه لم يتعمد إخفاء حبه لججي، لكنه لم يتوقع من تبريق أن يجادته عن الأمر صراحة.. ولما استجمع شتات نفسه أجاب "لا أظنها ستقبل بي لو طلبتها للزواج.. إنها تظن نفسها رجلاً، أم أنك نسيت؟"

عندها قال تبريق بضيق وكدر "ربما لو تزوجت أنت، لكفّت تينا عن التفكير بك.. أما والحال هكذا، فلا يسعني معرفة كيف أتخلص من وجودك في حياتي وحياتها.."

ظل كين يحدق في وجه تبريق بصدمة لمثل هذا التعليق.. بينما تعالى صوت ججي وهي تقترب منها قائلة "ما الأمر؟.. هل تراقبان الوضع أم تتبادلان أطراف الحديث؟.."

لم يجبهما أيهما وهما يديران وجهيهما جانباً بعيداً عن الآخر، بينما قبعت ججي في جانب تلك الخيمة وهي تقول مقطبة "انظرا.. لقد قاموا بإنزال القوارب.."

نظرا الموقع السفن على شيء من المبعدة من المنحدر، فتمكنا بشيء من العسر من رؤية عشرات الزوارق التي تم إنزالها في المياه، وقبلها احتشد ما لا يقل عن عشرة جنود لكل قارب.. كان هذا معناه أن عدد الجنود الذين سيهاجمون المخيم كبير بالفعل، وإن أضفنا لذلك البنادق التي يستخدمونها، فلن يكون الوضع في كفة الأكاشي أبداً..

قال تبريق "سأذهب لتحذير الرجال.. كونا حذرين ولا تشبكا مع الجنود قبل دخولهم المخيم.."

هز كين رأسه موافقاً، بينما قالت ججي "لولا لم يكن هذا أمر أبي، لما وافقت عليه بتاتاً.."

فقال تبريق وهو يغادر "أطع الأمر يا جام.."

وغادر منحنيماً بعيداً عن أي عين تراقب الموقع، بينما بقيت ججي مع كين يراقبان الوضع.. كان القلق يبدو جلياً على وجه كين أكثر من أي وقت مضى، فقالت ججي "ما الأمر؟.. يبدو الرعب واضحاً في عينيك.. أنت خائف من جنود الملك العربي لهذه الدرجة؟.."

غمغم كين بضيق "لست خائفاً على نفسي.."

علقت ججي بابتسامة "حقاً؟.."

زفر كين للحظة، ثم همس "انتبهى لنفسك يا ججي.."

فقالت ججي وهي تنهض "ولم لا تناديني بجام كما يفعل البقية؟.. هل تستهين بي؟.."

وغادرت متسللة بين الخيم لموقع آخر يتيح لها مراقبة الوضع بشكل أفضل.. بينما زفر كين من جديد دون أن يعلق على قولها.. يبدو أن ججي لن تفهم قط سبب قلقه عليها، وهذا أمر لن يفهمه البقية بالطبع.. فججي قوية بالفعل، وربما كانت أقوى من كثير من الشباب ممن هم في عمرها وذلك نتيجة لجهود قادور ومينار معها طوال السنوات الماضية.. ورغم أن كين أضعف منها بمراحل، ولم يكن يوماً نداً لها، لكنه لا يمكنه تناسي كونها فتاة.. وهذا كفيلاً بأن يجعل الجنود أكثر ثقة في القتال معها ويمنحهم نقطة تفوق واضحة عليها..

وفي تلك الأثناء، بينما استعد الأكاشي بما يملكونه من أسلحة ودروع، كانت القوارب تقترب من الشاطئ

الصخري بهدوء وصمت متجاوزة بعض الصخور المدببة التي تهدد بتحطيم هيكل الزورق الخشبي.. ولما اقتربت القوارب من الشاطئ الرملي الضيق الذي يستغل بقعة منخفضة من تلك المنحدرات، أسرع الجنود بالنزول من القوارب وتجاوز المسافة القصيرة التي تفصلهم عن الشاطئ بحذر، بينما عادت القوارب أدراجها نحو السفن لتحضر عدداً آخر من الجنود.. وبينما قبع الجنود للحظات منصتين للصمت الذي يخيم على المخيم القريب، فإنهم بعد أن اطمأنوا لهدوء الموقع بدؤوا السير بخطوات سريعة دون أن يلفتوا الأنظار متخبرين أسهل الطرق لتجاوز الصخور والمنحدر الذي يفصل الشاطئ عن المخيم..

وفي الأعلى، راقبت ججي وصول أول الجنود للموقع وهي تقبض على سيفها بشدة.. كانت تود لو تندفع إلى ذلك الجندي فتغمد سيفها في صدره وترميه من فوق المنحدر، لكنها لا تقدر على مخالفة أوامر أبيها مهما حاولت.. ربض أول الجنود في موقعه متلفتاً حوله في المخيم الساكن إلا من صوت الأخشاب التي تحترق وتتهاوى بين وقت وآخر.. ثم أشار لرفاقه من حوله ليتبعوه بعد أن اطمأن لخلو المكان، وسار بخطوات حذرة وسط المخيم ماراً قرب البقعة التي ربضت فيها ججي دون أن يراها بسبب الظلام المهيمن عليها.. فاخرق جانباً من الخيم حتى غاب عن أنظار رفاقه وهو يسير متحفزاً ببندقيته، ولم يدرك ما يجري حوله وتلك اليد تقبض على رأسه وفمه وسيفٌ حاد يُغمد في عنقه قبل أن يُسحب جسده بعيداً عن الأنظار..

تتابع الجنود في المخيم وهم يتسللون بدون صوت بحثاً عن الأكاشي، بينما حاول الأكاشي اقتناص من يمكن اقتناصه بعيداً عن الأعين، لكن سرعان ما عيل صبرهم واثنان منهم يشتبكان مع الجنود في جانبٍ قصيٍ من المخيم.. وبينما حاولا التخلص من الجندي بأسرع ما يمكن دون التعرض لنيران بنادقهما، فإن صوت طلقة من بندقية أخرى ترددت في المكان والرصاصة تصيب أحد الرجلين في مقتل.. نظر الآخر خلفه لجندي ثالث من جنود العدو وهو يصبّ بندقيته نحوه صائحاً "هجوم.. نحن نتعرض لهجوم من الأكاشي.."

عندها، صاح قادور برجاله "تقدموا يا رجال.."

لريكن الأكاشي بحاجة لذلك الأمر وهم يندفعون من جوانب المخيم نحو جنود العدو الذين صدموا لرؤية هذا العدد الكبير منهم يتقاطرون من كل حذب وصبوب، وكأن هجوم المدافع السابق لم يؤثر فيهم قيد شعرة.. وبينما تمكن الأكاشي من قتل بعض الجنود الذين لم يتمكنوا من حماية أنفسهم من هذا الهجوم

المفاجيء، فإن البقية تراجعوا نحو وسط المخيم مكونين حلقة واسعة ورفعوا بنادقهم في وجوه أعدائهم وهم يطلقون رصاصاتهم بغزارة.. لم يكن الأكاشي يملكون ما يدرؤون به الطلقات عن أنفسهم إلا الدروع التي كان بعضها معدنياً وبعضها خشبياً.. لذلك، تساقط العديد منهم صرعى برصاصات الجنود، بينما حمى البعض الآخر أنفسهم بالدروع العريضة محاولين الوصول لتلك الحلقة وتشتيت الجنود قبل أن يتغلبوا عليهم بشكل كامل..

حاول الجنود تجاوز الدروع التي تحمي حاملها بالتصويب على ما يظهر لهم من سيقان الرجال، لكن ركض الرجال الذي لا يخامرهم أي تردد قد جعل الأمر أكثر صعوبة مما تخيل الجنود.. وبوصول أول رجل من الأكاشي، فإنه أزاح الدرع الذي يحتمي به جانباً وطوّح سيفه العريض بأقوى ما يملك نحو الجندي القريب منه، فأطارت الضربة رأس الجندي وهو يهوي للخلف بينما لطم الأكاشي جندياً آخر بدرعه الثقيل على وجهه وتجاوزه بقفزة واسعة نحو جندي آخر.. ومع الثغرة التي نشأت، وانشغال بعض الجنود بذلك الرجل محاولين التخلص منه قبل أن يقتل المزيد منهم، تمكن عدد آخر من الأكاشي من الوصول للموقع وأثاروا بلبلة بين الجنود الذين بدأوا يتراجعون في اتجاهات مختلفة بتشتت واضح.. كان الجنود هم الطرف الأضعف في الالتحام المباشر لكون بنادقهم ذات العنق الطويل بحاجة لمسافة كافية لتصيب هدفها، بينما لجأ الأكاشي للهجوم المباشر وتقريب المسافات بينهم وبين أعدائهم كي لا يتمكنوا من استخدام البنادق بأي شكل كان..

وفي جانب المكان، وقف قادور مراقباً المعركة وملقياً تعليماته لرجاله بشكل مقتضب وسريع، بينما وقف مینار قربه متحفزاً مع عدد قليل من الرجال للحمايته وهو يتساءل "أهذا هو العدد كله؟.. ربما تسلل بعض الجنود من خلفنا محاولين مباغتتنا.."

التفت إليه قادور بتفكير بينما أضاف مینار قائلاً "ربما علينا الانطلاق والبحث عن أي متسللين قد يحاولون مباغتتنا من الخلف أو الوصول للنساء في الجانب البعيد من المخيم.."

قال قادور بضيق "لا يمكن في الوضع الحالي أن ندير ظهورنا لهؤلاء الجنود.. ولا يمكنني تقليل عدد الأكاشي للبحث عن متسللين.."

صمت مینار بغير اقتناع، بينما غمغم قادور "علينا أن ننتهي من هذه المعركة بأسرع ما يمكننا.. والوقت

ليس في صالحنا بتاتاً.."

وبينما كانت المعركة محتدمة وسط المخيم، فوجئ الأكاشي بظهور عدد آخر من الجنود من خلفهم كما خمن مینار بالفعل، وقبل أن يتدارك الأكاشي الأمر بدأ الجنود بإطلاق رصاص بنادقهم بغزارة.. حاول الأكاشي حماية أنفسهم من هذا الهجوم ليجدوا أنهم قد وقعوا بين فكي الكماشة التي ضاقت حولهم والهجوم يزداد ضراوة.. صرخ قادور برجاله ليشكلوا حلقة بدروعهم، بينما أسرع مینار بصحبة من قربه من الرجال وركض حول المخيم محاولاً الوصول لتلك الفرقة من الخلف ليمنعهم من تصيّد رجال القبيلة ببنادقهم.. كان عدد القتلى يتزايد من الطرفين بمرور الدقائق، ولا يبدو أن هذه المعركة ستنتهي نهاية سعيدة لأيهما.. ركض مینار مع رجاله في دورة واسعة حول المخيم محاولين مباغته الجنود بهجوم من الخلف.. وفي موقع قريب من طلقات الرصاص التي لم تكف تتوقف، أشار مینار للرجال لئلا يصدروا صوتاً وهو يتقدم بخطوات خافتة من ذلك الموقع.. وبين خيمتين مطلتين على الساحة، عثر على ما لا يقل عن عشر جنود نصفهم يطلق رصاصات بنادقه والنصف الآخر منشغلٌ بحشو البنادق بالمزيد من الرصاص وتجهيزها لدورة أخرى من الهجوم.. وبإشارة من يده، اندفع الرجال الخمسة مع مینار نحو الجنود في هجوم واحد دون صوت.. وفور أن هَوّت سيوف الرجال نحو أقرب الجنود منهم، توقف إطلاق النيران على الفور والجنود يلتفتون بدهشة خلفاً بعد أن كانوا متأكدين من خلو أغلب المواقع القريبة من الأكاشي.. حاول الجنود إطلاق النيران نحو مینار ورفاقه، لكن لم يكن ذلك ممكناً وأغلب الطلقات تطيش في الهواء بينما اندفع الأكاشي في هجوم عنيف لا يعرف أي تردد..

وفي الوقت ذاته، ومع تراجع الطرف الأبعد من الجنود بعد أن شغلهم مینار ورجالها، بدأ الأكاشي في التركيز على من قربهم من الجنود وهم يقتلون كل من تطاله أيديهم دون تردد أو شفقة.. ووسطهم، كان تبريق يطوح سيفه يميناً وشمالاً متقدماً بقية الرجال دون ذرة تردد أو خوف على نفسه.. ومعه، كان تردد الأكاشي يخفت أكثر فأكثر وهم يهجمون على الجنود بموجة قوية عاتية تراجع لها الجنود رغماً عنهم..

ومن بين الصوت الذي يصم الآذان من حوله، انتبه تبريق لصياح تعالي من الجانب البعيد من المخيم، فتوقف للحظة متوجساً وعيناه تتسعان.. فرغم الصوت العالي الذي يندلع من وسط المخيم، تمكن تبريق من تمييز صياح بعض النسوة من موقعهن البعيد عن المخيم.. لم يكن لديه شك بمعنى ذلك.. لكن كيف

تمكن الجنود من التسلسل بعيداً رغم مقاومة الأكاشي العنيدة لهم؟ .. اندفع تبريق متجاوزاً من حوله إلى قادور صائحاً "يبدو أن بعض الجنود قد تمكنوا من مغادرة المخيم.. هناك من يهاجم الموضع الذي تختبئ في النسوة والأطفال.."

نظر له قادور مقطباً وتفكيره مشئت بين المعركة التي تدور أمامه وبين ما ينقله إليه تبريق من أخبار، فقال تبريق بالحاح "يجب أن نطلق لذلك الموقع ونصدّ هجومهم قبل أن تصبح مذبحه.."  
قال قادور "خذ خمسة رجال وتولّ الأمر.. لا يمكنني منحك أكثر من ذلك.."  
هز تبريق رأسه، وغادر نحو بعض الرجال ليخبرهم بتعليقات قادور.. لو لم يغادر في الوقت الملائم، فلا أحد يعلم ما سيصيب الجزء الأضعف من القبيلة وهن دون حماية أو حتى أسلحة للدفاع عن أنفسهن..

\*\*\*\*\*

قبل وقت قصير، كانت ججي رابضة في موقعها خلف إحدى الخيام بصمت وهي تراقب تدافع الجنود نحو المخيم.. ولما ألقت نظرة على كين المتحفز، أشارت له ليقبع في موقعه وهي تستمع للصمت الذي ساد المخيم قبل أن تشتعل الأحداث.. وفي لحظات، اندلع صياح من ساحة المخيم تبعه صوت إطلاق الرصاص، وتحفز الجنود بشكل أكبر وهم يندفعون نحو موقع المعركة حتى أفرغت القوارب كل من فيها.. انتبهت ججي لاقترب كين منها، فهمست وهي تقبض على سيفها بقوة "فلتهجم على الجنود من الخلف قبل أن يتنبهوا إلينا.."

استوقفها كين قائلاً "مهلاً.. هناك ما هو أهم.."

نظرت له بتساؤل، فقال وهو يشير للقوارب "علينا أن نتخلص من هذه القوارب، فهي عائدة للسفن لجلب المزيد من الجنود.. علينا إغراقها بأي شكل كان.."

غمغمت ججي "هل يمكنني فعل ذلك وحيدة ومن هذه المسافة؟.."

صمت كين للحظة مفكراً في وسيلة مناسبة، عندما رأى ججي تستلّ سيفها وهي تصيح "انتبه.."

دفعته بيدها جانباً وهي تقفز بدورها خلف خيمة قريبة، بينما سمع كين صوت ارتطام الرصاصة بباب



الخيمة القريبة حيث كانا واقفين.. ولما التفت خلفه رأى ذلك الجندي الذي تسلل من خلفها دون أن ينتبهها له وحاول إصابتها ببندقيته.. نظرت ججي من مخبئها للجندي، ثم التفتت إلى كين هامسة "حاول أن تشغله.."

واستدارت مبتعدة عبر الجانب الآخر بينما تساءل كين بهمس "كيف أفعل ذلك؟.."

سمع صوت الرصاص الذي أصاب الأرض قربه، فالتصق بالخيمة القريبة وهو يستل سيفه.. نظر حوله بتوتر عالماً أن ججي ستحاول مهاجمة الجندي من موقع آخر، ولو لم يتمكن من شغله فقد ينتبه لها الجندي ويحاول إصابتها قبل أن تقترب منه.. لذلك عليه التصرف بأسرع ما يمكنه.. ولما سمع صوت الرصاص الأخيرة تضرب الباب القريب تلاها صمت قصير، أيقن أن لديه فسحة قصيرة من الوقت ليتصرف قبل أن يتمكن الجندي من حشو بندقيته وإطلاق الرصاصة التالية.. فتناول فأساً قريبة عثر عليها قرب الخيمة، ونظر من موقعه للجندي وهو يرمي الفأس نحوه بكل قوته.. لم يكن الجندي قريباً منه، ولم يكن كين ليصيبه بأي حال، لكن ذلك أفلح في شغل الجندي للحظة وهو يتراجع خطوات ويحاول الاحتباء من هذه الضربة في جانب إحدى الخيام.. ولما رفع بندقيته من جديد وهو يتقدم من موقع كين بخطوات سريعة، انتبه لصوت خافت صدر من خلفه.. استدار الجندي بسرعة موجهاً البندقية لذلك الموقع، لكنه فوجئ بججي التي كانت قريبة منه وهي تمسك فوهة البندقية بيد لتبعدها جانباً، بينما دفعت سيفها في عنق الجندي بقوة..

سقطت جثة الجندي عند قدمي ججي التي وقفت ممسكة بالبندقية، ثم قالت لكين "هل تعرف كيفية استخدام هذه الأشياء؟.."

أجاب كين وهو يقترب "بلى.. يمكنني ذلك.."

نظرت ججي للبندقية بتفكير، ثم رمتها جانباً وهي تقول "لا.. لن يمكنك استخدامها في هذه المعركة.. فرفاقنا ملتحمون مع الجنود، وقد نصيب أحدهم لو استخدمناها دون تمييز.."

لم يعلق كين وهو مقتنع بصحة ما قالت، بينما زفرت ججي وهي تنظر للقوارب التي ابتعدت عن المنحدر عائدة للسفن.. ثم قالت لكين "لم يعد التخلص من القوارب ممكناً.. علينا العودة ومعاونة الآخرين.."

تلفتت حولها حتى عثرت على درع قريب، فحملته ورمته إلى كين قائلة "انتبه لما حولك يا كين.. لا تشغل

نفسك بالتفكير كما تفعل عادة فتصبح لقمة سائغة لأعدائنا.."

قال كين بتوتر وهو يحمل الدرع ويقبض على سيفه باليد الأخرى "الهجوم العشوائي لا ينجح دائماً.. علينا إيجاد طريقة للتخلص من أعدائنا بأقل الخسائر الممكنة.."

قالت ججي وهي تستدير "لم يعد هذا ممكناً بعد كل ما جرى.."

واندفعت عائدة لساحة المخيم حيث ارتفعت أصوات الرجال مختلطة بصليل السيوف وصوت البنادق.. فتبعها كين دون تردد رغم كرهه لخوض مثل تلك المعارك.. ليس خوفاً على نفسه، لكنه لم يكن يجد في نفسه القدرة على مقاتلة أولئك الجنود متخيلاً ما سيفعله لو كان الجنود من مملكة كشميت.. ورغم ذلك، كان كين يدرك أن عليه أن يبذل ما في وسعه لمعاونة رجال القبيلة في حماية المخيم.. فهو مدين لهم بالكثير، ولا يمكنه نسيان السنوات التي قضاها بينهم يأكل طعامهم ويرتدي ملابسهم دون أي تفرقة بينه وبينهم..

لكن هل ستحقق جهوده، وجهود البقية، أي نتائج في هذه المعركة؟.. ولمن ستكون الغلبة فيها؟..

هذه التساؤلات تقلقه بشدة في الوقت الحالي..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثاني عشر {مُتَخَنٌ}

عندما بدأت طلقات الرصاص تعلو في المخيم، ساد صمت تام وسط النسوة وهن يتأملن المخيم المحترق بقلق واضح من موقعهن خلف إحدى التلال القريبة منه.. لم يكن ذعرهن بسبب المعركة نفسها، فهو أمر معتاد بين قبائل الأكاشي، لكن بسبب هوية العدو الذي يملك أسلحة لا مثيل لها لديهم.. فمن النيران التي تسقط من السماء وتهوي لها الخيام محترقة بشكل كامل، إلى العصي الخشبية التي تخرج النيران من فوهتها فتصيب من يواجهها ولو على مسافة بعيدة كالسحر.. ولا تزال أخبار ما جرى في مخيم قبيلة (نجم الشمال) حاضرة في أذهان الجميع..

التصقت تينا بأمها هامسة بارتجافة "أمي.. هل سيكون الجميع بخير؟.."

شدت ستينا يدها حول كتف تينا وهي تقول "ما بالك خائفة؟.. أحقاً أنت ابنة الأكاشي؟.. عليك أن تكوني أقوى من هذا.."

خفضت تينا بصرها مغممة "لكنه هجومٌ من عدو لا قدرة لرجالنا على هزيمته، وقد اندلع وسط مخيمنا بغفلة منا.. لذلك أنا قلقة على الجميع.."

ابتسمت ستينا ابتسامة متوترة قائلة "لا ألومك على ذلك.. لا بد أنك قلقة على تبريق، وخائفة مما قد يصيبه.."

صمتت تينا خافضة وجهها بينما همست ستينا "أرجو ألا ترملي في سن صغيرة يا ابنتي.."

لم تعلق تينا على قول أمها.. شعرت بالسوء لأن فكرة موته قد راودتها للحظة وهي ترى تبريق يهرع عائداً للمعركة.. ولو هلة، لم تجد في نفسها أن ذلك الخاطر سيئاً حقاً.. لكنها في ذلك الوقت نفضت تلك الفكرة بشيء من الذعر وهي تشعر بوجوم وارتباك شديدين.. أهذه الدرجة هي تريد الخلاص من تبريق حتى لو عنى ذلك موته؟.. لا يمكنها ألا تشعر بالسوء وهي ترى القلق الذي ارتسم بوضوح في عينيه خوفاً عليها.. فكيف لها هي أن تتمنى موته طمعاً في الخلاص منه؟.. أيمكن لدخيلتها أن تكون أقبح من هذا؟.. ضمت تينا ذراعيها حول جسدها وهي مطرقة بصمت، ثم غمغمت بشيء من المرارة "أتمنى أن يكون

تبريق بخير.."

لومات تبريق حقاً، فستكره نفسها لأنها فكرت في الأمر وتمتته ولو للحظة.. فليعد هذه المرة سالماً، وعندها يمكنها أن تطلب منه جادة أن يطلق سراحها.. فهو، في الحقيقة، لا يستحق فتاة عديمة الإحساس مثلها.. سمعتا في تلك اللحظة صياحاً من جانب الموقع من بعض النسوة، وبدأن بالتراجع بقوة وتدافع بشكل أدهش ستينا التي صاحت بمن حولها "ما بكن؟.. لا تُثرن هذه الضجة.."

لكن لم يكن لقولها أي معنى وهي ترى مجموعة من الجنود لا يقل عددهم عن العشر يصعدون التلة القريبة ويوجهون بنادقهم في وجوه المجموعة المدعورة أمامهم.. أصيبت ستينا بالقلق الشديد لرؤية هؤلاء الجنود الذين تمكنوا من مغافلة بقية الرجال ووصلوا لهذا الموقع، لكنها حاولت تمالك ذعرها وهي تدفع تينا خلفها متلفتة حولها..

وبينما هبط الجنود التلة نحو المجموعة المختبئة خلفها، نهض أحد رجال الأكاشي ممن كان جريحاً، واستل سيفه وهو يصرخ هاجماً على أقرب جندي منه.. لكن الجندي ضربة بجانب البندقية على رأسه بقوة حتى ألقيه أرضاً، ثم وجه الفوهة نحو رأسه ولم يتردد في إطلاق النار وسط صراخ النسوة المدعور.. بينما تقدم جندي آخر خطوات وهو يقول لأحد رفاقه "أظن أننا نستطيع استخدام النسوة لإجبار الأكاشي على الاستسلام؟.."

قال آخر "يعتمد هذا على أهميتهن لدى الأكاشي.. وما سمعته لم يكن يوحى بذلك.."

تلفتت ستينا حولها، ثم همست لمن حولها من النساء "علينا الهجوم على هؤلاء الجنود.. إنهم قلة، ويمكننا التغلب عليهم بعددنا الأكبر.."

قالت امرأة متسعة العينين بذعر "لا.. لا يمكننا مواجهة أسلحتهم العجيبة تلك.. سيقتلوننا قبل أن نصل إليهم.."

قطبت ستينا بانزعاج لهذا الذعر الواضح، بينما تقدم الجنود أكثر وأحدهم يقبض على صبي صغير قائلاً لرفيقه "لا أظن الأكاشي سيتجاهلون أمر الصبية على الأقل، فهم رجال المستقبل.."

ضحك رفيقه بسخرية لهذا القول، بينما اندفعت أم الصبي المدعور تحاول استعادته وهي تصيح "اترك ابني.."

ضربها الجندي على بطنها بكعب البندقية حتى أسقطها أرضاً، بينما بدأ الصبي بالبكاء وهو يحاول التنصل من قبضة الجندي القوية.. وبينما اقترب بقية الجنود محاولين الإمساك ببعض الصبية، فإن أمهاتهم قد حاولن الدفاع عنهم ببسالة رغم الضربات التي تلقينها.. وبينما تراجعت بقية النسوة مذعورات وبعضهن يركضن وهن يدفعن أطفالهن أمامهن، فإن ستينا وجدت نفسها مع تراجعهن وجهاً لوجه مع أحد الجنود.. تراجعت ستينا خطوات وهي تخفي تينا خلف ظهرها، لكن الجندي دفعها بشيء من الحدة وجذب تينا من ذراعها قائلاً "فتاة جميلة كهذه قد تصلح أيضاً.."

صرخت تينا بدعراً، بينما اندفعت ستينا نحو الجندي وهي تحاول دفعه عن ابنتها صائحة "أبعد يدك القذرة عنها.."

لطمها الجندي بقوة بسلاحه ليعدها، ثم استدار دافعاً تينا أمامه رغم محاولاتها للفرار.. وبعد خطوات، وجد ستينا تحمل حجراً وهي تضربه بقوة على رأسه بشكل مؤلم رغم الخوذة التي يرتديها.. انثنى الجندي متألماً للحظة دون أن يفلت تينا، ثم نظر لستينا قائلاً بغضب "أيتها اللعينة.. ألا تكفين عن هذا؟.."

صاحت ستينا به وهي تحاول ضربه من جديد "أطلق ابنتي.."

لكن الجندي دفعها بقوة لتسقط أرضاً، ثم رفع بندقيته في وجهها وسط نظرات تينا المرتعبة.. ودون تردد، أطلق عدة رصاصات أصابتها في صدرها وبطنها وأعادتها للأرض والدماء الغزيرة تنبثق من موضع الجراح.. صرخت تينا بارتعاب وهي تحاول العودة لأمها، لكن الجندي جذبها بعنف قائلاً "أخيراً تخلصنا من تلك المزعجة.."

كان صياح تينا يختلط مع صياح الصبية وبعض الفتيات الأخريات وتوسلات أمهاتهم للجنود الذين لم يعبؤوا بها وهم يجذبونهم عائدين للمخيم.. وبالمثل، فإن الجندي قد جذب تينا وأجبرها على اللحاق به متجاوزاً التلة القريبة، بينما قاومت تينا وهي تصيح "أمي.. أجيبي أرجوك.. أمي.."

لكن الجندي جذبها بشدة حتى وصل أعلى التلة وهو يقول بصرامة "كفي عن الصياح يا هذه.. وإلا لحقت بها قريباً.."

لكن تينا جذبت ذراعها بقوة صارخة "اتركني.."

طرحها الجندي أرضاً وصوب الفوهة نحو رأسها وهو يقول بحنق "أطيعي ما أقوله دون صراخ يا

امرأة.."

نظرت له تينا بذعر وهي لا تدري ما الذي يمكنها فعله، لكن فوجئت في تلك اللحظة بخنجر شق الهواء حتى انغرز في صدر الجندي الذي ترنح للحظة ثم سقط خلفاً دفعة واحدة.. تراجعت تينا بذعر أشد وهي تسمع صياحاً خلفها "انبطحي أرضاً يا تينا.."

التصقت تينا بالأرض وهي ترى الجنود الباقين يتدافعون مع مرأى سقوط رفيقهم، ومن خلف التلة رأوا خمسة من الأكاشي يتقدمهم تبريق وهم يركضون نحو هذا الموقع حاملين سيوفهم.. فلم يتردد الجنود في إطلاق رصاصات بنادقهم بتتابع على الأكاشي الذين احتموا خلف دروعهم دون أن يتوقفوا عن الركض، فيما تراكض الصبية هارين بعد أن أفلتهم الجنود..

ومع اقتراب الأكاشي من الجنود، لم يتردد أحدهم في إزاحة درعه وتوجيه ضربة قوية للجندي القريب بسيفه، وبالمثل تخلص تبريق من أحد الجنود بضربة قوية ثم التفت لآخر ودفع درعه نحوه بقوة حتى أجبره على إفلات بنديته، عندها لم يتردد في ضربه بالسيف في عنقه حتى أرداه قتيلاً.. عندها أسرع تبريق إلى تينا وقال لها "أأنت بخير؟.."

تمسكت به تينا بذعر وهي تقول "أمي.. لقد أصيبت أمي يا تبريق.."

فقال لها "انتظريني هنا.."

كان بعض الجنود قد تراجعوا للخلف مع هجمة الأكاشي، وانشغلوا بتلك المعركة انشغالاً تاماً مع سقوط بعضهم بسيوف الرجال حتى لم يبق إلا خمس جنود.. نظر تبريق من ذلك الموقع متفحصاً أرض المعركة ومراقباً النزال بين الجنود وبين رجاله.. ولم يفته رؤية جسد ستينا الذي تلقى إصابات فادحة وبقي في موقعه بصمت تام..

كانت المجموعة المختبئة في هذا الموقع من النساء والأطفال قد لجأت للهرب من جديد، فراجع تبريق خطوات وجذب تينا قائلاً "لنبتعد.. لم يعد لبقائنا هنا أي فائدة.."

لكن تينا دفعته محاولة العودة لأمها، فجذبها تبريق بشدة صائحاً "لا فائدة من عودتك إليها الآن.."

صاحت تينا بحرقة "أمي.."

فجذبها تبريق مع وهو يصيح من جديد "يجب أن تبتعدي عن هذا الموقع يا تينا.."

لكنها حاولت التخلص من قبضته وهي تصيح باكية "أمي.. أريد أمي.."

تلقت تبريق حوله بقلق شديد، ملاحظاً أن عدداً آخر من الجنود قد بدأ يتقدم من موقعهم من المخيم لينضموا لمن سبقوهم.. وبينما تدافعت النسوة والصبية من حوله هارين من طلقات بنادق الجنود ومن المعركة الدائرة، فإن تينا حاولت بإصرار العودة للموقع الذي سقط عنده جسد ستينا بصمت.. كان تبريق مدركاً أن ستينا قد ماتت، لكن تينا رفضت بإصرار التسليم بذلك وهي تصيح به "اتركني.. كيف تريدني أن أتخلى عن أمي؟.."

صاح تبريق بها "لكن أمك قد ماتت.."

صرخت تينا "لا تقل ذلك.."

لكن تبريق لم يتوقف ليجادلها وهو يحملها بذراعٍ واحدة ويبتعد عن هذا الموقع.. بينما صاح بهم بعض الجنود القريبين مطالبينهم بالوقوف والرصاص يتطاير حولهم بغزارة.. صرخت تينا بذعر وهي تحمي رأسها بذراعيها، بينما هجم رجلان من الأكاشي على أولئك الجنود محاولين منعهم من اللحاق بمن هرب من النساء والأطفال ومنحهم الفرصة للفرار..

ركض تبريق دون إبطاء ودون أن يسمح لتينا بالنزول، حتى ابتعد مسافة كافية مع البقية وصوت طلقات الرصاص لا يزال يصل لسمعه بوضوح.. فأنزله تينا التي سألت دموعها وهي تقول بمرارة "كيف تتخلى عن أمي هكذا؟.. لا بد أنها لم تمت بعد.. لا يمكن أن تكون قد ماتت حقاً.."

لم يجيبها تبريق وهو ينثني بشيء من الألم ممسكاً بخصرته، ولما نظرت تينا لذلك الجانب، فوجئت برؤية تلك الإصابة التي أصابته والدماء تسيل من ذلك الموقع بغزارة.. صممت تينا وقد عجزت عن معرفة ما عليها قوله، بينما تهاوى تبريق على ركبته بألم بعد أن كان يدفع نفسه دفعاً للابتعاد عن ذلك الموقع ليحمي تينا من الهجوم.. حاولت تينا تمالك دموعها الغزيرة دون فائدة، فبقيت واقفة وهي تبكي بحرقه بينما صمت تبريق للحظات محاولاً تجاوز الألم الحارق في خصرته وأصوات المعركة القريبة تتعالى مختلطة برصاصات الجنود.. تلقت حوله بحثاً عن أي جنود قد يكونون تبعوهم، ثم التفت إلى من قربته من النساء وبعض الرجال الجرحى وقال "عليكم بالبحث عن موقع آمن للاختباء.. لا يمكنكم البقاء في العراء، ولا نعلم متى سنتمكن من التخلص من هؤلاء المعتدين.."

قالت امرأة بصوت مرتجف "وأين نختبئ في هذه السهول الواسعة؟.."  
تبادلت المجموعة النظرات بصمت وحيرة وقلق، ثم انبرى بينهم فتى لا يكاد يتجاوز الثانية عشر من عمره  
وقال "هناك موقع لا يبعد الكثير عن هذا المكان.. ويمكننا الاختباء فيه دون أن يرانا الجنود.."

تساءل تبريق باهتمام "وأين هو هذا المكان؟.."  
أشار الفتى إلى جهة الغرب قائلاً "هناك بعض المرتفعات الصخرية في هذا الجانب، وهي ليست بعيدة عن  
البحر كثيراً.. وفيها الكثير من المغاور والكهوف الواسعة التي ستؤمن لنا المخبأ المناسب حتى تنتهي  
المعركة.."

عاد تبريق يتساءل "أهي بعيدة من موقعنا هذا؟"  
أجاب الفتى "لا.. يمكننا أن نصل إليها بعد أقل من ساعة من السير على الأقدام.."  
هز تبريق رأسه موافقاً، وقال للمجموعة حوله "اذهبوا لذلك الموقع واختبئوا فيه.. سنرسل من يخبركم  
بانتهاء المعركة متى ما تمكنا من التخلص من الجنود.."

أسرعت المجموعة لإطاعة قوله بصمت ودون اعتراض والفتى يتقدمهم مشيراً لذلك الموقع.. بينما دفع  
تبريق تينا قائلاً "ارحلي يا تينا.. ابتعدي مع البقية قبل أن يصل أعداؤنا لهذا الموقع.."  
قالت تينا بقلق "ماذا عنك أنت؟"

أجاب وهو يتحامل على نفسه ليقف مستنداً على سيفه "سأعود للبقية.. لا يمكنني الهرب والتخلي عنهم  
الآن.."

قالت تينا بانفعال "لا.. لن تكون مفيداً بهذا الجرح.. فلنرحل لتحصل على بعض الرعاية على الأقل.."  
لكن تبريق أبعدهما من جديد قائلاً "لا.. افعلي ما أمرتك به يا تينا.. لو وصل الجنود لموقعنا، فلن أكون كافياً  
لحمايتك من رصاصاتهم.."

عادت تقول بالحاح "لكن....."  
فأدار تبريق وجهه جانباً وهو يقاطعها قائلاً "ربما كنت أفضل حالاً لو لم أعد.."  
بهتت تينا لذلك التعليق وهي تنظر إليه، فرأته يتعد عنها بخطوات سريعة متخذاً دورة حول ذلك التل،  
بينما وجدت تينا إحدى جارات أمها تجذبها وهي تقول بهمس "لنرحل يا فتاة.."



تبعته تينا رغماً عنها وهي تلتفت خلفها حتى اختفى تبريق وسط الظلام.. ومرة أخرى، شعرت بوخزة قاسية في صدرها.. مرة أخرى تشعر تينا بحقارتها، وبأنها قد آذت تبريق أكثر مما سبب لها من أذى.. ومع صدمتها لموت أمها ولل كلمات التي ألقاها تبريق قبل رحيله، فإنها سارت كالذاهلة خلف البقية بصمت تام دون أن تتوقف دموعها من الانهيار..

\*\*\*\*\*

عندما عادت ججي إلى ساحة المخيم، كانت الأمور مشتتة وسطه بشكل لا يصدق.. لم تكن مقاومة الأكاشي قد خفتت ولو للحظة، ولم يكن هجوم الجنود قد هدأ وتراجع ولو قليلاً.. رغم مقاومة الأكاشي العنيفة، لكن بدا أن صمود الجنود كان على أمل وصول الإمدادات إليهم بأسرع وقت.. وبينما اندفعت ججي نحو جندي قريب اعترض طريقها فجندلته بضربة سريعة، فإن كين هرع إلى قادور قائلاً بتوتر "عليكم حسم الأمر بأسرع ما يمكن.. ستعود الزوارق بعد قليل محملة بالمزيد من الجنود، وعندها لن يكون الوضع أفضل من الآن.."

قال قادور بحق "أتظننا لا نحاول ذلك؟.. مع الإصابات التي أصابت رجالنا بهجوم المدافع، قلّ عددنا بشكل كبير.. والجنود واثقون من وصول المدد إليهم عما قريب لذلك هم مستميتون في القتال.."

نظر كين حوله للمعركة التي لم تهدأ وهو يقول بقلق واضح "لكن الأمور لن تحسم بهذه الطريقة.."

اقتربت منها ججي قائلة "يجب أن نعاون الرجال على التخلص من الجنود قبل قدوم المزيد.."

وخطت خطوتين نحو الساحة، لكن قادور استوقفها قائلاً "مهلاً.. لقد ذهب مينار للتخلص من بعض الجنود في جانب آخر من المخيم، ولم يعد بعد.. اذهب وانظر إن كان بحاجة لأي عون.."

لم تدر ججي إن كان مينار بحاجة للمعاونة فعلاً، أم أن قادور أراد إبعادها عن المعركة الدائرة وسط المخيم.. لكنها لم تتردد في إطاعته وهي تستدير وتغادر بصمت، وسرعان ما لحقها كين ناظراً للمعركة الدائرة وسط الساحة.. كانت الأجساد التي سقطت أرضاً وقد فقدت أرواحها تملأ الساحة، ولم تكن تلك أجساد الجنود فقط.. بل عدد كبير من الأكاشي انضم إليها بشكل أثار قلقاً أكبر في نفس كين وهو يغمغم

"لا أظن المعركة ستحسم لصالحنا.. ربما من الخير لنا أن نتراجع.."

قالت ججي بحزم "لا يمكننا أن ننهزم أمام أعدائنا.. سنقضي عليهم دون شك.."

فقال كين باعتراض "لكن الأمور تزداد سوءاً في كل لحظة.. ما تفعلونه بعنادكم هذا لن يجعل النتيجة أفضل.."

أشارت له ججي ليصمت، وأنصتت للحظات محاولة تجاهل الأصوات الصادرة من وسط المخيم، عندما تناهى لسماعها بضع طلقات نارية صدرت من موقع آخر.. فأسرت إليه راکضة بقلق، وبعد لحظات، أشرفت على الموقع الذي التحم فيه مینار ورجاله بالجنود في معركة ضارية، فلم تتردد ججي في الانضمام إليهم وهي تقيّم الموقف بنظرة سريعة، فلحقها كين بدوره دون اعتراض وهو يرفع سيفه بدوره.. اندفعت ججي بين الجموع تضرب هذا وذاك مستغلة انشغالهم برجال الأكاشي.. فنجحت في التخلص من جنديين، بينما عاون كين بقية الرجال على الخلاص من البقية.. لكن ثلاثة من الجنود فروا من الموقع بجراحهما محاولين الخلاص من هجوم الرجال.. فاستوقفت ججي البقية عن اللحاق بهم وهي تصيح "أنا سأتخلص منهم.. ساعدوا بقية الرجال وسط المخيم.."

واندفعت خلف الجنود بينما صاح مینار الذي وقف جانباً "مهلاً يا جام.. لا تتهور هكذا.."

أسرع مینار خلفها يتبعه كين، وبعد أن تجاوزا بضعة خيام رأيا ججي التي اندفعت وسط جنديين منها وهي تضرب بسيفها يمناً ويسرة محاولة التخلص منها.. بينما دار الجندي الثالث محاولاً الهجوم عليها من الخلف، لكن مینار اشتبك معه بسيفه وهو يزيحه بعيداً عن ججي، بينما انضم كين إلى ججي في قتالها مع الجنديين.. وبمعاونة كين، استطاعت التخلص من الجندي الأول فيما شغل كين الجندي الثاني دون أن يتمكن من التخلص منه وإزاحته.. ولما حاول كين التراجع والابتعاد عن إحدى ضربات ذلك الجندي، وجد أن غريمه قد استغل ابتعاده ليهجم على ججي التي توليه ظهرها.. لم تنتبه ججي لذلك الهجوم وهي منشغلة بكسر بندقية الجندي الذي قتلته لثلاثاً يستخدمها غيره، كما يفعل الأكاشي عادة، عندما فوجئت بضربة السيف التي أصابت ظهرها مخلفة جرحاً عميقاً وهي تسقط على وجهها لقوة الضربة..

قفز كين بذعر نحوها وصوب سيفه نحو الجندي فأصابه في مقتل ورماه خلفاً، ثم اندفع نحو ججي التي حاولت النهوض عن الأرض وهو يقول بارتباك "أأنت بخير يا ججي؟.. تباً لي، لقد تسببت في

إصابتك.."

قالت ججي محاولة تجاوز الألم القوي الذي ينبع من موضع الضربة "لا عليك.. هذا متوقع في مثل هذه المعارك.."

كان مینار قد تمكن من التخلص من الجندي الثالث، فتقدم منها زافراً وقال "أنت بخير يا جام؟" رفعت ججي رأسها قائلة بعزم "بخير.. سأربط هذا الجرح لأوقف النزف، ثم أنضم إليكم في المعركة في الحال.."

قال كين بقلق "هذا لا يمكن.. سيتسبب ذلك في نزف المزيد من الدماء، وقد تفقدن حياتك عندها.. علينا علاجك بسرعة والابتعاد بك عن هذه المعركة.."

فقال مینار "هذا ما يجب فعله.. تراجع يا جام في الوقت الحالي حتى تحصل على العلاج الملائم.."

قالت ججي بحدة "لكني لن أهرب الآن.."

شعرت بالآلام قوية من موضع الجرح وهي تغمض عينيها للحظة، ثم دفعت نفسها دفعاً لتقف رغم جرحها الذي ظل ينزف بشدة، وقالت وهي تخطو خطوة للأمام "سأشارك في المعركة حتى نهايتها.. أنا...."

ترنحت للحظات بعد الخطوة الثانية، ثم سقطت على وجهها بصمت.. أسرع كين إليها فيما انحنى مینار ليطمئن عليها قائلاً "لقد نزف الكثير من الدماء بالفعل، ويبدو أنه لم يتحمل ذلك.."

فقال كين بإلحاح "ساعدني لنخرجها من المخيم يا مینار.."

نهض مینار واقفاً وسيفه في يده، وتناول سيفاً سقط في موضع قريب وهو يقول "عليك أن تقوم أنت بذلك.. تعجّل وارحل ولا تنظر للوراء.."

قال كين بجزع "لن أستطيع ذلك لو حدي.. لو عثر على الجنود فلن أقدر على حمايتها وحدي أبداً.."

قال مینار بحزم "بل عليك أن تفعل ذلك.. كن رجلاً وتحمل مسؤوليته مرة واحدة.."

وعاد مسرعاً لموقع المعركة حاملاً سيفاً في كل يد، فيما صاح كين "لا ترحل يا مینار.."

لكن مینار لم يجاوبه وهو يختفي خلف الخيام القريبة.. بينما بقي كين متشبهاً بججي وأصوات المعركة القريبة تصل لسمعه بوضوح والدماء تسيل على يده من جرح ججي بلا انقطاع.. زفر بشدة وهو يرى مینار يختفي بعيداً، ثم نظر لججي التي غرقت في غيبوبتها وغمغم "عليّ تدبر أموري وحدي.."

حاول حملها بذراعيه، لكنها رغم صغر سنّها كانت أثقل من أن يتمكن من حملها بذراعيه الضعيفتين، عندها أدار لها ظهره وجذب ذراعيها من فوق كتفيه حتى رفع جسدها على ظهره، فنهض بشيء من العسر وسار بأسرع ما يستطيع بحثاً عن فرس ججي أو أي حصان آخر.. وبعد سيرٍ قصيرٍ ومنهك، استطاع أن يرى أحد الرجال يتقدم منه مسرعاً آتياً من خارج المخيم.. توتر كين للحظة وهو يبحث عن سيفه، عندما سمع صوت تبريق يقول "ما الذي جرى لجام؟.."

رفع كين بصره زافراً وقال "لقد خشيت للحظة أن تكون أحد الجنود.. لكن... ما الذي جرى لك؟..". كانت الدماء واضحة على ملابس تبريق من جانبه المصاب، والشحوب الخفيف قد بدأ يغزو ملامحه، لكن تبريق ظل متماسكاً وهو يقول "لقد هاجم الجنود الموضع الذي اختبأت عنده النسوة والأطفال، وقد تمكنا من التخلص منهم بصعوبة.. ولكن.....". ونظر لججي فاقدة الوعي مضيفاً بتهيدة "لقد قتلوا ستينا.. وكادوا يصلون لتينا لولا أن هربتُ بهما بمعجزة..".

اتسعت عينا كين لهذا الخبر بارتياح شديد، فيما قال تبريق "لقد توجه الجميع للغرب حيث يمكنهم الاختباء عند المرتفعات الصخرية الواقعة هناك..". فقال كين بقلق "وما الذي ستفعله أنت؟.. ما تزال الأمور مشتتة هنا ولا يبدو أنها ستهدأ خلال وقت قريب.. عليك الرحيل أنت أيضاً فأصابتك بليغة..". ربت تبريق على كتفه دون أن يعباً باعتراضه قائلاً "كن حذراً..".

وعاد لوسط المخيم راكضاً وهو يحمل سيفه بيده، فغمغم كين بغير تصديق "الأحمق سيقتل نفسه بهذه الطريقة..".

وسار مبتعداً عن وسط المخيم وهو يضيف بضيق "الأكاشي كلهم حمقى.. كان عليهم الابتعاد عن المخيم وتنظيم هجوم مدروس بدل الانغماس في معركة لا يعرفون أبعادها.. لكن كبرياءهم هو من سيدمرهم يوماً ما..".

كان يدرك أن الخيول قد فرّت من المخيم مع تلك الأصوات العالية، لكنه ظل يرجو أن يجد أحدها في موضع قريب، فرحيله على الأقدام أمرٌ مستحيل تماماً.. تلفت كين حوله بتوتر كبير، حتى تناهى لسمعه

صوت صهيلٍ من موضع غير بعيد عن موقعه.. عندها أسرع إلى الموقع بلهفة حتى رأى ذلك الحصان الذي لم يجد من يفك رباطه حيث ربطه صاحبه قرب خيمته، وظل يركل بقوة محاولاً الإفلات مع مرأى النار القريبة..

لريتمكن كين من الاقتراب من الحصان وهو يحمل ججي، فوضعها جانباً واقترب من الحصان قائلاً "اهدأ يا صديقي.. كل الأمور ستكون على ما يرام.."

ظل الحصان ثائراً وهو يركل بشدة، لكن كين تمكن بشيء من الاحتراس أن يمسك لجامه، فجذبه محاولاً تهدئته وهو يمسح على أنفه.. وبعض الجهد، خفتت مقاومة الحصان شيئاً ما وكين يفك رباطه ويجذبه بعيداً عن النار القريبة لكيلا يهرب منه.. وخلال وقت قصير، كان كين ينطلق على ظهر الحصان مغادراً المخيم، وقد أردف ججي خلفه بعد أن استخدم قطعة قماشية عريضة وجدها على مقربة لربط ججي إلى جسده بإحكام.. كانت لا تزال فاقدة الوعي، دون أن يتمكن من إيقاف نزيفها إلا بشيء بسيط.. كل ما كان يأمله الآن أن يتمكن من الفرار بها بعيداً عن الجنود، وأن تنتهي هذه الليلة على خير..

\*\*\*\*\*

بعد أن تخلص مينار ورجاله من تلك الفرقة من الجنود، عاد إلى ساحة المعركة التي لم تخمد بعد آملاً أن تكون الأمور أفضل مما تركها عليه.. لكنه لاحظ على الفور أن الأকাশي، رغم شرastهم وقوة هجومهم، لم يتمكنوا من التخلص من جميع الجنود الذين صمدوا بقوة.. وفور اقترابه من الساحة، رأى مينار قادور الذي كان يقف جانباً يهتف برجاله بتعليمات سريعة.. تقدم مينار نحوه عندما لاحظ ذلك الجندي الذي تسلل خلف قادور وهو يصوب بندقيته محاولاً النيل منه.. فرمى مينار أحد سيفيه بأقوى ما يملك نحو الجندي وهو يصيح منبهاً قادور.. ولما استدار قادور، رأى سيف مينار الذي ضرب الجندي في ذراعه وأسقط البندقية من يده للحظة وهو يصرخ متألماً..

ركض مينار محاولاً حماية قادور من هجوم جديد، عندما فوجئ بجندي آخر يركع في جانب تلك الخيمة متوارياً.. ولما استدار إليه في لحظة أدرك أنه يصوب بندقيته نحوه وأطلق رصاصها دون تردد.. ودون أن

يملك وسيلة لتفادي تلك الطلقة، وجد مینار أنها أصابته في كتفه الأيسر ورمته للخلف بعنف ليسقط وسط المكان لاهثاً.. كان الألم شديداً في موضع الإصابة، وضاعف الألم المجهود الذي بذله سابقاً لقتال فرقة الجنود المختبئة، بالإضافة لعمره الذي يجعل الأمور أسوأ، لكنه لم يتحرك للحظة وهو يفكر بالخطوة الملائمة دون أن يفقد حياته على يد أعدائه..

رأى الجندي الذي أطلق تلك الرصاصة يقف ويتقدم منه بحذر موجهاً البندقية إليه.. وقبل أن يصوب البندقية على رأسه، طوح مینار ذراعه بسيفه بقوة ليصيب الجندي في ساقه بضربة قوية صرخ لها الجندي وهو يتهاوى أرضاً بألم، عندها لم يتردد مینار بالقفز عليه وهو يغمد السيف في عنق الجندي حتى أرداه قتيلاً..

وقف مینار لاهثاً وهو يتجاهل جرح كتفه المؤلم، وحمل البندقية بيد وضربها بقدمه بقوة حتى كسرها من المنتصف لئلا يستخدمها أي جندي آخر.. ثم نظر حوله لمعرفة ما جرى في المعركة الدائرة في مخيمهم الذي بدأ يتهاوى جزءاً جزءاً..

لاحظ في جانب المكان أن قادور قد اشتبك مع أحد الجنود في قتال فردي، فيما انشغل بقية الرجال بعراك مع الجنود دون أن يتمكن أحدهم من مساعدة الآخر.. فأسرع إليه محاولاً تخليص قادور منه، لكن الجندي تلقى ضربته تلك بدرعه، بينما ركض جنديان آخران نحوهما.. عندها صاح مینار وهو يشتبك مع ذلك الجندي "غادر المكان يا قادور.."

لكن قادور تقدم وهو يضرب بسيفه أقرب الجنود منه قبل أن يتحوّل لآخر ويشتبك معه في معركة قصيرة.. فصاح مینار بحنق "غادر الآن يا قادور.. ليس الوقت وقت استعراض العضلات.."  
هجم ذلك الجندي عليه، لكن مینار تفادى تلك الهجمة بشيء من الصعوبة قبل أن يرفع سيفه ويضرب الجندي في جانبه.. ولما سقط الجندي متألماً، سارع مینار للتخلص منه دون تردد قبل أن يستدير عائداً لقادور.. فراه يجندل الجندي الذي يواجهه بحركة سريعة رغم سنه التي لا تسمح له بالقتال لوقت طويل.. فزفر مینار وهو يقول "يا لك من عنيد.."

دوى صوت طلقة رصاص واضحة من بين الأصوات المتعاقبة في الموقع، فرأى مینار في اللحظة ذاتها الدم ينبثق من جرح في صدر قادور قبل أن يسقط أرضاً بعنف.. لم يغفل رجال الأكاشي عن سقوط زعيمهم

وأحد الرجال يهب نحو الجندي صائحاً "أيها اللعين.."

وضرب رأس الجندي في اللحظة ذاتها التي أصابته فيها طلقة أخرى أسقطته بدوره جثة هامدة.. أما مينار، فقد هرع إلى قادور بقلق ليراه يلهث بألم شديد.. فأسرع يسحبه من ذراعيه للخلف مبتعداً عن الموقع قبل أن يقترب منه جندي آخر، ولما وصل به لموضع أكثر أمناً أسرع يتفحص جرحه محاولاً معرفة الضرر الذي أصابه وإن كان يهدد حياته بالفعل.. لكن قادور أمسك يده وهو يقول بعسر "جام.. لا تنسَ جام يا مينار.."

لم يرغب مينار بإخباره عن إصابة ججي، فقال مقطباً "هل توصيني بجام وهو بالنسبة إلي أقرب من ابن لي؟.."

ونفض قائلاً "سأبحث عن حصان قريب لأنقلك بعيداً.."

فقال قادور بهمس "لا فائدة.."

نظر له مينار بعبوس، فرآه يدير رأسه للمعركة التي استمرت على مبعده وهو يكرر بمرارة "لا فائدة..". لم يدرك مينار إن كان قادور يعني بذلك هربها من هذا الموقع أم يعني المعركة ذاتها التي لم تحسب بعد.. ثم رأى جنديان يقتربان منها ركضاً.. لم يكن أحدهما يملك بندقية، مما سهل على مينار أن يندفع نحوهما دون خوف وهو يغمغم بحقن "اللعنة على كل هذا.."

رفع سيفه وتلقى به سيف أحد الجنديين، فيما سارع لركل الجندي الآخر الذي حاول تجاوزه بأقوى ما يملك.. لم يكن التخلص من جندي سهلاً، فما بالك باثنين منهم؟.. ولم يكن وجود قادور القريب يجعل الأمور أكثر سهولة.. لكن سرعان ما وجد أن تبريق قد هجم على الجندي الثاني وضربه برمح عثر عليه في موقع قريب، فأصابه إصابة بالغة في ظهره أسقطته ميتاً، بينما تخلص مينار من الآخر بأسرع ما يمكنه وتفكيره منحصر بحالة قادور التي تزداد سوءاً بمرور اللحظات دون شك..

ولما تخلص مينار من هجوم الجنديين، عاد مسرعاً إلى قادور يتبعه تبريق الذي تساءل بقلق "هل الزعيم بخير؟.."

لكن مينار لم يجبه وهو يركع قرب قادور ويحدق في وجهه بصمت.. ولم يكن تبريق بحاجة لإجابة مع رؤية الموت الذي لاح بشدة على وجه قادور، لكنه مع ذلك أسرع يبحث عن أي نبض في صدره وهو يغمغم

"لابد أنه قد فقد الوعي.. ربما لو....."

قطع قوله بعد أن أدرك أن قلب قادور قد كف عن النبض بالفعل.. ساد الصمت حولهما لثوان حتى بدا أن أصوات المعركة لا تصل إليهما، ثم قال تبريق بصوت منفعل رغماً عنه "ما الذي نفعله الآن؟.."

غمغم مينار وهو يغمض عيني قادور "وما الذي يمكننا فعله بحق السماء؟.."

لم تكن المعركة الدائرة وسط المخيم قد هدأت أو أبدت أي بوادر لأن تنقضي، ففيما بقي رجال الأكاشي يقاتلون من يرونه من الجنود محاولين تفادي طلقات الرصاص المتطايرة، فإن أحد الرجال قد اقترب من مينار قائلاً بتوتر "المزيد من الجنود قادمون إلينا على ظهر القوارب.. إنهم ينزلون عند الشاطئ الآن.."

توقف الرجل مبهوراً وهو يرى ما حل بالزعيم، بينما التزم مينار الصمت وهو يفكر بكل ما يجري في هذه اللحظة.. لم يكن لديه أي شك فيما سيجري، فبقدم المزيد من الجنود ستسوء الأمور أكثر فأكثر بالنسبة للأكاشي.. ومع التعب البالغ الذي بدأ يصيب الرجال، ومع اقتراب تلك الفرقة الجديدة من الجنود ببنادقها وعزمها على ترجيح كفة الغلبة لهم، فإن المعركة قد أصبحت محسومة سلفاً.. والآن، مع موت قادور الذي يقلب الأمور، فإن مينار لم يسعه إلا أن يصيح بالرجال "تراجعوا يا رجال.. ابتعدوا قبل أن يصل المزيد من الجنود لهذا المكان.."

صاح أحد الرجال بحق "كيف نفرّ ونتخلى عن مخيمنا؟.. أتريد منا أن ننهزم؟.."

صاح مينار "بل أن تراجع، وشتان بين الإثنين.. لو بقيتم هنا لوقت أطول فسيقضي عليكم الجنود قبل أن يتحولوا للنساء والأطفال ويقتلوهم.. لو تشبثتم بعنادكم هذا، فستكون هذه آخر ليلة لقبيلة (أبناء الذئاب).."

نظر له الرجل بصمت مقطباً، فقال مينار "تراجعكم بشكل مشتت يعني أن الجنود سيملكون الفرصة للقضاء عليكم قبل أن تتعدوا.. اجمع عدداً من الرجال ليتمركزوا فوق التلة المطلة على المخيم.. وعندما يغادر الرجال بعدها، عليكم أن تطلقوا السهام بغزارة لتمنعوا الجنود من اللحاق بهم.. عليكم أن تمنعوا من استخدام البنادق مهما كلفكم الأمر.."

هز الرجل رأسه موافقاً، ثم اندفع لتنفيذ أمره بينما استدار مينار لتبريق القريب منه قائلاً "خذ رجلاً واحملوا الزعيم بعيداً عن هذا الموقع.."



قال تبريق بتوتر "لكنه قد....."

أسرع مینار یقول "هذا لا یعنی أن نترکه لتعبث به أيدي أعداؤنا.. لنبتعد به ثم ندفنه دفناً يليق به.."  
استدعى تبريق رجلاً، وتعاون الإثنان لحمل جسد قador متراجعين بخطوات سريعة خارج المخيم.. بينما وقف مینار ممسكاً سيفه بشدة وهو يراقب الأحداث التي لم تهدأ في المعسكر، حتى تأكد أن الرجال قد تمكنوا من التمرکز فوق التلة القريبة بتحفض.. عندها صاح مینار بمن في ساحة المخيم "ابتعدوا يا رجال.. تراجعوا بسرعة.. هناك مددٌ جديد من الجنود قادم نحوكم.."

توتر الأكاشي لقوله، ثم بدؤوا في التراجع بشيء من التخبط فيما اندفع مینار وسط المخيم محاولاً تخليص بقية الرجال من الجنود.. ضرب بسيفه كل من يطاله من الجنود يميناً ويساراً، وتلقى في الآن ذاته عدداً من الضربات القوية.. لكنه لم يتراجع وهو يرى رجال القبيلة يتراجعون راكضين بين الخيام نحو السهول القريبة.. وسرعان ما تبعهم مینار وهو يسمع أحد الجنود يصيح "أطلقوا النار.. امنعواهم من الهرب.."

بدأت الرصاصات تتطاير من حولهم، فأسرع مینار للدوران حول أقرب خيمة لتكون حاجزاً بينه وبين الجنود وهو يتبع الرجال حتى خرجوا من المخيم.. لم يكن أحد من الرجال يملك حصاناً ليهرب على ظهره، فاكثفوا بالهرب على الأقدام بينما أصوات الجنود تقترب منهم أكثر فأكثر.. وحالما غادر الأكاشي المخيم، تطايرت السهام بكثافة فأصابت عدداً من الجنود الذين لحقوا بهم قبل أن يتوارى الباقون خلف الخيام القريبة.. بدأ الجنود يبادلون الأكاشي إطلاق النار محاولين التخلص منهم فيما احتفى الأكاشي بالتلة القريبة، ولما هدأ كل شيء، تجرأ الجنود على مغادرة الموقع والدوران حول التلة ليكتشفوا أن تلك الجماعة من الأكاشي قد هربت بالفعل لاحقة بالبقية.. عندها قال أحد الجنود "هل نتبعهم؟.."

تقدم منهم القائد الذي يقودهم وهو يقول "لا.. ما فعلناه كافٍ حتى الآن.. هرب الأكاشي وحده أمرٌ يستحق الاحتفال.."

وأشار لمن حوله من الجنود صائحاً "هيا يا رجال.. سنقيم معسكرنا في هذا المخيم.. ومنتظر تعليمات أخرى من القادة.."

تراجع الجنود نحو المخيم الذي لا تزال النيران تشتعل وسطه، فيما بدت ملامح الفجر واضحة عند الأفق منهيّة ليلة طويلة ومفجعة بالنسبة لقبيلة (أبناء الذئاب)..

\*\*\*\*\*

هبت ججي جالسة فور استيقاظها دون أن تتخيل أنها لم تعد في ساحة المعركة.. بحثت يدها عن سيفها بشكل تلقائي وهي تتلفت حولها في الموقع المظلم الذي بدا لها مكتوماً بشدة.. ثم سمعت صوتاً خلفها يقول "أنت بخير يا ججي؟.."

لو لم تدرك ججي هوية المتحدث على الفور، لانقضت عليه دون أي تردد مع التوتر الذي تشعر به.. رأت كين يقترب منها وهي تسأله بقلق "ما الذي جرى؟.. هل هزمتنا الجنود؟.."

كانت بالكاد تتمكن من رؤية ملامح كين مع الظلام المهيمن عليهما، لكنها لمست الضيق في صوته وهو يقول "لا.. لقد اضطررنا للابتعاد مع الجرح الذي أصابك.."

صاحت بحدة "هل هربت بي من ساحة المعركة؟"

قال كين "لم يكن لي بدٌ من ذلك بعد أن سقطت فاقدة الوعي.. ولم أجد أحداً يمكنه الاعتناء بك مع انشغالهم بالجنود.."

لكنها لم تستمع لكلمة مما يقولها وهي تنهض قائلة "أين سيفي؟.. أين درعي؟.."

كانت آلام ظهرها لا تطاق، وقد أدركت أن الدماء تسيل شيئاً ما من تحت الأربطة التي أحاطت جسدها، لكنها تجاهلت كل هذا وتفكيرها يدور حول ما يجري في المخيم.. حاول كين إيقافها وهو يقول "لا يمكنك المساعدة بأي شكل مع جرحك هذا.. عليك اللجوء للراحة في الوقت الحالي.."

أبعدت يده وهي تصيح "أين أبي؟.."

قال كين وهو يقف محاولاً إمساك يدها "سيعودون فور انتهاء المعركة.. أما أنت....."

صاحت به بشدة "لا شأن لك بي.. لا يمكنني البقاء هنا وترك أبي في المخيم.. أين سيفي؟.."

سمعا في تلك اللحظة صياحاً ووعياً يصدر من جانب آخر من المكان الذي هما فيه، وقد رددت الجدران صده حتى بدا أعلى مما هو حقيقة.. فدفعت ججي كين بعيداً عنها وأسرعت بخطى متخبطة تتقدم نحو مصدر الصوت.. كان وجيب قلبها يتزايد بارتباك وذعر واضحين وهي تسمع الصوت يتعالى وقد أدركت

أنه يصدر من نساء قبيلتها.. تجاوزت ذلك الموقع الذي كان عبارة عن ممر صخري نحو نهايته لتدرك أنهم في قلب كهف عميق لا يتجاوز ارتفاعه قمة الرجل العادي.. وفي نهايته، وقرب المدخل الذي سمح لبعض الضوء من الفجر الوليد بالتسلل إليه، تمكنت من رؤية ما يجري بشيء من العسر.. كان أغلب نساء وأطفال القبيلة قد تجمعوا لاستقبال الرجال الذين عادوا من المعركة والدماء تغمر عدداً لا بأس به منهم، مثخين بجراحهم يهدهم التعب البالغ بعد ساعات قاسية مضت عليهم في قتال لا طائل من ورائه.. اندفعت ججي بينهم وهي ترى العويل يتمركز وسط تلك الجماعة، فدفعت من اعترض طريقها وهي تدور بعينها بحثاً عن أبيها.. لاحظت وجود مینار في جانب المكان وهو يجلس أرضاً بتعب والدماء تخضب كتفه وذراعه وجانباً من جسده.. ولما توغلت ججي أكثر من المجموعة رأت تينا التي سقطت أرضاً تنوح بصوت عالٍ.. لاحظت تبريق الذي وقف في موقع قريب بصمت، فمن الذي تبكيه تينا بهذه الحرقه إذاً؟..

ولما تجاوزت ججي من اعترض طريقها من النساء والرجال، رأت ذلك الجسد المسجى أرضاً والدماء تغرق صدره بغزارة.. بهتت ججي وهي ترى قادور الذي ارتمت عليه تينا وهي تبكي دون انقطاع، وبدا لها أنها ليست بحاجة للسؤال عما جرى له.. ورغم ذلك، فإنها هرعت إلى جسده وتلمسته بحثاً عن أي أثر لبقية حياة فيه.. وبينما وصل بقية أفراد القبيلة لآعين بصوت عالٍ ذلك الجيش العربي الذي فاجأهم بذلك الهجوم الغادر، فإن ججي لم تأس وهي تحاول سماع نبض في صدر أبيها أو نفس يتردد من أنفه.. لكنه كان ميتاً بالفعل، ميتاً كأشد ما يكون الموت..

ظلت ججي جالسة قرب جسد أبيها بصمت وهي تنظر له ودمعة حائرة في مقلتيها دون أن تجرؤ على ذرفها.. هي لم تعتد على البكاء، ولو كانت كذلك لبكت وانتحبت بصوت عالٍ نادبة فقداها لأب تحبه وتحترمه وتتبعه بكل إخلاص.. لكنها اكتفت بأن خفضت وجهها بصمت وهي تشد على قبضتيها محاولة منع دموعها من الانحدار على خديها..

وصل كين بعد بعض الوقت، فرأى جسد قادور ورأى ججي الشاحبة بشكل لا يدع له مجالاً للشك فيما جرى.. انتابته شفقة قوية عليها وهو يرى ملاحظها المذهولة والدموع العصبية على النزول في عينيها.. ثم رأى مینار الذي اقترب من ججي وركع قربها وهو ينظر لجسد قادور ولتينا القريبة والتي تبكي بالحاح،

لكنه لم يُبدِ أي جزع لما جرى له بل أشار لتبريق القريب ليعيد تينا عن هذا الموقع.. لم تمنع تينا وهي تبتعد برفقة تبريق دون أن تكف عن البكاء ودموعها تسيل على خديها بلا انقطاع، وصدمتها أشد بفقد والديها في ليلة واحدة.. بينما قلب مينار بصره فيمن حوله ملاحظاً انشغال أغلب الرجال بأنفسهم وجراحهم، قبل أن يلتفت إلى ججي الساهمة بدورها ويحدثها بصوت هامس ولهجة حازمة تبدت في ملامحه بوضوح..

ظلت ججي صامته وهي تستمع إليه بينما مينار يتحدث بصوت خفيض وإصرار دون أن يتبين كين كلمة مما يقوله.. لم يبدُ أن مينار يحاول تهدئة حزن ججي، ولم يبدُ أنه يسعى لتخفيف حزنها بكلماته، فما الذي يفعله بالضبط؟..

اقترب كين محاولاً الاستماع لما يقوله، ولمواساة ججي بدوره، عندما لاحظ ذلك الخنجر الذي دفعه مينار ليد ججي بحزم واضح.. نظرت ججي للخنجر بنظرة ذاهلة، فيما اتسعت عينا كين بدهشة لهذا التصرف، واقترب منها متسائلاً بدهشة "ما الذي تفعله يا مينار؟.."

لكن مينار تجاهله قائلاً لججي بصرامة "افعل ذلك الآن يا جام.."

قطب كين بتساؤل واستغراب، عندما رأى ججي توجه خنجرها بيد ترتجف إلى جسد قador الملقى أرضاً عند قدميها.. ودون تردد، كما بدا لعيني كين، بدأت بتمزيق ملابسه بسرعة لتكشف صدره الدامي بالجرح الكبير الذي يتوسطه.. لم تتوان ججي عن تمزيق جسد أبيها بسرعة مزيلة طبقات الجلد واللحم بحثاً عن تلك القطعة الصغيرة التي تستوطن الجهة اليسرى من صدره.. ورغم حركة يدها السريعة، فإن وجهها الصامت حمل ملامح صدمة ظاهرة وكأنها تستنكر ما تفعله بنفسها في جسد أبيها الذي لم يرد بعد.. لكنها لم تتوقف ومينار يحثها على إنجاز الأمر بأسرع ما تستطيع حتى استخرجت القلب الدامي الذي كف عن النبض بعد عقود طويلة وكفاح ممتد.. فهتف كين "مهلاً.. ما الذي تفعلينه؟.."

جذبت صيخته انتباه بقية الرجال الذين نظروا بدهشة لما يجري، بينما استمرت ججي في عملها دون توقف.. وبمشاعر متجمدة، ووسط صدمة كين وبقية الرجال لما تفعله، اقتطعت ججي أجزاء من القلب الدامي وابتلعته بصمت وسرعة دون أن يبدو على ملامحها أي انفعال.. دام الصمت في المكان لحظات قصيرة قضتها ججي في ابتلاع القلب الذي تحمله بيد، بينما تجمد رجال القبيلة مستنكرين ما يرونه وقد أعجزهم الذهول عن التدخل، وتجمد كين بهلع واضح لما تفعله ججي من تصرف أقل ما يطلق عليه أنه

وحشي وغير متحضر.. لكن متى عرف الأكاشي التحضر حقاً؟..

بعد أن أنهت ججي ما تفعله، نهضت وتقدمت من جمع الرجال الواقفين في الموقع، وبصوت مبحوح، حمل رجفة خفيفة، قالت "ها أنا ذا قد أتممت شرط الزعامة، وقد أصبحت زعيمكم.. عليكم إطاعتي والقسم بالولاء لي.. ومن يرفض، فسيعاقب كما تنصّ شرائع الأكاشي.."

لر يعلق أحد الرجال بكلمة وهم يحدقون بوجهها باستنكار واضح، بينما تقدم كين منها ولمس كتفها قائلاً بصدمة "ما الذي فعلته يا ججي؟.. أيمكن أن يصدر هذا التصرف منك أنت؟.."

لر يكذب يتم قوله وهو يرى ججي التي ترنحت في وقوفها صامتة، ولم يلبث جسدها أن تهاوى بسرعة وكين يتلقفها قبل أن تسقط أرضاً هاتفاً "ججي.. ما الذي جرى لك؟.."

لكن نظرة لوجهها جعلته يدرك أنها قد فقدت الوعي بالفعل، وإن لاحظ على تلك الدموع التي سالت على خديها ممتزجة بالدماء التي غمرت فمها وفكها بمنظر بشع.. ومن الهمهمات المستنكرة والتي امتزجت بغضب واضح من الجموع حولها، أدرك كين أن هذه الساعة لن تنتهي على خير..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثالث عشر {الزعيم}

تجمد الموقف بشكل كامل في تلك اللحظة التي أشرقت فيها شمس ذلك اليوم.. فبعد ليلة قاسية وطويلة خاض فيها الرجال قتالاً غير متكافئ مع جيش الملك العربي، وبعد أن قتل العديد منهم ونجا من نجا منهم مشخناً بجراحه، وبعد أن اضطرت القبيلة كاملة للجلاء عن مخيمها واللجوء للكهوف القريبة دون أي طعام أو ماء أو غطاء يقيهم برد ذلك الشتاء، اكتملت صدمة القبيلة برؤية ججي بفكها الذي غرق بدماء أبيها، وب نظرة عينيها الزائغتين، وبصوتها المرتجف الذي يعلن أنها قد أصبحت زعيماً للقبيلة خلفاً لقادور.. تجاوز كين صدمته الكبيرة لما رآه بصعوبة، وحلّ محله توجس كبير وهو يمسك ججي التي فقدت الوعي، بينما تعالت همهمة ساخطة من الرجال القرييين قبل أن يقول أحدهم بصوت واضح "ما الذي تظن تلك المجنونة أنها فاعلة؟.."

علق آخر "أمن المفترض أن تصبح زعيمة هذه القبيلة؟.."

أسرع آخر يقول باستنكار "هذا مستحيل.. الأكاشي لا يخضعون لامرأة.."

فقال مينار الذي اقترب ووقف قرب كين وججي "المفترض أن جام قد أصبح زعيماً لهذه القبيلة بعد التهامه لقلب قادور.. فما الذي يمنع خضوعكم له؟.."

قال أحد الرجال بسخط "لكنها امرأة.."

علق مينار قائلاً "أنت تعلم أنها ليست أقل رجولة من أي شخص منكم.. وقد هيأها قادور لتصبح زعيمة بعده منذ أمد بعيد.."

ظل كين ينظر لمينار بدهشة وصدمة لما يسمعه، لكن بإشارة من مينار، حمل كين ججي على ظهره وابتعد بها عائداً للموقع الذي وضعها فيه عندما أحضرها للكهف لأول مرة.. كان يتعمد الابتعاد عن موقع الرجال قدر استطاعته، كي يقيها بعيدة عن أيديهم وعن بطشهم بعد كل ما جرى.. وفي الآن ذاته كان يسمع صياح أحد الرجال الذي قال بحنق "أنت تعلم أن الزعامة لا تنتقل باختيار الزعيم السابق وليست ورثاً يورثها لأبنائه.. وبالتأكيد ليس لبناته.."

فقال مينار "لقد أراد قادور ذلك، وهذا ما حدث.. فلم الاعتراض الآن؟.."  
 قال أحد كبار السن "مينار، أنت مقتنع بما تفعله؟.. لمَ دفعت الفتاة لما فعلته ولمَ تحاول استلاب الزعامة لنفسك؟.. لو فعلت هذا، لكننا أكثر تقبلاً لزعامتك ولتبعناك بإخلاص.. أما هذه....."  
 فقال مينار "لمَ تصرّون على معاملتها كفتاة الآن؟.. لمَ لمَ يجروا أحدكم على التذمر بصوت واضح أمام قادور سابقاً؟.. لمَ خضعتم لما فرضه عليكم ولمَ تمتلكوا الجرأة على انتقاد تصرفه إلا بعد موته؟.."  
 قال أحد الرجال بسخط "لقد كنا صامتين لأننا أدركنا أنها مجرد هذيان من رجلٍ قد بلغ من العمر أرذله.. لكن بعد موته فقد بدأ الأمر يتجاوز حدود المقبول وأصبح يهدد أمننا ويجعلنا سخرية لقبية القبائل.."  
 لوح مينار بيده قائلاً "يهدد أمنكم؟.. وأي أمان تخشون عليه بعد كل ما جرى؟.. لقد قاتل جام أفضل من أي رجل منكم البارحة، ولم يلجأ للهرب حتى بعد إصابته العميقة.. فما الذي يجعلكم موقنين أن وجوده سيجعل أمنكم مهدداً؟.."

قال رجل بحنق "ستهجم علينا القبائل الأخرى محاولة فرض سيطرتها علينا.. فما دمنا قد رضينا بتولية امرأة علينا فهذا يشي بضعفنا وخنوعنا مما يجعلنا مطمعاً سائغاً لأي عدو.."  
 فقال مينار "لمَ يعد لنا أمانٌ بعد أن سلب منا نخيمنا وطردهنا منه شرّ طرده.. فلنترك الخلاف بيننا ولنصبّ اهتمامنا بهذا العدو الذي احتلّ بلادنا دون خوفٍ منا أو وجل.."  
 صاح رجل بغضب "لا يمكننا الصمت على هذا مهما حاولت إقناعنا.."

دار مينار ببصره بينهم والتهافتات الغاضبة تتعالى من الرجال حوله، عندها قال بازدراء "طبعاً.. فأنتم الأكاشي الهمجيون الذين لا يعرفون العقل ولا التعقل.. إن كل ما يشاع عنكم لا يخالف الواقع بتاتاً"  
 قال أقرب الرجال إليه بحنق "أتسخر منا يا مينار؟.."

قال مينار بحزم "بل أقرر واقعاً أراه أمامي.. العدو قد استولى على كل ما نملك، وكبّدنا خسائر لا يمكن أن نحصيها، ومع ذلك نجد الوقت الكافي للجدال فيما بيننا عن أحقية جام للزعامة ونتهدهده ومن يواليه بالقتل.. أهذا يدلّكم على أي تعقل؟.."

فقال أحد الرجال باستياء "لمَ يكن هذا ليحدث لو لمَ توسوس لجام بفعل ما فعله.."  
 عندها قال مينار "ما حدث قد حدث.. على الأقل، كفوا عن العراك ليلية واحدة والتفتوا لجر حاكم وأنعوا

موتاكم.. وغداً لكل حادث حديث.."

تبادل الرجال النظرات الحانقة بصمت، ورغم ذلك تيقن مینار أن هذا الجدل قد أرجى لوقت آخر، وأصبحت ججي في مأمن من غدرهم ولو لليلة واحدة..

في تلك الأثناء، وبعد وصول كين لموقع منبسط وسط الكهف، وضع ججي على الأرض القاسية دون أن يجد ما يفرشه تحتها.. وجد أنها لا تزال تحتفظ بالخنجر الذي ناولها إياه مینار، فحاول انتزاعه من قبضتها ليجد أن أصابعها متشبثة به بقوة بشكل أثار دهشته.. نظر كين لوجه ججي الذي بدا عابساً بالمر شديد، وإن كان يدرك أن هذا لم يكن بسبب الجرح الذي أصابها سابقاً.. فغمره إشفاق شديد عليها وهو يمسح الدماء عن وجهها بينما تعالی صياح الرجال الغاضب من وسط المخيم..

نظر كين خلفه لموضع تجمع الرجال الغاضب بقلق ثم عاد ببصره إلى ججي التي لم تستفق من غيبوبتها بعد.. فزفر هامساً "ما الذي حدا بك لفعل ما فعلته يا ججي؟.. كيف يمكنك أن تتصرفي بهذه الوحشية كما يفعل بقية الأكاشي؟.. ولكن..... أنت من الأكاشي بالفعل.."

تنهد وهو يتأمل ملامحها الصامته، ثم بحث عن سيفه الذي كان قريباً وشد عليه بيده بإحكام.. لو لم يتمكن مینار من تخفيف غضب رجال القبيلة، فقد يحاول أحدهم قتل ججي ليستلب الزعامة لنفسه.. لكنه لن يسمح لأحدهم بذلك.. لن يسمح لهم بلمس شعرة من رأسها ولا الاقتراب منها بأي نوايا عدوانية.. تأمل وجهها ملاحظاً الشحوب البادي عليه، وزفر وهو بدهشة وصدمة لما رآها عليه في تلك اللحظات..

رغم كل ما شهدته من ججي طوال السنوات الماضية، لكنه لم يتوقع تصرفاً مثل هذا الذي قامت به دون تردد.. والأسوأ أنها فعلت ما فعلته بأبيها الذي كان يدرك مقدار المحبة والاحترام الذي تحمله له، والإعجاب الذي تكنه له في قلبها.. ألهذا الحد يشغلها أمر حصولها على الزعامة بحيث تغض البصر عن الوسيلة التي عليها اتخاذها للوصول إليها؟.. أم أن هذا كان بإيعاز من مینار ولم يكن من ضمن خطط ججي سابقاً؟.. هو لا يذكر أنها تحدثت عن الزعامة وعن رغبتها بالوصول إليها.. بل إنها لم تكن تقبل بفكرة موت قادر وتغير زعيم القبيلة قط.. فكيف تغير كل ذلك بلحظة واحدة؟..

ما الذي سيقوله قادر لو عرف أن قلبه سيكون من نصيب ابنته التي لم تتردد في التهامه ولو لثانية واحدة؟.. ابنته التي رعاها واهتم بتدريبها ورفع منزلتها وسط هذه القبيلة، لم تتمهل للحظة حداداً على



موت هذا الأب بل سارت في طريق تحقيق طموحاتها غير آبهة بكل ما جرى..

\*\*\*\*\*

بعد انقضاء ساعة على الصياح الذي تعالَى في الجانب الآخر من الكهف، هدأت الأصوات فجأة وساد الصمت بحيث زاد قلق كين أكثر فأكثر.. كان كل ما يجري هنا يثير توجسه، وهذا الهدوء قد لا يكون بشارة خير لما قد يحدث لججي.. لكنه بدلاً من رؤية رجال القبيلة، رأى تينا التي وقفت قربها بعينين حمراوين وشففتين مرتجفتين.. نظرت لكين ولججي بصمت، ثم تقدمت حتى انهارت جالسة قرب ججي التي لم تستفق من غيبوبتها بعد.. عندها غمغم كين قاطعاً الصمت "تبدین متعبة يا تينا.. لم لا تلجئین لبعض....."

قطع قوله وهو يراها تميل على ججي وتقبض على عنقها بيديها بقوة وهي تتنفس بحدة وانفعال.. هب كين نحو تينا وجذب ذراعها وهو يهتف "ما الذي تفعلينه؟.. توقفي.."

كانت تينا تضغط على عنق ججي بأقوى ما تملك، وبدأ الاحتقان يبدو على وجه ججي فيما دمدمت تينا بصوت مرتجف "كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟.. أهذا كل ما يهملك؟.. بدل البكاء على أمك وأبيك، تندفعين لاقتناص الفرصة لنفسك حتى لو عنى ذلك أن تلتهمي قلب أبيك؟.."

جذب كين ذراعها بقوة ودفعها خلفاً وهو يصيح "ما الذي تفعلينه يا تينا؟.. هل فقدت عقلك؟"

صاحت بغضب "هي السبب فيما أنا فيه من تعاسة.. هي السبب وقد فضلت أن تجاري الرجال في قتالهم متجاهلة أمها التي ماتت دفاعاً عني.. هي السبب وهي التي لم تكن موجودة لتحمي أبيها.. كيف يمكنني أن أقبل بأختٍ تلتهم جسد أبيها فور موته؟.. إنها أبشع من أي رجل عرفته من الأكاشي.."

قال كين بحدة "هذا هراء.. أنت تريدين أن تلومي ججي لأي شيء بدالك.. لقد حاولت ججي الدفاع عن المخيم وأنقذت الكثيرين أثناء القصف.. لم تلجأ للهرب كبقية النسوة وفضلت أن تقا تل رغم أن ذلك قد يعني موتها.. التزمت بأوامر قادور ولم تغادر إلا بعد أن أصيبت وفقدت الوعي.. والآن، لم تفعل ما فعلته إلا بإيعاز من مينار.."

صاحت تينا "ولمَ قد يفعل مينار ذلك؟.. لمَ دفع ججي لفعلٍ قبيحٍ مثل هذا؟"

سمعا صوت مينار من خلفهما يقول "هذه كانت وصية قادور.. ولم يكن أمامي خياراً إلا بتنفيذها.."

التفتا إلى مينار الذي اقترب منهما بتعب بالغ بعد أن قام أحد الرجال بتضميد جراحه كيفما اتفق.. فجلس قرب ججي يطمئن عليها بينما قالت تينا بصوت مرتجف "لا يمكن ذلك.. لا أصدق أن أبي قد يسعى لهذا حتى لو كان ذلك بعد موته.."

فقال مينار "لكن هذا ما حدث.. فلو كان هناك من يجب لومه، فهو قادور وليس جام.."

ظلت تينا تحديق بوجهه بصدمة، بينما قال كين بحدة "وهل يسعد قادور بفكرة أن ابنته ستلتهم قلبه وتصبح زعيمة القبيلة؟.. أكان يسعى لأن تلقى حتفها بأسوأ وسيلة ممكنة على يد رجاله؟.. لو أنه أمر بقتلها لكان ذلك أهون مما اضطرها لفعله ولما ستلاقيه في الأيام القادمة.."

غمغم مينار "كشميتي مثلك لن يفهم ذلك أبداً.."

قال كين باعتراض "كيف تريد مني أن أفهم أمراً كهذا؟.. لا يمكن لججي أن تنجح في هذا مهما حاولت.. قد تكون أقوى من الشباب ممن يياثلونها في العمر، لكنها لن تكون أقوى من الرجال الأكبر سناً والأكثر خبرة منها.. مبارزة واحدة مع أحدهم ستفقد حياتها في لحظات قصيرة.."

زفر مينار قائلاً "لا ألومك على هذا.. لقد كان هذا رأيي بالفعل عندما صارحني قادور بالفكرة.. كنت مقتنعاً أن هذا محض جنون.. ولك أن تتخيل رد فعل قادور عندما صرحت له بذلك.."

عاد مينار بذاكرته لإحدى الليالي عندما اجتمع به قادور منفردين في جانب المخيم ليطلععه على قراره بدفع ججي لاستلام الزعامة لو قضى نحبه على يد أحد أعدائه.. عندها لم يملك مينار أن يقول باستنكار "هذا جنون يا قادور.. لقد كانت فكرتك بتحويل ججي إلى رجل وإعلانها ابناً لك مسلية في البدء، وهي قد أتت ثمارها بالفعل.. لكن أن تجعلها زعيمة من بعدك، فهذا ما سيودي بحياتها بالفعل حالما تتجرأ على فعل ذلك.."

حدجه قادور بنظرة غاضبة وهو يقول "أظننتني استدعيتك لأخذ رأيك يا مينار؟"

قال مينار دون أن تخيفه نظرة الغضب تلك "لا.. أنا أدرك أنك لا تستشيرني في أي أمر يخص جام.. لكن، أريد أن أفهم دوافعك لتصرفٍ خطير كهذا.."

زفر قادور وصمت للحظات، ثم قال "لقد كانت تلك مجرد فكرة بالفعل.. عندما مات سيجان، شعرت بالدنيا تظلم أمام عيني.. شعرت أنني وحيدٌ ومنقطع بين الأকাশي.. لم أكن بمزاجٍ كافٍ للبحث عن زوجة جديدة تمنحني ذلك الابن وأن أنتظره حتى يكبر ويشتد ساعده.. شعرت أنني أصبحت كبير السن على هذا الأمر، وزادني همًّا أمر ذلك الملك العربي الذي يستهدف سهولنا بشكل واضح مع تهاون الأكاشي في البحث عن وسيلة لصدّه.. تخيلت سخرية الزعماء مني، وأنا الزعيم الذي لا أملك أبناءً يشتد بهم ساعدي وتقوى بهم عزيمتي.. وضائق عليّ نفسي حتى كدت أموت من الغم.. حتى رأيت ججي ترتدي خوذة سيجان وتمسك سيفه الذي يفوقها طولاً.."

صمت مينار مستمعاً لقادور الذي أضاف "كانت فكرة مجنونة بالفعل، كما أكدي الجميع.. لكنني رأيت أن الفرصة مناسبة لأخرس جميع الزعماء قبل أن يسخروا مني بالفعل.. ماذا لو أنني، وأنا الذي لا أملك ابناً أفخر به، أستطيع أن أجعل ابنتي أفضل من جميع أبنائهم؟.. أن تكون ابنتي هي الأقوى، والأمهر، والأذكى بينهم؟.. أئن يجعلهم هذا ينجلون من معايير بنياتي وأنا لا أملك إلا هن؟.."

غمغم مينار بغير اقتناع "هذا ليس مقنعاً.."

فقال قادور "ليس مقنعاً لك الآن، لكنه كان مقنعاً لي وقتها.."

عندها علق مينار "ربها.. لكن هذا لا يبرر سعيك لجعلها زعيمة لقبيلتنا.. هذا يفوق الجنون بالفعل.."

زفر قادور من جديد وهو يتأمل المخيم الذي يرتمي عند قدميها حيث جلسا على إحدى التلال العالية، ثم قال "بعد أن شهدت سعي ججي الحثيث لتحقيق ما صبوتُ إليه، وبعد رؤيتي لمثابرتها وذكائها الملحوظين، بدأت الفكرة تبدو أكثر واقعية مما قد تظن.. بجعلها الزعيم من بعدي، لو أصابني مكروه لأي سبب من الأسباب، ستكون ججي أكثر أمناً مما لو كانت مجرد فرد من هذه القبيلة.. بعد أن أفضي نحبي، لن يتردد الزعيم القادم في التخلص منها ومن العار الذي يجلبه وجودها في هذه القبيلة.. لكن بكونها زعيماً للقبيلة، ستكون بأمان جزئي حتى تتمكن من أن تثبت وجودها للقبيلة كلها، ولا أشك بأنها ستتمكن من ذلك.."

ثم ابتسم ابتسامة جانبية معلقاً "وبكونها زعيماً للأكاشي، ستكون هذه هي ضحكتي الأخيرة في وجوه كل من جرؤ على السخرية مني ومما حاولت تحقيقه عبرها.."

نظر له مينار بغير تصديق، ثم قال "أنت واعٍ لما تقوله يا قادور؟.. تريد أن ترمي ابنتك في النار لكي تثبت

أنها قادرة على النجاة منها؟.. أنت تريد لها أن تتبعك فور موتك بالفعل.. وهذا ما سيجري في اللحظة التي تحاول فيها اقتناص الزعامة لنفسها.."

ثم أضاف بضيق "لا يمكنك أن تطلب من ابنتك أن تنهض لتولي الزعامة في لحظة دون إعداد.. هذا سيسبب لها صدمة شديدة وستستنكر ذلك بالتأكيد.."

فقال قador "من قال إنني لا أفعل ذلك؟.. أنا أعدها للزعامة بالفعل، لكن بشكل تدريجي وغير مباشر.. لو طلبت منها أن تلتهم قلبي عند موتي وتتولى الزعامة من بعدي، فلا بد أن يصيبها ذلك بالذعر.."

قال مینار بحنق "هذا لا يكفي.."

قال قador وهو ينظر له بثبات "ألن تعاونها لو كنت موجوداً؟"

نظر له مینار مقطباً، ثم قال "لو لم أكن جزءاً من مخططك هذا منذ البدء، ولو لم أعرف ججي حق المعرفة وأكن طرفاً من صراعها لنيل ما نالته، لكنت أنا المبادر في قطع عنقها بالفعل.."

فقال قador بابتسامة جانبية "وهل ستفعل؟"

زفر مینار وهو ينهض ويغادر تاركاً قador وحده غارقاً في خطته التي يعدها الجميع جنوناً يفوق الخيال.. فكان تعليق كين على ما ذكره مینار من ذلك الحديث "ولماذا قمت بتنفيذ مخططه ذلك مادمت تعده جنوناً بالفعل؟.. هل كنت تريد لججي أن تفقد حياتها حقاً؟"

نظر له مینار باستياء وأجاب "بل أردت رؤية ما طمح له قador.. الأكاشي يكرهون التغيير كراهية عارمة، لذلك كان من المثير للضحك رؤية انفعالهم لمثل هذا التغيير الصارخ الذي قد يؤدي لقلب الكثير من الأمور الخاصة بالمرأة في عالمنا.. من المثير للضحك رؤية هلع الرجال لما قد تصل إليه المرأة لو كانت تتحلل ببعض العزم، ومداراتهم لذلك الهلع بالغضب والقسوة في المعاملة بشكل مفضوح تماماً.."

فقال كين بغير تصديق "كلاهما قد أصابه الجنون بشكل تام.."

علق مینار قائلاً "ربما.. لكنه تغيير نحو الأفضل دون شك.. ليس لججي فقط.. ولا لنساء الأكاشي.. بل لرجالهم أيضاً.."

ونظر لكين مضيفاً "قد لا يبدو هذا التغيير بوضوح.. لكن مع الأيام والسنوات القادمة، يمكننا أن نأمل أن يغير هذا شيئاً في الأكاشي أنفسهم دون أن يملكوا الاعتراض على ذلك.."

عاد كين يغمغم باستنكار "هذا جنون تام.."

لم يعلق مینار علی هذا القول، بينما غمغمت تینا بصدمة "كيف يمكن أن يصل التفكير بأبي لهذا الأمر؟.. أهذه الدرجة هو يسعى لرفع ججي فوق مستوى الجميع؟.. أهذه الدرجة هي مفضلة عنده؟.. ما الذي فعلته لتتال تلك الحظوة؟.."

نظر لها مینار بشيء من الإشفاق وقال "أنا أعترف أن قادور لم يكن منصفاً معك ومع ستينا بأي شكل من الأشكال.. لكنه، بخلاف رأيه في المرأة عامة، يتمتع برجاحة عقل تمكنت من تثبيته كزعيم لهذه القبيلة لعقودٍ طوال.. ولا نملك إزاء قراراته تلك إلا أن نرى توابعها، ونأمل ألا يكون مخطئاً هذه المرة.."

لم تعلق تینا وهي تحديق بوجه ججي التي لم تستفق من غيبوبتها، ثم نهضت ودفعت نفسها دفعاً للابتعاد عن ذلك الموقع دون أن تلقي علی شقيقتها نظرة أخرى.. فنظر مینار إلى كين قائلاً "علی أهدنا أن يبقى معها في الساعات القادمة، فلا يمكننا تركها لانتقام بقية رجال القبيلة.."

قال كين "سأبقى أنا.. أنت بحاجة لبعض الراحة بعد أحداث الليلة الماضية.. رغم أني لا أعرف كيف يمكنك الراحة في مثل هذا الكهف البارد والقاسي.."

ربت مینار علی كتفه، ثم ابتعد بصمت فيما بقي كين جالساً قرب ججي وهو يزر بحدةً محتفظاً بسيفه قرب يده بتحفظ تام.. ولا تزال صدمته لما رآه من تصرف ججي تعجزه عن تصديق ذلك بشكل تام.. وكأن ما جرى كان جزءاً من هلوسة مرت عليه في لحظة ضعف، لا واقعاً رآه بأمر عينيه بكل قساوة توحى بها طبيعة الأكاشي أنفسهم..

\*\*\*\*\*

مع انقضاء ساعات ذلك النهار، كان الوضع في الكهوف التي توزع فيها أفراد القبيلة أسوأ ما يمكن.. كان البرد يزداد شدة مع مرور الساعات ومع الغيوم التي هيمنت علی السماء، وللعجب بدأت ندف الثلج في الهطول بشيء من الكثافة رغم أن ذلك حدثٌ نادرٌ ولا يتكرر بشكل سنوي في هذا الجزء من السهول.. ولكن بدا أن كل الأمور قد تضافرت لجعل حياة أفراد القبيلة أسوأ مع البرد القارس وغياب أي وسائل

للتدفئة إلا النيران التي أشعلت في أكثر من موقع، كما كان شحة الطعام والقليل من الماء الذي عثروا عليه في جانب أحد الكهوف عاملاً مساعداً في إنهاك القبيلة أكثر فأكثر..

وفي ذلك الوقت، لم تكن ججي أفضل مما سبق.. كانت الحمى ترجف جسدها رجفاً، والعرق يتصبب من وجهها الذي احمر بشدة حتى أصبح مقارباً لشعرها الأحمر في اللون، بينما شفتاها الجافتان تتحركان بين وقت وآخر في هذيان هامس لا يكاد يفهم كين منه كلمة..

ولما اقتربت تينا من ذلك الموقع، فإنها ألقت نظرة على كين الذي جلس جانباً والذي تحفز شيئاً ما لاقتراحها.. فغمغمت بضيق "لا تقلق.. لن أحاول تكرار ما فعلته صباحاً.."

بدت الراحة على وجه كين لقولها ذلك، عندها قالت تينا مبررة أفعالها التي تراها الآن لا تقل وحشية عما فعلته ججي "لقد كنت على وشك الانهيار لكل ما رأيته البارحة، وللصدمة التي أصابتنى لكل من فقدته.. لكنني لا يمكن أن أقتل شقيقتي وهي فاقدة للوعي حقاً.. لستُ بتلك الخسنة أبداً.."

فقال كين بهدوء "أنا أدرك أنك لست كذلك.."

ألقت نظرة على وجهه الذي بدا متعباً بشدة وقالت "أنت بحاجة لبعض الراحة.. تبدو منهكاً.."

علق كين "وأنت كذلك.. تبدين متعبة.."

أدارت تينا وجهها متورماً من البكاء بعيداً عن نظرات كين.. فمع بكائها لمقتل أبيها وأمها في ليلة واحدة، ولما حلّ بالمخيم، ومع صدمتها لما ارتكبته ججي، فإن تينا قضت أوقاتها ودموعها لا تكاد تجف وحزنها لا يكاد يهدأ..

نظرت لوجه ججي وهمست "كيف تمكنت ججي من القيام بتصرف وحشي كهذا؟.. كيف استطاعت أن

تفعل هذا بأبينا دوناً عن الآخرين؟.. كيف أمكنها أن تكون جامدة المشاعر بهذه الطريقة؟.."

علق كين وهو يراقب ججي المستمرة في غيبوبتها وهذيانها "أتظنين أنها جامدة المشاعر حقاً؟.. هذه الحمى

وهذا الهذيان ليسا بسبب الجرح الذي أصابها، فهو ليس ملتعباً.."

نظرت له تينا بدهشة، فأضاف "لو انتبهت لهذيانها، لأدركت ما أعني.."

نظرت تينا لججي بدهشة، وأنصت لهذيانها الهامس محاولة التدقيق في كلماتها، لكنها لم تفهم كلمة مما

تقوله.. ثم، من بين هذيانها المبهم، استطاعت أن تسمعها تكرر بنبرة متألّمة "سامحني..... سامحني....."

قربت تينا أذنها من فم ججي لتسمعها تقول بهمس مبحوح ونبرة متهدجة "ساعني يا أبي.. ساعني يا أبي.."

أبعدت تينا وجهها وهي تخفضه ودموعها تعود للانحدار على خديها.. كان كل ما جرى الليلة الماضية مؤلماً، وزادتها كلمات ججي إيلاً ما وتعاسة.. لم تكره تينا الأكاشي يوماً كما كرهتهم في الأيام الأخيرة، وكرهت تلك الحياة التي تسير بالحروب والمعارك ولا يتم فضّ خلافاتها إلا بالسيف وحده.. وبصمت، نهضت تينا وغادرت تاركة كين قرب ججي.. لم تكن تملك ما تفعله مع ججي، ولم تكن تطيق البقاء معها لوقت طويل ومشاعر الغضب والإشفاق يتناهبانها تجاه أختها التي فاجأتها بشكل لم تتصوره قط..

وفي وقت متأخر من ذلك اليوم، عاد مينار إلى موقعها واقترب من ججي ليجد أنها لا تزال في غيبوبة الحمى العميقة، بينما لاحظ وجود كين الذي جلس جانباً محتفظاً بسيفه قريباً وهو يرمق مينار بصمت، وإن بدا بأسوأ حالٍ ممكن.. فقال مينار "كيف هو جام؟.. ألم يستفق منذ الصباح؟.."

هز كين رأسه نفيّاً بصمت، فعلق مينار "وماذا عنك؟.. ألم تحصل على أي راحة؟.."

قال كين بضيق "وكيف يمكنني ذلك؟.."

فقال مينار "ما رأيك بأن تحظى ببضع ساعات من النوم العميق؟.. ستكون الأمور كلها على ما يرام.."

نظر كين لمينار ليرى إن كان يمزح أم أنه جاد، ثم قال بضيق "كيف تتوقع مني ذلك بعد كل ما جرى؟.."

أضمن لي أن رجال القبيلة لن يقتلوا ججي خلال تلك الساعات؟.."

أجاب مينار "يمكنني أن أضمن ذلك نوعاً ما.."

نظر له كين بعدم فهم، فشرح له مينار الأمر قائلاً "هناك اتفاق ضمني بين رجال القبائل على ألا يطيح رجال قبيلة بزعيم جديد قبل مرور ثلاث أشهر على الأقل.. مهما رغب الآخرون بفعل ذلك، فعليهم الانتظار لثلاثة أشهر قبل المحاولة، وخلاها يمكن للزعيم الجديد أن يحاول اكتساب ولائهم وطاعتهم ويستميلهم ليصبحوا من رجاله.. بخلاف ذلك يصبح الأمر فوضى لا يمكن التحكم بها.."

تساءل كين بشك "وهل وافق رجال القبيلة على منح ججي هذه المهلة؟.."

أجاب مينار "لقد تمكنت من إقناعهم بذلك في الوقت الحالي، وهم لا يجروون على كسر أي اتفاق خاص

بالقبيلة لئلا يصبح وصمة عار في سمعتهم بين بقية القبائل.."

زفر كين بشيء من الراحة لهذا وهو مدرك أن ججي بأمان جزئي الآن، ثم قال لمينار بحنق شديد "لكنني لا زلت أشعر بالحنق والصدمة لكل ما جرى.. لمَ دفعت ججي لتفعل ما فعلته؟.. كان يكفيها ما حققته حتى الآن، ويكفيها ما أصبحت عليه.. إنها مجرد ظل مشوه لرجل، وهي أنثى بالإسم فقط.. ألم يكف كل هذا لتسعى لتدميرها بوضعها في مصب غضب القبيلة كاملة؟.."

نظر مينار لكين بنظرة حادة مضيئاً "لو كنت تراها مجرد نسخة مشوهة وظلاً لرجل، فأنت لا تستحق أن تكون جوارها في هذه اللحظات.."

احتقن وجه كين لتأنيب مينار، ثم أدار وجهه جانباً وهمس "آسف.. لم أملك حذتي تلك مع التعب والصدمة التي شعرت بها في الساعات الماضية.. لا يمكنني أن ألومك لما حدث، فهي، في النهاية، قد اختارت تنفيذ ما طلبته منها بملء إرادتها.."

عندها قال مينار "ارحل واحصل على بعض الراحة قرب النار.. سأستدعي تينا أو إحدى النسوة للعناية بجم أثناء ذلك.."

فقال كين "لا.. سأرحل إن وعدتني أن تبقى أنت لحمايتها، ولن أرضى بأي بديل عنك.."

صمت مينار للحظة متأملاً وجه ججي، ثم قال "لا بأس.. لا أملك ما يشغلني في الوقت الحالي.."

عندها نهض كين متوكئاً على سيفه، واقترب من ججي يطمئن عليها ويلمس جبينها بيده ليتأكد أن الحمى قد أصبحت أقل من السابق، ثم زفر ونهض قائلاً "أرجوك أن تحافظ على حياتها يا مينار.."

علق مينار "يمكنني حمايتها من غدر رجال القبيلة، لكن لا سلطة لي على هذا المرض.. لذلك لا تتوقع الكثير مني.."

لم يعلق كين وهو يرحل بخطوات متعبة، ولما غاب عن الموقع جلس مينار قريباً من ججي بصمت يتأملها عاقداً ذراعيه على صدره.. ورغم كلماته المطمئنة التي حاول إقناع كين بها، فإنه في الحقيقة لا يأمن على حياة ججي من غدر بقية الرجال.. فما ينطبق على أي زعيم جديد للقبيلة لا ينطبق على ججي لأنها تخالف أول شرط للزعامة، وهو أن تكون رجلاً.. ورغم أن رجال القبيلة قد اضطروا المسيرة قادور في لعبته طوال السنوات الماضية، لكنهم لا يجدون داعياً لذلك الآن بعد موته.. ولذلك، احتفظ مينار بسيفه أمامه قريباً



من تناول يده، وجلس بصمت حتى يتمكن كين من الحصول على ما يكفيه من راحة..

\*\*\*\*\*

لم تمضِ ساعات قلائل من تلك الليلة حتى وجد مينار أن كين قد عاد إليه.. كان وجهه يبدو أقل تعباً وإعياءً من السابق، لكنه لم يستعد قواه بشكل تام.. فتساءل مينار "ما الذي جاء بك الآن؟.. كان بإمكانك أن تحظى بالراحة لوقت أطول.."

غمغم كين وهو يجلس قريباً "لم أتمكن من ذلك والهواجس تتناهني بما قد يحدث لججي أثناء نومي.."  
فقال مينار بابتسامة "ألا تثق بي حقاً؟.."

لم يعلق كين وهو يناول مينار بعض اللحم المشوي قائلاً "لقد تمكن الرجال من اصطياد بعض الطرائد، ولو أن الأمر صعبٌ بدون خيول.. لذلك لم يحصل أي فرد من القبيلة على أكثر من هذا.."

تساءل مينار "ألم يعثروا على الماشية والخيول بعد؟"

أجاب كين "لقد انطلق اثنان مع الحصان الذي عثرتُ عليه وحيداً في المخيم.. وهما يبحثان عن الخيول والماشية منذ الصباح دون فائدة.. لكن لنأمل خيراً.."

سادهما الصمت لبعض الوقت، ثم تساءل كين بخفوت "ما الذي سيجري الآن؟.."

أجاب مينار "على جام أن يثبت نفسه كزعيم لهذه القبيلة.. وعندما ينال موافقة الرجال، علينا عندها أن نخطط لاسترداد مخيمنا وكرامتنا المهدورة.. لا يمكننا أن ننزوي في هذه الكهوف كالفئران لوقت طويل.."

غمغم كين "كلا الأمران صعبٌ وعسير.. ولا أدري كيف يمكننا تحقيقهما بالفعل.."

بعد رحيل مينار، جلس كين بصمت في موقعه المعتاد قرب ججي وهو يتأملها غارقاً في أفكاره.. ما يزال قادور يلعب بحياة ججي حتى بعد موته، وما زال يطوّحها في الاتجاه الذي يشاؤه دون اعتبار لما قد يكون الأفضل لها أو ما قد ترغب به حقاً.. لكن كيف استسلمت ججي لهذا الأمر بهذه السرعة؟.. إنها لم تتردد ولو للحظة في تنفيذ ما طلبه مينار رغم الصدمة التي بدت ظاهرة على وجهها لموت أبيها.. أهذه الدرجة هي قد اعتادت تنفيذ أوامره وأوامر قادور بحيث ما عادت تناقش أي أمر منهما مهما كانت تستنكره؟.. أم

أن ذلك وافق هواها بالفعل؟..

لاحظ في تلك اللحظة أن ججي التي لم تستيقظ من غيبوبتها بعد قد بدأت ترتجف وتهز رأسها بشدة، فأمسك بذراعيها محاولاً إيقاف رجفتها وهو يقول لها "ججي.. ما بك؟.. ما الذي يجري لك؟.."

هزت رأسها بشدة وهي تهذي، فأمسك وجهها بيديه متأملاً ملاحظاً المنقبضة بالمر، ولما تكرر همسها قرب أذنه منها ليستمع لما تقوله، فسمعها تعيد الكلمات التي لم تفتأ ترددهن منذ تلك الساعة "ساعني يا أبي.. ساعني.."

ولما شعر كين أنها تعاني أشد المعاناة في هذيانها وغيبوبتها تلك، أمسك كتفيها وهزها قائلاً "استيقظي يا ججي أرجوك.. لقد انتهت كل شيء.."

وبعد عدة محاولات، رآها تفتح عينيها قليلاً وتنظر له بنظرة خاوية، فسألها كين "أأنت بخير؟.."

سمعها تغمغم بصوت مبحوح "كين.. أرأيت ما قمتُ بفعله؟.. لقد قتلتُ أبي.."

واحتشدت الدموع بسرعة في عينيها لتسيل على خديها المشتعلين بسبب الحمى وهي تهمس بصوت متهدج "لقد قتلته وأكلت قلبه.. كيف أمكنني فعل ذلك؟.."

شد كين على كتفيها قائلاً "أنت لم تقتليه يا ججي.. كان ميتاً عندما أحضره الرجال.. لم تقتليه أنت.."

لكنها لم تكن تستمع لكلمة مما يقولها وهي تقول باكية "لقد قتلته والتهمت قلبه.. تعساً لي.. كيف فعلت ذلك؟.."

كان يراها بهذا الضعف والتهايوي للمرة الأولى منذ عرفها، وهي التي لم يشهد منها دمعة قط.. وهذا ألمه بشدة وهو يرفعها قليلاً ويضمها إليه بأقوى ما يملك.. ظل يستمع لانتحابها الذي لم يخفت ويشعر بارتجافة جسدها وحرارته المرتفعة بسبب المرض، بينما ضمها بقوة وهمس "اهدئي يا فتاتي.. الذنب ليس ذنبك.. اهدئي واستعيدي قواك بسرعة.."

ظلت ترتجف باكية وهي تتشبث به، بينما بقي كين صامتاً وهو يشدّها إليه ويمسح على شعرها برفق.. ظل مشفقاً عليها وفي الآن ذاته شعر بشعور غريب يحتاج صدره وهو يضمها إليه ويسمع صوتها الباكي المبحوح.. لطالما أشعرته ججي أنها قوية، وأنها لا تحتاج له ولحمايته.. لطالما أشعرته أنها هي من يتكفل بحمايته ورعايته طوال الوقت، ورؤيتها ضعيفة بهذه الصورة قد أربكته بقدر ما أشعلت في صدره رغبة

شديدة بحمايتها ومسح دموعها.. ورغبة قوية بضمها والإبقاء عليها قريبة من قلبه.. كيف لهذه الفتاة بالذات أن تسبب له هذه المشاعر كلها؟.. ولم هي دوناً عن بقية الفتيات؟..

لقد حاول أن يجد تفسيراً للأمر عدة مرات وهو يراقبها في جوانب المخيم متعجباً من انجذابه لفتاة خشنة المظهر والتصرفات، لكنه لم يجد تفسيراً حقيقياً للأمر.. حتى يئس من العثور على جواب لتساؤلاته واضطر للاقتناع أن تلك المشاعر القوية التي تجتاحه تجاه ججي بالذات لا تفسير لها ولا وسيلة لتغييرها أو صرفها في اتجاه آخر.. كما رضي بالبقاء جوارها دون أن يملك أي أمل بالاقتراب منها أو نيل حبها وهي التي ترفض الاعتراف بأنها فتاة وأنها قد تجد مشاعر من رجل تميل نحوها لأي سبب..

وجد بكاء ججي يخفت وجسدها يسكن قليلاً، لكنه لم يتخل عنها وهو مدرك أن فرصة كهذه لن ينالها مرة أخرى في أي ظرف آخر.. فشد ذراعيه المحيطين بجسدها وهو يمس في أذنها "كيف تفعلين بي كل هذا يا ججي؟.. متى سترينني حقاً؟.."

لم يسمع منها صوتاً وجسدها مستكين بين ذراعيه.. شعر كين أنها رغم قوتها وخشونتها المعتادة، فهي تبدو الآن ضعيفة وضئيلة بين ذراعيه.. بدت هشة جداً بحيث ازدادت رغبته بالتشبث بها أكثر.. لكنه سمع صوتاً يصدر من خلفه في تلك اللحظة، فانتفض وهو يطلق ججي ملتفتاً خلفه، فرأى تينا التي وقفت في موقع قريب بصمت.. ومن الوجوم الذي بدا عليها وهي تنظر إليه، فإنه أدرك أنها رأت ما يفعله.. لذلك شعر بحرج شديد وهو يدير بصره جانباً وتينا تقول "كيف هي الآن؟.."

لم يجب وهو ينظر جهة ججي التي أطلقها من قبضته بارتباك في اللحظة السابقة، فبداه بوضوح أنها قد عادت لغيوبتها أو أنها نائمة بعمق.. كانت ملاحظتها قد تحلت عن عبوسها السابق وبدت أكثر سكوناً وهدوءاً مما سبق.. فزفر وهو يتأمل وجهها بينما اقتربت تينا وتلمست جبين ججي للحظة قائلة "لا تزال الحمى قوية، لكنها كفت عن الهذيان على الأقل.. ويبدو لي أنها نائمة.."

لم يعلق كين وهو يدير وجهه جانباً بينما التزمت تينا الصمت للحظات، ثم قالت بشيء من الكدر "لم أنت متضايق هكذا؟.. هل أزعجك قدومي في هذا الوقت؟.."

قال كين بضيق "ما الذي تعنيه؟.."

قالت وهي تتفحص ملامحه "لا أدري.. تبدو مستاءً لرؤيتي في هذا الوقت بالذات.. أكنت تفضل ألا

أقاطعك في تلك اللحظة؟.."

شعركين بانفعال شديد وهو ينتفض واقفاً ويقول بحنق "لم أفعل ما أخشى من رؤيتك له.. لقد كانت تبكي وتهذي بحزن شديد وحاولت إسكاتهما.. هذا كل ما هنالك.."

واستدار مغادراً بعد أن اطمأن لوجود تينا قرب ججي.. كان بحاجة للحصول على بعض الراحة، وبحاجة للبقاء وحيداً في تلك اللحظات.. لذلك سار في الكهف حتى وصل للمدخل الذي اجتمع قربه بعض أفراد القبيلة وهم نائمون بعمق.. تجاوزهم كين بصمت وغادر الكهف متسلقاً تلك المرتفعات الصخرية حتى وصل لقمتها المسطحة والتي لم تكن ترتفع كثيراً عن الأرض.. كان الفجر قريباً ولم تكن السماء معتمة بشكل كامل، بينما بدأت زقزقات عصافير قريبة تعلو في المكان.. فجلس كين وحيداً وتأمل الأفق بصمت محاولاً استعادة سكونه.. لا يدري سبب هذا الضيق والانفعال الذي شعر به لدى قدوم تينا.. الأنهار رأت ما فعله؟.. أم لأنها بدت مستاءة لذلك؟.. لو فكر بالأمر قليلاً، لأيقن أنه لا يعبأ بنظرة تينا لما يفعله وللحب الذي يحمله لججي، فهي تعرفه تمام المعرفة.. ولا يخشى أن يصل الأمر لججي أو مينار، فما سبب ضيقه ذلك؟.. الأنهار، كما قالت، قاطعت تلك اللحظة النادرة التي قضها مع ججي وحيداً؟.. الأنهار قطعت تلك اللحظة التي شعر فيها بقربه من ججي وقربها من قلبه؟.. أم لأنه يدرك أن لحظة مثل هذه لن تتكرر مرة أخرى؟..

زفر وهو يستلقي على الأرض الصخرية متأملاً السماء فوقه، ورغماً عنه تذكر ما قاله مينار.. أهذا حقاً سيغير عقول الأكاشي وأفكارهم التي لم تتغير منذ مئات السنين؟.. أم أن ججي وحدها هي التي ستجني مغبة هذا التغيير؟.. إنه لم يسعد قط برؤية ما هي عليه، ولم يشعر بسرور لما تحققه وسط قبيلتها طوال السنوات الماضية.. الأنهار تُظهره بمظهر الضعيف مقارنة بها؟.. أم لأنها قد استلمت الدور الذي كان من المفترض أن يستلمه هو في حياتها؟..

ظل بضيق شديد يفكر بالأمر من جوانبه، عندما قطعت أفكاره صيحة اندلعت من الكهف القريب.. ورغم أنها لم تكن عالية كفاية، لكنه تعرف فيها صوت تينا مما جعله يقفز واقفاً ويركض عائداً لمدخل الكهف دون تردد.. ما الذي جرى في اللحظات القصيرة التي تركها فيها وحيدتين؟.. أيمن أن يكون رجال القبيلة قد غافلوه وحاولوا الانتقام من ججي أثناء غيابه عنها؟..

وكما خمن وخشي، فقد رأى في عمق الكهف الذي استقرت فيه ججي عدداً من شباب القبيلة ولاحظ على الفور السيوف والخنجر التي يحملونها في أيديهم.. وبنظرة سريعة، أدرك من ملاحظتهم المتحفزة وتجمعهم الهدف الذي لأجله جاؤوا في هذا الوقت بالذات.. عندها ركض نحوهم دون تردد ودفع آخرهم بعيداً ولكم آخر قبل أن يشق لنفسه طريقاً نحو الوسط.. وقبل أن يفلح في عبور تلك الجماعة، وجد أحد أولئك الشباب يجذبه بقوة ويلكمه على وجهه صائحاً "ما الذي تظن نفسك فاعله؟.. دخيل مثلك لا يحق له أن يتدخل في أمور القبيلة.."

فقال كين وهو ينظر له بغضب "هل جئتم للذئب من زعيمكم؟.."

قال الشاب ملوحاً بسيفه "زعيمنا؟.. أنت تمزح، أليس كذلك؟.."

وقف كين عابساً وهو ينظر للثلاثة الذي سدّوا طريقه، بينما تعالت صيحة فزعة أخرى من تينا وتّرت كين بشدة.. لكنه سمع في تلك اللحظة صوت ججي وهي تصيح بغضب "لا تجرؤ على هذا.."

رغم شعوره بالراحة لأن ججي بخير وقد استعادت وعيها، لكن ما يسمعه لم يزدّه إلا قلقاً وتوتراً وهو يرى الشاب القريب يهجم نحوه بسيفه.. تراجع كين خطوة ومال جانباً ليتفادى تلك الضربة، ثم وجه سيفه بضربة سريعة نحو يد الشاب مسببة له جرحاً مؤلماً أجبره على إسقاط سيفه.. عندها أسرع كين يتناول السيف الذي سقط أرضاً، واندفع بين الشابين وهو يلوح بسيفه بقوة.. لم يكن يرغب بإصابة أحدهما أو قتله، بل جلّ ما يرغب به هو الوصول لججي والوقوف معها للحمايتها.. تراجع الشبان جانباً وهما متحفزان للهجوم عليه، لكن كين لم يستدر إليهما وهو يندفع مزيجاً مجموعة أخرى سدّت طريقه..

صاح أحد الشابين خلفه محاولاً إيقافه، لكن كين كان قد ارتطم بأقرب الشباب إليه مطيحاً إياه جانباً قبل أن يندفع متفادياً البقية حتى وصل للموضع الذي تتحلق حوله تلك الجماعة من الشباب.. وفي الوسط، وجد ججي مستيقظة وراكعة وسط المكان، بوجه محمرّ بشدة بسبب الحمى، وشعر نائر نافر وجهاً في الاحمرار، وملامح عابسة نائرة بقوة..

كانت راکعة وهي تمسك عنق أحد الشباب بذراعها، بينما يدها الأخرى تقبض على خنجر غاب في كتف الشاب حتى مقبضه.. ولما سحبت خنجرها، بدأت الدماء تثور من موضع الجرح العميق بينما ركلت ججي الشاب المتألم ليسقط عند أقدام رفاقه وهي تقول بصوت مبسوح غاضب "لو ظننتم أنني ضعيف

بسبب مرضي هذا وأني سأكون لقمة سائغة لكم، فعليكم التفكير بالأمر من جديد.. لن أفضي نحبي قبل أن أقتل نصفكم على الأقل.."

نظر لها الشباب بغضب والشباب الجريح يقف بدوره ممسكاً جرح كتفه، بينما أسرع كين ليقف إلى جوارها حاملاً سيفه بتأهب.. لو حاول أحدهم الوصول إليها، فلن يتردد في المقاومة بكل ما يملك ليحميها.. هذا على الأقل ما يمكنه فعله لها، أو على الأقل المحاولة فلا يثق أنه بقادر على التغلب على الأكاشي مهما فعل.. رأى بعضاً منهم يتقدمون منها خطوة، بينما وقفت ججي وهي تمسك خنجرها مدممة "لم أتوقع أن يكون رجال قبيلتي بهذه الخسة.. أهكذا يفعل الأكاشي؟.."

علق أحدهم بسخرية "وهل اعترف أبوك بقوانين الأكاشي عندما قرر أن يرفعك لمكانة لا تستحقينها؟.."  
تزايد الغضب في صدر ججي لدى ذكر أبيها، وهو أمرٌ لا ترضى به من أي شخص كان.. وقبل أن تشتعل الأمور من جديد، وصل مينار للموقع وتجاوز حلقة الشباب بالقوة قائلاً بغضب "أهذا ما خططتم له بكل حقارة؟.. أن تتخلصوا من زعيمكم في هدأة الليل بكل خسة؟.. هذا ليس مذهب الأكاشي أيها الجبناء.."  
قال أحد الشباب بغضب "لكنها ليست زعيماً لنا.. لا ينطبق عليها أحد الشروط الأساسية للزعامة، فهي ليست ولن تكون رجلاً مهما تصنعت ذلك.."

دار مينار ببصره في الوجوه الغاضبة، ثم قال "لقد وعدني رجال القبيلة بالانتظار حتى يستعيد جام قواه، وبأنكم لن تلمسوه قبل أن يشفى من مرضه.. فكيف تكسرون وعدكم لي بهذه البساطة؟.."  
قال أحد الشباب بسخرية "نحن لم نعدك بشيء.. كان ذلك وعداً من أحد العجائز الحرفين الذين يظنون أنهم يملكون سلطة علينا.. أما نحن، فلا...."

قاطعته ضربة قوية بعصاً خشبية أصابت رأسه، ولما التفت حانقاً للخلف، رأى جماعة من كبار القبيلة يقفون خلفهم والأقرب إليهم يقول بحنق "عجوزٌ خرف؟.. أهذا كل ما هداك لسانك لقوله؟"  
تراجع الشاب بشيء من القلق وقد فوجئ هو ورفاقه بتدخل كبار رجال القبيلة فيما انتووا فعله، فيما قال الرجل مواجهاً مجموعة الشباب قائلاً بغضب "لو كنتم تملكون الوقت الكافي للعبث في المكان، فالأفضل لكم قضاء أوقاتكم في البحث عن الماشية والخيول.."

اندفع الشاب يقول من جديد "لا يمكنكم إملاء الأوامر علينا.."

عاد الرجل لضربه بالعصا الخشبية على رأسه ضربة مؤلمة، ثم قال بصرامة "لقد تمكن مامير من العثور على موضع المشية في الشمال من موقعنا هذا.. انطلقوا لمعاونته في إعادتها إلينا، فنحن بحاجة لها أشد ما يكون في هذه الأوقات.."

تبادل الشباب النظرات التي تشي بشدة الضيق، لكنهم في النهاية استسلموا للأمر وهم يغادرون الموقع بصمت.. عندها تقدم ذلك الرجل من مينار وألقى نظرة على ججي قائلاً "ألا تعتقد أن الإصابة التي أصابت ذلك الشاب لن تكون لها تبعاتها في القبيلة؟"

قالت ججي بصوتها المبحوح "أما يفترض بي أن أدافع عن نفسي ضد هجومٍ حقير مثل هذا؟" لم يعلق الرجل وهو يقول موجهاً حديثه لمينار "سنبقى على الوعد يا مينار، ومنتظر منك أن تفعل الأمر ذاته.."

لم يعلق مينار بينما لوّح الرجل بيده لبقية الرجال قائلاً "فلنذهب.. لا أطيع البقاء بعيداً عن النار لوقت طويل.. عظامي ما عادت تتحمل مثل هذا البرد.."

غادرت المجموعة الموقع تاركة مينار وكين اللذين وقفا بصمت، وتينا التي خفت ارتعابها بعد جهد جهيد، فيما تهاوت ججي جالسة وهي تشعر بارتجافة في جسدها.. اقترب منها كين متسائلاً "أأنت بخير؟" غمغمت ججي "أشعر بضعف شديد.. يبدو أنني لم أتعاف من الحمى بعد.."

فقال كين "عليك تناول بعض الطعام لتستعيدي قواك بسرعة.."

نهضت تينا قائلة "سأذهب لجلب بعض الطعام حالاً.."

وغادرت بسرعة تاركة كين ومينار قرب ججي، فالتفت مينار إلى ججي قائلاً "رغم أنني أتمنى أن تستعيد قواك بأسرع ما يمكن، لكنني أخشى من اللحظة التي ستفعل فيها هذا.."

قال كين بغير تصديق "هل وعد الرجال بالانتظار فقط حتى تنهض ججي من مرضها؟.. ماذا عن الأشهر الثلاثة التي وعدتني بها؟"

قال مينار بتبرير "كان ذلك لإزالة قلقك لا أكثر.."

نظر له كين بضيق، فيما غمغمت ججي "لا تقلق.. تلك عقبة سأخطاها بكل تأكيد.."

جلس مينار قربها وربت على كتفها قائلاً بابتسامة "هذا ما أرجوه يا جام.. بل هذا ما أثق فيه بالتأكيد.."

\*\*\*\*\*

بعد بدء ذلك النهار الذي لم يتمكن من إزالة ولو جزء ضئيل من برودة الليلة الماضية، وفي موقع آخر من الكهف الذي يتفرع عدة تفرعات في تلك المرتفعات الصخرية القديمة، ظل تبريق جالساً بصمت وتينا تنظف جرح خاصرته بقطعة قماشية اقتطعتها من قميصه وقربها إناءً فيه بعض الماء الذي قامت بتدفئته في النار القريبة.. لم يلتئم الجرح بعد، وبدا أنه لا يزال يسبب آلاماً شديدة لتبريق الذي احتفظ بصمته وإن دلَّ عبوس وجهه على ما يشعر به.. ورغم أن تينا قد اعتنت بتبريق بكل إخلاص في الوقت الذي مضى، لكنها لم تتمكن من محو الكآبة التي تعلو وجهها بين حين وآخر.. لقد فقدت والديها في ليلة واحدة، وسقطت ججي في غيبوبة وحمى منذ تلك الليلة.. ومع أساها لمن فقدته، فإن تينا شعرت أنها قد أصبحت مجردة من أي سندٍ وحماية.. لم يعد لها إلا زوجها، ولشد ما تبتئس عندما تخاطر لها هذه الفكرة وهي التي لم تقبله بعد في حياتها رغم كل ما رآته منه..

بعد أن تزايد ضيقها وهي تتذكر كل ما جرى منذ ليلة الهجوم على مخيم القبيلة، فإنها تأففت بصوت عالٍ وهي ترمي القطعة القماشية في إناء الماء وتغمغم متذمرة "لقد سئمت كل هذا.."  
لاحظت أن تبريق قد أدار وجهه ونظر إليها بصمت، فقالت بضيق أشد "إن ججي مريضة، وعليّ الاعتناء بها أيضاً.. فلم لم تحضر إحدى زوجتيك لتتولى أمورك في مثل هذه الأوقات؟.. لا أكاد أملك الوقت الكافي للحصول على بعض الراحة.."

أدار تبريق وجهه بعيداً وتينا تلف الجرح بقماش نظيف دون أن تخفي ضيقها، ثم سمعته يقول "أمازلتِ تصدقين ما قيل عني سابقاً؟"

نظرت له مقطبة، فأضاف "ظننت قادور قد شرح لك الأمر قبل زواجنا بالفعل.."  
قالت باستياء وهي مستمرة في عملها "لا.. لقد أخبرته أنني لا أريد الزواج من شخص متزوج بائنتين بالفعل، لكنه قال إن هذا الأمر لا يخصنا.."

فقال تبريق "إذن هو لم يخبرك بحقيقة الأمر؟.. زوجتي الأولى قد ماتت بعد زواجي بها بعدة أشهر بسبب



مرضٍ معدٍ، والثانية قد طلقته وعادت لأهلها لأنها رفضت الإقامة في قبيلتنا هذه واستحقرتها.. كان ذلك قبل رحيلي نحو المملكة العربية منذ سنوات.."

نظرت له تينا بدهشة وصمت، ثم أسرعت تحمل إناء الماء وما تلتخ من القماش بدمائه وهي تغمغم عابسة "هذا لا يغير من رفضي الزواج بك شيئاً.. فلم يكن هذا هو سبب رفضي الوحيد كما تعلم.."

وغادرت تاركة تبريق يزفر بضيق بدوره وهو يستشعر الألم الشديد في موضع الجرح.. ورغم ذلك، سارع لارتداء معطفه وغادر الموقع شاعراً بالحاجة لاستنشاق بعض الهواء.. فقد أصبح المكان قرب تينا خانقاً لا يكاد يطيق البقاء فيه للحظات معدودة.. رغم أنه كان يعلم ببغض تينا له، وبأنها لم تغفر له إصراره على الزواج بها، لكن رؤيتها وهي ترجوه لإنقاذ كين كان أكثر مما يطيق.. شعر بضيق وكآبة شديدين، واستحقر مشاعره لتينا وهي التي لا ترى سوى كين مهما فعل.. رغم مضي أيام قليلة على عودته للمخيم من رحلته التي دامت لسنوات، لم يكن لتبريق ألا يلاحظ تينا بجماها الواضح.. لكن ما جذبته إليها، وما جعلها لا تغادر تفكيره طوال اليوم، هو أنها لم تكن تتحلى بأي غرور أو ميوعة، ولم تتردد في إظهار ضيقها وغضبها ومعاملتها بكل خشونة.. رغم أن هذا من المفترض أن ينفره منها، بالإضافة لمعرفة معرفته بحبها الشديد لكين، لكنه رغم ذلك لم يستطع معرفة كيفية التخلص منها ومن التفكير بها باستمرار.. لذلك، تجاهل كل ما يسبب له الضيق فيها وأصر على استمرار هذا الزواج.. كان يأمل أن تراه على حقيقته، وترى حبه واهتمامه بها.. وهذا قد يجعلها تميل نحوه حقاً.. لكن كيف يمكن ذلك وهي ترجوه، بعد أيام قلائل من زواجهما، أن يبذل جهده لحماية غريمه والدفاع عنه؟.. أيمكن له أن يرجو أمراً منها بعد هذا؟.. أم أن عليه فعلاً أن يطلق سراحها ويتخلى عنها؟..

لكنه لا يستطيع فعل ذلك الآن، بعد أن فقدت والديها ولم يعد لديها من تعتمد عليه.. فما العمل الآن؟..

\*\*\*\*\*

بعد ساعات من بدء ذلك النهار، بدت ججي أفضل حالاً من السابق بعد أن تناولت القليل من الطعام وشربت الكثير من الماء في محاولة لتخفيف الحمى عن جسدها.. فلم يملك كين ابتسامة ارتسمت على

وجهه وهو يقول " بهذا المعدل، يمكنك أن تمتطي ظهر الغبراء بكل يسر خلال يوم على الأكثر.."  
رمقته ججي بصمت للحظة، ثم أدارت بصرها فور أن التقت عيناهما بحركة بدت واضحة لكين، وهو أمر لم يعتده من ججي الواضحة والصريحة بثباتٍ يثير الإعجاب.. لكنه لم يعلق وهو يقول "أتشعرين أنك أفضل حالاً الآن؟.."

لكنها لم تجب قوله، ومرة أخرى لاحظ أنها تبعد بصرها عنه بسرعة قبل أن تلاقي عيناه.. فما السر؟.. التزم الصمت من جديد وهو يراها متوترة بشكل ملحوظ وتقطبة على جبينها، ثم بعد صمت قصير سأله "كين.. هل كنت معي طوال الليلة الماضية؟"

نظر لها بتعجب لهذا السؤال، فقالت مبررة مثل ذلك السؤال الغريب "لقد تراءى لي أنك كنت قريباً كلما فتحت عيناى.. لكنني كنت شبه غائبة عن الوعي بسبب الحمى الشديدة ولا أعني ما يدور حولي.."  
فأجاب كين بهدوء "كنت معك طوال الليلة الماضية واليوم الذي سبقها كذلك.."

نظرت له بدهشة واضحة، فعلق مبتسماً ابتسامة صغيرة "أظننت أنني سأتركك تحت رحمة رجال القبيلة بعد الجنون الذي ارتكبه أمام أعينهم؟"

لم تعلق ججي بكلمة رغم الامتنان الذي تبدى في عينيها، لكن سرعان ما خفضتها من جديد بصمت تطاول للحظات قبل أن تقول "وهل.. هل بدر مني أي تصرف غريب؟"

تساءل كين "ما الذي تعنيه؟.. كنت مصابة بحمى، لذلك من الطبيعي أن تبدر منك تصرفات غريبة وهذياناً أغرب.."

قالت بتوتر "ليس هذا ما عنيته.."

فقال وهو يميل نحوها "أفصحي لكي أفهمك يا ججي.."

زفرت بصمت قبل أن تدير وجهها جانباً متفادية نظراته المتفحصة وهي تقول بارتباك "هل... هل صاحب هذياني بعض البكاء؟.."

صمت كين وهو يحاول معرفة ما يقلقها في هذا الأمر.. أهي قلقة لبكائها أم أنها تحاول تذكر ما جرى منه في ذلك الوقت؟.. إنه واثق أنها لو كانت بوعياها لبادرت للكمه بقوة لو حاول ضمها إليه.. فهل هي تريد التأكد مما جرى؟..

بعد أن طال صمته وقتاً طويلاً وهو يفكر إن كان الوقت ملائماً للاعتراف لها بما فعله وبما يكنه في صدره أم أن هذا ليس الوقت الأفضل لذلك، سمعها تقول بارتباك أشد "لقد راودتني هواجس كثيرة أثناء غيابتي، ولم أعد أدرك ما حدث حقيقة وما كان مجرد هذيانٍ مني.. لكن.... لا أدري لم يراودني خاطر أنني بكيت الليلة الماضية دون سبب مفهوم.."

بعد أن أدرك كين سبب القلق الذي انتاب ججي، وأنه عائد لبكائها الذي تخجل منه، قال بهدوء "لا بد أن ذلك كان هذياناً بالفعل.."

نظرت له بمزيج الشك والراحة لهذا القول، ثم زفرت وهي تفرك يديها بصمت محاولة تذكر ما جرى طوال ذلك الوقت الذي قضته مريضة لا تعي ما يجري لها.. لكن كين قطع أفكارها قائلاً "ألا يتوجب عليك التفكير بالكيفية التي ستقنعين بها رجال القبيلة بالتسليم لك كزعيمة لهم؟.. البدايات دائماً صعبة، وكونك أول امرأة تتجرأ لتطالب بالزعامة هو أمرٌ صعب يتطلب جهداً غير عادي لتجاوز معوقاته.."

زفرت ججي وغمغمت "أنا أدرك أن جميع رجال القبيلة يكرهونني.. وأنني لن أتمكن من كسب ثقتهم بطريقة عادية أبداً.."

علق كين "يكرهونك؟.. إنهم يتمنون موتك في التو واللحظة.. إن بغضهم لك لا يمكن قياسه بكلمات.."

قالت بضيق "أيجب أن تصف الأمر بهذه الطريقة؟"

أجاب "لكي تدركي مدى المجهود الذي عليك بذله قبل أن يفكر أحدهم باقتناص قلبك بغفلة منا.. عليك أن تكوني أذكى منهم، وتستبقي أفكارهم قبل أن يفكروا بها.."

قالت بحزم "لا.. الأكاشي لا يؤمنون إلا بالقوة.. علي أن أثبت لهم أنني أفضل زعيم يمكنه أن يتولى القبيلة في الوقت الحالي.."

تساءل كين "وكيف يمكنك فعل ذلك؟"

زفرت بصمت وهي تحدق في يديها، ثم قالت "سأبارز من يطلب مبارزتي.. وسأغلب عليه.. وبذلك يمكن للآخرين إدراك....."

قاطعها كين قائلاً باستنكار "أنت تمزحين.. أليس كذلك؟"

نظرت له مقطبة، وهو يضيف "الأكاشي لن يمنحوك مبارزة عادلة.. سيبارزك الرجال واحداً تلو الآخر

حتى تسقطي منهكة، وأنت ضعيفة الجسد بالفعل بعد الحمى هذه.. وعندها سيكون قلبك من نصيب من يحالفه الحظ بالتواجد قربك في تلك اللحظة.. أظننت حقاً أن هذه الفكرة قد تكون لصالحك؟"

قالت بضيق "لن يقتنع الأكاشي ما لم أتغلب على أقوى رجالهم.. وأنا قوية بالفعل ولست ضعيفة.."

قال كين بإلحاح "هذه فكرة حمقاء.. أرجوك اعدلي عن هذه الفكرة وفكري غيرها.."

فقالت باستياء "إذن، هل تملك أنت فكرة أخرى؟.. يجب أن يكون الأمر مقنعاً، فلا تتوقع أن مجرد خطبة عصماء مني أمام القبيلة كافية لكسب رضاهم.."

غمغم كين "لا.. نحن بحاجة لحطة كبيرة تذهلهم.. أنت بحاجة لإثبات قدراتك كزعيمة، لا كمقاتلة.."

ونفض وهو يدور في المكان بتفكير ويدمدم بين وقت وآخر "ربما كان هذا الحل نافعاً.. لا.. هذا غير مقبول..... الأكاشي لا يعرفون سوى القوة.. فكيف يمكنك كسب رضاهم دون استعراض قواك بالفعل؟.. وما الذي يمكنني أن أعينك به وأنا لا أملك أي قوة يعتدّ بها؟.."

غمغمت ججي معلقة "جيد أنك تعترف بذلك.."

توقف كين عن دورانه وهتف "السفن....."

نظرت له بدهشة، فاقترب منها بسرعة وقال "السفن التي تربض في هذا الخليج مهددة أمنكم وبإسطة حمايتها على الجنود الذين عسكروا في مخيمكم.. لو تمكنت من القضاء على تلك السفن بخطة ما، فهذا سينال إعجاب الأكاشي بكل تأكيد.."

قالت مقطبة "هذا مستحيل.. إنها في عرض البحر، ورجالنا لا يعرفون السباحة ولا يملكون أي سفن أو قوارب لاستخدامها.."

قال كين "هذا أدعى لأن يتفاجأ أصحاب تلك السفن بهذا الهجوم.."

ثم عاد يدور في موقعه مغمماً "لكن، لا يمكننا أن نضمن ألا يحاول الجنود المعسكرون في مخيمنا التدخل في ذلك الوقت.. كما أن الهجوم على السفن سيزيد استنفارهم ويصبح القضاء عليهم عندها صعباً.."

فقالت ججي بحزم "إذن علينا القضاء على السفن، وعلى الجنود، في آن واحد.."

نظر لها كين بدهشة، ثم قال "سيكون هذا محض جنون.."

تنهدت ججي معلقة "هذا الجنون هو الوسيلة الوحيدة لإكسابي ثقة باقي رجال القبيلة.. وأنا سأفعل كل

ما يمكنني لتحقيق ذلك.. ولتحقيق ما تمناه أبي مني قبل موته.."

تنهد كين وهو مطرقٌ بتفكير عميق، فاحترمت ججي صمته وهي تدور بأفكارها حول ما هي مقدمة عليه.. مع قبيلتها، ومع الجيش المعادي، ومع بقية قبائل الأكاشي التي لن تصمت على توليها الزعامة بالتأكيد.. يبدو أنها قد فتحت على نفسها أبواباً عديدة وعليها إغلاقها بإحكام كي تأمن على حياتها.. هل تشعر بالندم لما فعلته ولسعيها خلف الزعامة؟.. لا.. لم يخايل ججي أي ندم على هذا، فهي لن تتخلى عن الزعامة، ولن تتخلى عن حياتها التي بدأت للتو..

انتبهت لكين الذي رفع رأسه وقال لها "امنحيني يوماً للتفكير في الأمر يا ججي.. وسنجتمع أنا وأنت ومينار لوضع خطة محكمة لإنجاح مسعانا.."  
قالت ججي "لا بأس.. أنا أثق بك يا كين.."

هز كين رأسه، ثم غمغم قبل أن يغادر "اهتمي بنفسك جيداً.. سأستدعي مينار ليقبى قربك حتى أعود.."  
قالت ججي بحزم "لا داعي لذلك.. كما رأيت، يمكنني الدفاع عن نفسي دون الاعتماد على أحد.."  
ابتسم كين ابتسامة جانبية معلقاً "أدرك ذلك، لكن الاحتياط واجب.."

واستدار مبتعداً، فاستوقفته ججي متسائلة "أين أمي؟.. لم أرها منذ استيقاظي.. أهي مع تينا؟.."  
نظر كين لججي بصمت وشيء من الصدمة.. تذكر في تلك اللحظة أن الوقت لم يسعف أحداً لإخبار ججي بما جرى لأمها، ووقوعها في غيبوبة ليوم وليلة لم يمكنها من الانتباه لغياب ستينا في مثل تلك الأوقات.. تنهد كين وهو يدرك أنه لا يقدر على تجاهل هذه النقطة، فعاد للجلوس قرب ججي وأمسك يدها وهي تنظر له بدهشة، وبكلمات موجزة، أخبرها بكل ما جرى لستينا وهي تحاول الدفاع عن ابنتها من هجوم الجنود.. ولما غادر ذلك الموقع بعد بعض الوقت، كانت ججي تحفي وجهها بيديها وهي تكبت انتحابها بشدة.. تلك ضربة جديدة أصيبت بها قبل مضي ساعات معدودة على المصائب التي تتابعت على قبيلتها، وعليها هي بالذات، منذ قرر ذلك الملك العربي أن يدفع جنوده للهجوم على مخيمهم الآمن في ظلام الليل بكل حقارة..

\*\*\*\*\*

## الفصل الرابع عشر {هجمة مرتدة}

في اليوم التالي، ومع أولى تباشير الصباح، وقفت ججي وقفة صارمة أمام كبار رجال قبيلتها ممن بقي حياً بعد هجوم الأعداء على مخيمهم.. كانت شاحبة الوجه، وجرحها لم يبرح يثير فيها ألماً لا تطاق، وتبدو بغاية الضعف، لكنها حاولت التماسك أمامهم وهي تقول بحزم "أنا أعلم أنكم تودون التخلص مني في التو واللحظة.. وأعلم أن أحداً منكم لم يقسم بالولاء لي بعد.. لكن، كما تعلمون، فإن قانون الأكاشي ينصّ على ألا يتم الإطاحة بأي زعيم قبل مرور ثلاثة أشهر على استلامه الزعامة.. وأنتم لم تنتظروا ثلاثة أيام لتحاولوا ذلك بكل خسة مستترين بالظلام.."

بدا الحنق والاستياء واضحاً على وجوه الرجال وأحدهم يقول بجفاء "أنت تخالفين أول شروط الزعامة.. لذلك لا يمكننا أن نعدك زعيماً حقاً، وقانون الأشهر الثلاثة لا ينطبق عليك بحال.."  
فقالت بابتسامة جانبية "لكن، ألا تظنون أن قبائل الأكاشي ستسخر من محاولتكم التخلص من (امرأة) بأسلوب ساذج وحقير كما فعلتم الليلة الماضية؟.."

قال آخر محتداً "أظنين أن تلك القبائل لن تسخر منا لأننا رضينا بزعامة امرأة علينا؟"  
تقدمت خطوة وقالت بحزم "إذن.. ما رأيكم لو أثبت لكم كفاءتي وأحقيتي بهذه الزعامة.. هل ستقسمون بالولاء لي عندها؟"

بدت الابتسامة الساخرة واضحة على وجوه الرجال وبعضهم يضحك باستهزاء، بينما قال الأول بسخرية "ما الذي تنوين فعله؟.. هل ستنازلين أقوانا لإثبات قوتك؟.."

كان هذا بالفعل ما انتوته ججي في البدء، لكنها شعرت بالراحة لأن كين أقنعها بالعدول عن ذلك.. فمع الحالة التي هي فيها، لن تتمكن من هزيمة رجل واحد من رجال القبيلة.. فقالت "لا.. لكن عندي وسيلة أخرى لإقناعكم.."

قال أحدهم محتداً "الكلمات لن تكفي لإقناعنا يا هذه.."

ابتسمت قائلة "من تحدث عن هذا؟.. سأقنعكم بوسيلة أكثر بساطة وسهولة من مجرد كلمات.."

نظروا لها بشك واستياء، فقالت "لابد أن أخبار هزيمتنا أمام الجيش العربي قد وصلت للقبائل الأخرى.. ولو طلبنا عونهم لهزيمة أعدائنا، فسنظهر بمظهر الضعيف مهما كانت هوية الزعيم الذي يقودنا.. أليس كذلك؟"

وتقدمت خطوة أخرى وهي تضيف بحزم "لكن، ما رأيكم لو قمت بتخليصكم من أعدائكم بضربة واحدة في ليلة واحدة؟.. مهما كان عدونا، ومهما كان تسليح أعدائنا، فلن نتمكن من التخلص منهم مع وجود السفن الرابضة في البحر بتهديد واضح.. لذا، نحن بحاجة لخطة محكمة للخلاص من السفن بالإضافة للجنود واستعادة خيمنا في وقت واحد.."

قال أحدهم باستنكار "هذا مستحيل.."

فقالت وهي تشدّ جسدها أمامهم "هل ستقسمون لي بالولاء لو خلصتكم من أعدائكم وأعدت لكم هيبتكم بين قبائل الأكاشي وحفظت لكم كرامتكم أمام الجميع؟.."

قال آخر بحدة "مستحيل.. لا أثق أنك ستفعلين ذلك.."

نظرت في وجوههم ملاحظة أن الحنق والغضب لم يخفّتا ولو للحظة واحدة.. لو لم تتمكن من أخذ وعد منهم الآن، والأكاشي لا يكسرون وعداً أبداً، فلا تضمن أنهم سيتخلصون منها بعد أن تنجح خطتهم ويستعيدون خيمهم.. عليها أن تكسب نقطة الآن، وتحدد موقفهم منها قبل أن تكشف ما لديها من أوراق..

وبينما استمر اللغط بين الرجال الحانقين، فإن ججي قالت بصوت أعلى "ما الذي ستخسرونه لو أنكم أعطيتموني وعدكم الآن؟.. لو أنني لم أنجح فيما وعدتكم به، ولو أنني فشلت كما تتوقعون حتماً، فلن أستطيع مطالبكم بشيء.. ولو أنني فشلت حقاً، فحياتي ستكون بين أيديكم، والراح هو من سيصل لقلبي أولاً بينكم.."

التمعت الأعين حولها بشكل ظاهر، ثم قال أحدهم "حقاً؟.. يبدو أنك واثقة من نجاحك لدرجة أن تعرضي علينا عرضاً مثل هذا.."

فقالت بحزم "هل تعدونني بأن تقسموا لي بالولاء لو نجحت في تخليصكم من أعدائكم؟.."

تبادل الرجال نظرات جذلة وابتسامة أقل ما يقال عنها أنها وحشية.. بدا لها أنها تقرأ في أذهانهم سخريتهم

من ثقتها وتلفهم للحظة التي سيلتهمون فيها قلبها.. وبعد أن دار بينهم حوارٌ صامت واتفاقٌ ضمني، قال أحدهم وهو يواجهها بنظرة صارمة "نعذك بذلك.. وفور فشلك في هذه المهمة، لن نشاور بعضنا بعضاً في مصيرك عندها.."

دارت ببصرها في الوجوه وهي تصيح "هل تعدون بأن تقسموا لي بالولاء عند هزيمة أعدائكم واستعادة المخيم؟.. إن لم تعدوني جميعكم، فلا اتفاق بيننا عندها.."

بدأت تسمع موافقتهم على هذا واحداً تلو الآخر.. بدوا لها مستمتعين بما يجري، وقد أيقنوا في دخيلة أنفسهم أنها ستفشل منذ اللحظة الأولى.. لذلك لم يترددوا في وعدهم لها بالولاء لو نجحت.. وهذا ما طمحت له ججي بالفعل.. فبهذا الوعد، هي قد ضمنت موقعها كزعيمة هذه القبيلة رغم أنوفهم.. فلا يجروا أحدهم على كسر وعدٍ وعده لها حتى لو كانت امرأة.. كل ما تأمله أن تسير خطة كين كما خطط لها، وألا يحاول أحد الرجال دفعها للفشل مضحياً بالقبيلة كاملة كي يستلب الزعامة منها..

\*\*\*\*\*

بعد أن ضمنت ججي أن كبار رجال القبيلة سيقسمون لها بالولاء عند نجاح مهمتهم هذه، انطلقت من فورها بحثاً عن تبريق.. لكنها لم تعثر إلا على تينا المنزوية في جانب منعزل من ذلك الكهف قرب النار وهي صامته بكآبة واضحة.. لم تكمل ججي بحثها عن تبريق وهي ترى تينا في هذا الوضع، بل اقتربت منها وركعت قريباً تتأمل صمتها الغريب وكآبتها الأغر.. ثم لمست ركبتيها التي دفنت تينا وجهها خلفها، وهمست "أمازلت مستاءة لما جرى يا تينا؟.. أم أنك حزينة بعد؟"

قالت تينا بمرارة دون أن تواجه ججي بعينيها "وكيف لا أبقى حزينة بعد أن وجدت نفسي وحيدة.. فلا أب أحتمي به ولا أم تواسيني.."

أسرعت ججي تقول "ماذا عني أنا؟.. أنا....."

قاطعتها تينا بمرارة أكبر "أنت تناسيت من فقدناهم بأسرع من الجميع.. ها أنت تخططين لنيل الزعامة واستعادة المخيم قبل أن يبرد جسداً والديك.. أنسيت أن أمك لم تحض بدفنٍ لائق حتى الآن؟"



قالت ججي "وكيف سندفنها وندفن موتانا قبل أن نتخلص من أعدائنا ونستعيد خيمنا؟.. كيف سنتقم لمن مات بذلك الهجوم الغادر ونحن منزوون في هذه الكهوف كالفئران؟.."

تهدج صوت تينا وهي تهمس "أنت لديك هدف محدد تسعين خلفه، لكنني ضائعة.. لا أعرف ما يجب فعله، ولا أعرف ما عليّ أن أمل حدوثه في الأيام القادمة.. حياتي قد توقفت تماماً ولا أشعر بأي سعادة.. ليتني مت جوار أمي.. لكم أفقدها الآن.."

وعادت للبكاء الذي لم تكذ تنقطع عنه منذ تلك الليلة، فوجدت ججي تحتضنها وتضم رأسها برفق قائلة "لن أمنعك من البكاء يا تينا.. لكن هذا لن يزيدك إلا غمًا وحرناً.. ابك ما طاب لك البكاء، لكن بعدها أفيقي لنفسك ولحياتك، ولا تجعلي الحزن يلتهمك.."

لم تكف تينا عن البكاء بحزن شديد، لكن رغباً عنها شعرت بشيء من الهدوء يتسلل إليها مع كلمات ججي، وبدأت دموعها تقل شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت رغم الحزن الذي يعتصر قلبها ويضيق له صدرها.. لم تتوقع هذا الرفق والاهتمام من ججي، فهي لا تذكر أن شقيقتها قد عانقتها بحنو في يوم من الأيام.. لذلك فاجأها هذا التصرف ولمس أعماقها بشدة لم تتمكن معه سوى الاستسلام وسكب حزنها العميق أمامها..

بعد بعض الوقت، وجدت ججي تبريق خارج الكهوف في موقع احتفظ فيه رجال القبيلة بالماشية التي عثروا عليها.. وهناك، كان تبريق يعتني بحصانه الذي عثر عليه منعزلاً عن البقية، فيما انتشرت طبقة خفيفة من الثلج لم تتمكن الشمس من إذابتها.. فاقتربت منه ججي متسائلة "كيف تطيق البقاء في هذه البرودة؟..."

غمغم تبريق قائلاً "لأنني أكره تلك الكهوف القائمة.."

تساءلت ججي وهي تجلس جانباً "هل أصبح جرحك أفضل حالاً؟.."

أجابها متعجباً "وهل غادرت الكهوف بحثاً عني لتسألني هذا السؤال؟.."

قالت ججي بابتسامة "تقريباً.. أريد أن أطمئن من قدرتك على المشاركة في المعركة التي سنخوضها خلال أيام قليلة.."

فقال تبريق "وهل مشاركتي مهمة؟.."

أجابت ججي بسرعة "بالطبع.. فأنت من القلائل الذين حظوا بثقة تامة من أبي، وأنا أثق بك ثقة تامة.."  
نظر لها تبريق بصمت وتساؤل.. فنهضت ججي واقتربت منه لتربت على أنف الحصان قائلة "أنت تعلم أن  
القبيلة كاملة رافضة لوجودي كزعيم لهم، ويتمنون موتي في كل لحظة.."  
علق تبريق قائلاً "لأن ما فعلته كان جنوناً بحتاً.."  
نظرت له بحزم مجيبة "هذه كانت رغبة أبي، ولم أتمكن من تجاهلها.."  
زفر تبريق معلقاً بضيق "لا أدري ما الذي دها قادور للاستمرار في هذه اللعبة مصراً على إثارة غضب بقية  
الرجال بهذه الصورة"  
تساءلت ججي "وهل أنت غاضب لأجل هذا أيضاً؟.."  
صمت تبريق للحظة دون تعليق، فقالت بابتسامة "لا.. لا يمكنك أن تكون كذلك.. أنت تختلف عن  
البقية بالتأكيد.."  
عاد تبريق لعمله قائلاً "في الواقع، لا أرى أهمية لاعتراض الرجال عليك.. كل ما يهمني أن تكون على قدر  
المسؤولية الملقاة على عاتقك.."  
عندها قالت ججي وهي تضع يدها على كتفه "إذن، هل ستكون معي في هذه المهمة يا تبريق؟.. أنا بحاجة  
لوجودك، وقلة من يمكنني الاعتماد عليهم في هذا.."  
نظر لها بتساؤل ودهشة، فأضافت "أخشى أن يقوم أحد الرجال بإفساد خطتنا لإثبات فشلي وتنحيتي من  
الزعامة.. لازلت غير واثقة من جميع الرجال، لكنني أحتاجهم لإنجاز هذه المهمة.. وهذه الخطة ستكون  
من فريقين، الأول سيكون مينار على رأسه، وهو سيتأكد من نجاح المهمة في ذلك الجانب.. وأريدك أن  
تكون على رأس الفريق الثاني.."  
غمغم تبريق "ولم لا تجعل كين على رأس الفريق الثاني؟"  
أجابت بابتسامة خافتة "أنتظن أن أحداً من الرجال سيطيع كين أو يستمع إليه؟.. أنت أكثر قدرة على قيادة  
الرجال منه في الوقت الحالي.. فأرجو ألا ترفض طلبي هذا بأي شكل من الأشكال.."  
ابتسم تبريق بابتسامة باهتة وعلق "أهو أمرٌ إذا؟"  
أجابت ملوحة بإصبعها "أجل.. هو أمرٌ من زعيم القبيلة.. فلا تجرؤ على تجاهله.."

زفر تبريق قبل أن يقول "لا بأس.. لا أظنني أستطيع رفض هذا.."  
ربتت بججي على كتفه قائلة "رائع.. استعدّ قواك بسرعة حتى وقت تنفيذ الخطة.. وسأخبرك بالتفاصيل كلها فيما بعد.."  
وغادرت وهي تتمتم لنفسها "رائع بالفعل.. هكذا أقترّب أكثر فأكثر من تحقيق ما سعى إليه أبي قبل موته.."

وابتسمت ابتسامة متسعة وهي تتأمل السماء الرمادية فوق رأسها.. بدأت الأمور تأخذ منحىً أفضل من السابق بكل تأكيد، وبدأت تقبض زمام الأمور بيدها بقوة.. ليس أمامها سوى النصر دون أي شك.. النصر على أعدائها واستعادة خيمهم، والنصر على رجال قبيلتها بخضوعهم لها.. وبهذا، ستبدأ مرحلة جديدة من حياتها.. مرحلة مختلفة عن كل ما سبقها بالتأكيد..

\*\*\*\*\*

في ذلك الوقت، انزوى كين في جانب تلك المرتفعات الصخرية، وقد أمسك القوس الخاص بججي وبدأ بقطعه من المنتصف بخنجر يملكه.. وقربه، جلس مینار يراقبه قائلاً "من المعيب أن نخسر سلاحاً هاماً لفكرة طرأت في ذهنك ولا نعلم إن كانت ستصيب أم لا.."  
غمغم كين وهو منهمك بعمله "ستصيب بالتأكيد.. فهذه ليست فكرة جديدة كي يكون لديك شك بالأمر.."

عاد مینار يتساءل "وكيف تتأكد مما تفعله وأنت جئتنا صبيلاً لا خبرة له بالحرب؟.. كيف تعرف آلية عمل آلة كهذه؟"

أجاب كين "ليس الأمر عسيراً.. لقد رأيتها عدة مرات في كاشتار في صغري، وقرأت عنها سابقاً في أحد الكتب.. إنها آلة بسيطة ولا تختلف عن القوس إلا بالحجم ووجود قاعدة لتثبيتها.."  
غمغم مینار "من تكون أنت حقاً؟.. هل يرى العامة آلات الحرب والقتال؟.. أنت لم تكن جندياً يوماً بالتأكيد فأنت معنا منذ السادسة عشر من عمرك.."

نظر له كين وعلق "أنت تعلم أن الجيوش الكشميتية تقوم باستعراض أسلحتها وقدراتها بين وقت وآخر في بعض الاحتفالات الخاصة.. مثل الاحتفال بنشوء مملكة كشميت.. وفي مثل هذه الأوقات، يمكن لأي شخص أن يرى المدافع وأنواع المنجنيق الذي يملكه الجيش بالإضافة للأسلحة الأخرى.."

تساءل مينار باندهاش "ولمَ قد يفعل الجيش عملاً كهذا؟.. إن كان ذلك الاستعراض يقام وسط الشعب الكشميتي لا أمام أعدائه، فما الفائدة منه؟"

صمت كين للحظة قبل أن يجيب "هذه أمورٌ قد اعتدناها ولم نعد نتساءل عن مغزاها.."

اقتربت ججي منها قائلة "كيف جرى الأمر يا كين؟.. هل تمكنت من تحقيق أي نتيجة؟"

أجاب كين بضيق "لقد بدأت للتو.. وهذه مجرد آلة تجريبية قبل أن أبدأ بتنفيذ الفكرة على نطاق أكبر.. لذلك أحتاج منكم لبعض الصبر فقط.. كما أن ما أملكه من معدات قليلة لا يتعدى هذا الخنجر وذاك السيف، وهذا لا يكفي لإنجاز الأمر.. أحتاج لأدوات أكثر وبتنوع أكبر لإنجاز ما تطلبينه مني.."

قالت وهي تجلس جانباً "يمكننا أن نقترض شيئاً منها من القبائل القريبة.. سأرسل من يفعل ذلك بأسرع وقت.."

أضاف كين قائلاً "ماذا عن القطران.....؟"

نظرت له ججي باستفهام مندهش، فقال "نحتاج لبعض القطران لإنجاح هذا الهجوم.. وبها أننا لا نملك شيئاً منه مع هربنا من المخيم، فلا يسعنا إلا استعارته من القبائل القريبة.."

لم تجادل ججي وهي تغمغم مفكرة "لن ترضى القبائل بإعارتنا شيئاً ثميناً كهذا، فهي تستخدمه لطلاء عوارض الخيام والمحافظة عليها، كما أنه مفيد لعلاج الحيوانات المصابة بعدد كبير من الأمراض.. لا بد أن نقايضه بشيء ما يعادله في الثمن.."

تساءل كين "ما الذي ستقايضينه به؟.. ليكن في علمك أننا نحتاج لعدد من البراميل المعبئة بالقطران، وعدد آخر من براميل الخمر.."

نظرت له مقطبة وقالت "أنت تكثر من الطلبات هذا اليوم.."

علق كين باستياء "نحن لا نملك باروداً، ولا أدوات أخرى تفيد في مواجهة هذه السفن.. لذا فأنا مضطر لاستخدام المواد البسيطة التي تملكونها لتجاوز هذه الفجوة في القدرات.."

غمغم مینار من جدید "من تكون أنت حقاً یا کین؟"

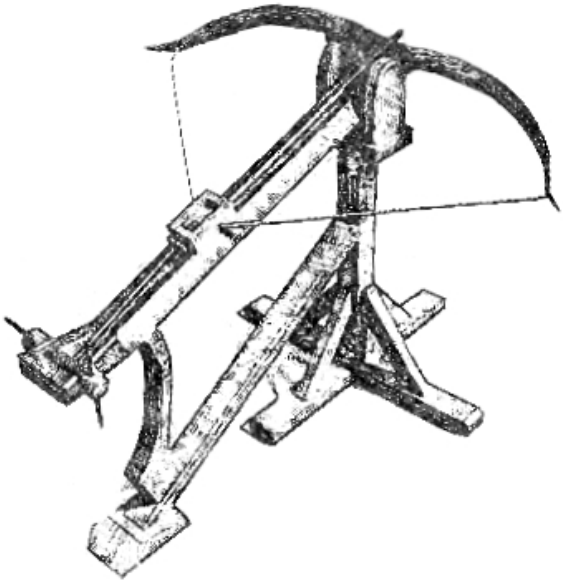
نظر له کین باستیاء، فیما قالت ججي "سأحاول مقايضة ما بقي من الماشية التي یملكها أبي بما تطلبه.. لكنني لا أعدك بالكثیر.. فما أملكه قليل بالفعل.."

والتفتت إلى مینار مضيضة "أظن أنك الأنسب لمثل هذه المهمة یا مینار.. فلکّ صلاتٌ عديدةٌ بعدد من القبائل، وهم سیر حَبُون بأي طلب منك لو كان معقولاً.."

نهض مینار معلقاً "لا بأس.. هذا خیرٌ من البقاء دون عمل كالکسالى.."

زفر کین بصمت وهو ينظر لشقي القوس الذي حصل علیها.. لم یکن قلقاً من نتيجة عمله هذا، بقدر قلقه من نفاذ الوقت اللازم لتحقيقه.. إنه یخشى أن يتعرضوا لهجوم جدید من الجنود قبل أن یتمکنوا من رد الهجوم السابق والقضاء على السفن، رغم أن من یراقبون المخیم من الأكاشي قد أبلغوهم أن الجنود عسکروا فيه ولم یحاولوا التقدم فی السهول بتاتاً.. ولكن لو تعرضوا لهجوم قبل إتمام استعداداتهم، عندها سیكون مصیر ججي محدد سلفاً، ولن تنجو من اثنين.. إما هجوم الجنود أو ید رجال القبيلة..

كانت الأ قواس التي یستخدمها الأكاشي، طويلة الساق ذات انحناء قوية فی منتصفها وبطرفین بارزین للخارج فی نهايتها، وهذا منحها مرونة عالية وقوة كبيرة فی رمي السهام لمسافات طويلة.. أما الآلة التي ینوي کین صنعها، وتسمى العرادة، فهي تستخدم طرفي القوس المرنيّین، فیتم تثبيتهما بشكل متعارض مع قطعة خشبية طويلة فی وسطها انحناء بنفس طولها لوضع السهام الأكبر حجماً من السهام العادية.. ویتم تثبت الحبل فی ثقب علی جانبي الطرف المرن من القوس، ووسطه تثبت قطعة خشبية مربعة ویتم ربطها فی الطرف البعيد.. وعند إطلاقها، تكون اندفاعتها كافية



لدفع السهم ورميه مسافات بعيدة لا یقدر علیها القوس العادي.. وفي النهاية، تثبت هذه الآلة علی حاملٍ ثلاثي الأضلاع وتزود بعجلتين لسهولة نقلها من موقع لآخر..

لقد رأى کین عدداً من هذه العرادات بأشكال وأنواع مختلفة، لكن هذه كانت الأبسط والأسهل فی الصنع

كما يظن.. واعتماداً على مثل هذه الآلة، يمكنه أن يقلب الأمور لصالحهم في هذه الحرب.. لذلك بدأ عمله على ما يملكه من أدوات وعلى بضع أخشاب تمكن الرجال من جمعها له من مواقع متفرقة من السهول المحيطة بهم..

لم يكن صنع الآلة المصغرة صعباً، ومع انتهاء النهار كان كين قد أنجزها وقام بتجربتها عدة مرات أمام ججي وتبريق.. كان حجم الآلة لا يتعدى حجم القوس العادي إلا بمرة ونصف، لكن مداها يتفوق على ما يصل إليه القوس والسهم العادي بأربع مرات على الأقل، والعيب الوحيد فيها هو أنها تستغرق وقتاً أطول لوضع السهام فيها وإطلاقها من القوس العادي.. وقد أثار هذا إبهار ججي كثيراً وهي تراقب كين في تجربته قبل أن تدفعه جانباً وتبدأ بإطلاق السهام بنفسها بمعاونته على عدد من الأشجار البعيدة.. وإزاء اللفتة الواضحة في ملاحظتها، علق تبريق "هذه آلة رائعة فعلاً، لكنها لن تغني عن المواجهة المباشرة بالتأكيد.. كيف لهذه الآلة أن تهزم الجنود المعسكرين وسط المخيم؟.."

نظر له كين معلقاً "هذه الآلة ليس هدفها هزيمة الجنود في المخيم، فكما قلت هذا يستلزم مواجهة مباشرة.."

نظر له تبريق متسائلاً بدهشة "إذن ما الذي ستفعله بهذه الآلة؟"

ابتسم كين مجيباً "هذه العرادة هدفها الوصول لتلك السفن الرابضة على مسافة آمنة وسط الخليج.."

نظر إليه باهتمام وتبريق يعلق "كيف ستغرق سفينة بسهم أو حتى عدة سهام؟.. هذا مستحيل.."

قال كين "ليس الهدف إغراقها.. بل حرقها.."

عندها تساءل تبريق "ألن تجربنا بخططك هذه يا فتى؟.. كيف يمكنك أن تكون واثقاً من التخلص من الجنود وأنت ستدفع الرجال للقتال في جهتين مختلفتين في وقت واحد؟.. لاحظ أن عددنا يقل كثيراً عن السابق خاصة مع الجرحى منهم.."

أجاب كين "ليس الأمر صعباً، لو تفادينا الاندفاع الأحمق في معركة خاسرة.. سأخبركم خطتي الليلة، وسرى ما يحتاج لتعديل فيها وما يجب مراعاته من جميع الجوانب.."

فقال ججي بحماس "هذا رائع.. إذن، لو قمت بإنجاز الآلة ذات الحجم الأكبر بأسرع وقت، يمكننا عندها بدء هجومنا واستعادة مخيمنا دون إبطاء.."

ثم لوحت بإصبعها مضيئة "أمامك يومان فقط، وأريد ستاً من هذه الآلات مع سهام تناسب حجمها الكبير.."

قال كين باعتراض "لا يمكنني صنع أكثر من آلة واحدة في اليوم.. فكيف...؟"

قاطعته ججي وهي تربت على كتفه "لديك تبريق ليعاونك مع من تريده من الرجال.."

فقال بإصرار "لا.. أحتاج لأربع أيام على الأقل.."

نظرت ججي له زافرة، ثم قالت "لا بأس.. لكن لا أكثر من ذلك.."

ونظرت لتبريق مضيئة بانسراح "عندها، سأثبت للقبيلة كاملة أنني الأصلح لهذا المنصب بكل تأكيد.."

فقال تبريق "لا ترفع آمالك كثيراً يا جام.. عليك أن تتأهب للأسوأ دائماً.."

فقالت وهي تشدّ جسدها بحزم "وأنا مستعدة للأسوأ دائماً.. ولن أنزوي خوفاً مما قد يحدث لي.."

لم يعلق تبريق وهو يتسهم ابتسامة متعجبة من إصرارها وعزيمتها لتحقيق هذا الهدف.. فمن يصدق أن يتغير حالها بشكل كبير بهذه الصورة؟.. في السابق، كانت قانعة بما حصلت عليه وجلّ اهتمامها الحصول على رضى قادور عنها.. أما الآن، فلا يبدو أن شيئاً ما سيقف في طريقها لاستحقاق الزعامة على هذه القبيلة..

\*\*\*\*\*

بعد يومين، ومع قرب مغيب الشمس في اليوم الثاني، كانت ججي تقف أمام رجال قبيلتها تشرح لهم خططها بكلمات بسيطة.. وفي جانب من تلك الكهوف التي لم تتخلّ عن البرودة القارسة في أنحاءها، رأت تينا أن تبريق يستعد لخوض المعركة مع البقية بصمت.. شعرت بشيء من التوتر وهي تجلس جانباً تراقبه، ثم قالت بشيء من الضيق "ما الذي يدعوك للمشاركة وجرحك لم يبرأ بعد؟.."

علق تبريق قائلاً "العديد من الرجال قد أصيبوا بجراح أثناء المعركة الأخيرة.. جام نفسه مصابٌ بجرح كبير لم يجعله عاجزاً عن المشاركة في المعركة القادمة.. فما الذي يمنع مشاركتي أنا؟"

لم تجبه تينا وهي تفرك يديها بصمت، فنظر إليها تبريق معلقاً "أتخشين على نفسك لو حدث لي مكروه؟"

نظرت له متفاجئة من هذا التعليق، ثم غمغمت بمرارة "أهذا ما تظنه حقاً؟"  
قال وهو ينهض واقفاً بعد أن أتم استعداداته "بلى.. أنت أوضحت لي بكل صراحة أنك تكرهين  
وجودي.. فما الذي يجعلك قلقة لشأني إن لم يكن الأمر متعلقاً بسلامتك أنت؟"  
اندفعت تقول بعد تردد "ليست هذه هي الحقيقة وحدها.. أنا لست..."  
قاطعها تبريق وهو يرمقها بنظرة جانبية "لو تخشين على نفسك من الترمّل، فيمكنني أن أطلقك الآن  
حالا.. ألن يكون هذا أفضل؟"  
احتقن وجه تينا لقوله، وعلقت بصوت منفعل "وهل تزوجتني لتقوم بتطليقي بعد عدة أيام؟.. هل تعبث  
بي؟"

أدار تبريق وجهه جانباً وهو يغمغم "قطعاً لا أقصد ذلك.."  
لا يدري تبريق كيف يشرح لها مزيج القلق الذي يغمره عليها بإحساسه بالضيق لشعوره بأنها تتمنى  
مفارقتها بأي وسيلة ممكنة.. هل يجدي أي حديث بينهما الآن؟.. ربما كان مخطئاً بالفعل لأنه سعى خلفها  
رغماً عنها، لكن كيف يمكنه تصحيح هذا الخطأ الآن؟..  
سمعها تقول بضيق "قلقي للجرح الذي أصابك لا يعني أنني أخشى على نفسي من الترمّل.. أنا أقرر  
حقيقة أراها أمامي.. أنت وججي لا تصلحان للقتال في هذا الوقت.. فما الذي يمنع بقاءكما وعدم  
مشاركتكما هذه المرة؟"

ليرعلق تبريق وهو ينهي استعداداته ثم يغادر بصمت، مما أشعرها بدهشة شديدة.. أليس هو من أصرّ على  
الزواج بها رغم كل اعتراضها؟.. لمَ قرر أن يتجاهلها الآن ويُعرض عنها؟.. لمَ قرر أن يطلق سراحها الآن  
بالذات؟.. لمَ يحاول إفهامها أنها مذنبه لأنها فكرت بغيره رغم أنه تزوجها وهي تحب غيره بالفعل؟.. ما  
عادت تفهمه، وما عادت تعرف ما عليها فعلة مع كل هذه التغييرات التي طرأت في حياتها وحياة القبيلة  
كاملة خلال أيام معدودات.. البقاء معه مستحيل، ومفارقتها مستحيلة أيضاً في ظل هذه الظروف.. فما  
العمل؟..

بعد ساعات قليلة، كان رجال القبيلة قد انقسموا لفريقيين وفق تعليمات مينار وتبريق، بينما بقي فريق ثالث  
أقل عدداً لحراسة الكهوف ومن فيها.. انطلق الفريق الأول بقيادة تبريق ساحباً معه ستة عرادات قام كين



ومن معه من الرجال بإنجازها خلال اليومين الماضيين بالعمل المتواصل وشق الأنفس، ومعهم انطلق كين على ظهر حصانه وهو يجرح خلفه عربة صغيرة لحمل السهام التي تفوق السهام العادية في الحجم بأربع مرات على الأقل، بالإضافة لكمية معقولة من الجرار الفخارية الصغيرة التي يستخدمها الأكاشي عادة للشرب، وإن كان الغرض من وجودها يختلف اختلافاً كلياً هذه المرة.. كان مسار تلك الفرقة المكونة من ثلاثين رجلاً يدور بهم حول المخيم ونحو جانبٍ أبعد من الحد الصخري الذي ينشئ بشكل حاد مخترقاً جانباً من الخليج القريب.. فكان على كين اختيار الموقع الذي يجعلهم أقرب ما يكون من السفن لتقليل احتمال الفشل قدر الإمكان.. ورغم أن السفن قد اختارت أن تبقى وسط الخليج بعيدة عن مرمى سهام الأكاشي، لكن قوة العرادات كانت كفيلة بتجاوز تلك المسافة بسهولة مع بعض التخطيط..

أما الفريق الثاني، بقيادة ججي وإشراف مينار، فقد انطلق نحو المخيم الذي كان قبل يومين ملكاً لقبيلتهم، لكن الأعداء استباحوه عندما اضطر الأكاشي للفرار منه مهزومين للمرة الأولى في تاريخ القبيلة.. كانت الخطة تقضي بأن ينتظر فريق ججي حتى يبدأ هجوم الفريق الأول، لئلا تحاول السفن التدخل أثناء هجومهم على المخيم بمدافعها القوية وقلب المعركة لصالح أعدائهم..

أشرف مينار على توزيع الرجال الذين لا يقل عددهم عن خمسين رجلاً في دائرة واسعة حول المخيم مستترين بالتلال القريبة دون أن يكشفوا أنفسهم للجنود المعسكرين في المخيم نفسه.. بينما ربضت ججي في جانب المكان وهي تراقب المخيم بتدقيق، ملاحظة عدداً من الجنود في جوانبه يقومون بمراقبة الموقع تحسباً لأي هجوم.. ولما اقترب منها مينار قائلاً بخفوت "كل الرجال في مواقعهم.."

تساءلت ججي "أنت متأكد أنهم لم يصدروا صوتاً يلفت الأنظار إليهم؟"

هز مينار رأسه بتأكيد مضيفاً "سأخذ البقية للموقع الآخر الذي اتفقنا عليه.."

زفرت ججي وهي تمسك قوسها بيد مغممة "الآن لا نملك إلا الانتظار.."

علق مينار "أنت مجهدٌ بسبب هذا الجرح، لذا لا تتعب نفسك في هذه المعركة واكتفِ بمراقبة الوضع.."

قالت ججي بعناد "محال.."

فقال مينار وهو يستدير مبتعداً "لا تتهور أثناء غيابي يا جام.."

في الوقت ذاته، وصل كين لموقع من المنحدرات الصخرية يقربهم من السفن الرابضة بصمت وسط الخليج

المظلم.. كان نور القمر يمنحهم بعض الرؤية بحيث بدت لهم السفن على شيء من الموضوع.. تأمل كين القمر المنير والأمواج العالية التي ثارت ثائرتها مع المد القوي الذي كان في أوجه، ثم قال للرجال من حوله "ضعوا العرادات في مواقعها التي حددتها لكم وكونوا متأهبين.. علينا التثبت من مواقعنا وإعداد العرادات بشكل كامل قبل بدء الهجوم.. فعند بدئه، لن يكون أمامنا وقت طويل للهجوم ببطء وتراخٍ.."  
أسرع الرجال لتنفيذ طلبه، بتوزيع اثنتين من العرادات في موقع مختلف عن البقية ومعها عشر رجال، وكل مجموعة مهمتها التركيز على سفينة من السفن وترك السفينتان الباقيتان للمجموعتين الأخرتين.. وبين كل مجموعة وأخرى مسافة كافية لتشتيت السفن لو حاولت الرد على هذا الهجوم بمدافعها..  
وقف تبريق قرب كين متسائلاً "لم أفهم كيف يمكن لهذه الآلات الست إسقاط تلك السفن بمدافعها القوية.. كن حذراً مع بدء الهجوم، فستقوم السفن بالرد علينا بكل قوة خلال وقت قصير.."  
قال كين بهدوء "بخطتي هذه، أتمنى أن تتمكن من شغلهم بما فيه الكفاية حتى تتهاوى السفن بالنيران التي ستشب في جوانبها.."

غمغم تبريق "أنظنهم سيكونون عاجزين عن إطفاء تلك النيران؟"

زفر كين بتوتر لم يتمكن من السيطرة عليه وقال وهو يتأمل الرجال "أتمنى ذلك.."

بعد بعض الوقت، وفي موقع يتوسط إحدى السفن التي تربض وسط الخليج، جلس قائد تلك السفينة وسط رجاله وهو يتساءل "لم تصل أي أخبار من الملك فارس بعد؟.. لقد تأخر رده كثيراً.."  
أجاب أحد معاونيه "لم يمض يومان على إرسالنا تلك الرسالة بواسطة الحمام الزاجل.. سيمضي بعض الوقت قبل أن يعود الحمام إلينا برد الملك.."

هز القائد قدمه بعصية وهو يقول "إننا لا نعلم إن كانت الخطة تسير كما خطط لها.. هل جرت الأمور على ما يرام لدى الفرق الأخرى؟"

أسرع المعاون يلخص له ما وصله من معلومات من فرق الجيش العربي الأخرى، بينما انتبه أحد الجنود الذي كان يقف قرب حاجز السفينة لضوء يشتعل في جانب بعيد من المعسكر عند حافة المنحدر.. ظل يراقب الوضع مقطباً للحظة فيما تساءل جندي آخر وهو يقترب "ما الأمر؟.. أهناك من يقترب من المعسكر؟"

غمغم الجندي الأول مشيراً للأمام "أترى تلك النار المشتعلة عند حافة المنحدر؟.. موقعها غريب، فهي ليست بعيدة كفاية عن المعسكر، وليست قريبة منه لنظن أنه تابع لجنودنا.."  
علق الجندي الثاني "ربما كانت فرقة من الأكاشي عسكرت في ذلك الموقع.."  
قال الجندي الأول "لكن موقعها يثير الريبة بالفعل.."

أحضر الأداة التي تسمى المرقاب، وهي عبارة عن اسطوانة من جزئين متحركين ويحوي عدسة في كل جانب، وبجذب جانبي الأداة لإطالتها يمكن تقريب المسافات بشكل كبير للناظر عبرها.. نظر الجندي عبر المرقاب إلى المنحدر البعيد حيث اشتعلت تلك النار، ثم قال "إنها فرقة من الأكاشي، لكن عددهم قليل نوعاً ما.. ما الذي يفعلونه هناك؟"

جذب رفيقه المرقاب من يده، ونظر عبره نحو تلك الفرقة من الأكاشي التي كانت تتحرك بنشاط واضح رغم الوقت الذي مضى من تلك الليلة، وقال بدهشة "ما الذي يشعلون النيران فيه؟ لا يبدو أنهم قد أشعلوها للتدفئة، وهناك حاملٌ خشبيٌ لا أعرف هويته بالضبط من هذه المسافة.."  
قال الأول بشيء من التوتر "سأخبر القائد بما رأيته.."

وأسرع للقائد ليخبره بما يجري، بينما بقي الجندي الثاني يراقب ما يفعله الأكاشي قرب المنحدرات، عندما لاحظ تلك النار المحدودة التي ارتفعت عالياً في السماء قبل أن تهوي نحوهم.. كان واثقاً أن الأكاشي لا يملكون أي نوع من المدافع، وسهامهم لا تتجاوز المسافة الفاصلة بينهم وبين السفينة مهما حاولوا.. فما ذاك الذي يندفع نحوهم بتلك القوة والسرعة؟..

تراجع الجندي بمفاجأة وهو يرى النار تهوي في مياه الخليج في موضع قريب من السفينة، ثم عاد يبصره للمنحدر بتفحص أكبر وهو يتمتم بدهشة "أتلك عرادة تطلق السهام؟.. مستحيل.."

رأى سهماً خشبياً آخر ينطلق نحوهم متخذاً مدىً أكبر من السابق، بعد أن عدل الرماة ارتفاع رأس العرادة، بينما تعالى صياح الجنود حوله ممن انتبه لما يجري.. كانت النار التي تشتعل عند رأس السهم صغيرة جداً ولا أهمية لها، لذا سمع الجندي أحد رفاقه يقول بشيء من الهزء "أیظنون أنهم قادرين على حرق السفينة بهذه النار البسيطة؟.."

قطب الجندي وهو يراقب سقوط السهم الذي هوى بسرعه الكبيرة ليرتطم بصاري السفينة الذي يحمل

الشرع الأكبر بين ثلاث أشعة رئيسية.. لكن خلافاً لتوقع رفيقه الذي نظر للموضع بشيء من الاستهانة، فإن النار التي كانت تبدو لهم ضئيلة قد اشتعلت فجأة بقوة مع ارتطام السهم بالصاري وتعالى صوت تحطم شيء ما، فأضاء وهجها المكان بشيء من الوضوح قبل أن تنتشر النار على مساحة كبيرة تثير القلق..

تعالى الصياح بين الجنود وهم يبحثون عما يطفئون به النيران، فيما سقط سهم ثانٍ على مقدمة السفينة والتي اشتعلت بالطريقة ذاتها بشكل بدا يخالف المنطق.. فصاح بهم القائد "أطفئوا تلك النيران بسرعة.. لا تنتظروا احتراق السفينة كالبلهاء.."

بدأ الجنود بالتوجه للبراميل الموزعة بعناية في أجزاء السفينة حاملة بعض الماء والتراب اللازمين لإطفاء أي نار قد تشتعل في جوانبها، وهو إجراء احترازي في مثل هذه السفن الخشبية.. لكن سباقاً كان قد بدأ في تلك اللحظات بالفعل بين الأكاشي الذين يمطرون السفينة بسهامهم المشتعلة، وبين الجنود الذين يتراكمون في جوانبها لإطفاء أي نار تنشأ فيها.. لكن لم يكن الأمر سهلاً والمعاون يركض إلى القائد قائلاً "سيدي القائد.. يبدو أن هذه السهام تحمل معها مواد مخلوطة سريعة الاشتعال في حاوية.. إن النار لا تنطفئ بسهولة، وسنعجز عن السيطرة على هذا الحريق في الجوانب التي لا نصل إليها.."

غمغم القائد بغیظ "أولئك الأراذل الهمجيون.. كيف أمكنهم فعل ذلك؟"

سمع صيحة من معاون وهو يشير للأعلى، فرفع القائد بصره بدوره ليرى سهماً آخر برأسٍ مشتعل يطير ليسقط على الشرع الرئيسي.. وفي لحظة خاطفة، اشتعلت النيران في الشرع الذي كان مدهوناً بالقطران سابقاً لحمايته من التلف في الرحلة الطويلة، لكن ذلك أتى بنتيجة عكسية والقطران الذي كان سريع الاشتعال قد بدأ يضحّم النيران ويساعدها على التهام الشرع الكبير، قبل أن تتساقط أجزاءه بالفعل على سطح السفينة وسط دعر الجنود الذين راقبوا الوضع..

تمالك القائد نفسه وهو يتعد عن النيران المتهاوية صارخاً بجنوده "استعدوا لإطلاق المدافع والقضاء على تلك الشرذمة.. أرسلوا الإشارة للسفن الأخرى لتعاوننا في صد هذا الهجوم.."

لكن سهاماً أخرى تطايرت بشكل متتابع دون أن تسمح للجنود بالسيطرة على الوضع بالفعل، فيما قال معاون للقائد بانفعال "سيدي.. يبدو أن السفينتين الباقيتين تتلقيان الهجوم ذاته، لذا لا أتوقع منها معاونتنا في هذا الأمر.."

لم يرتبك القائد لمثل هذا الخبر وهو يصرخ بغضب في الجنود "جهزوا المدافع وأطلقوها.. أطفئوا هذه النيران أيها الحمقى.. ما الذي تفعلونه بحق السماء؟"

وفي جانب ذلك المنحدر، بدت النيران التي تأكل تلك السفينة واضحة لعيني رجال الأكاشي الذين استمروا بإطلاق السهام بعد إشعال مقدمتها وقد تزايدت حماسهم مع رؤية نتائج سريعة لعملهم ذلك.. كانت تلك السهام معدة بشكل يختلف قليلاً عن المعتاد، ففي مقدمتها، وعند رأس السهم الحاد، تم ربط إحدى تلك الجرات الفخارية رقيقة الجوانب بإحكام بعد أن ملئت بخليط من القطران والخمر.. وتمت تغطية فوهتها بإحكام بقطعة قماشية مبللة بالمادة نفسها، والتي يتم إشعالها قبل رمي السهم بقليل.. ومع وصول السهم لهدفه بإنذاف قوي، فإن الجرة تتحطم مع ذلك الارتطام العنيف وتنتثر ما بقلبها على مساحة واسعة حولها لتبدأ النيران في التهام ذلك المزيج بسرعة لا يلاحقها الجنود.. فهاتان المادتان سريعتا الاشتعال كما يعرف الجميع، وبينما يمكن الخمر النار من الانتشار لمساحة كبيرة بخفة مادته، فإن القطران الثقيل الذي يلتصق بجوانب السفينة قادر على جعل النار عسيرة على الإطفاء إلا بجهد جهيد..

وقف كين يراقب السفينة والسفن الأخرى بقلق واضح، وهو يشير للرجال الذين استمروا بإطلاق السهام على استهداف المواقع التي لا يمكن للجنود الوصول إليها بسهولة.. بينما قال تبريق بإعجاب "كيف استطعت إشعال الحريق بمواد بسيطة كالقطران والخمر؟.. أنت ساحر؟"

قال كين بتوتر "لا.. يحتاج الأمر لبعض التخطيط.. أنتم لا تستخدمون أي نوع من القنابل، والسهام العادية لن تكفي لحرق السفن حتى مع إشعال مقدمتها.. لذا كان لا بد من العثور على عوامل تساعد على إشعال النيران بصورة يصعب السيطرة عليها من قبل الجنود.."

فقال تبريق "لكن خطتك تلك كانت عبقرية.. ما كان الأكاشي ليستطيعوا الإتيان بمثلها، والجنود العرب يدركون ذلك، لذلك صدمتهم كبيرة دون شك.."

لم يجب كين وهو يراقب الوضع بقلق.. رغم أن النيران قد اشتعلت في السفن الثلاث بتتابع سريع، لكن هذا لا يمنعها من الرد على الهجوم والقضاء عليهم بضربة من مدافعهم.. قلب بصره في السفن وفي الرجال القريبين منه، ثم صاح بهم "حان أوان التراجع يا رجال.. علينا الابتعاد بأسرع ما نستطيع.."

نظر له الرجال بدهشة، لكن تبريق أسرع يقول "أطيعوا الأمر بسرعة.. يمكن لتلك السفن القضاء علينا

بضربة واحدة من مدافعها.."

وقال لأحد الرجال "انطلق لتحذير الفريقين الآخرين، وليترجعوا دون إبطاء.."

تراجع الرجال وهم يجذبون العرادتين والعربة التي تحمل ما بقي لديهم من السهام باستخدام الأحصنة، بينما انطلق الرجل الذي أرسله تبريق لتحذير البقية.. فالتفت تبريق وهو يلكر حصانه لبيتعد عن هذا الموقع "أما كنا نملك البقاء لوقت أطول للتأكد من إنجاز مهمتنا؟.. قد يتمكن الجنود من إطفاء الحريق رغم كل شيء.."

قال كين "لا.. لقد استنفذنا الحظ الذي نملكه ببقائنا في ذلك الموقع.. علينا تغيير موقعنا حالياً، ثم نعاود الهجوم بعد أن نتأكد أن الجنود مشغولون بأمر النار عن الرد علينا.."

فوجئوا في تلك اللحظة بقذيفة مدفعٍ تصيب الموضع الذي كانوا فيه منذ قليل.. ارتمت الصخور في بقعة واسعة من أثر تلك الضربة، فيما سقط الرجال جانباً لقوة الانفجار الذي سبب إصابات مختلفة بينهم.. لكن سرعان ما تمالك الرجال أنفسهم وسارعوا للابتعاد أكثر فأكثر عن مرمى تلك المدافع قبل أن تصيبهم الضربة التالية، فيما لم تمسّ العرادتين بأي ضرر.. نهض كين بشيء من العسر مع الآلام التي انتشرت في جسده مع سقوطه، وابتعد تابعاً الرجال وهو يتساءل بقلق "ما الذي جرى للفرق الأخرى؟"

لم يملك أحد الرجال إجابة لسؤاله، وسرعان ما لاحظ كين عودة الرجل الذي أرسله تبريق بأسرع مما توقع وهو يصيح "لقد تمكنت فرقة باشتا من التراجع في الوقت الملائم، لكن قذيفة أصابت فرقة داسوو قبل أن أصل إليهم وأنذرهم.. هناك العديد من القتلى بينهم وبعض الجرحى، وقد فقدنا العرادتين اللتين كانتا عندهم.."

صاح تبريق ببعض الرجال "أسرعوا لاستعادة الجرحى، وابتعدوا بهم متوغلين في السهول لئلا تصيبكم ضربة أخرى من السفن.."

أشار تبريق لبقية الرجال للتراجع بسرعة، بينما توقف كين للحظة متأملاً المعسكر الذي يبدو على شيء من المبعدة من موقعهم.. ترى، هل بدأ هجوم الفرقة الثانية من الأكاشي بالفعل؟.. وما ستكون نتيجتها بعد كل ذلك الجهد الذي بذلوه لإنجاح هذه الخطة؟..

عاد يبصره للسفن التي لم تهدأ النيران التي تلتهمها حتى تلك اللحظة، ثم التفت إلى تبريق القريب وقال

"سنبعد حتى نطمئن أن تلك السفن قد غرقت بالمدافع التي عليها.. عندها، علينا العودة وانتظار من سيتمكن من الجنود من الوصول لهذا الشاطئ هرباً من ذلك الحريق.."

فقال تبريق "لا تقلق.. سنقضي على كل جندي منهم قبل أن يطأ الشاطئ بقدميه.."

صمت كين عن التعليق وهو يراقب تراجع تبريق مع البقية.. رغم أنه سعى لمعاونة الأكاشي في القضاء على أعدائهم في المعركة السابقة وفي هذه المعركة، لكن هذا لا يثير أي سعادة في نفسه.. خشيته على ججي هو ما دفعه لتجاوز عدم اعتياده على هذه الأمور وكراهيته للقتل ورؤية الدماء التي تسيل دون توقف في هذه السهول.. فهل سينسى ضيقه وكراهيته هذه يوماً ما ويصبح مثل الأكاشي يستمتع بما يفعله من قتل وتدمير؟.. يخشى تلك اللحظة، لكن لا يملك التنصل مما هو فيه الآن..

تراجع مع البقية وهو يراقب تلك القذائف التي أطلقتها السفن بشكل متتابع، لكن في هذه المرة بدا بوضوح أنه تم إطلاقها دون تمييز ودون تدقيق كبير على الهدف.. مما يشي بالبلبله التي عمّت أرجاء تلك السفن في تلك اللحظات..

\*\*\*\*\*

عندما بدأت النيران تشب في أطراف السفن وفي أشرعتها، جذب ذلك انتباه الجنود بشدة في المعسكر وهم يقفون قرب المنحدر الصخري يراقبون ما يجري بهلع واضح.. وقد كانت النيران واضحة من التلال التي تحيط بالمعسكر حيث اختبأ الأكاشي بصمت وسكون.. ولدى رؤيتها، التفت ججي إلى الرجال قائلة "استعدوا الآن.."

بدأ الرجال بشد الأقواس بسهامها، وإشعال طرف السهم في النار التي يحملها البعض بمشاعلهم، بينما بقيت ججي تراقب الوضع في المخيم للحظات.. ولما رفعت يدها بالإشارة، تطايرت السهام المشتعلة نحو السماء قبل أن تهوي نحو المخيم الساكن في الجانب الآخر من تلك التلة.. تساقطت السهام كأمطار نارية على جوانب المخيم، وسرعان ما بدأت النيران تشتعل في جوانبه وهي تلتهم الأخشاب والخيام التي تدمرت في هجوم الجنود السابق، ملقاة بضوئها الأحمر على مواقع عديدة من المكان.. ومع تساقطها، بدأ

الأكاشي يسمعون صياح الجنود من عدة مواقع من المعسكر..

فعلق أحد الرجال وهو يراقب ما يجري من موقعه "من الخسارة أن نفقد المزيد من الخيام بعد كل ما خسرناه بسبب هجوم الجنود.."

قالت ججي وهي تراقب الوضع "لقد أوصيت الرجال برمي السهام المشتعلة نحو الخيام المدمرة بالفعل.. وتجنب الخيام السليمة ما استطاعوا.. كل ما نبغيه هو دفع الجنود للخروج من المخيم بأسرع ما يمكن.."

قال الرجل "لكنهم لن يخرجوا باستسلام كما قد نتوقع.."

لم تعلق ججي وهي ترى الرجال مستمرين في إطلاق السهام المشتعلة في مواضع معينة من المخيم الذي بدأت النيران تتوهج فيه بقوة، وبدا ارتباك الجنود أوضح فأوضح مع كل لحظة تمضي.. عندها قالت ججي "استعدوا.. سيحاولون إزاحتنا من هذا الموقع ليتسنى لهم الهرب.."

كانت فرقة الأكاشي تحيط بالمخيم بشكل كامل، مختبئة خلف التلال القريبة والتي تشكل حاجزاً طبيعياً له.. وعندما حاول الجنود الفرار من أحد جوانبه، بدأ الأكاشي باقتناص من تطاله سهامهم بسرعة ومهارة حتى جندلوا ما يقارب سبعة جنود قبل أن يأخذ البقية حذرهم.. تراجع الجنود بسرعة مع هذا الهجوم، وبدؤوا بإطلاق رصاصات بنادقهم متخذين جوانب الخيام كحاجز يحميهم من السهام.. لكن الظلام الذي يخيم على التلال باسطاً حمايته على الأكاشي، كان يناقض النيران التي اشتعلت في المواقع القريبة من المخيم كاشفة مواقع الجنود بدقة بحيث غدا من السهل على الأكاشي اقتناص من يبدو لهم قبل أن يتخذ حذره..

استمر هجوم الأكاشي على كل جانب حاول الجنود الهرب عبره من المخيم المشتعل، وتساقطت السهام بشكل عشوائي على الجنود فتسببت بقتل وجرح بعضهم بالفعل، دون أن يتمكن الجنود من إحراز أي فوز على الأكاشي المختبئين خلف التلال.. عندها صاح قائد تلك الفرقة من الجند بهم من وسط المعسكر "عودوا للقوارب ولنحاول الهرب عبرها.."

قال نائبه القريب بقلق "ألا يخالف هذا الخطة التي وضعها لنا قائد الجيش؟.. ثم إن السفن قد احترقت بالفعل وهي تغرق الآن في قلب الخليج، فما الذي يمكننا فعله بهربنا عبر البحر؟"

أجاب القائد بحدة "سنهرب عبر الخليج ونحاول الرسو في أي موقع بعيد عن هذا المخيم.. لقد قمنا بما يمكننا القيام به لتنفيذ الخطة بالفعل، ولن يعبأ بنا القائد لو تمت إبادتنا بشكل كامل الآن.."



غمغم النائب باستياء "لن يسعد القائد بسماع هذا القول منك أنت.."

قبض قائد الجنود على عنق نائبه قائلاً بغیظ "أتحاول تهديدي؟"

نظر له النائب هازماً رأسه بتوتر، فأطلقه القائد وهو يصيح بباقي الجنود بحدة "عودوا للقوارب وغادروا الموقع بسرعة.."

ثم عاد يبصره إلى النائب مضيفاً بصرامة "ابق مع عشرة جنود وحاولوا شغل الأكاشي حتى يهرب البقية.. سنُبقي لكم قارين لتهربوا عليها بعد أن نغادر نحن بالفعل.."

صمت النائب بشيء من الشحوب وقد أدرك أن القائد لن يتردد في التخلي عنهم بالفعل، لكن لو حاول عصيان الأوامر فقد يقتله القائد عندها على الفور.. عندها التفت النائب إلى بعض الجنود وألقى إليهم أوامره ليصدوا هجوم الأعداء ويمنعواهم من اللحاق بالقائد وبقيّة الجنود..

وفي موقعها خارج المعسكر، راقبت ججي ما يجري بصمت عندما سمعت صوت الانفجار الذي بدا من مبعدة في جانب المنحدر المطل على الخليج.. رغم أن الأمر كان متوقعاً، لكنه رغم ذلك صدم ججي التي اتسعت عيناها والرجال قربها يراقبون الموضع بدورهم فيما قال أحدهم بقلق "أهذا موقع الفرقة المصاحبة للعرادات؟.. هل قتلوا؟"

تزايدت التتمتات القلقة من الرجال حولها، فيما حاولت ججي تحويل قلقها على كين ومن معه بصعوبة وهي تصيح في الرجال "أكملوا عملكم.. لا تتهاونوا الآن فتسمحوا للجنود بالفرار من هذا الموقع.."

بدأ الرجال بالعودة لمواقعهم ومهاجمة الجنود من جديد، بينما رمقت ججي ذلك الموقع الذي اشتعلت فيه النيران بشكل محدود وهي تعض شفتها السفلى بشيء من الحنق.. هل تهاون كين في عمله حتى فاجأته السفينة بقصف من إحدى قنابلها؟.. لم لم يتراجع في الوقت الملائم قبل أن يحدث ذلك؟.. وكيف للسفينة أن تستمر بهجومها بعد كل ما جرى لها؟..

عادت ججي يبصرها لما يجري قربها وقالت للرجال "فلننته من أمر الجنود هذه الليلة يا رجال.. لا يجب أن نضيع تضحيات الرفاق سدىً بتاتاً.."

في جانب آخر، انطلق قائد الجند بين فرقة من جنوده متجهين نحو الجانب المنخفض من المنحدرات ونحو الشاطئ الضيق الذي تحدّه الصخور من كل جانب.. كان الموقع يمتد لمسافة معقولة في جانب المنحدرات،

وقد رفع الجنود القوارب سابقاً على الشاطئ الضيق خوفاً من أن تسحبها الأمواج معها، بينما تناثرت الصخور الطولية في جوانب المكان مشكلة حاجزاً عالياً يخفي ذلك الشاطئ عما وراءه.. تلفت الجنود من حولهم بقلق محتفظين ببنادقهم في أيديهم، بينما قام فريق منهم بجذب القوارب نحو المياه تمهيداً للهروب عليها من هذا الهجوم.. تلاحق الجنود نحو ذلك الشاطئ حتى كاد عددهم يكتمل، بخلاف الفرقة التي بقيت لشغل الأكاشي عن اللحاق بهم، ولما بدأ الجنود بالصعود للقوارب التي كانت تسع عشرة جنود لكل قارب، رأوا أحد رفاقهم يسقط فجأة على وجهه وسط القارب بصمت.. وبشيء من التدقيق، لاحظوا ذلك السهم الذي اخترق عنقه بدقة وأسقطه جثة هامدة.. التفت الجنود حولهم بتحفظ وقلق بحثاً عن مصدر الهجوم، عندما فوجئوا برؤية عشرات من الأكاشي يخرجون من خلف الصخور العالية وهم يصرخون بقوة شاهرين سيوفهم..

وجد الجنود، مع هذا الهجوم، أنهم قد أصبحوا في مواجهة فريقين من الأكاشي خرج لهم من جوانب المكان، وكل فريق لا يقل عدد أفراده عن عشرين رجلاً.. فحاولوا إيقاف ذلك الهجوم بإطلاق بنادقهم بتتابع على رجال الأكاشي، لكنهم تمكنوا من صد تلك الطلقات بدروعهم المعدنية التي رفعوها أمام أجسادهم وهم يقتربون من الجنود راكضين بحماس ولده الغضب الذي ملأ صدورهم في الأيام الماضية.. اندفع القائد مع مرأى ذلك الهجوم نحو أقرب قارب منه بذعر حيث سبقه بعض جنوده، وصاح فيهم "جذفوا بأسرع ما تستطيعون.."

بدأ الجنود بالتجديف بسرعة مبتعدين بالقارب عن الشاطئ، فيما راقب القائد المعركة بقلق دون أن يحاول التدخل أو التمهّل لقيادة جنوده فيها.. ومع أول دفعة تصل لموقع الجنود، ارتفعت السيوف العريضة وهوت بعنف على الدخلاء وهي تقتل وتصيب كل من تطاله دون تمييز أو تهاون أو أدنى قدر من الحذر، فيما اندفعت فرقة أخرى بين الجنود نحو القوارب التي صعد إليها بعضهم محاولين الهرب من الهجوم العنيف.. ووسط الأكاشي، صاح مينار برجاله وهو يشارك في التخلص من الجنود "أوقفوا القوارب بكل ما تستطيعون.. لا تسمحوا لهم بالهرب.."

ورغم ذلك، تمكن القائد مع بضع جنود من الهرب بأحد القوارب وهم يجذفون بأسرع ما يستطيعون متوغلين في ذلك الخليج.. فيما تساقطت الجثث في المياه الضحلة قرب الشاطئ وسالت الدماء صابغة

الرمال والمياه القريبة بلونها الأحمر البشع..

وفي الجانب الآخر، لاحظت ججي ومن معها من الرجال أن مقاومة الجنود قد خفت كثيراً حتى توقفت في لحظة من اللحظات.. عندها صاحت برجالها "بيدو أنهم حاولوا الهرب بالفعل.. فلتقدموا من المخيم، وكونوا حذرين من أي خدعة قد يحاولون بها الإيقاع بنا.."

أسرع جزء من الرجال للتقدم من المخيم، فيما بقيت مجموعة منهم في مواقعهم يحذر تبعاً لتعليمات ججي.. وقبل أن تتبع ججي رجالها وهي تستل سيفها بالفعل، رأت في جانب المكان فرقة من الأكاشي تتقدم منهم مسرعة يترأسهم تبريق.. ولما رأت كين من خلفه تنهدت براحة وهي تتقدم منهم قائلة "ما الذي جرى؟.. لقد رأينا انفجار إحدى القنابل في موقعكم السابق.. فأى فريق أصيب؟"

أجاب تبريق "فرقة داسوو أصيبت، وهناك بعض القتلى والجرحى بينهم.. لكننا تمكنا من إتمام مهمتنا وقضينا على كل من حاول الهرب من الجنود إلى الشاطئ قبل أن تظأ أقدامهم الأرض.."

أضاف كين "بعض الجنود مع قادتهم قد فروا عبر البحر مستخدمين قوارب النجاة الصغيرة.. لكن لا أظنهم سيعودون إلينا فموقفهم ضعيف جداً.. قد يحاولون الوصول للأرض في موقع بعيد ومن ثم العودة لموطنهم دون الاشتباك معنا.."

فقلت ججي "هذا رائع.. إذن يمكنكم مد يد العون لنا حتى نتخلص ممن بقوا في المخيم.."

وأشارت للمخيم القريب مضيئة "مينار والرجال قد بدؤوا الجزء الخاص بهم بنجاح.. علينا معاوتهم حتى نظهر المخيم من الجنود بشكل كامل.."

وأسرعت نحو المخيم بلا تردد يتبعها تبريق وبقية الرجال، وفي المخيم، تجاوزوا عدداً من جثث الجنود قبل أن يصل لسمعهم صوت الصياح الصادر من الشاطئ حيث لا يزال مينار وفريقه يحاولون التخلص من الجنود بشكل كامل.. تجاوزت ججي الخيام دون تردد، وسرعان ما انضمت لرجالها بشيء من الحماس وهي تضرب كل من تطاله يدها من الجنود الذين سرعان ما تهاووا أمام هجمة الأكاشي التي تكتسح كل من أمامها.. لم يستمر الوضع طويلاً مع انضمام ججي ورجالها لفرقة مينار، ومع آخر جندي سقط بضربة من سيف ججي، خلا الموقع تماماً من الجنود وبقيت جثثهم تفتersh الشاطئ الذي أصبح لا تُرى رماله لكثرة الأجساد التي تغطيها..

وقفت ججي تلهث بقوة وانفعال محاولة تناسي جرحها المؤلم والذي بدأت الدماء تنزف منه شيئاً ما من جديد، فيما تصايح الرجال من حولها فرحاً بهذا النصر بصوت وصل صدها للمخيم القريب.. لكن بالنسبة لججي، كان الأمر أكثر من مجرد نصرٍ على الأعداء واستعادة كرامة القبيلة.. كانت هذه هي الحرب الأولى التي تخوضها وحيدة كزعيمة لهذه القبيلة.. ونجاحها يعني أكثر من ذلك.. فبهذا النجاح، يمكنها أن تحصل على ثقة رجال القبيلة بها، ويمكنها أن تثبت في منصبها الجديد بثقة وأمان أكثر.. يمكنها أن تحقق ما سعى إليه قادور بكل ما فعله منذ أعلنها ابناً له.. ويمكنها أن تثبت أنه لم يكن مجنوناً كما كان الجميع يردد أمامه وخلف ظهره.. وعند عودتها للمخيم يتبعها بقية الرجال، ظلت واقفة في موقعها تقلب بصرها في وجوه من حولها، وترقبٌ ممتزج بالقلق يرتسم على ملامحها.. ولما هدأ الصياح من حولها، تقدمت خطوات لتقف وسطهم وهي تقول بصوتها الذي تتعمد جعله جهورياً "والآن، قد أوفيت بوعدتي لكم.. بقي أن تحترموا وعدكم لي ولا تظهروا أنفسكم بمظهر الجبان الذي يكسر كلمته خوفاً من الآخرين.."

ساد الصمت المكان بشكل غريب فيما تبادل الرجال النظرات التي تحمل ألف معنى، ورغم الفرحة التي تبدت في أعينهم قبل قليل، لكن الضيق والكدر بدا واضحاً في ملامحهم لا ضطرارهم القيام بأمر يبغضونه.. ولكسر الحاجز الذي بدا واضحاً بينهم، تقدم مینار قائلاً "لم أعهد في الأكاشي، وفي قبيلة (أبناء الذئاب) جُبناً قط.. ولا أظنني سأراه يوماً.."

وركع أمام ججي على ركبة واحدة وهو يقول بصوت واضح "الطاعة والولاء لزعيم قبيلة (أبناء الذئاب).. جام ذا القرن.. طاعة وولاء غير مشروطين ولا متذبذبين.. والموت للخائن منا.."

نظرت له ججي بصمت وانفعال، وساد الصمت ذاته بين الآخرين بحيث ظنت ججي ظناً مطلقاً أن أحداً منهم لن يرضى بإلقاء قسم الولاء أمامها.. وبينما تبادل الرجال النظرات الصامتة، تقدم كين وألقى القسم ذاته أمام ججي، وتبعه تبريق بعدها دون تردد.. ولم تلبث ججي أن رأت الرجال يركعون حولها وهم يلقون أمامها بالقسم بشيء من التسليم دون أن تلاحظ بغضاً أو كراهية في أعينهم كما كانت تتوقع..

كتمت ججي أنفاسها وهي تستمع إلى الأصوات التي ترددت من حولها ناطقة اسمها ومسلّمة بزعامتها لهذه القبيلة دون اعتراض.. كان الانفعال الذي احتشد في صدرها أقوى منها، لكنها كتمته بقوة وهي تدير بصرها فيمن حولها.. كانت تلك لحظة لم تتخيّل في أحلامها أنها قد تراها.. ها هم رجال قبيلتها الذين

استهزؤوا بها وسخروا من أبيها.. ها هم الذين لطالما أذاقوها المرَّ بالتعدي عليها بكل شكل ولون منذ صغرها.. ها هم الذين أعلنوا أنهم لن يخضعوا يوماً لامرأة ولن يقبلوا بها قط.. ها هم أنفسهم يركعون عند قدميها ويقسمون بالولاء لها ولاءً دائماً ويتعهدون الخائن منهم بالموت.. فكيف لها أن تستطيع تمالك انفعالها لمثل هذا المنظر؟..

تمنّت ججي ولو للحظة أن يرى قادور هذا المنظر.. رغم أنها ما كانت لتنال الزعامة وهو حي، لكنها في تلك اللحظة تمنّت لو كان قربها ليرى ما وصلت إليه ويفخر بها حققتة بعد كل الجهود التي بذلها لأجلها.. إنها لم تكن يوماً شاكرة لأبيها ما فعله لأجلها كما هي الآن.. ولن تنسى أنه انتشلها من القاع ليضعها على القمة مهما اضطر للتضحية لأجل ذلك.. لكنه، للأسف، مات قبل أن يشهد خاتمة كفاحها ذلك..

ولما ألقى الرجال قسم الولاء لججي، تغلبت على انفعالها بصعوبة وقالت بصوت جهوري "أنا جام ذو القرن.. زعيم قبيلة (أبناء الذئاب) وقائدكم في السلم والحرب.. والويل لمن يفكر بخيانتني.."

نهض الرجال بعدها بصمت، ونهض مينار بدوره قائلاً "الآن سيبقى جام زعيماً لقبيلتنا ثلاثة أشهر حتى يثبت نفسه.. وإن لم يفعل عندها لن يقدر أحد على الاعتراض لو رغب أحدكم بإزاحته من منصبه ذلك.."

فقال ججي بحزم "ثلاثة أشهر كافية لي لأثبت نفسي للجميع.."

نظر كين لمينار باستياء، وهو يشعر بأن كلماته تحريضٌ للبقية لرفض ججي فور مرور الأشهر الثلاثة.. لكن ججي لم تكن تمنع قوله ذلك، فعلى الأقل، وكما أثبتت نفسها في هذه الليلة، يمكنها أن تنال احترام الرجال بكل تأكيد في الأشهر القادمة.. وعندها لن يجروا أحدهم على الإطاحة بها بتاتاً..

استدار رجل للبقية قائلاً "عليكم تنظيف المخيم من هذه الجثث يا رجال.. لن نستطيع الخلود للراحة قبل أن يتم رمي هذه الجثث في البحر والتخلص منها.. وغداً، سنقوم بترميم المخيم وإعادةه كما كان.."

فقال ججي "لا.. لدي فكرة أفضل من هذه.."

نظروا إليها بصمت وهي تكمل "موقعنا هذا قد يعرضنا لهجوم آخر من سفن أخرى للملك العربي.. وقد يكون الهجوم أكثر شدة من السابق انتقاماً للخسائر التي كبدناه إياها هذه المرة.. لذلك علينا الابتعاد عن هذا الموقع قدر استطاعتنا.."

وأشارت للشمال مضيئة "لن نتكبد الكثير، لكننا سنبتعد مقدار فرسخ عن هذه المنحدرات.. وسنبقى

عيوننا على أي سفن تقترب من هذا الشاطئ بغية الهجوم علينا.. ولو حدث ذلك، سنكون أكثر استعداداً لصدّ ذلك الهجوم وردعه قبل أن يجيق بنا أي خسائر.."

فاستدار الرجل للبقية قائلاً "سمعتم ما قاله جام.. فلنبداً عملنا حالياً.. لا راحة قبل أن نتخلص من هذه الجثث تماماً.."

لم تكن ججي معتادة على طاعة الرجال لأوامرها دون جدال، وبالتأكيد دون سخرية واستحقار.. لذلك شعرت بسعادة طاغية وهي ترى البقية يطيعونها بصمت.. ومع كل الأحداث التي مرت بها في الأيام الماضية، شعرت ججي بحشدٍ غريب من الانفعالات لم تستطع كبجها هذه المرة وهي تستدير مغادرة الموقع تاركة للبقية تنظيف الموقع من الجثث المتناثرة فيه تمهيداً لنقل المخيم في اليوم التالي..

\*\*\*\*\*

بعد انتهاء المعركة وانتصار القبيلة على أعدائها، عاد من بقي من النساء والأطفال وقليل من الرجال في الكهوف إلى المخيم للمعاونة في تنظيفه من الجثث وبقايا الدمار الذي طاله.. وفور وصول تينا مع البقية إلى المخيم، دارت بعينها بحثاً عن ججي لمعرفة ما جرى لها.. فكل ما وصلهم من أخبار هو انتصار الرجال وخلو المخيم من أي جندي.. بحثت عن ججي بقلق حتى شاهدت كين الذي انشغل بمعاونة الرجال في عمله، عندها اقتربت منه بشيء من التردد وفكرة الابتعاد عن الموقع تلحّ عليها بإصرار.. ولما وجدته يقف وحيداً منشغلاً ببعض الأسلحة التي تم جمعها جانباً، اقتربت تسألته بقلق واضح "أين ججي يا كين؟.. لا أراها معكم في المخيم.."

وإزاء نظراته الصامتة أضافت بقلب خافق "هل رفض الرجال الإذعان لها؟.. لا تقل لي....."

أسرع كين يقول "لا تقلقي.. لقد أقر الرجال لها بالزعامة بالفعل.."

نظرت له بدهشة، فقد كان هذا أمرٌ لا تتوقعه رغم أنها ترجوه بشدة، بينما قال كين متلفتاً حوله "لقد رأيتهما تتجه نحو جانب المخيم، وقد طلبت مني أن أتركها وحدها.. لكنها بخير فلا تقلقي.."

همست تينا بارتياحٍ غامر وعينين دامعتين "لكم يسعدني هذا.. لا أريد أن أفقدها هي أيضاً بهذه السرعة.."

تلفتت حولها بحثاً عن تبريق، فلم يفتها رؤيته في جانب المخيم.. انتبهت لنظراته الصامتة التي حدجها بها، لكن قبل أن تناديه أو تخطو نحوه، فوجئت به يستدير مبتعداً بعد رؤيته لها مع كين.. ورغم راحتها لرؤيته بخير مع إصابته السابقة، لكن بعض الوجوم قد بدا على ملامحها لتصرفه ذلك.. أهو غاضب؟.. هل سيعاقبها لأنها تتبسط مع كين بالحديث؟.. هل سيقسو عليها ويتطاول عليها كما يفعل رجال الأكاشي عندما تستبد بهم الغيرة على نسائهم؟.. هذا أمرٌ لا تتمناه بحال، ولا تظن أنها تقدر على احتماله.. انتبه كين بدوره لتصرف تبريق ووجوم تينا، فسألها "هل أمورك على ما يرام مع تبريق يا تينا؟.. ألا يؤذيك بكلمة أو تصرف منه؟.."

أدارت تينا بصرها جانباً مغممة "ليس لك أن تقلق لذلك.."

فقال كين بإصرار "لكنني قلق بالفعل.. أنا أعدك كأختٍ صغرى لي، ويهمني أمرك كثيراً.."  
لم يكن ذلك القول مؤلماً لها كما توقعت، بل كان محزناً نوعاً ما.. وهو شعور لم تملك تينا تفسيره فتغاضت عن الأمر مغممة "لا تقلق.. ربما كان تبريق أكثر تحضراً مما توقعت.. فهو يترفق بي قدر استطاعته.."  
ابتسم كين قائلاً "سعيد لسماع ذلك.. خشيت أن يحاول معاقبتك لرفضك السابق له.."  
لم تعلق تينا على قوله وهي تتعد باحثة عن ججي للاطمئنان عليها.. لم تكن تقدر على مواجهة تبريق رغم رغبتها بالاطمئنان على جرحه الذي لم يبرأ بعد، فقد كانت تحشى رؤية غضبه في تلك اللحظات بشدة..

\*\*\*\*\*

بينما انشغل الرجال بعملهم في جوانب المخيم، والجثث قد بدأت تهوي من جانب المنحدر نحو البحر لتصبغ مياهه بصبغة حمراء بشعة، ابتعد مينار عن البقية مع عدم قدرته على المشاركة بسبب جرح كتفه الذي لم يلتئم بعد.. فانزوى جانباً يتأمل الأفق بصمت كعادته وهو يفكر بكل ما جرى منذ ليلة الهجوم على المخيم.. لقد انقلبت حياة القبيلة رأساً على عقب، وانقلبت حياة ججي معها بالذات.. فغمغم مينار وهو يتنهد "من كان يتخيل أن تصيب توقعاتك يا قادور؟.. يبدو أنك مصرّ على إثارة ذهولي حياً وميتاً.."  
لاحظ اقتراب ججي منه في تلك اللحظة، وهي تلقي بنفسها أرضاً وتجلس منطوية على نفسها دافئة وجهها

بين ذراعيها.. فقال مینار "ما بك؟.. لا تبدو سعيداً بعد كل ما جرى.."

فغمغمت ججي بصوت متغير "وكيف أكون سعيداً وقد اضطررت لالتهام قلب أبي لأصل لما وصلت إليه؟.."

قال مینار "وهل أنت نادم على هذا؟.."

اغرورقت عينا ججي رغماً عنها رغم كل مقاومتها، فقالت بصوت متهدج "ليس ندماً، فما كان إحجامي عن فعل ذلك سعيداً أبي للحياة.. لكني....."

وسالت دموعها رغماً عنها وهي تقول "كنت أتمنى أن يكون أبي موجوداً في هذه اللحظة.. عندما ركع الرجال أمامي، وعندما أقسموا بالولاء لي، لم أتمن رؤية أحد عندها كما تمنيت رؤية أبي ورؤية نظرة الفخر في عينيه.. ألم يكن هذا ما سعى إليه؟.. ألن يكون فخوراً لو رأني أصل لزعامه القبيلة من بعده؟.. لكنه لن يشهد هذا قط، ولن يعرف إن كان مسعاه قد كلل بالنجاح بعد موته أم لا.."

ربت مینار على كتفها وقال بابتسامة متسعة "ليس بحاجة لأن يرى ما جرى اليوم يا جام.. لقد كان قادر فخوراً بك منذ البدء، كما كنت أنا وكما لازلت حتى الآن.."

نظرت له ججي بصمت وعينين دامعتين وهو يضيف "هو قد عاملك بقسوة في بعض الأحيان، لكنه كان شبه موقن من أنك ستستسلم قبل بلوغك العاشرة.. لطالما حدثني عن تعجبه من إصرارك ومثابرتك التي لم تقل مع مرور السنوات، وكيف يطمح لأن يرى ما ستصبح عليه عندما تكبر.."

تزايد انهمار الدموع من عيني ججي وهي تنظر لابتسامة مینار الفخورة ونظرة الرضى تتبدى في عينيه.. فقالت وهي تخفض عينها "أنا مدين لك يا مینار.. لولا مثابرتك معي، ولولا تسخيرك الوقت لتدريبي، لما وصلت لما أنا عليه الآن.."

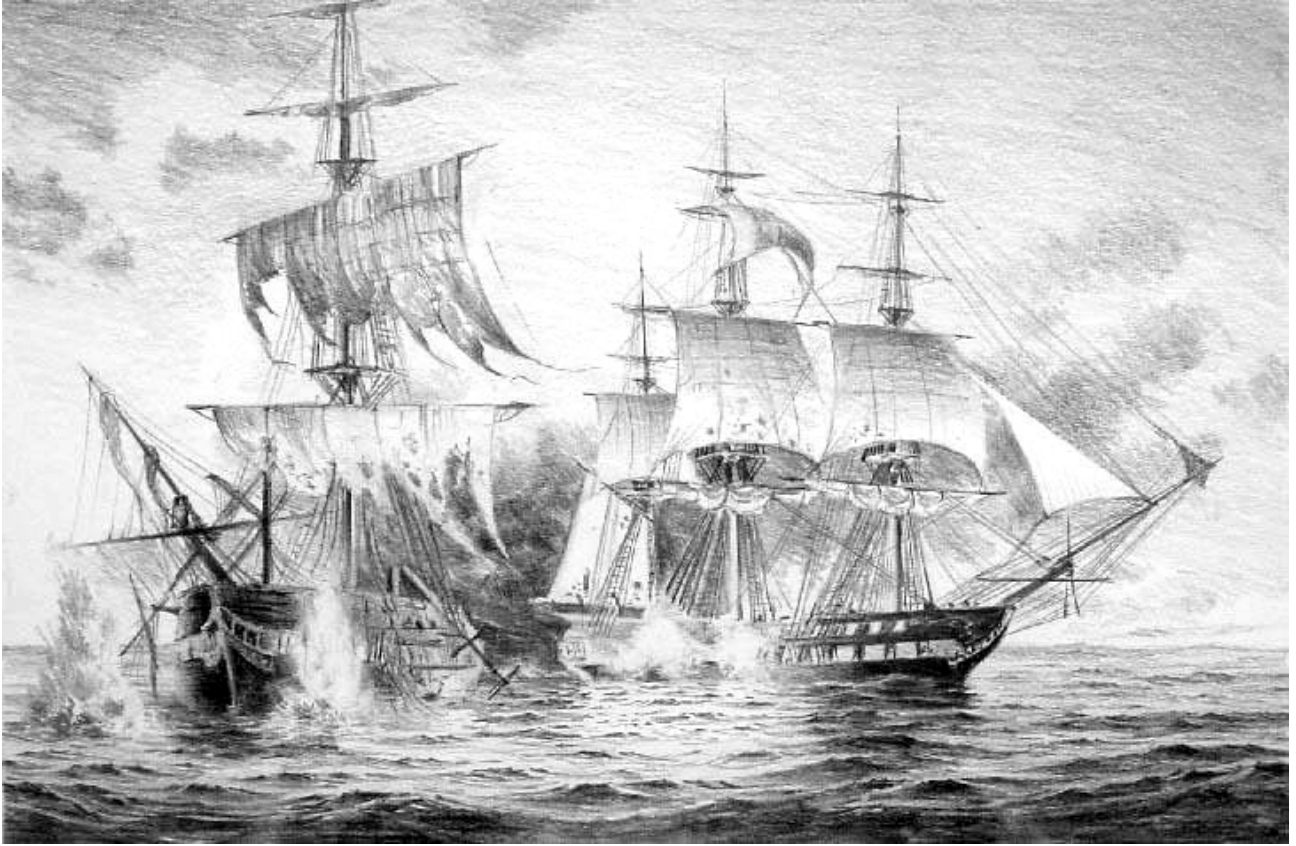
وأمسكت يده لتضعها على جبينها وتنحني انحناءة خفيفة معبرة عن شكرها واحترامها العميق له، لكن مینار جذب يده ووضعها على رأسها وهو يغمغم "لا تنحن أمام أحد يا جام.. لا تفعل هذا قط مهما أجبرتك الظروف على ذلك.. لن أشعر بخيبة أمل لأي أمر كما سأشعر لو رأيتك تفعل ذلك.."

سالت دموع ججي بدون توقف وهي تبكي مخفية وجهها بذراع واحدة.. بينما ربت مینار على رأسها بابتسامة متسعة وصمت.. لم يندهش لبكاء ججي، ولم يستنكره.. فهو يدرك أن هذا البكاء هو مزيج الفرح



لما حصلت عليه والحزن لمن فقدته.. شعور غريب يجتاحها الآن لحصولها على هذه المكانة بعد أن كانت تعامل بدونية من بقية رجال القبيلة، وسيستلزم الأمر بعض الوقت لتتخلص من هذا الشعور..

\*\*\*\*\*



## الفصل الخامس عشر {عهد جديد}

في اليوم التالي، في أول يوم لججي كزعيمة لقبيلة (أبناء الذئاب)، خرجت من خيمة أبيها، أو ما بقي منها، ووقفت تتأمل جوانب المخيم الذي بقي على دماره منذ تلك الليلة.. رغم تخلص الرجال من الجثث التي ملأت جوانبه، لكن لا تزال بقع الدماء متناثرة في أماكن كثيرة ورائحة الدماء تزكم الأنوف.. سارت ججي عدة خطوات حتى وصلت لمنتصف الساحة وسط المخيم، وجلست في الموضع ذاته الذي شغله قادور سنواتٍ طوال منذ وعت الدنيا وبدأت تراقبه باهتمام وشغف.. ظلت ججي صامتة وهي تجذب نفساً عميقاً، ثم زفرت بقوة وهي تستشعر هيبة الموقع الذي تجلس فيه، وتستشعر وجود أبيها الذي لطالما سُمعت أوامره الحازمة من هذا المكان..

رأت بضع رجال من الأكبر عمراً في القبيلة وهم يجلسون جوارها بصمت دون أن يبدو الامتعاض على وجوههم كما كانت تتوقع، بينما رأت جماعة من الرجال وقفت في جانب الساحة دون أن يحاول أحدهم إخفاء استيائه.. لكنها اكتفت بما تراه أمامها وهي موقنة أنها لن تحصل على رضی القبيلة كاملة.. لكن، على الأقل، لم يحاول أحدهم الهجوم عليها في الساعات القليلة الماضية.. وهذه بشارة سارة لها بالتأكيد..

سمعت أحد الرجال القريبين يقول لها "والآن، ما الذي ستفعله يا جام؟.."

تلفتت حولها في المخيم المدمر، وقالت "علينا البدء بنقل المخيم لموقع آخر أكثر أمناً.. سأذهب اليوم مع الرجال لتحديد الموضع الجديد لمخيمنا، وبعدها سنبدأ نقل الخيم والمتاع إلى ذلك الموقع وإنشاء مخيم جديد.. لو هطل الثلج من جديد، فسيصبح موقفنا أكثر حرجاً ونصف قبيلتنا تقضي الليل في العراء.."

عاد الرجل يقول "وماذا بعد ذلك؟.. أنت مدرك أن الملك العربي لن يتوقف عن محاولة غزو السهول مهما جرى لجيوشه.. ونحن ما عدنا نملك ما يكفي من الرجال لصد ذلك الهجوم بعد المعركتين الأخيرتين.. فما الذي سنفعله لو فوجئنا بهجوم جديد للملك قبل انقضاء هذا الشتاء؟.."

قلّبت ججي بصرها في الوجوه من حولها.. كانت مدركة لهذا الخطر القائم على القبيلة، لكنها لا تملك حلاً سحرياً لتخليصهم من هذا الهم بشكل نهائي.. فقالت لمن حولها "بمّ تشيرون علي؟.. أنتم أكثر

خبرة مني في هذا المجال، ورأيكم يهمني بالتأكيد.."

تبادل الرجال النظرات الصامتة، وبدأ لها أن الثقة التي وضعتها فيهم قد أعجبتهم ولو لوهلة.. ثم قال أحدهم "سيكون من المفيد أن نستزيد من الأسلحة والدروع.. فقد خسرنا الكثير بالفعل في هذه الحرب..". صمتت ججي دون تعليق بينما قال آخر "رأبي أن نخاطب القبائل الأخرى.. وربما قبيلة طاغار بالتحديد.. فهم قد يمدون لنا يد العون لو هددنا الجيش العربي بهجوم جديد.."

فقال ججي "هذا رأي مناسب.. أظن أن طاغار قد يتمكن من تحريك القبائل لصد مثل هذا الهجوم كما حدث في المرة الأولى.."

قال آخر بضيق "ألن يظهرنا هذا بمظهر الضعيف ويغري بقية القبائل بالهجوم علينا؟.. قد يجدها أعداؤنا فرصة للقضاء علينا قبل أن نستعيد قوانا بشكل تام.."

أسرعت ججي تقول "لن نطلب عوناً من أحد، ولن نوحى لطاغار وغيره من زعماء القبائل أننا بحاجة لمساعدتهم.. ليس في الوقت الحالي على الأقل.."

تساءل الرجل القريب منها "ما الرأي إذا؟.."

أجابت "سأتوجه إلى طاغار، وأبلغه بكل ما جرى لنا في تلك الليلة.. سأبلغه أن ذلك الهجوم قد لا يكون الأخير، وأننا يجب أن نتكاتف من جديد لصدّه.. وبناءً على رده علينا، سنعرف إن كنا نستطيع اللجوء لعونة في حالة تكرار مثل ذلك الهجوم أم أن علينا الاتكال على أنفسنا دون الحاجة لعون أحد.."

لم يعترض أي الرجال وججي تضيف "سأذهب برفقة رجلين إلى قبيلة طاغار منذ الغد.. وسأحاول العودة بأسرع ما يمكنني.."

قال الرجل الأكبر سناً "لا.. رحيلك برفقة رجلين فقط هو تقليل من شأنك.. عليك اصطحاب فرقة لا تقل عن سبع أو عشر رجال.. وإلا لن يأخذك رجال القبائل الأخرى على محمل الجد.."

فقال ججي "لا بأس.. لم أكن أرغب باصطحاب الرجال لكي لا ينشغلوا عن العمل على تجديد المخيم.. لكن لا يمكنني ألا آخذ رأيك على محمل الجد كذلك.."

ثم نهضت قائلة "سأذهب لمعاينة الموقع الجديد لمخيمنا.. وبعدها، فليبدأ الرجال والنساء بنقل كل ما يمكن نقله من هذا الموقع.. كلما أنهينا العمل أسرع، كلما كان ذلك أفضل بالتأكيد.."

هز الرجال رؤوسهم دون اعتراض.. فاستدارت ججي لتنتقل في مهمتها تلك على ظهر الغبراء دون إبطاء.. وفي وقت لاحق من هذا اليوم، وبينما كانت ججي تدرع السهول في موقع بعيد من القبيلة متفحصة المكان، قال كين القريب منها بإصرار "سأرحل معك.."

تساءلت وهي تشدّ لجام الغبراء لتديرها في الموقع "لم؟.."

أجاب "لأنك متسرفة، ولا تقدرين عواقب أفعالك بتاتا.. أنا متأكد أنك لن تتواني عن خوض معركة ضد أي مهاجمين يعترضون طريقك.."

نظرت له متعجبة وتساءلت "وما العيب في ذلك؟"

قال بغيظ "ألا تدركين أنك لا يجب أن تندفعي في أي قتال بعد الآن؟.. أنت زعيمة هذه القبيلة، وخوضك أي معركة قد يستهدف حياتك.. لن يتمكن الرجال من حمايتك وأنت وسط الخطر.."

نظرت له بصمت للحظات، ثم أدارت وجهها جانباً قائلة "أنت لا تثق بالرجال الذين سيصاحبونني.. أليس كذلك؟.."

أجاب كين بضيق "بالطبع.. لازلتِ حديثة عهد بالزعامة، ولا يمكنك أن تثقي ثقة مطلقة برجالك بعد.. كما تعلمين، فأنتِ حالة خاصة في تاريخ الأكاشي.. وسيتطلب الأمر جهداً ووقتاً قبل أن تتمكني من السيطرة على قبيلتك سيطرة محكمة.."

لم تعترض ججي رغم أن قوله لم يعجبها.. هو ليس مجرد انعدام ثقة بالرجال من حولها، بل هو انعدام ثقة بقدرتها على تفادي أي اغتيال قد يقوم به الرجال في هذه الرحلة.. وهو أمرٌ لم يسرها أن تسمعه من كين.. ثم سمعت مینار الذي اقترب منها على ظهر حصانه يقول "وأنا مع كين في هذا.. لا يجب أن تأمني رجال القبيلة بعد، ولا بدّ أنك بحاجة لشخص تثقين به ليكون جوارك في كل وقت.."

نظرا إليه وهو يضيف "سآتي أنا أيضاً معك.. لا بد أنك ستحتاجين لبعض العون لإقناع رجال قبيلة طاغار بأخذك على محمل الجد.."

غمغمت ججي "كنت أنوي جعلك تستلم أمور القبيلة أثناء غيابي يا مینار.."

لم يعلق مینار على هذا وهو يشير للموقع حولهما قائلاً "هذا موقعٌ مناسب جداً.. أليس كذلك؟.. هناك بئرٌ قديمة في المكان، وهي غزيرة المياه بالفعل ولا تزال تحتفظ بدفء الأرض في هذا الجو القارس.. كما أن

الموقع فسيح بحيث يمنحنا رؤية جيدة لما حولنا لئلا نؤخذ على غفلة منا.."  
 تأملت ججي الموقع حولها دون اعتراض وغمغمت "بلى.. هذا المكان رائع بالفعل.."  
 وزفرت وهي تدير أمر هذه الرحلة التي توشك على القيام بها في ذهنها.. لقد تجاوز الأمر إقناع رجال  
 القبيلة بزعامتها عليهم.. عليها الآن أن تواجه القبائل الأخرى وتثبت نفسها كزعيم قادر ومؤهل لقيادة  
 قبيلته.. عليها أن تحصل على احترامهم، وإلا لن تتمكن من الثبات في موقعها لوقت طويل.. والأسوأ أن  
 هذا حدث قبل أن تتمكن من الثقة بولاء رجال قبيلتها لها بشكل تام ونهائي..

\*\*\*\*\*

في هذا اليوم، انشغلت تينا بعملها تماماً في الخيمة الخاصة بتبريق.. لقد علمت أن المخيم سينتقل لموقع  
 جديد، لذا بدأت استعداداتها لهذا الأمر منذ استيقظت فجراً.. بدأت تجمع ما نجا من صناديقها وأغراضها  
 المنزلية البسيطة، وقامت بطي الفرش والسجاجيد قرب مدخل الخيمة استعداداً لحملها نحو الموقع  
 الجديد.. ولم تنسَ المفارش والملابس التي قضت سنواتٍ من عمرها في تطريزها بكل عناية وحب، لتجد  
 أن الكثير منها قد ناله الدمار الذي حلّ بجانب الخيمة، وما نجا منه بدا بحالة مزرية لا تسر العين..  
 شغلت تينا نفسها بعملها تماماً لتتفادى أي حديث مع تبريق، وهي تحشى تلك المواجهة معه بعد أن رآها  
 تتحدث مع كين في الليلة الماضية.. إنها لا تنسى غضبه واعتراضه في صبيحة زواجهما عندما حاولت إقناعه  
 بالأيتدخل في أي أمر يخصها.. وقد حدد كين بالتحديد كسبب لهذا الغضب.. فما الذي سيفعله الآن وقد  
 تجاهلت تحذيره ذلك؟..

وعندما رآته يقترب منها، عندما كانت تنفض ملابسها التي تبعثرت وتعيدها للصناديق المزخرفة، غلبها  
 شيء من التوجس والذعر وهي تدير وجهها جانباً وتشغل نفسها بما تفعله.. تمنّت أن يرى انشغالها ويعزف  
 عن الحديث معها، لكنه تقدم منها أكثر بصمت مما أثار رجفة واضحة في جسدها.. لا تدري سبب هذا  
 الذعر الذي اعترأها، لكن شعورها بأنها قد فقدت والديها وأن أحداً لن يقف في وجه تبريق مهما تعامل  
 معها بقسوة كان شعوراً قاسياً سبب لها خوفاً واضحاً..

توقف تبريق للحظة وهو يرى رجفة جسدها الواضحة، ثم قطب بشيء من الاستياء وقال "أأنت خائفة مني؟"

لم تجبه أو تنظر إليه وهي مستمرة بعملها، فوجدته يقترب حتى وقف قربها متسائلاً بضيق "ما الذي تظنين أنني سأفعله ليغمرك هذا الخوف مني؟"

نظرت له بتردد، ثم غمغمت برجفة واضحة وهي تدير وجهها جانباً "ستفعل ما يفعله كل رجال الأكاشي عندما يستبد بهم الغضب.. ولا أظنك تخشى اعتراض أحد على ما قد تفعله بي الآن.."

قال باستياء أكبر "ولمَ ظننت أنني سأفعل ذلك؟.. أنت مقتنعة أنني سأستغل غياب أبيك لأعاملك بكل دونية؟.. لستُ من هذا النوع أبداً.. ثم ما الذي هيأ لك أنني غاضب بالفعل؟"

نظرت له بصمت وشيء من الحيرة، ثم قالت بتردد "ألستَ غاضباً لحديثي مع كين البارحة؟" قال مشيحاً بوجهه "لو كنت غاضباً، لقمتم بلكمه هو.. لكني لا أستطيع إيذاء امرأة بأي صورة كانت، ولا أستطيع أن أؤذيك أنت بالذات.."

تساءلت بدهشة "لماذا؟.. أليس ذلك طبيعياً بين رجال الأكاشي؟.."

قال تبريق "ربما.. لكنه ليس أمراً مقبولاً عندي أنا.."

ظلت تنظر له بدهشة متزايدة حتى سببت له الحنق وهو يقول "ماذا؟.. هل تستنكرين قولي هذا أم تكذابين؟"

غمغمت بدهشة "لا.. لكنني لم أتوقع أن أسمع قولاً كهذا من رجل من الأكاشي.."

فقال باستياء "وهل الأكاشي بهذا السوء في نظرك؟"

أدارت بصرها جانباً قائلة "بل هم أسوأ.."

صمت تبريق وهو يتأمل ملاحظها التي لا يكاد يراها إلا واجمة أو غاضبة، ورؤية خوفها منه الآن قد أربكه بقدر ما سبب له من ضيق لنظرها تلك له.. مديده وأزاح خصلات شعرها عن جانب وجهها برفق، ولما التقت عيناها بعينيه، قال بجدية "كما قلت لك سابقاً، أنا مستعد لإطلاق سراحك متى ما شئت.. سأبقى معي لو رغبت بذلك، وسأطلقك متى ما طلبت مني ذلك.. ضعي هذا في ذهنك دائماً يا تينا.."

غمغمت بغير تصديق "هل أنت واثق من هذا؟.. هل يسعدك هذا حقاً؟"

قال تبريق "لستُ أبحث عن سعادتي في هذه اللحظات.."

فقلت بعد تردد "وهل ستتنازل عني بهذه السهولة؟.. ألم تعلن تشبثك بي بكل عناد في السابق؟"

حاول تبريق استقراء ملاحظاتها ومعرفة ما تعنيه بهذا السؤال، لكنها كانت تنظر له بصمت بانتظار جوابه..

فقال "وقد أدركت خطأ ما فعلته بك الآن.. فكيف أصرّ على الخطأ بعد هذا؟.."

ونفض مغادراً الخيمة فيما شدّت تينا قبضتيها على الثوب الذي تمسكه، وغمغمت بحيرة "أهذا مقدار الحب

الذي ادّعت أنك تكنّه لي؟.. هل تلاشى بهذه السرعة؟.."

لم تستطع تينا تفسير ما شعرت به في تلك اللحظات.. كانت في السابق تتمنى الفكك من زواجها هذا،

وتتمنى العودة لكن الذي كان يمثل حلماً طالما حلمت به.. لكن ذلك الحلم تبخر بسرعة، وكلما رأت كين

مع ججي ورأت اهتمامه بها، شعرت أن حبها له يتلاشى ويخفت دون أن تدرك سبب ذلك.. أكانت تحبه

لأنها ظنت أنه يبادلها الحب؟.. أم أن حبه لججي قد أشعرها بأنها لا تستحقه ولا تستحق اهتمامه؟..

والآن، رغم أن إعلان تبريق إطلاق سراحها يجب أن يثير في نفسها بهجة وسروراً، لكن كل ما تحسّ به هو

الكآبة التي لا تدري سببها.. ما الذي تبغيه حقاً من حياتها هذه؟.. ما عادت تدري في تلك اللحظات..

\*\*\*\*\*

بعد رحلة لم تكد تتجاوز الأربعة أيام، أشرفت الفرقة الصغيرة المكونة من سبعة رجال بالإضافة لججي على

مخيم طاغار الذي يحتل بقعة واسعة يصعب إغفالها.. ولما تأملت ججي المخيم بحماس واضح، قال أحد

الرجال المرافقين لها "ما كان الداعي للترحال بهذه السرعة دون راحة إلا أقل القليل؟.. لسنا بعجلة من

أمرنا حقاً.. والخيول قد أصبحت منهكة بشكل كبير.."

قالت ججي "لا يمكنني ترك قبيلتنا لوقت طويل، فلا ندري ما قد يجري لها أثناء غيابنا.. لذلك أفضل

الذهاب والعودة بأسرع ما يمكنني.."

لم يجادلها الرجل مقتنعاً بهذا المنطق، بينما قال مینار القريب "لننطلق الآن.. لو أنهيينا مهمتنا بسرعة،

فستمكن من العودة للقبيلة منذ الغد.."

لكزت ججي فرسها متقدمة من المخيم يتبعها بقية الرجال، بينما اعترض مينار بحصانه طريق كين الذي كان يقف صامتاً.. وإزاء نظرة كين المتسائلة، قال مينار "أنا أعلم أنك تملك عقلاً راجحاً يا كين، وأعلم أنك لن تتردد في مساعدة جام متى ما احتاج لعقلك هذا.."

قال كين بدهشة "ما الذي تقصده بهذا القول يا مينار؟.."

نظر مينار للرجال الذين ابتعدوا عن موقعهما، ثم قال "أريد منك أن تلتزم الصمت طوال بقائك في حضرة رجال هذه القبيلة، ولا تتحدث ما لم يوجه إليك أي سؤال.."

نظر كين بدهشة متزايدة وضيق لمينار، لكن مينار استدرك قائلاً "لو تدخلت في الحديث كعادتك وأبديت رأيك معارضاً أمراً من جام، فسيبدو أمام أولئك الرجال بمظهر الضعيف الذي لا يثق رجاله بكلمة منه.. كما أنني لا أريد أن تتعرض لأي مكروه بسبب أمرٍ ستقوله دون تقدير.. لا تدري ما الذي قد يبيته الآخرون لك.."

غمغم كين "لا تقلق.. لن أفعل ذلك قطعاً.."

ولكز حصانه ليتبع الآخرين ومينار يلحقه.. وخلال وقت قصير، كانت الفرقة تتجاوز خيام المخيم بسرعة متوسطة دون أن يغيب عن عيني ججي النظرات التي يلقيها أفراد القبيلة عليها.. كانت قد لاحظت نظرات مشابهة في المرة السابقة التي أتت فيها لهذا المكان مع أبيها، لكن هذه النظرات الآن كانت أكثر حدة وانفعالاً.. لكنها لم تعباً للأمر كعادتها وهي تصل لساحة القبيلة، فتترجل عن الغبراء يتبعها بقية الرجال.. وعلى الفور، لاحظت المجموعة اقتراب أحد الرجال منهم بتساؤل واضح، فتقدمت ججي قائلة "أريد مقابلة الزعيم طاغار.. لدي أمر مهم أريد الحديث عنه معه.."

التفت الرجل إلى مينار القريب بتجاهل واضح لججي وهو يتساءل "ما الذي جاء بكم لقبيلتنا؟.. أهو بخصوص الهجوم عليكم من سفن الملك العربي؟.."

لم تظهر ججي غضباً لتجاهل الرجل لها، بينما قال مينار بصرامة "جام هو زعيم قبيلة (أبناء الذئاب) بموافقة رجال القبيلة كلهم.. وتجاهلك لما يقوله قد يؤثر على العلاقات بين القبيلتين.."

نظر الرجل لججي بضيق، ثم عاد لمينار قائلاً باستنكار "حقاً؟.. هل رضي رجال القبيلة بتولية....."

قاطع مينار قائلاً بحدة "ما يجري في قبيلتنا لا يخص أحداً غيرهم.. ونحن لم نأت لاستشارتك أو للحديث



معك يا هذا.."

نظر الرجل بغضب لمينار، بينما تقدمت ججي قائلة "نريد رؤية طاغار.. أبلغه بذلك رجاءً، وله الخيار في قبول ذلك أو رفضه.."

لم يستطع الرجل مناقشة ذلك أو رفضه، فاستدار مغمماً "انتظروا هنا.."

وتوجه إلى خيمة طاغار بينما ظلت ججي واقفة مع مينار الذي قال "أرأيت؟.. لهذا السبب كنت مصرّاً على القدوم معك.. ستحتاج لبعض الوقت لنيل ثقة بقية زعماء القبائل.. وسيكون الأمر أصعب من نيل ثقة رجال قبيلتنا بالفعل.."

غمغمت ججي "لا بأس.. لا يخيفني ذلك بتاتاً.."

عاد الرجل بعد لحظات قائلاً بجفاء "سيقابلكم الزعيم الآن.. اتبعوني.."

سارت ججي خلفه ومعها مينار وكين، بينما تأخر البقية بانتظار عودتهم.. دلفت ججي خيمة طاغار، لتجده في مجلسه وسط الخيمة وبين رجاله.. كانت ججي قد لمحت طاغار من باب خيمته في المرة السابقة التي أتت لرؤيته مع أبيها، وقد أدركت أن السنوات الماضية لم تكن رفيقة به جداً.. فهو قد بدا واهناً بشدة حتى أصبح لا يقدر على السير بمفرده إنما يتم حمله حمالاً على سواعد رجاله.. ورغم أن بصره قد خفت بشكل كبير لكنه لا يزال قادراً على رؤية ما حوله بشكل جزئي.. ورغم كل الضعف البادي عليه، لكن ججي تعجبت أن رجال قبيلته متشبثون به حتى الآن ولم يحاول أحدهم إطاحته بعد.. لا بد أن طاغار يحظى باحترامهم وولائهم العميق، وهو أمر غبطته عليه بشدة في تلك اللحظات..

جلست ججي حول النار بإشارة من طاغار الذي قال "من كان يتخيل أن تأت إليّ يا جام وقد أصبحت زعيماً لقبيلتك؟!.. هذا أمرٌ لم أتخيله في حياتي.."

علق أحد رجال طاغار بعبوس "لا أدري ما دها رجال تلك القبيلة ليسلموا أمرهم لامرأة.. هذا حمق.."

تجاهلته ججي بينما نظر له مينار نظرة تحذير من التناول على زعيمهم، فيما قال طاغار بهدوء "أنا لم أظهر استنكاري للأمر يا راك.. بل أبدت عجبي وربما إعجابي للأمر.."

ازداد العبوس على وجه المدعو راك، بينما ابتسمت ججي بشيء من الراحة لقول طاغار الذي بين لها أنه لن يرفضها أو يرفض أي أمر تقوله فقط لأنها امرأة.. ثم سمعته يضيف "كيف تمكنت من إقناع قبيلتك بهذا

الأمر؟.. أود معرفة ذلك.."

قالت ججي "هناك أمرٌ أكثر أهمية جئت للحديث عنه يا سيدي.. وهو يستدعي منا تحركاً عاجلاً وتخطيطاً منظماً لتجاوزه.."

قال طاغار بهدوء "أتعني هجوم السفن على مخيمكم؟.."

ازداد تعجب ججي لمعرفة هذه القبيلة بالمعركة التي لم يمضِ عليها الكثير، فتساءلت "كيف علمتم بذلك بهذه السرعة؟.."

قال طاغار "مثل هذه الأخبار لا يمكن إخفاؤها.."

لم تعلق ججي على قوله وطاغار يضيف "في الواقع، لقد وصلتنا عدة أنباء من قبائل أخرى تسكن على الساحل تخبرنا بهجوم من عدة سفن للملك العربي على مخيماتها.. وبما أن مخيمكم على الساحل أيضاً، خمنت أنكم قد تتعرضون للهجوم نفسه قبل أن تصلني أخباركم بالفعل.."

غمرت الصدمة ججي ومن معها لمثل هذه الأخبار، بعد أن كان ظنهم يجزم بأن الهجوم تركز على قبيلتهم فحسب.. فتساءل مینار "كم قبيلة تعرضت للهجوم غيرنا؟.."

أجاب راک "أربع قبائل، وأنتم القبيلة الخامسة.."

قالت ججي بقلق "هذا هجوم شامل وليس مجرد انتقام لما جرى منذ ست سنوات.. وما الذي جرى لتلك القبائل؟.."

قال طاغار هازماً رأسه "لم تكن الأخبار التي وصلتني سعيدة بتاتاً.. قبيلة (المجنّ) قد دمرّ مخيمها تدميراً تاماً وتشتت رجالها لكونهم الأقرب في مسار السفن.. قبيلتا (المخلب الأسود) و(عين النسر) قد أصيبتا بأضرار وخيمة، لكنهم تراجعوا مبتعدين عن قصف المدافع تاركين مخيمهم ليعسكر فيه جنود الملك.. أما قبيلة (أبناء الضباع) فقد تمكنت من الخلاص من الهجوم بحرق مخيمها على من فيه من الجنود بالإضافة لحرق السفن التي اقتربت كثيراً من الساحل بسهام مشتعلة.."

غمغمت ججي بتفكير "هذا الهجوم الكثيف يعني أن الملك العربي ينوي الهجوم على الأكاشي من أكثر من موقع.. يبدو أنه يريد تفادي الهزيمة التي لحقت بجيشه السابق، لذلك يريد تشتيتنا بهذه الصورة ومنعنا من الانضمام في جيش واحد ومقاومته بقوة.."

علق طاغار قائلاً "هذا تحليل مشابه لما استنتجتته من مثل هذه الأخبار.."

ثم قال باهتمام "والآن، أئن تخبرني بالوسيلة التي استخدمها رجالك للخلاص من هجوم تلك السفن؟.."  
لم تجد ججي بدأ من الحديث عن المعركة التي خاضتها القبيلة منذ عهد قريب.. وبعد أن أنهت شرحها  
المفصل لجوانب خطتهم تلك، قال طاغار وهو يمسد لحيته الطويلة "رائع.. تلك خطة مذهلة بالفعل..  
جيد أنكم استغللتهم جهل الأكاشي بالبحر لمفاجأة عدوكم من حيث لا يحتسب.. أكانت تلك خطتك أنت  
يا جام؟"

قالت ججي بثبات "أجل.. بهذه الطريقة اقتنع رجال القبيلة أنني مؤهل لا ستلام الزعامة وأني كفاء  
لها.."

ظل طاغار صامتاً للحظة دون تعليق، فقطعت ججي الصمت قائلة "ما الذي تنوي فعله الآن بخصوص  
هذا الهجوم الذي باغتتنا به الملك العربي؟.."

قلب طاغار كفيه مجيباً "وما الذي يمكنني فعله؟.. لن أأخذ أي تصرف في الوقت الحالي.."

نظرت له ججي بصدمة بينما انبرى مينار قائلاً "لكن، هل يمكنكم الصمت على هذا التعدي السافر على  
سهولنا؟.. نحن لن نكون الوحيد المتضررين من مثل هذا الهجوم.. فسيصل الجيش إلى مخيمكم هذا  
وإلى باقي القبائل، وتواجهون الخطر ذاته الذي واجهناه.."

فقال طاغار بابتسامة "أدرك ذلك طبعاً.. هل تعدني أحماً؟.."

غمغمت ججي بحيرة "إذن.. لم...؟"

أجاب "نحن في بداية الشتاء.. الثلج قد هطل في مواقع كثيرة من هذه السهول، وأغلب القبائل تمتنع عن  
التحرك والترحال في هذا الجو شديد القسوة.. لا أظن جيوش الملك العربي، والتي أتت من جو أدفاً من  
هذا بكثير، ستقدر على مواصلة هجومها في مثل هذه الظروف.. لا بد أنها ستنتظر في مواقعها حتى ذوبان  
الثلج، وعندها يمكنها أن تواصل مهمتها بسهولة أكثر.."

عندها قالت ججي بحماس "إذن هي فرصتنا للقضاء عليها مادامت عاجزة عن الحركة.. فلنفاجئهم  
بهجوم قوي ونتخلص منهم للمرة الأخيرة.."

مسد طاغار لحيته كعادته وهو يغمغم "لا أظن الأكاشي يفضلون القيام بهجوم على أعدائهم في مثل هذا

الجو.. ستضطرون للبقاء في العراء أثناء الإعداد لهذا الهجوم، وسيكون هذا في غير صالحنا بالتأكيد كما أنه سيضعف عزائم الرجال.."

صمتت ججي وهي عاقدة ذراعيها بتفكير.. بينما أضاف طاغار " سأبلغ القبائل القريبة برأيي هذا، وسأنصحهم بأن يقوموا بالهجوم على معسكرات الجنود فور ذوبان الثلوج.."

قالت ججي باعتراض " ما لم يكن الأمر منظماً وبتوقيت متقارب، فسيكون الأمر في غير صالحنا.. ستخذ المعسكرات التي لم تواجه بأي هجوم حذرهما فور أن يصلها خبر استهداف أحد معسكراتها الأخرى.."

قال طاغار بهدوء " لا أعارض ما تقوله يا جام، لكن هذا كل ما يمكنني فعله.. حتى الآن، يمكنك اعتبار هذه الاعتداءات فردية، وستعامل كل قبيلة مع الهجوم الذي واجهته بنفسها كما نفعل عادة.."

قطبت ججي بضيق بينما أضاف طاغار " لا تحاول أن تكرر ما فعله قador.. فالفارق بينك وبينه يساوي الفارق في النتائج.. ولو أطاعت القبائل قador بإيعاز مني، فذلك لأنهم لم يجدوا حرجاً في اتّباعه في تلك الحرب.. أما أنت، فشأن آخر بالتأكيد.."

لم تستطع الاعتراض على هذا القول وهي تدرك أنه لا يقصد التقليل من شأنها.. عندها قالت " أرجو أن نبقي على تواصل فيما يخص هذا الأمر طوال الوقت.. وسأبلغك بأي تحركات أشهدها للملك العربي في الأنحاء القريبة من مخيم قبيلتنا.."

هز طاغار رأسه موافقاً، ثم قال موجهاً حديثه لمينار وكين " أريد الحديث مع جام على انفراد.. فهل تسمحان لي بذلك؟.."

لم يعترض أحدهما وهما يغادران الخيمة وقد سبقهما بقية رجال قبيلة طاغار، لتبقى ججي جالسة مع طاغار وحيدة في الخيمة.. عندها قال لها " لقد آلمني خبر موت قador عندما وصلني.. لقد كان رجلاً عظيماً وقائداً بارعاً بنظرة ثاقبة.. ولا أنسى له مساهمته في صدّ جيش الملك العربي الذي كاد يجتاح السهول قبل ست سنوات.."

خفضت ججي بصرها بصمت تقدير الكلمات طاغار، وسمعتة يضيف " لطالما أعجبت به وبآرائه.. ورغم اختلاف العميق مع رأيه بتنشئتك كرجل، لكنني الآن لا يسعني إلا أن أسلم بما فعله وأبدي إعجابي بصحة توقعاته حتى الآن.."

فقلت ججي "لم أكن لأصل لما وصلت إليه لولا جهود أبي.. وسأظل أذكر له وقوفه معي طوال السنوات الماضية.."

علق طاغار قائلاً "البقاء في هذا المنصب ليس سهلاً يا جام.. إنه يتطلب جهداً كبيراً، ولكن عليك بادئ ذي بدء أن تتخلص من خوفك من رجالك.. يجب ألا تخشاهم، ويجب ألا تظل خائفاً من اللحظة التي سيقفز أحدهم بخنجره نحو صدرك.. لو تخلصت من هذا الخوف، فستقدر على أن توجه جهودك للعمل على تثبيت موقعك وإثبات أحقيتك بهذه الزعامة.."

هزت ججي رأسها موافقة وهي تقول "سأفعل ذلك بالتأكيد.."

فقال طاغار "لا أشك بقدرتك على ذلك.."

ساد الصمت للحظات وججي تفكر فيما قاله طاغار، ثم سمعته يقول "عندما وصلتني أنباء تغلبكم على السفن التي وصلت الخليج وهاجمت مخيمكم، انتابني الدهشة لتمكنكم من ذلك رغم أن الأكاشي لا يقدر على تجاوز العائق بينهم وبين السفن وهو البحر.. أكانت هذه خطة الكشميتي الذي يرافقتك؟" دهشت ججي لقول طاغار، رغم تأكيدها السابق بأن الخطة كانت خطتها هي.. لكن بدا أنها لا يمكن أن تفلت بكذبة مثل هذه أمام حدسه الصائب وخبرته الطويلة.. فتساءلت "كيف علمت بذلك؟"

ابتسم طاغار معلقاً "يمكنك أن تقول إنني أعرف الأكاشي حق المعرفة، وحفظت أساليبهم عن ظهر قلب.. ما فعلتموه لا يدل على أنه بتخطيط من الأكاشي.. لذلك زال تعجبي على الفور عندما رأيت ذلك الكشميتي الذي يرافقتك.. وراودتني فكرة أنه قد يكون صاحب ذلك التخطيط.."

فقلت ججي "بلى.. تلك كانت خطته، وقد آتت ثمارها بالفعل.."

عندها قال طاغار بعد أن زالت ابتسامته "استمع إلي يا جام.. كما قلت لك، سيكون صعباً عليك الاحتفاظ بالمنصب الذي حصلت عليه.. وستسعى بعض القبائل للإطاحة بك بكل ما تملك، رفضاً لهويتك التي يستنكرونها.. لكنني لا أتمنى ذلك.. لم يعد لدي الكثير لأعيشه، وما عدت أتشبه بقوانين الأكاشي التي لا تتغير أو تتبدل مهما مرت عليها السنوات.. الأكاشي لا يعتدون إلا بالقوة، لكن القوة ليس قوة الساعد والجسد فقط.. فمن يملك عقلاً قد يكون هو صاحب الكلمة الأخيرة بالفعل.."

قلت ججي "بم تنصحتني إذاً؟.."

أجابها بحزم "احتفظ بأمر هذا الكشميتي سرًا.. لا تدع أحداً يعلم أنه صاحب ذلك المخطط، وصاحب الفضل في نجاح معركتكم مع العدو.. لا أشك أن ذلك الكشميتي سيكون ذا فائدة جمّة لك منذ الآن لو أحسنت استغلال ذكائه، لكن لو علمت القبائل بأمره، فقد يلجأ أحدهم للتخلص منه لتجريدك من نقطة تفوقك على البقية.. وقد يكون هو وسيلتك الوحيدة لإثبات نفسك للجميع.."

قالت ججي بثبات "لا تقلق.. لن أفعل ذلك بتاتاً.. ولن أسمح لأحد بأن يصل إليه أبداً.."

فابتسم طاغار قائلاً "جيد.. أتطلع لرؤية ما سيجري بعد الآن.."

نهضت ججي بعد أن فرغ طاغار من حديثه، واستدارت مغادرة الخيمة لتقف عند بابها قائلة له "لمجرد العلم، ذلك الكشميتي اسمه كين.."

اتسعت ابتسامة طاغار بصمت، بينما غادرت ججي الخيمة عائدة لرفاقها.. بهذا، هي حصلت على دعم طاغار وقبيلته ومباركتهم.. الآن تشعر أنها ليست في موقف الضعيف الذي تهزه الرياح كيفما شاءت.. أصبحت أكثر ثباتاً وقوة، ومما لا شك به أن هناك العديد من القبائل ممن تتبع كل رأي لطاغار ولن تتردد في الانضمام إليه عندما تدعو الحاجة..

\*\*\*\*\*

أثناء رحلة العودة للمخيم الجديد، وبينما عسكرت المجموعة في إحدى الليالي وخذل أغلب أصحابها للنوم، اقتربت ججي من كين الذي جلس على مبعدة متدثراً بمعطف صوفي مبطن بالفرو، والذي لم يكف لتدفئته في هذه الليلة القارسة حيث كان يراقب في نوبة الحراسة الأولى.. فجلست قربه بصمت وهي تعبت بالأرض العشبية عند قدميها، فتساءل كين "ما الأمر؟.. منذ اجتمعا عك بطاغار وحيدة وأنت مهمومة بشكل واضح.."

قالت ججي زافرة "لست مهمومة، إنما أفكر فيما سنفعله في الأيام القادمة.."

علق كين "أمامنا عدة أيام من العمل الشاق لإعادة تعمير المخيم.. هناك الكثير من الموارد التي احترقت وتلفت، وعلينا التزود مما ينقصنا منها لمواجهة الشتاء الذي حلّ بقوة.."

قالت بضيق "فقط؟.. أنسيت أننا قد نكون على مشارف حرب جديدة؟.."

فقال كين "الأكاشي عادة لا يشغلون أنفسهم بأي حرب إلا عند وقوعها، فما الذي يمكنك فعله منذ الآن؟.."

غمغمت "لا أدري.. لكن لا أستطيع الصمت على هذا.."

والتفتت إلى كين قائلة "والحق يقال، لقد فاجأتني بتلك الحطة المذهلة التي ساعدتنا على التخلص من الجنود المعسكرين في خيمننا.. لن أنسى لك هذا قط يا كين.."

غمغم كين بدهشة واستغراب "ما الأمر؟.. من النادر أن أسمع منك شكراً.."

قالت بجدية "لأنك أسديت لي جميلاً لن أنساه لك قط.. لذلك كان يجب أن أشكرك بكلمات واضحة.."

ابتسم كين دون أن يخفت تعجبه، فيما أضافت ججي "وأريد أن أطلب منك أن تستمر بتزويدي بأرائك الراجحة وخططك البارعة في المستقبل أيضاً.."

قال كين بارتباك "ليس الأمر كما تصفينه، إنما كنت أحاول معاونتك صادقاً لأنني خشيت أن يقتلك رجال القبيلة.. لست أملك خبرة كافية في هذا المجال.."

قالت ججي وهي تمسك كتفه بقوة "بل يبدو لي واضحاً أنك تملك عقلية تتفوق علي في هذا الأمر.. حتى آراءك المتفرقة في المعارك التي خضناها قد كانت صحيحة في كل مرة.. لا يمكن أن يكون هذا مصادفة.. فهل ستعاونني في هذا الأمر يا كين؟.."

نظر لها كين بصمت، ثم غمغم "وهل يمكنني أن أرفض؟.."

ابتسمت ججي براحة، ثم ربت على كتفه مضيئة "إذن سأعتمد عليك في هذا الأمر.."

هز كين رأسه موافقاً وهو يشعر بشيء من السوء لأنه قد لا يكون كما تتوقع ججي منه.. هو يمتلك خبرة ضئيلة من قراءاته السابقة عندما كان في كاشتار، وقد كان يهتم بقراءة التاريخ المفصل لمملكة كشميت والحروب التي خاضتها، كما أنه يفكر بطريقة تختلف عن تفكير الأكاشي.. لذلك تكون خططه مختلفة عن خطط الأكاشي المعتادة والتي تتخذ نهجاً مباشراً وواضحاً.. فهل هذا كافٍ لجعله مخططاً حربياً بارعاً كما تصفه ججي؟..

سمعتها تضيف "هناك أمر آخر.."

نظر لها باستفهام، فأضافت "لا يمكنك أبداً أن تخبر أحداً بأنك صاحب تلك الخطط.. سيبقى هذا سراً بيننا، ولن يعلم به إلا مينار وتبريق، فأنا أثق بهما.. عدا عن ذلك، لا يمكنك التصريح بهذا الأمر لأي مخلوق كان.. اتفقنا؟.."

انتاب كين شيء من الضيق وهو يعلق "أتخشين أن يستهين بك الأكاشي لو علموا أن تلك الخطط ليست لك؟.."

قالت بحزم "بل أخشى أن يستهدفوا حياتك يا كين.. يمكنهم أن يسعوا للخلاص منك لتجريدي من نقطة تفوق عليهم، وأنا لا أريد أن أتسبب بأي أذى لك.. لذلك افعل ما أطلبه منك.."

كان ذلك أمراً أكثر منه طلباً، وبينما بدا الاستياء بوضوح على وجه كين للهجة التي حدثته بها، فإنها قالت "سأجعلك يدي اليمنى، فأنت كفؤٌ لهذا المنصب.. وهذا سيجعل لك مكانة عالية في القبيلة.. ألا يسعدك هذا؟.."

هز كين رأسه موافقاً بصمت، فربت ججي على كتفه بقوة وسرور ظاهر على ملامحها، ثم نهضت مغادرة تاركة إياه لأفكاره.. هل هذا ما يسعى إليه حقاً؟.. لم يعد كين يدري ما يسعى إليه وما يريد وسط هذه الأحداث التي يفترض بها أن تكون بعيدة عن اهتماماته حقاً..

وفي اليوم التالي، وبينما سارت الفرقة الصغيرة عبر السهول في طريق العودة، اقترب مينار بحصانه من ججي وقال "ما الذي تنوي فعله الآن؟.."

قالت ججي ببساطة "لا شيء.. العودة للمخيم وتعميره.. هذا كل ما يهم الآن.."

علق مينار قائلاً "لا.. هناك ما هو أهم.. وهو توطيد أواصر العلاقات بين القبائل الموالية لنا ومعرفة موقفها منك بعد أن أصبحت زعيماً.."

تساءلت ججي "ولرَ عليّ فعل ذلك؟.. كلنا نعرف من يوالينا ومن يعادينا من قبائل الأكاشي.. فهناك قبيلة (المخلب الأسود) التي تتعارك معنا على المراعي القريبة من مخيمنا الشتوي ولا تنفك تحوض مناوشاتٍ دائمة مع رجالنا.. وهناك قبيلة (جلوان) التي هاجمتنا في إحدى السنوات الماضية محاولة سرقة ماشيتنا أثناء انتقالنا للمخيم الصيفي.. أما قبيلة....."

قاطعها مينار قائلاً "هذا معروفٌ لأصغر طفل في القبيلة.. لكن درج زعماء القبائل عند استلامهم للزعامة



على مراسلة حلفائهم من القبائل الأخرى وتوطيد العلاقة التي يمكن لها أن تنفصم لأدنى سبب.. وأنت، بظرفك الخاص وبما تمثله من تحدٍ للقبائل الأخرى، أدعى لأن تقوم بهذا العمل فور استلامك للزعامة.. قبيلة طاغار هي البداية، لكن لا يجب أن تكون هي نهاية المسار.."

علقت ججي قائلة "إذن، هل عليّ أن أرسل رسلي إلى تلك القبائل فور وصولي للمخيم؟.."  
أجاب مینار "لا.. عليك الرحيل بنفسك لمقابلة الزعماء.. قد يعتبرون إرسال الرسل استهانة بمكانتهم، وقد لا تعرف من يواليك حقاً برّد شفوي لا معنى له.. المواجهة هي خير ما يمكنك فعله لمعرفة خبايا النفوس تجاهك.."

اقترب كين الذي استمع لحديثها بصمت وقال باعتراض "لكن قدوم ججي إليهم قد لا يكون له أحسن الأثر في نفوس الرجال، وما جرى مع رجال طاغار هو مجرد عينة لما قد يجري في القبائل الأخرى.. ربما كانت الرسائل الشفوية أكثر أمناً وأقل استثارة لغضب تلك القبائل من رؤيتهم لها وهي تدخل مخيمهم على ظهر فرسها.. فقد يعتبر الزعماء هذا العمل بمثابة تحدٍ لهم وتجاهلٍ لكل ما يبغضونه.."

فقال مینار "لكن قدومها إليهم دليلٌ على سعيها للتحالف معهم بإخلاص.. لا يجزؤ على إرسال الرسل في مثل هذه المواقف إلا زعماء القبائل القوية ذات التأثير بين الأكاشي.."

قالت ججي بانعدام صبر "هلاً اتفقتما على رأي واحد؟.. أنتما تشتانى.."

تبادل مینار وكين النظرات، ثم قال كين بعد لحظة تردد وقد غلبه القلق من استثارة غضب مینار "الرأي يظل رأيك يا ججي.. وستتبع ما تقولينه.."

صمت ججي للحظة وهي تقلّب الأمر في ذهنها، ثم قالت بحزم "العمل اليدوي مملٌ جداً.. لذلك أنا مع اقتراح مینار.."

نظر لها كين بغير تصديق للوسيلة التي اتخذتها لاتخاذ هذا القرار، بينما قالت ججي لمینار "أرسل أحد الرجال إلى المخيم لإبلاغهم بما اعتزمت فعله.. وسنطلق من فورنا إلى هدفنا التالي، وهي القبيلة الأقرب إلينا.."

استدعى مینار رجلاً لتلقيه تلك الرسالة، بينما زفر كين معلقاً "أنت تتعاملين مع الموقف بتهاونٍ كبير.."  
قالت ججي بانسراح تام "وأنت تحب تعقيد الأمور.. بعض الترحال لا يضير أحداً يا كين.."

صمت كين متراجعاً عن التعليق الذي يود قوله.. إن ججي تستهين بموقفها، وتستهين بنظرة رجال الأكاشي لها.. والآن، بعد أن بدأت تكتسب بعض الثقة والولاء من رجال قبيلتها، فإن هذا قد بدأ يعمي عينيها عن الخطر الذي قد تواجهه كزعيمة أنثى وسط مجتمع يكره المرأة بكافة الأشكال..

\*\*\*\*\*

دامت الرحلة التي اتخذتها ججي مع الفرقة الصغيرة من رجالها ما لا يقل عن ثلاثة أسابيع، جابت فيها جانباً من سهول الأكاشي وزارت فيها ما يقارب أربع قبائل كانت موالية لأبيها، بالإضافة لقبيلتين كانتا على حياد وقد تأملت ججي أن تكسبهما لصفها بشكل أو بآخر.. لكن ما واجهته ججي في تلك القبائل لا يقل عما رأته في عيون الرجال في قبيلة طاغار.. كانت تواجهه بسخرية وغضب شديدين، ولا يتوانى الزعماء عن رفض مقابلتها بكل صراحة أو حتى طردها من مخيم القبيلة دون اعتبار للصلات التي كانت بين القبيلتين سابقاً.. ولم يكن ذلك مثار غضب ججي قدر قلقها من أن يتسلل ذلك الغضب والضيق لرجال قبيلتها مع تلك المعاملة..

وأخيراً، بعد رحلة طويلة ومرهقة، قررت ججي أن العودة للقبيلة هو أفضل خيار متاح لهم، وعلقت على نظرات كين الصامتة قائلة بضجر "أدرك ما تودّ قوله يا كين.. لقد قمت بتحذيري، وأنا رفضت الانصياع لنصيحتك تلك.."

ثم أضافت "لكنني لست نادماً.. من الأفضل لي مواجهة هذا الأمر بنفسي، ورؤية حقيقة الواقع بدل التحليق في الخيال.."

ابتسم كين معلقاً "هذا منطوق معقول من شخص لا يتعامل بالمنطق أبداً.."

نظرت له بغیظ، عندما اقترب منها مینار حیث جلسا جانباً فی الموقع الذی اتخذوه معسكراً لهم لتلك اللیلة، وقال موجهاً حدیثه لججی "لقد عاد الرجل الذی أرسلناه للمخیم قبل قلیل.. وهو یحمل لنا بعض الأخبار.."

تساءلت ججي بقلق "ما الذي جرى في غيابنا؟.. هل اقترب أعداؤنا من المخيم؟.."

أجاب مینار "لا يتعلق الأمر بأعدائنا، فلا تزال الأمور مستقرة هناك.. لكن الأمر يتعلق برسولٍ من قبيلة (الأرقط) وصل مخيمنا قبل بعض الوقت بحثاً عنك.. وهو موجه إليك من زعيم تلك القبيلة براد.."

نظرت له ججي باهتمام وقالت بلهفة "ما الذي يريده منا؟.."

أجاب مینار "إنه يدعوك للقدوم لقبيلته في زيارة سلمية.."

تزايدت لهفة ججي وهي تقول بحماس "أليست تلك القبيلة من القبائل المحايدة بالنسبة لنا؟.. أهذا يعني أنه يريد إنشاء حلفٍ معنا؟.. هذا رائع.."

قال مینار مقطباً "ليس كذلك.. هذه الدعوة في هذا الوقت بالذات لا يمكن أخذها بتهاون أبداً.. لا بد أن لبراد مطمعاً فيك ويريد تحقيقه.. وإلا ما معنى أن يدعوك لزيارته في الوقت الذي رفضت كل القبائل استقبالك في مخيماتها؟.."

قالت ججي "لا داعي لهذا التشاؤم.. لا بد أن أخبار المعركة التي خضناها مع سفن الملك العربي قد وصلت إليه وأثارت إعجابه.."

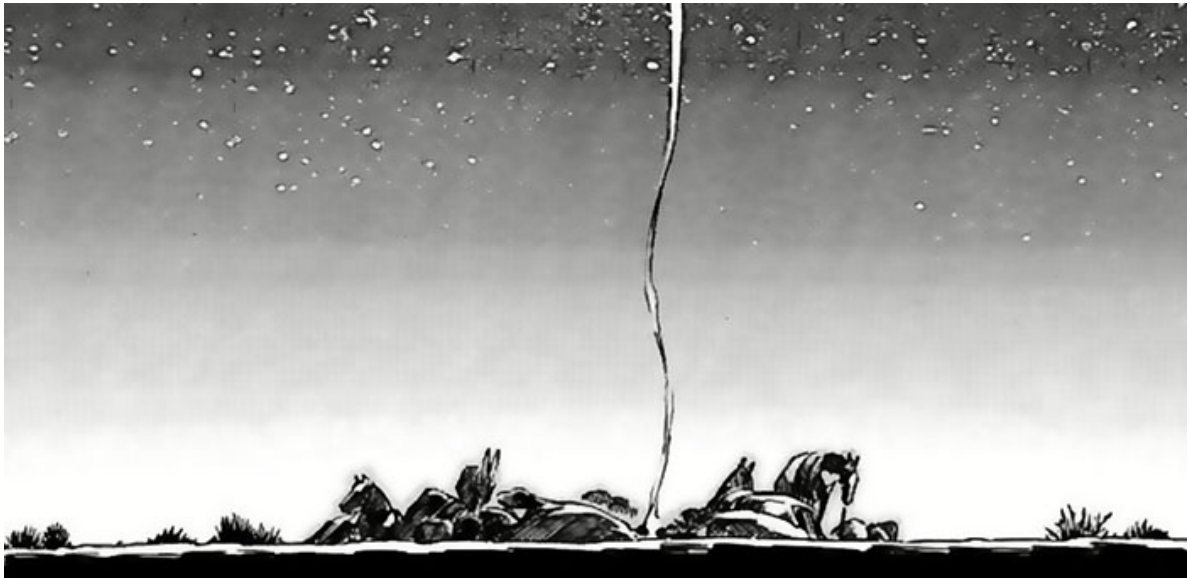
علق كين "أنا مع مینار في هذا.. عليك أن تكوني أكثر حذراً يا ججي.."

قالت ججي بشيء من الضيق "أنا لست أحمقاً.. يمكنني أن أدرك متى ما كان براد يريد استغلالني، ويمكنني أن أوقفه عند حده لو لزم الأمر.."

فقال مینار "إذن هل تنوي الانطلاق إلى قبيلة (الأرقط)؟.."

أجابت ججي بحزم "طبعاً.. وبأسرع ما يمكن.."

\*\*\*\*\*



## الفصل السادس عشر { حليف أم عدو؟ }

مضت أيامٌ عدة قبل أن تتمكن الفرقة المصاحبة لججي من الوصول لمخيم قبيلة (الأرقط) التي تقع في أبعد نقطة غرب سهول الأكاشي.. كان مخيم القبيلة يحتل بقعة واسعة وبكثافة تزيد على مخيم قبيلة (أبناء الذئاب) بكثير، مما أثلج صدر ججي وهي تتأمل المكان حولها مغممة "سيكون من المفيد حقاً أن نكسب هؤلاء لصفنا.. يبدو أنها قبيلة كبيرة وستكون ذات تأثير لو انحازت إلينا حقاً.."

قال كين "رغم كل لهفتك هذه، كوني حذرة في التعامل مع زعيمهم يا ججي.."

قالت بضجر "أجل أدرك ذلك يا كين.. لا داعي لتكرير هذا القول عليّ وكأنني طفل صغير.."

قال كين بشيء من الضيق "أنت من طلبت مني النصح سابقاً.. أنسيت؟.."

قالت وهي تجذب لجام الغبراء لتوقفها وسط المخيم "أدرك ذلك طبعاً، لكنني أتمنى منك أن تحترم ذكائي على الأقل.."

ترجلت من على ظهر الغبراء يتبعها البقية، وغمغت وهي تدير بصرها فيمن حولها بابتسامة "لا أرى البغض والكراهة في عيون من حولنا.. أليس هذا دليلاً جيداً على ما نحن مقبلون عليه؟.."

علق مينار وهو يسير معها نحو وسط الساحة "لا تغترب هذا.."

رأوا براد يجلس مع جماعة من رجاله في الوسط، وقد تذكرته ججي على الفور عند رؤيته.. فهو ذلك الزعيم الذي شارك في الحرب ضد الجيش العربي مع أبيها، وهي تذكر غطرسته وعناقه الشديدين في المعسكر قبل تلك الحرب.. اقتربت ججي من مجلسه ورأته ينهض لرؤيتها قائلاً بابتسامة عريضة "لم أتوقع رؤيتك بهذه السرعة.. يبدو أنك متلهفٌ للقُدوم إليّ والاستماع لعرضي يا جام.."

لاحظت ججي أنه وقف في موقعه دون أن يقترب منها أو يمد يده لمصافحتها، وقد كانت هذه هي الدلالة الأولى التي جعلتها تتحفظ في الرد عليه وهي تقول "كنا قرييين من موقع قبيلة (ذكوان) عندما وصلنا خبر الرسول الذي أرسلته إلينا.. ولذلك لم نستغرق وقتاً طويلاً في الوصول إليك.."

فقال براد "فلنتقل إلى خيمتي إذا.. العرض الذي أملكه سيعجبك بشدة بالتأكيد.."

لم تعلق ججي وهي تتبعه للخيمة القريبة، بينما علق براد عندما حاول مينار وكين اللحاق بهما "لا أظن جام يخشى على نفسه لو اجتمع وحيداً بي، ووجودكما لا فائدة منه فيما أريد الحديث فيه.."  
 قطب مينار قائلاً "هذا لا يعني أن من حقك...."

قاطعته ججي قائلة "لا بأس يا مينار.. لا تخش شيئاً.. ستكون كل الأمور على ما يرام.."  
 لم يعترض أحدهما وهما يتراجعان لينضموا لبقية الرجال، بينما دلفت ججي الخيمة خلف براد وجلست قرب موضع النار التي كانت مطفاة، فيما جلس براد وهو ينظر لها بتمعن وابتسامة جانبية.. ورغم ضيقها، فإنها ظلت صامته بانتظار أن يبدأ براد الحديث، فسمعتة يقول بعد بعض الصمت "لقد صدمت أيها صدمة عندما علمت أن رجال قبيلتك قد اختاروك أنت لزعامة القبيلة.. يبدو أن منزلة قادور عندهم كانت كبيرة لدرجة التغاضي عن كونك امرأة واختيارك خلفاً له.."

لم تعلق ججي وهي تلاحظ أنه يخاطبها بصيغة أنثى، لكنها صمتت وقد أدركت أنه لا يُظهر سخريته منها بقوله ذلك.. ثم سمعتة يضيف "ما تواجهينه الآن كزعيم لهذه القبيلة صعبٌ وعسير.. ولن يكون أكثر سهولة وبساطة في المستقبل.. عليك اختيار قراراتك بحكمة وترو.. وعليك اقتناص الفرصة الملائمة متى ما لاحت لك.."

فقلت ججي "ما الذي تنصحيني به؟.."

كانت لا تتردد في طلب النصيحة من الزعماء الآخرين، فهم قادرون على إفادتها في مهمتها بنصائحهم بالنسبة لخبراتهم الطويلة في هذا المجال.. لكنها لم تملك استيائها من الطريقة التي يعاملها بها براد.. سمعتة يجيب وهو يمسد شاربه الطويل "لقد أعجبت بك أيما إعجاب، ودهشت لأن تلك الفتاة الضئيلة التي رأيتها في حربنا الأخيرة مع الجيش العربي قد أصبحت زعيمة قومها.. لكن دعيني أكن صريحاً معك.. لا يمكن أن يدوم هذا الوقت طويلاً.."

قطبت ججي شيئاً ما وبراد يضيف "لكي تضميني ولاء الرجال، أو على الأقل لتضميني حياتك، فأنت بحاجة للقوة.. ولحليف قوي.. ولحسن حظك أنا أملك الإثنين.."

نظرت له بتعجب متسائلة عن مغزى كلماته، عندما مال نحوها بابتسامة واثقة وهو يقول "لديّ عرض نادر لك ولا يمكن تجاهله.. ما رأيك بأن أتزوجك، فنضم القبيلتين معاً في حلف قوي لن تقدر قبائل

الأكاشي على تجاهله؟.. طبعاً سيظل منصبك محفوظاً، ولكن ستكونين معاونة لي.. وهو شرفٌ لا أمنحه لأي شخص كان، وبالطبع لا تصل إليه امرأة مهما كانت براعتها.."

تراجعت ججي بظهرها للوراء وهي صامته للحظة.. لقد أخذت بهذا العرض، لا لأهميته بل لمغزاه.. بدا لها أن براد يستهين بها بوضوح، ولا يعتد بأهميتها ولا بقييلتها بتاتاً.. ورغم أنها مدركة أن ردها سيحدد إن كانت قبيلة (الأرقط) ستصبح حليفة لهم أم عدواً جديداً، إلا أنها لم تتردد وهي تقول بحزم "لو كان رجال قبيلتي قد سلّموا بزعامتي وأعلنوا طاعتهم لي، فتأكد أن كل ذلك سينتهي في اللحظة التي أقبل فيها عرضك هذا.. سيتخلون عني، وجلّ ما ستحصل عليه هو امرأة تضيفها لنسائك دون أي أهمية أو عائد من مثل هذا الزواج.."

وسحبت سيفها فركزته بينها وبينه وهي تقول بصرامة وشدة "وأنا لست امرأة.."

نظر لها براد باستنكار بينما نهضت ججي حاملة سيفها وغادرت دون أن تضيف كلمة أخرى.. فصاح براد خلفها "أهذا يعني أنك ترفضين شخصاً مثلي؟.. رفضك هذا ستكون له تبعاته، ولن أصمت على هذا أبداً.."

توقفت ججي قبل أن تغادر الخيمة، ونظرت له وهي تشدّ على سيفها قائلة ببرود "لو كنت تريد الحرب، فالحرب هي ما سنسعى إليه.. لو كان كبرياؤك سيدفعك لمقاتلة قبيلة (أبناء الذئاب)، فلا تتردد في التقدم نحونا برجالك متى ما شئت.."

وغادرت الخيمة وهي تزفر بشدة، فالتجّت إلى فرسها الواقفة في وسط الساحة وهي تدمدم بحنق "تباله.."

لسنا بحاجة لحرب جديدة نشتغل بها.. بأي عقل يفكر ذلك الأحمق؟.."

في الوقت ذاته، كان براد يشير لأحد رجاله ليقترّب منه، فقال له بصرامة "اتبع تلك المرأة وأحضرها إليّ بأي شكل كان.."

هز الرجل رأسه وأسرع لتنفيذ أمره، بينما غمغم براد بحقد وهو يراقب ابتعاد ججي مع رجالها من المخيم

"لا أحد يدير ظهره لي.. وقطعاً لا تجرؤ امرأة على فعل ذلك وتبقى حية بعدها.."

في تلك الأثناء، غادرت ججي المخيم وهي تلخص الموقف لمينار ولبقية الرجال دون ذكر عرض الزواج الذي عرضه عليها براد.. اكتفت بأن أخبرتهم أنه يريد ضمّ القبيلتين وتنحيتها كزعيمة لقبيلة (أبناء

الذئاب)، وأنها رفضت ذلك العرض جملة وتفصيلاً.. كانت تشعر أن ذكر طلب براد الزواج منها سيجعل رجالها يوقنون أنها أمام بقية الزعماء ليست إلا امرأة صالحة للزواج، ولن يأخذها أي شخص بجدية بعدها.. وقد علق مینار على ذلك قائلاً "هذا ما توقعته.. فشخصية براد لم تعجبني منذ أول مرة رأيته فيها.."

غمغمت ججي بضيق "لم يجب أن تنتهي الأمور أسوأ من كل توقعاتنا؟.. إنه لم يكتف بتجاهلي كزعيم للقبيلة، بل إنه استهان بالقبيلة كاملة.. عرض مثل هذا لا يوجه نحو قبيلة قوية أبداً، وهذا معناه أنهم لا يعدوننا أقوياء بتاتاً.."

قال أحد الرجال بحنق "مثل هذه الإهانة لا يمكننا تجاهلها.. وعلينا الرد بقوة لكي تتعظ بقية القبائل مما جرى.."

قال مینار بسرعة "لا.. نحن مثخنون بجراحنا بالفعل بعد معركتنا الأخيرة، ولا نزال متأهين لهجوم جديد من الجيش العربي.. لا يمكننا أن نفتح جبهة جديدة في الآن ذاته.. فلتتجاهل الأمر.. هذا خير ما نفعه.."  
زفرت ججي بصمت دون أن تعترض على قوله.. هم بالفعل ليسوا بحاجة لحرب جديدة، ولا كسب أعداء جدد.. يكفي أن جميع قبائل الأكاشي قد فصمت كل حلف معهم وأصبحت في خانة الأعداء أو المحايدین.. وأصبحت قبيلة (أبناء الذئاب) وحيدة دون أي حليف قوي، إن تجاهلنا قبيلة طاغار التي تفضل البقاء على الحياد دوماً..

\*\*\*\*\*

رغم أن ججي حاولت ألا تبدي اكتئابها في المرات التي قوبلت فيها بالرفض والإهانة من القبائل الأخرى، لكن كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير.. انزوت ججي على شيء من المبعدة من المعسكر الذي أقامه الرجال لتلك الليلة، وطلبت من كين أن يتركها وشأنها حتى تعود بنفسها لهم.. كانت تشعر بضيق شديد، ولا تدري كيف يمكنها تخفيف تلك المشاعر المتكاثفة في صدرها..

ليست الإهانة هي ما يشغل تفكيرها، ولا يهيمها أن يقبل بها باقي الزعماء حقاً.. لقد كان قبول رجال القبيلة

لها يكفيها عن أي شيء آخر، لكن ما أصابها بالضيق والحزن أن ترى قبيلتها تفقد حلفاءها واحداً تلو الآخر فقط لأنها هي زعيمتهم.. أحقاً، كما كان يقول أبوها دائماً، أن المرأة تجلب النحس والفأل السيئ؟.. هل أصابت قبيلتها بالنحس عندما قررت أن تحصل على منصب لا يليق بها؟.. لو فكرت إحدى القبائل بالهجوم عليهم في هذا الوقت، فسيُمحي اسم قبيلتها من خارطة السهول بين ليلة وضحاها.. فهل هي السبب حقاً أم أنها عقول رجال الأكاشي المتحجرة التي لا تقبل منها محاولتها الخروج عن المألوف؟..

طال الوقت بججي وهي جالسة وحيدة تحديق في السماء المظلمة إلا من النجوم المتفرقة وقمرٍ شاحب، عندما لاحظت اقتراب خطوات خافتة من خلفها مما جعلها تتيقن أن كين قد لحق بها كعادته.. ولما استدارت بشيء من الضيق لتطلب منه تركها وحيدة ولو للحظة، فوجئت بضربة قوية تصيب رأسها من الخلف.. ولما سقطت على وجهها مغشياً عليها، امتدت تلك اليدان وأمسكتا بها، وحملتها بصمت وسكون مبتعدة عن موقع الغبراء وعن الجانب الذي عسكر فيها كين مع بقية الرجال دون أن يفتن أحدهم للأمر.. وعندما استبطأ كين عودة ججي، أتى بحثاً عنها ليجد الغبراء واقفة وحيدة في الموقع.. تلفت حوله بحثاً عن ججي، ثم ناداها بصوت واضح بعد أن لاحظ أنها ليست في أي موقع قريب.. ظل كين واقفاً ينتظر ظهورها أو سماع صوتها لبعض الوقت قبل أن ينتابه شيء من القلق وهو ينادي بصوت أعلى.. وبعد أن بحث بتدقيق عنها دون فائدة، فإنه عاد على ظهر حصانه جاذباً الغبراء خلفه وقد تناهبه القلق لما جرى لها، وفور وصوله للبقية بادر بالهتاف "لقد اختفت ججي يا مینار.. بحثت عنها في الموقع كله دون أن أعثر لها على أثر.."

نهض مینار من مجلسه قرب النار وتساءل بدهشة "ربما لم تكن بعيدة حقاً لكنك لم ترها.. ألم تسمع لها صوتاً؟.."

قال كين بالحماح "أنا واثق أن أمراً ما قد أصابها.. فهي ليست موجودة في أي موقع يقع عليه بصري.. ثم انظر لهذا.."

ورفع سيفها الذي لا تتخلى عنه عادة وتبقيه قربها حتى وهي نائمة، وبينما اتسعت الأعين بدهشة قال كين بانفعال "أنا واثق أن أمراً ما قد حدث لها عند ابتعادها عنا.."

نظر مینار للرجال القريبين وتساءل "أيمكن أن يكون الأمر من تخطيط براد؟.."



بادلته الرجال النظرات القلقة، بينما قال كين "هذا شيء مؤكد.. لقد طلبتُ من ججي أن نبتعد عن مخيم قبيلة براد قدر المستطاع، لكن حلول الظلام قد حال بيننا وبين ذلك.. وها هو قد استغلَّ هذه الفرصة وهدفه الانتقام من ججي لرفضها له بكل تأكيد.."

فقال مينار "لا يمكننا الصمت على هذا.. لنذهب يا رجال.."

أسرع كين ومينار لامتطاء ظهري حصانيهما، ولما فعلا لاحظا أن بقية الرجال قد ظلوا في مواقعهم يتبادلون النظرات بصمت.. نوعاً ما، أدرك كين من اللحظة الأولى ما يدور في أذهان الرجال في مثل هذا الوقت، لكنه فضل الصمت تاركاً الحديث لمينار وهو واثق أن قوله لن يكون له ذات الأثر في نفوسهم..

التفت مينار إلى البقية قائلاً بتقطيعة "ما الأمر؟.. ألا تنوون الانطلاق لإنقاذ زعيمكم؟"

قال أحد الرجال بضيق "وما الفائدة؟.. لم نحظْ بأي فائدة تذكر منذ تولي زعامة قبيلتنا والقبائل الأخرى تطردنا لمجرد رؤيته.."

قال مينار "ماذا تعني؟.. أنت سعيدٌ لما جرى له إذًا؟.."

أشاح الرجل بوجهه مجيباً "لا أعني ذلك بالتحديد، لكنه ربما كان للأفضل.. لقد حاولنا مخلصين أن نطيعه في كل ما طلبه منا، لكن الآن، بعد مرور شهرٍ واحدٍ منذ تولي الزعامة، فإنه أثبت لنا أنه لا يصلح لها حقاً.."  
غمغم آخر "ربما كان من الخير لنا لو لم نسلّم له بالزعامة.."

شدّ كين قبضتيه على لجام حصانه وهو يودّ لو يصرخ في وجوههم للخسّة التي أظهروها مع زعيمهم في أشد أوقاته حاجة لهم، لكنه حبس أفكاره رغماً عنه بينما قال مينار باحتقار "أهذا كل ما توصلت إليه عقولكم الفارغة؟.. أليس هذا زعيمكم الذي أقسمتم له بالولاء منذ أمدٍ قليلٍ؟.. أهذا هو مدى ولاؤكم حقاً؟.."

بدا الضيق بوضوح على وجوه الرجال، فصاح بهم مينار بحنق "ألا تدركون أن ما تفعلونه إن دلّ على شيء فهو يدل على حقارتكم وخسّة طباعكم؟.. أن يتلقّى الزعيم طعنة في ظهره من رجاله هو أسوأ ما يمكن أن يحدث للأكاشي، وهذا سيقتى عاراً موصوماً في جبين قبيلة (أبناء الذئاب) مدى الحياة.."

ثم أضاف بصرامة "ولو حدث ذلك فعلاً، فلا أظنني سأرضى بأن أنتمي لقبيلة مثل هذه.."

وأدار حصانه وهو يلكزه لينطلق به نحو مخيم قبيلة (الأرقط) بأسرع ما يستطيع.. فلحقه كين وهو يقول

"ألا يجب أن تقنعهم بوسيلة أكثر ترغيباً من هذه الوسيلة؟.. اثنان لا فائدة منهما في مواجهة قبيلة كاملة.."  
لم يعلق مینار وهو مقطب بشدة، لكن لم تمض لحظات حتى سمع كین سنابك الخيل التي تعدو خلفها..  
وبنظرة للخلف، تمكن من رؤية الرجال الخمسة يسرعون للحاق بهما دون إبطاء.. عندها غمرته الراحة  
وهو يقول "يبدو أنك لن تضطر لمغادرة القبيلة يا مینار.."

قال مینار بحزم "المهم ألا أضطر لتغيير زعيمها خلال هذا الوقت القصير.."  
لم يعلق كین دون أن يخفي القلق من ملامح وجهه.. حتى بوجود سبعة رجال، لا يزال وضعهم صعباً في ما  
سيواجهونه في مخيم القبيلة التي تبدو لهم عند الأفق..

\*\*\*\*\*

فتحت ججي عينها بعد بعض الوقت لتسمع صوت براد خافتاً وهو يسأل شخصاً قرب "هل جردتموها مما  
تملكه من أسلحة؟.."

أجاب الرجل "طبعاً.. تأكدنا أنها لا تخفي شيئاً في ثيابها.."  
فقال براد "إذن غادر ونفذ ما أمرتكم به.."

غادر الرجل بينما رفعت ججي عينها لترى براد يتقدم منها، وتأكدت عندها أنها عادت لمخيمه بعد أن  
نجح رجاله في اختطافها، والآن هي مقيدة إلى عمود خشبي في تلك الخيمة وقد قيدت يداها خلف ظهرها  
إلى العمود بإحكام.. حاولت جذب إحدى يديها من القيد بأقوى ما تملك، عندما وجدت براد يركع أمامها  
بابتسامة ساخرة وهو يقول "يبدو أن شوقك إليّ دفعك للعودة قبل انقضاء يوم واحد.. أهذه الدرجة أنت  
متلهفة للانضمام إليّ؟.."

لم تعلق ججي وهي تحاول فك قيد يديها، لكن براد قال وهو يمسك وجهها بقبضة قاسية "لا فائدة.. لن  
يمكنك التخلص من قيودك قبل فوات الأوان.. وسأؤكد أنك ستندمين على استهانتك بي بتلك الصورة  
أيتها الحقيرة.."

قالت ججي بحدة "ما الذي تنوي فعله؟.. أنت بهذا تعلنها حرباً صريحة مع قبيلتي، ورجالي لن يصمتوا

على ما تفعله أبداً.."

ضحك براد بشدة وقال "رجالك؟!.. يبدو أنك لا تعرفين رجال الأكاشي حق المعرفة، ولا تدركين البغض الذي يحملونه لك لأنك تطاولت على مكانة لا تحق لك.. أنا واثق أن رجال قبيلتك سيتناسون أمرك ويتخلون عنك، فأنت لا تستحقين الزعامة التي حصلت عليها بخدعة ما ولا شك.."

قالت بغضب "لن يفعل الرجال ذلك.. رجالي ليسوا بالحقارة التي تتخيلها.."

قال براد بابتسامة ساخرة "حتى لو لم يكونوا كذلك، فأشك أن يجدوا الوقت الملائم لإنقاذك.. فالآن، انطلقت فرقة كبيرة من رجالي للتخلص منهم قبل أن يفتنوا الشيء.."

ثم مال نحوها قائلاً "وأنت... أنت ستناين المعاملة التي تستحقينها (كأمرأة).. وبعدها سأرمي جثتك عند مشارف مخيم قبيلتك ليعلموا حقيقتك الضعيفة كما يجب أن تكون.. أتمنى عندها أن يكون رجال قبيلتك شاكرين لي هذه الخدمة التي أديتها لهم.."

نظرت له ججي بتحدٍ وقالت "أندري ما هي الميزة الوحيدة التي أحصل عليها بكوني امرأة؟.."

رفع براد حاجباً وهو يقول بسخرية "وما هي تلك الميزة؟.."

قالت بابتسامة جانبية "أن شخصاً أحق مثلك سيستهين بي، وهذا يمنحني نقطة تفوق بلا شك.."

وبحركة سريعة، كانت قد مدت يدها اليمنى التي تخلصت من قيدها بغفلة من براد لتسحب خنجرًا يحتفظ به في حزامه، ثم دفعت الخنجر نحو عنقه القريب منها قبل أن يدرك براد ما يجري ويتجاوز هجومها ذلك.. وبينما صدرت حشرة من حلق براد وهو يقبض على ججي بيده بقوة، فإن ججي دفعت الخنجر عميقاً وهي تقول بغضب "لقد حذرتك سابقاً من نعتي بأمرأة.. لذا أنت تستحق ما جرى لك بكل تأكيد.."

تهاوى جسد براد أرضاً وججي تتخلص من قبضته المشدودة على ذراعيها، ثم مسحت الدماء التي غمرتها من جرحه بكم ثوبها.. وقامت بتحرير يدها الأخرى بذلك الخنجر الذي استعادته من براد بأسرع ما يمكنها.. كانت حسنة الحظ لأن رجال براد قد قيدوا يديها بشيء من الإهمال، مما مكنها من تخليص يدها اليمنى فقط أثناء انشغال براد بسخريته بها وبرجال قبيلتها دون أن يفتن لما تفعله..

نهضت ججي وتجاوزت جثة براد، وأسرت لجانب الخيمة حيث رأت سيفه موضوعاً جانباً.. فحملته بيد وهي تحتفظ بخنجر براد في يدها الأخرى، ثم غادرت الخيمة دون تردد ملاحظة أن الشمس لم تشرق بعد..

رأت رجلاً يجلس قرب النار وسط المخيم، وقد نهض لدئ رؤيتها وهو يغمغم بصدمة "أيتها ال....."

استغلت ججي صدمته لرؤيتها وهي تسرع لرمي الخنجر بقوة نحوه قبل أن يتحرك من موقعه، فأصابه الخنجر في كتفه إصابة مؤلمة وهو يتراجع خطوة ويمسك الخنجر بالأمر.. فلم تتردد ججي للحظة وهي تستدير مبتعدة عن الساحة نحو الموقع الذي تدرك أن الخيول قد ربطت فيه.. كانت فرصتها الوحيدة في الوصول لمربط الخيول والهرب على ظهر أحدها قبل استنفار من في المخيم وإدراكهم لما حل بزعيمهم..

وبينما تجاوزت عدداً من الخيام، تناهى لسمعتها صياح أحد الرجال "اقبضوا على تلك المرأة.. لقد قتلت الزعيم.."

حاولت ججي أن تزيد من سرعتها وهي ترى مربط الخيول أمامها، بينما تعالی صوت بعض الأقدام خلفها بدلالة واضحة على عدد مطارديها.. لكن ججي لم تتوان للحظة عن القفز على أقرب وأقوى حصان منها دون أي سرج على ظهره، وتمسكت بعرفه وهي تلكزه بقوة والأصوات تقترب منها مختلطة بصياح بعض الرجال.. لكن الحصان قد ثار رافضاً إطاعتها وهو يرفع قائمته بقوة ويركل محاولاً إسقاطها.. لكن ججي تشبثت به بأقوى ما تقدر بينما وقف ملاحقوها عاجزين عن الاقتراب من الحصان الثائر أو إصابتها بسيوفهم.. فبالنسبة للأكاشي، تعتبر الخيل من أعلى ما يملكونه مع ماشيتهم، ويعتبرون فقد أحدها هو أقسى ما قد يحدث لهم.. أما ما عدا ذلك، فيحتل المرتبة الثانية أو الثالثة لديهم.. وقد كانت ججي تعلم تمام العلم أن ملاحقيها لن يجروا على رمي خناجرهم أو سهامهم نحوها خشية إصابة الحصان الذي تمتطيه، فوجهت اهتمامها للحصان الثائر وهي تشد قبضتها عليه، ثم أدارت رأسه بحزم ولكزت بطنه بقوة لينطلق راكضاً بها بعد أن عجز عن إسقاطها من فوق ظهره.. كانت تدرك أن موقع رفاقها يقع في الاتجاه الآخر، لكنها لا تملك إلا الدوران حول المخيم للوصول إليهم قبل أن ينجح رجال براد في القبض عليها واستعادتها أو قتلها في أسوأ الأحوال..

\*\*\*\*\*

في موضع آخر، كانت الفرقة التي تضم كين ومينار تقف على مشارف قبيلة (الأرقت).. ورغم الظلام

المهيمن، لم يفئتهم رؤية تلك الجماعة من الرجال التي غادرت على ظهور الخيول مثيرة سحابة من الغبار خلفها ومتوجهة نحوهم.. فغمغم كين "أتظن أنهم...؟"

أجاب مينار "بلى.. إنهم آتون بحثاً عنا وللتخلص منا.. يبدو أن المجموعة التي اختطفت جام كانت قليلة العدد وقد هربوا دون الاشتباك بنا لكيلا يخسروا فرصتهم باختطافه.. أما الآن، فلا شيء يمنعهم من التقدم نحونا بهذا الوضوح.."

ثم التفت إلى رفاقه مضيفاً "فلنبتعد عن مسارهم ونحاول التسلل إلى المخيم لإنقاذ جام.. ليس من مصلحتنا الاشتباك معهم في هذه اللحظة.."

وأدار حصانه لينطلق به خلف التلال التي تخفيهم عن أعين ملاحقيهم.. كان مسارهم سيقودهم في دورة واسعة حول المخيم، ولا يعلم أحدهم ما الذي قد يجري لججي حتى يتمكنوا من الوصول إليها.. كل ما يأملونه أن يتمكنوا من الوصول إليها بأسرع المستطاع قبل أن يصيبها براد ورجاله بأي أذى..

في تلك الأثناء، كانت ججي تلکز الحصان بقوة وهي تحثه على الركض بأسرع ما يستطيع، دون أن يفوتها أن تلاحظ الخيول الأربعة التي لحقت بها بشكل حثيث.. لم يكن الحصان الذي تركبه بطيئاً أو ثقيلاً، لكنه رغم ذلك لم يتمكن من الخلاص من ملاحقيه مهما لكزته ججي بالحاح.. دامت المطاردة عدة دقائق قبل أن تجد ججي أن أحد الرجال لجأ أخيراً لتعطيل الحصان الذي تركبه بغض النظر عن النتائج.. وعندما رمى الرجل جبلاً مربوطاً بحصاتين، تمكن بدقة تصويبه من عرقلة الحصان الذي وجد الحبل الغليظ يلتف على قدميه الخلفيتين بإحكام حتى تعثر وسقط سقطه عنيفة على جنبه.. ارتمت ججي أرضاً، ورغم أنها حاولت تفادي سقوط الحصان عليها، لكن سقطتها كانت مؤذية وهي تشعر بالدوار يغلف رأسها فيما حاول الحصان الوقوف من جديد بشيء من الجهد..

وخلال اللحظة، وجدت ججي الخيول تقف قربها مثيرة الغبار حولها، ومع اقتراب الرجال منها وجدت ججي نفسها ترقع أرضاً رغماً عنها ورجل يمسك بكل يد من يديها ويفردها جانباً ضاغطاً على كتفها بقوة بحيث تعجز عن الحركة أو النهوض من موقعها.. فيما وقف آخر خلفاً وهو يسحب سيفه قائلاً "أظننت أننا سنسمح لك بالهرب بعد أن تناولت على زعيمنا وقتلته بتلك الحسة؟.."

قالت ججي بحنق وهي تحاول جذب ذراعها "زعيمكم ذاك قد استهان بي وعاملني باحتقار، لذلك

استحق ما أصابه على يدي.. أنا زعيم قومي، ورجالي لن يقبلوا باستهانتكم بي بتاتا.."

ضحك الرجل بسخرية وهو يضع سيفه عند عنقها قائلاً "أتظنين أن أحداً منهم سيعبأ لأمرك؟.."

صاحت بحقنق "ستندمون على استهانتكم بولاء الرجال لي.."

لكنها في الواقع لم تكن واثقة ولو للحظة مما تقوله.. ما تزال حديثة عهد بالزعامة، وما يزال رجالها ينظرون لها بشك وشيء من الحقنق لم يفتها قط.. فكيف لها أن تأمل بأن يهبوا النجدتها في مثل هذه الأوقات؟..

رأت الرجل يدفع سيفه نحوها أكثر وهو يقول "أنت تستحقين ميتة بطيئة ومُدلة كي لا تفكر امرأة أخرى بالوصول لما وصلت إليه.. لكننا الآن بعجلة من أمرنا، فأمامنا زعيمٌ جديدٌ علينا انتخابه بين رجال القبيلة، وهذا أمرٌ لم يحدث منذ زمن لذلك نحن متلهفون له بشدة.."

عبست ججي وهي تحاول معرفة الوسيلة المثلى للهرب من هذا المأزق، عندما لاحظت أن أحد الرجال قد ضرب يد رفيقه قائلاً "انظر لما هنالك.."

اتجهت الأبصار للموقع الذي أشار إليه الأول، فلاحظوا على الفور تلك الفرقة من الرجال التي ظهرت من بين التلال القريبة قادمة نحوهم بأقصى سرعة.. وبينما غمغم أحدهم "أيمكن أن يكون أولئك رجال قبيلة (أبناء الذئاب)؟.."

لم يكديتم قوله عندما تعالى صياح الرجال الذين اقتربوا على ظهور الخيول وسيوفهم ترتفع بتهديد واضح.. فاستغلت ججي تلك اللحظة وهي تركز أقرب الرجال إليها على ساقه بقوة وتسحب ذراعها من يده، ثم جذبت سيف الرجل الواقف خلفها من موقعه قرب عنقها ودفعته بأقوى ما تملك نحو فخذ الرجل الواقف أمامها.. وفور أن تحررت من قبضة الرجل الآخر ففزت واقفة واستدارت لمن خلفها وهي توجه له لكمة قوية، لكنه تفادى لكمتها وهو يدفع راحة يده بضربة نحو أنفها آلتها بشدة وهي تمسكه بيدها، ثم لكمتها مرة أخرى بقوة طرحتها أرضاً والدماء تتصبب من أنفها.. أسرع الرجل يضع قدمه على ذراعها ورفع خنجره سحب من حزامه قائلاً "لن يمكنك الإفلات منها فعلت.."

عاجلته بركلة من قدمها أطارت خنجره وهي تقول "أنت تكثر الحديث يا هذا.."

طار الخنجر بعيداً ليستقر أرضاً، بينما أمسك الرجل قدم ججي قبل أن تحاول ركله مجدداً وهو يزجر بغضب.. وفي تلك اللحظة، رأى رمحاً يطير نحوه فيصيبه في كتفه حتى ارتد للوراء وسقط أرضاً بعنف..

عندها أسرع ججي تقفز واقفة وتركض مبتعدة عن الموقع بينما حاول أقرب الرجال إمساكها، ليجد سيف مینار يصيبه في عنقه إصابة قاتلة ويرميه خلفاً.. حاول رجال براد المقاومة وإصابة الخيول التي اندفعت نحوهم بقوة، بينما ركضت ججي متجاوزة الرجال والخيول التي تراكضت مارة بها بسرعة حتى مرّ كین بحصانه قربها وهو يمد يده.. فأمسكت بيده وهو يرفعها بأقوى ما يستطيع حتى استقرت على الحصان خلفه.. اشتبك بعض رجال قبيلتها مع رجال براد، بينما ابتعد كین عن الموقع قليلاً متساءلاً بقلق "أأنت بخير يا ججي؟.."

مسحت الدماء التي سالت من أنفها وهي تغمغم "بخير.. لا تقلق.."

تساءل مینار الذي اقترب بحصانه منها جاذباً لجام الغبراء "ما الذي جرى؟.. ما الذي أراده رجال براد باختطافك؟"

قالت ججي "بغضّ النظر عما جرى، فقد قتلت براد قبل هروبي من مخيمهم.."

نظراً لها بصدمة وهي تضيف "علينا الرحيل من هذا الموقع بأسرع ما يمكننا قبل مدهامة قبيلته لنا.."

خلال لحظات قصيرة، كان رجال ججي قد تخلصوا من رجال براد الذين لم ينبج منهم أحد، ثم اقتربوا من ججي التي انتقلت على ظهر الغبراء وأحدهم يتساءل "أأنت بخير يا زعيم؟.."

أجابت ججي "أنا بخير.. لو تأخرتم قليلاً لكانوا قد قتلوني.."

ونظرت للموقع حولها وللمخيم القريب، ثم جذبت لجام الغبراء قائلة "الرحل.."

أطاعها الرجال وهم يتعدون عن الموقع، بينما مسحت ججي الدماء التي تصببت من أنفها من جديد وهي تغمغم "أتمنى ألا يجزّنا مثل هذا العمل لحرب جديدة.. رغم أن البادئ هو براد وكل ما فعلته هو الدفاع

عن نفسي.. لكن الأكاشي لا يتنازلون عن انتقامهم مهما طال الوقت عليه.."

لكزت الغبراء وهي تدفعها للحاق بالبقية.. ربما من الخير العودة للمخيم في هذه الأوقات، وانتظار ما ستسفر عنه الأمور في الأيام القادمة..

\*\*\*\*\*

عند العودة للمخيم، وجدت ججي أن رجال القبيلة قد نجحوا في نقله لموضعه الجديد خلال غيابها.. رغم أن القليل من الخيام بقي صالحاً للاستخدام، بحيث اضطرت العوائل للمشاركة في الخيام الباقية بينما تعذر استخدام تلك التي احترقت في الهجومين السابقين على المخيم.. وإزاء رؤيتها لتناقص عدد الخيام عما سبق، غمغمت ججي بشيء من الاكتئاب "علينا الحصول على المزيد من الخيام لإيواء القبيلة بشكل صحيح.."

تساءل كين "ما بالك؟.. لا تبدين سعيدة بعودتك للقبيلة.."

تنهدت ججي وغمغمت "أأنت بحاجة لطرح هذا السؤال؟"

علق كين قائلاً "لا تقلقي.. لن يثور رجال القبيلة لما جرى في رحلتنا هذه.."

لكن ثورة كبار القبيلة كانت عارمة بالفعل، فكانت أصواتهم تسمع بوضوح من الخيمة المقامة لججي والتي يعقد فيها أهم رجال القبيلة اجتماعاتهم.. وبينما جلست ججي بصمت وسطهم، فإن أحدهم ويدعى شيتار قال بغضب واضح "هل فقدنا حلفاءنا جميعهم حقاً؟.. ما الذي فعلته عند تلك القبائل؟.. كيف رفضوك دون أي مراعاة للعلاقات القائمة بيننا؟"

قال آخر بضيق "ألا تعلم السبب؟.. إنه أمرٌ واضح.. لأنها امرأة.."

حدجته ججي بنظرة صارمة، فقال باستياء "هل ستنكرين ذلك؟"

فقالت ججي "لقد كسبت موافقتكم بعد أن أثبت لكم أنني كفاءٌ لها.. وسيحدث الأمر ذاته مع البقية.. عندما ترى القبائل الأخرى أنني لست بالسوء الذي يتوقعونه مني، وعندما يرون كفاءتي في قيادة القبيلة، سيعودون إلينا بكل تأكيد.."

قال سادر بحنق "كم عاماً سيتطلب ذلك الأمر؟"

أجابت بحزم "سيتحقق هذا الأمر، مهما تطلب ذلك من وقت.."

فقال شيتار بغضب "فقداننا لحلفائنا يعني أن القبائل الأخرى ستجدها فرصة للهجوم علينا.. طمعاً في الماشية والخيول، أو في المراعي، أو لتحقيق انتقامٍ تحمله ضدنا.. الأسباب كثيرة، لكن النتيجة ستكون واحدة.. سيقتل رجالنا وتباع نساؤنا وأطفالنا كعبيد للممالك الأخرى.. فما الذي سنجنه بوعودك هذه؟" نهض سادر بحنق واضح معتزماً بمغادرة الخيمة، فتتابع الرجال خلفه بصمت دون أن يخفي أحدهم استياءه..



عندها قالت ججي قبل أن يغادر أحدهم "أهذا يعني أنكم تتراجعون عن ولائكم لي؟.. هل ستخونون قسمكم بعد شهر واحد فقط؟"

نظر لها شيتار قائلاً بجفاء "مازلت تملك شهرين كاملين، والأكاشي لا يكسرون وعداً ولا يتنصّلون من قسمهم لزعيمهم مهما كانت النتيجة.."

ثم غادر مدمماً "والشهران سيمرّان بسرعة على كل حال.."

ظلت ججي جالسة وهي مطرقة بصمت تفكر بحلّ لهذه المشكلة.. إنها لم تتوقع من حياتها كزعيم للقبيلة أن تسير بسلاسة وسهولة.. لكنها لم تتوقع أن تفشل منذ الشهر الأول.. هل ستكون الأمور أيسر في الشهرين القادمين، أم أنها ستتعدد أكثر فأكثر؟.. فشلها سيعني تنحيتها من الزعامة، وأيضاً يعني قتلها دون رحمة أو تردد.. فهل هذا ما ستنتهي إليه حياتها القصيرة هذه؟..

بعد خروج الرجال، دخلت تينا الخيمة واقتربت من ججي معلقة "لا تبدو ملاحك سعيدة أبداً.. هل كل شيء على ما يرام؟"

زفرت ججي لتنفيس حنقها قليلاً، ثم التفتت إلى تينا قائلة "لا تقلقي لأمر ياتينا.. ما أخبارك أنت؟.. ما الذي فعلته طوال الأيام الماضية التي غبت فيها عنك؟.."

هزت تينا كتفيها دون أن تجيب، فسألته ججي "هل أمورك على ما يرام مع تبريق؟"

ابتسمت تينا بجانب فمها معلقة "لا يمكنني قول ذلك.. كل ما في الأمر أنني استسلمت لمصيري ولم يعد يهمني مع من أكون وما أريد أن أكونه.."

تساءلت ججي بقلق "هل يسيء تبريق معاملتك؟"

خفضت تينا بصرها مغممة "لا.. لكنني لا أستطيع أن أقول إنني سعيدة بذلك.."

رفعت ججي حاجبيها بدهشة وتينا تقول "هو يعاملني بتجاهل شبه تام.. وكأنه يلومني لأنني تزوجته رغم أنني أحب غيره.. ألم يكن هو من تجاهل ذلك وتزوجني رغم إرادتي؟.."

تساءلت ججي بقلق "أمازلت تحبين ذلك الشخص؟.. أنت لم تخبريني قط من هو.."

غمغمت تينا زافرة "لا أدري.. لم أعد أدري حقاً.."

ظلت ججي تتأمل ملامح تينا محاولة استقرار دخليتها ومعرفة ما تحاول تينا إخفاء عنها.. بعد موت

والديهما، فإن ججي تشعر بشيء من المسؤولية تجاه شقيقتها التي تصغرها بكثير.. رغم أنها بزواجها قد أصبحت مسؤولة زوجها، لكن ججي لا تكاد تنسى دموع تينا الغزيرة في ليلة زفافها وفي اليوم الذي يليه.. فكيف تثق ججي أن تينا سعيدة في حياتها الآن؟.. كيف لها أن تعاونها على تجاوز آلامها وحزنها؟.. دخل كين في تلك اللحظة، فانتفضت تينا واقفة وغادرت بصمت.. لم تكن تريد أن ترى نظرات الإشفاق في عينيه.. وكأنه يشعر بتعاستها ولا يكن نحوها سوى الشفقة، وهذا آخر ما تريد رؤيته في عينيه..

لم يعلق كين على رحيل تينا المفاجئ وهو يقترب من ججي قائلاً "كيف جرى الأمر؟.. لم تكن وجوه الرجال سعيدة بتاتاً عند خروجهم.."

قالت ججي بهزء "أتظن ذلك حقاً؟.. إنهم يتوقعون أن أنجح منذ اللحظة الأولى، ويلوِّحون مهددين بالأشهر الثلاثة في كل حين ولحظة.."

وزفرت مغمغمة "أنا بحاجة لمعجزة للخروج من هذه الورطة.."

ظل كين صامتاً ينظر إليها وفكرة ملحة تدور في عقله.. في الواقع كانت تلك الفكرة تدور بعقله منذ أعلنت ججي نفسها زعيمة لهذه القبيلة، وهي برأيه التصرف الوحيد الذي يمكن أن يخلص ججي مما أوقعت نفسها فيه.. اقترب كين وجثا قرب ججي ممسكاً يدها وقال "هناك حلٌ وحيد يا ججي.. وهو الهرب من هذه القبيلة ومن السهول كلها.."

نظرت له ججي باستنكار وهو يضيف "لنرحل من هذا المكان.. ويكفيك العبث في موضوع حساسٍ مثل هذا وأنت تعرفين النتيجة حق المعرفة.."

نفضت ججي يده عنها قائلة بحنق "أأنت مجنون؟.. أهرب كجبانٍ بعد أن وصلت لهذه المكانة؟.. سأظل سخرية في أفواه الرجال لعدة أجيال قادمة.."

قال كين بانفعال "وهل حياتك هي المهمة أم سمعتك لدى رجال لم يحاولوا مساعدتك ويتمنون الخلاص منك في كل حين ولحظة؟.. إنهم لا يتبعونك إلا خوفاً على سمعتهم أمام الآخرين، ولا يكونون لك أي حب أو إخلاص بعد.. فما الذي يجبرك على البقاء؟.."

قالت ججي بضيق "كشميتي مثلك لن يفهم ما يعنيه هذا الأمر للأكاشي.."

فقال دون أن يخفي نبرة الاستياء من صوته "بالفعل لن أفهم.. أنا كشميتي وسأظل كذلك في أعينكم.."

لكنني أقدر الحياة أكثر من مجرد كلمات يتناقلها الناس دون اهتمام أو تقدير.. ولو كنت مثلك، لما جئت لهذه البقاع النائبة، ولما اضطررت لمغادرة موطني والتغرب في هذه السهول القاسية بتاتاً.. لو كنت مثلك أخشى على سمعتي، لبقيت أعيش في موطني حتى لو كنت أعيش بمهانة.."

خفت ضيق ججي وهي تسمع كين يتحدث عن موطنه للمرة الأولى، فسألته بشيء من الاهتمام "ما الذي جرى في موطنك حقاً يا كين؟.. أنت لم تخبرني قط من تكون.."

تراجع للوراء قليلاً وهو يدير وجهه جانباً وقال "لا يوجد ما يستحق الحديث عنه.. إنها أنا رجلٌ عادي.."  
نظرت له ججي بغير اقتناع، فعاد كين يقول "أرجوك فكري بالأمر ملياً.. لو كان الخيار أمامك هو البقاء والموت أو الرحيل والاحتفاظ بحياتك.. فأيهما ستختارين؟"

قالت بعناد "البقاء طبعاً.."

نظر لها بضيق وهي تضيف بحزم "لا يهمني ما سيجري ولا أحب التفكير فيه.. أنا ماضٍ في هذا الأمر حتى نهايته.."

قال كين بضيق "حتى لو كانت النهاية هي قتلك أنت؟"

فقالت ججي بسرعة "وهل هناك من يأمن على نفسه القتل من الأكاشي؟.. هذه حياتنا، فلم عليّ التذمر منها الآن؟.."

غمغم كين وهو يحدق بسقف الخيمة "حقاً.. حياة الأكاشي تدور حول الموت بقوة.. فمن يمكنه أن يتوقع أمراً غير ذلك؟.."

\*\*\*\*\*



## الفصل السابع عشر {موقف حاسم}

مضت الأيام والأسابيع بأسرع مما توقع الجميع، ومرّ شهرٌ كامل منذ عادت ججي من رحلتها إلى القبائل الموالية لهم سابقاً.. ورغم أن رجال القبيلة كانوا يطيعون كل أمرٍ من زعيمهم دون كثير مناقشة، لكنها تكاد ترى الشماتة في أعينهم واضحة وضوح الشمس.. لم تتمكن ججي طوال ذلك الشهر من كسب أي حلفاء رغم كثرة الرسل الذين أرسلتهم لجوانب السهول، ورغم أن قبيلة طاغار كانت موالية لها نوعاً ما، لكنها من القبائل التي تلتزم جانب الحياد في كل أمر ولا تتدخل في أي صراعات داخلية ما لم تمسّها بشكل مباشر..

ومع مرور الأيام، كانت ججي تزداد عصبية وحنقاً وتكبت ثوراتها بأقصى ما تملك.. لم تكن تخشى على حياتها، ولم تكن تخاف الموت.. كل ما تتمناه ألا تفشل فتؤكد نظرة الرجال إليها، وتؤكد سخريتهم من أبيها.. كانت تريد أن تنجح بأي وسيلة كانت، لكنها لم تعثر على الوسيلة الملائمة رغم تفكيرها العميق ورغم إلحاحها الشديد على كين ومينار.. والأخير، بالذات، بدا هادئاً جداً في تلك الأوقات.. كان هدوؤه ذلك يثير غيظها أكثر فأكثر، لكنها حاولت ألا تبدو يائسة كثيراً أمامه ولو لإجباره على معاونتها بأي شكل من الأشكال.. وإزاء تصرفه ذلك، سأله كين في صباح أحد الأيام "لم تبدو لي لا مبالياً بكل ما يجري؟.. ججي تشتكي كثيراً من هدوئك وعدم اكتراثك بهذا الأمر.."

تساءل مينار "وهل عليّ أن أثور وأصرخ غضباً؟.."

قال كين باعتراض "لا.. لكن شهران قد مرا بالفعل منذ تولت ججي الزعامة.. وهي لم تتقدم بأي أمر.. بعد شهر واحد، ستكون حياتها مهددة بالخطر باجتماع رجال القبيلة كلهم ضدها.. فكيف يمكننا أن نمنع هذا قبل وقوعه؟.."

فقال مينار بهدوء "لا أريد التدخل الآن، لأنني أريد لجام أن يثبت نفسه بنفسه، لا باعتياده علينا.. لو تدخلت في أمره الآن، فسأضطر للتدخل طوال الوقت وللسنوات القادمة أيضاً.. يجب على جام أن يصبح أقوى في منصبه هذا، وأن يستحقه.. لذلك لا سبيل أمامنا إلا الصبر والانتظار.."

غمغم كين "أنت واثق أنها ستجد وسيلة لهذا؟"

قال مینار بابتسامة "واثق من ذلك.. أتظن جام سيستسلم حقاً؟.."

لم يجب كين وهما يفاجآن بججي التي اقتحمت الخيمة هاتفة "لقد حدث هجوم على رجلين من رجالنا جنوباً.."

نظرا إليها وهي تقول بانفعال "إنها قبيلة (وهج) كالعادة.. وقد استولت على بعض ماشيتنا وطردت الرجلين من تلك المراعي التي تفصل بيننا وبينها.."

علق كين قائلاً "وما سبب انفعالك؟"

قالت هاتفة "ألم تفهم بعد؟.. هذه ستكون وسيلتي للتصرف واتخاذ موقف حاسم من تلك القبيلة.. لو أثبت نفسي كزعيم اليوم، فربما تكون هذه هي النقطة التي ستقلب الأمور لصالحنا.."

علق مینار قائلاً "ربما.. لكن لا تعلق آمالك على هذا كثيراً.. لن يمكنك حل خلاف دام لسنوات في يوم واحد.."

قالت بحزم "لكنني سأفعل بالتأكيد.."

واندفعت مغادرة، فأسرع كين يلحقها قائلاً "ما الذي تنوي فعله تلك الحمقاء؟"

أسرعت ججي تمتطي ظهر الغبراء، فلحقها كين وهو يقول "ليس من المفترض أن يتدخل الزعيم بشكل مباشر في مثل هذه النزاعات.. لا تقللي من شأنك بهذه الطريقة.."

قالت بحزم "لن أتحدث مع رجال القبيلة.. بل سأحدث مع زعيمهم وأطالبه بإنهاء هذه المناوشات التي لا معنى لها.."

جذبت لجام الغبراء لتبتعد، فصاح كين قبل أن تفعل "على الأقل، خذي معك عدداً من الرجال.. لن ينظر لك الزعيم باحترام إن رآك وحيدة.."

غمغمت ججي "معك حق.."

ونظرت إليه مضيفة "فليلحق بي أربعة من الرجال.. سأسبقهم وأنتظرهم قرب مخيم قبيلة (وهج).."

لكزت الغبراء منطلقة في طريقها دون أن تعبأ باعتراض كين.. كانت تفكر بالطريقة التي يمكنها أن تقلب الأمور فيها لصالحها خلال شهر واحد.. أو بالأدق، خلال ثلاثة أسابيع.. فعند انقضاء تلك الأسابيع،

سيبدأ العد التنازلي بين رجال القبيلة وشبابها لمن يتغلب عليها ويفوز بقلبها وبزعامة هذه القبيلة.. ولن ينصت أحدٌ عندها لأي أمر منها أو يأخذ بعين الاعتبار ما يمكنها فعله للقبيلة.. لذلك، فكل يوم يمضي هو يومٌ يقربها من الفشل وبالتالي الموت..

بعد سيرٍ قصير، وجدت أن كين والبقية قد لحقوا بها وأحد الرجال يقول بغضب واضح "كان علينا أن نصحب معنا عدداً أكبر من الرجال ونجهز عتادنا لهذه المواجهة.. لا بد أن معركة ستندلع بيننا وبين قبيلة (وهج) فهم بتصرفهم هذا يقللون من شأننا.."

علق آخر بضيق "ما عادت القبائل الأخرى تحسب لنا أي حساب بعد كل ما جرى.."

شعرت ججي أن في قوله تلميحاً ضمنياً لأمر زعامتها عليهم، فقالت بحزم "لن تدور معركة بيننا وبينهم.. سنحلّ الأمور بدون اللجوء للقتال، ولن نضعف أمام أي كائن كان.."

لكن الأمور لم تكن بالبساطة التي حسبتها.. فعند وصولها لموضع الخلاف، وجدت خمسة من رجال قبيلة (وهج) قد عسكروا في جانب السهول ومعهم الماشية المسلوبة، لكنهم كانوا مسلحين كعادة الأكاشي وقد تعاملوا معها بكل استهانة عندما اقتربت منهم.. لم تترجل ججي من على ظهر الغبراء وهي تقترب منهم قائلة بصرامة "أعيدوا لنا الماشية التي سرقتموها.. مهما كان الخلاف بيننا وبينكم قائماً، فهذا لا يعني أن تتناولوا على ما نملكه من ماشية دون وجه حق.."

نظر الرجال لبعضهم البعض بسخرية واضحة، ثم قال أحدهم "وما الذي يمنعنا من ذلك؟.. هذه المراعي تخصنا، ولا نسمح لماشية قبيلة أخرى بالاقتراب منها.. وقد حذرنا رجال قبيلتكم سابقاً بأننا سنستولي على أي ماشية تقترب من هذه المراعي.. لذا لا يحق لكم المطالبة بها الآن.."

قالت بحدة "هذا ليس مسوغاً كافياً لما فعلتموه.. من الذي قرر أن تكون هذه المنطقة لكم؟.. لقد كانت ضمن حدود قبيلتنا وقد استمر رجالنا في استخدامها لسنوات طوال.. فما الذي يجعلكم تثيرون هذا الأمر الآن؟"

قال أحدهم باستهانة "قرر زعيمنا إنهاء هذا الخلاف الآن وبحسم.. فإن كان لديكم أي اعتراض، تحدثوا إليه.. لكن أشك أن يقابلكم دون وجود زعيمكم معكم.."

قالت ججي بصرامة أكبر "ومن الذي تراه أمامك؟.. أنا الزعيم، فهل تستهين بي؟"

تبادل الرجال النظرات الساخرة وآخر يقول بهزء "آه.. نسينا أن رجال قبيلتكم قد خضعوا لامرأة.. ظننا لوهلة عند رؤيتك قادمة أنك مجرد رجل قبيح الشكل.."

تقدم أحد رجال ججي صائحاً وقد فاض به الكيل "أتجروء على ما تقوله أيها السفية؟.. سنلقنكم درساً لن تنسوه هذه المرة.."

استوقفته ججي بيدها وهي تقول "هذا الحديث لن يؤدي لشيء.. فلنذهب للحديث مع زعيمهم.. هؤلاء الرجال لن يصمتوا حتى يصعدوا الصراع بيننا وبينهم لآخر مدى.."

جذبت لجام الغبراء لتديرها ولكزتها منطلقاً نحو موقع قبيلة (وهج)، فيما قال الرجل بعصبية وهو يلحق بها مع البقية "بهذه الطريقة نحن ندفعهم للتهاون بنا أكثر فأكثر.. عليك أن تتخذ موقفاً حازماً معهم يا جام.."

قالت ججي "سأفعل ذلك.. لكن ليس مع هؤلاء الشرذمة، بل مع زعيمهم الذي يتبعون أوامره.."

كانت ججي عازمة على إحراز نقطة لصالحها بعد مضي شهر كامل دون أن تتقدم في أمرٍ يفيد في تثبيت زعامتها على القبيلة، ولم تتوقع بتاتاً ما سيلاقيها عند اقترابها من مخيم تلك القبيلة.. فقبل أن تصل لموقع القبيلة بالفعل، وصل لسمعها أصواتٌ ضرب عالية وقوية دفعتها لإيقاف الغبراء وهي تنصت للصوت بدهشة واضحة.. كان الصوت يصاحبه دويٌّ وضجة عالية أثارت انتباهها بشدة فيما اقترب منها كين بحصانه وهو يقول بصدمة "أسمعين هذا؟.. إن القبيلة تتعرض لهجوم.."

قالت ججي بحيرة "الصوت أعلى من أن يكون مجرد هجوم.."

نظر لها كين معلقاً "ليس إن كان الهجوم يتم بواسطة المدافع.."

نظرت ججي لموقع المخيم البعيد بصدمة واستنكار متسائلة "أتظن أنه...؟"

غمغم كين "أغلب الظن أنه كذلك.."

عندها قالت بتوتر "علينا رؤية ما يجري هناك.."

فقال أحد الرجال قلقاً "لا.. علينا الابتعاد.. لا شأن لنا بما يجري لهم، ولا نريد الانغماس في حربٍ لا تخصنا.."

لكن ججي لم تستمع له وهي تلکز الغبراء منطلقاً نحو مخيم قبيلة (وهج) التي بدت لهم من بعيد.. ومع

تقلص المسافة بينهم وبين المخيم، استطاعوا رؤية الدخان المتصاعد من جوانبه والنيران التي اشتعلت في بعض الخيام.. حثت ججي فرسها على الإسراع نحو المخيم حتى استطاعت رؤية جماعة من النساء والأطفال هربوا من المخيم على الأقدام مبتعدين عن موقع الهجوم قدر الإمكان، فاقتربت منهم ججي متسائلة "ما الذي يجري؟.. من الذي يهجم على قبيلتكم؟"

نظروا لها بدهشة وتوتر كبيرين، ثم انبرت إحدى النساء لتقول "إنهم جنود الملك العربي.. هناك سفيتان قريبتان من الشاطئ تمطران المخيم بنيرانها.. ورجالنا عاجزون عن الوصول إليها.."  
فقلت ججي "وأين زعيم القبيلة؟.. أريد الحديث معه.."

قالت المرأة بقلق "إنه مع بقية الرجال وسط المخيم.. لم يخرج أحدهم بعد.."  
أدارت ججي لجام الغبراء قائلة لأحد رجالها "عد للمخيم وأحضر العرادات مع السهام.. اصطحب معك عشرين رجلاً وعودوا إليّ بأسرع ما يمكن.."

تساءل كين مقطباً "ما الذي تنوين فعله يا ججي؟"

قالت بجدية "ما يجب فعله في مثل هذه الأوقات.. سأساعد القبيلة على التخلص من أعدائها.."  
وأشارت للرجل قائلة "انطلق ونفذ ما طلبته منك بسرعة.."

لم يتردد الرجل وهو يدير حصانه وينطلق عائداً للقبيلة، بينما قال كين باعتراض "جنونك هذا سيودي بنا يا ججي.. لقد أتينا لفضّ خلاف بين القبيلتين، لا للانغماس في معركة جديدة قد تجردنا مما نملكه من أسلحة ورجال.."

قالت ججي بحزم "لكني لن أتراجع لأي سبب الآن.. لا يمكنني أن أرى مأساة كالتي حدثت لنا تتكرر من جديد دون أن أتدخل.."

ونظرت لبقية الرجال حولها مضيئة "قد لا تكون الأمور بيننا وبين قبيلة (وهج) على ما يرام.. لكن هذا عدونا المشترك، فما الذي يمنع أن نتصافر معاً للقضاء عليه؟.. قد يزيل هذا العداء القائم بين قبيلتنا.."

هز الرجال رؤوسهم موافقينها الرأي، فالتفتت ججي إلى كين قائلة "لنقم بدورة سريعة حول المخيم لنصل للشاطئ.. علينا إيجاد أفضل وأمن موقع لهجومنا هذا.."

تبعها البقية دون تردد وكين يغمغم مردداً "هذا جنون.."



\*\*\*\*\*

لم يتأخر الرجال في إحضار العرادات من موقع القبيلة، فيما اختارت ججي بمعاونة كين أفضل موقع لصد هجوم السفن العربية التي وقفت على مبعده من الشاطئ كما هي العادة.. لم يتوقف هجوم السفن أغلب الوقت وهي تقصف المخيم بغزارة، فيما حاول رجال تلك القبيلة إنقاذ من يمكن إنقاذه والابتعاد بهم عن موضع الهجوم..

تخلت ججي عن مراقبة عملية صد هجوم السفن مولية أمرها لكين، وانطلقت مع خمس رجال للمخيم الذي اشتعلت النيران الحارقة في أجزاء كبيرة منه.. لم تتردد في التوغل في جوانب المخيم مع رجالها تاركين الخيول خارجه وهم يعاونون في إنقاذ العوائل التي حاصرتها النيران والخيام المتهدمة.. ومع عملها ذلك، عادت لججي ذكريات تلك الليلة التي بدأت بهجوم مثل هذا وانتهت بالتهامها قلب أبيها.. لكنها سرعان ما نفضت مثل تلك الأفكار وانطلقت بحثاً عن الزعيم بعد أن تولى رجالها إنقاذ أفراد القبيلة في ذلك الموقع..

ولما اقتربت منه بعد أن دلها عليه أحد الرجال، وجدته ينظر إليها باستنكار لهيئتها وللسيف الذي تحمله وقال "من أنت؟"

أسرعت تقول "أنا جام زعيم قبيلة (أبناء الذئاب).. وأطلب منك ألا تخاطبني كبقية النساء.."  
نظر لها الزعيم باستنكار أشد فيما قال أحد الرجال قربه بحنق "هل أتيت لإثارة المشاكل معنا؟"  
دوى انفجار جديد في موضع غير بعيد عنهم، ومع الغبار الذي تطاير في المكان صاحت ججي "لست هنا إلا لمد يد العون لكم قبل أن يقضي الجنود على مخيمكم كاملاً.."

قال الرجل بحدة "لسنا بحاجة لعونكم.. فغادروا المخيم قبل أن تثيروا غضبنا بالفعل.."  
استوقفه الزعيم قائلاً "مهلاً.. ما الذي يمكنكم فعله لنا حقاً؟.. لقد سمعنا أن الجنود قد طردوكم من مخيمكم سابقاً.."

قالت ججي "وقد استعدناه منهم وأغرقنا سفنهم بمدافعها بالفعل.."

نظر لها الزعيم بصمت وسط الصياح الذي تعالي من موقع الانفجار الأخير، ثم نظر لذلك الموضع قائلاً  
"لو تمكنتم من تخليصنا من هذا الهجوم وإنقاذ حياة أفراد القبيلة، فسنكون شاكرين لكم حقاً.."

قال الرجل القريب محتداً "ما الذي تقوله يا زعيم؟"

ابتسمت ججي قائلة "عملية صد الهجوم جارية بالفعل.. أخرجوا من يمكنكم إخراجه من المخيم  
وليبتعدوا عنه قدر الإمكان.. سيشهد الجنود خسارة جديدة هذا اليوم وأتمنى أن يندموا على هذا أشد  
الندم.."

صمت الزعيم مراقباً ابتسامتها الواثقة، ثم استدار إلى رجاله مصدراً أوامره بإخلاء المخيم وإنقاذ من  
سقطت الخيام على رأسه، ولم تتردد ججي في معاونتهم بكل ما تملك مع من حضر من رجالها..  
في تلك الأثناء، كان كين يواجه صعوبة في تنفيذ أمر ججي بحرق السفينتين وإغراقهما.. فبدون خطة  
مسبقة وعمل منظم، يبقى إطلاق السهام المشتعلة رداً ضعيفاً على مدافع السفن المتأهبة للضرب بالفعل  
وبحارتهما مستنفرون بهذا الشكل، خاصة وهم في وضوح النهار الذي سيتكفل بكشف موقعهم بسهولة  
وتعريضهم لخطر قصف المدافع..

عندها اتخذ كين التصرف الوحيد الذي قد يجنبهم خسارة تامة ضد تلك السفن، فطلب من عدد من  
الرجال سحب عرادتين معهم والتمركز في الجهة الأخرى للمخيم.. وقال للرجال قبل مغادرتهم "سنركز  
هجومنا الآن على إحدى السفينتين.. لكننا لن نستطيع البقاء في هذا الموقع طويلاً.. عليكم إتمام تلك المهمة  
وقصف السفينة من جهتكم قبل أن تتمكن من الرد علينا.. ولا تنسوا تجهيز السهام بمزيج القطران والخمر  
كما فعلنا بالمرّة السابقة وبكميات كافية قبل بدء الهجوم بالفعل.."

أسرع الرجال للابتعاد ساحبين العرادتين بالأحصنة مع عدد ملائم من السهام والجرات الفخارية الصغيرة  
مع برميل صغير للقطران وآخر للخمر، بينما قال أحد الرجال لكين "لا يزال القصف مستمراً على المخيم  
ويكاد يمحو عن وجه الأرض.. أعتقد أننا سنجد الوقت الكافي للرد عليهم؟"

قال كين بتوتر "هذا ما يجب أن نفعله منذ الآن.. أسرعوا.."

بدأ الرجال بتجهيز عدد من الجرات بمزيج القطران والخمر، وتغطية فوهتها بالقماش كما فعلوا في المرّة  
السابقة.. ولما حصلوا على كمية كافية، انفصل نصف الرجال لبدء الهجوم فيما بقي النصف الآخر لإعداد

كمية أخرى من تلك القنابل البسيطة.. بدأ الرجال هجومهم على السفينة الأقرب وفق تعليمات كين، وتكاثفت السهم المشتعلة نحو أشرعة السفينة والجوانب الأضعف فيها حيث لا يمكن لبحارتها إطفاء النيران قبل أن تصل لخشب السفينة بالفعل.. وعند سقوط السهم على جانب السفينة تبدأ الشعلة بالتوهج بقوة والقطران ينسكب من الجرة على مساحة واسعة حوله فيلتصق بالأخشاب والنار تشتعل فيه بسرعة كبيرة..

بقي كين يراقب الوضع للحظات ملاحظاً أن الإطلاق قد توقف لبعض الوقت من تلك السفينة وجنودها منشغلون بإطفاء النيران، وهو يتحسر على عدم امتلاكه لمراقب من الذي يستخدمه الجنود عادة، عندها سيكون من الأسهل عليه معرفة الوقت الملائم للتراجع قبل أن يكتشف الجنود موقعهم ويديروا المدافع نحوهم..

استغرق الهجوم وقتاً قصيراً، عندما بدأت النيران تشتعل في الأشرعة بقوة وتسارع وتبدأ بالتهايوي نحو سطح السفينة، في الوقت ذاته التي بدأت النيران تلتهم عدة أجزاء من السفينة ذاتها.. عندها صاح كين برفاقه "اسحبوا العرادات وتراجعوا بسرعة.."

أسرع يمتطي حصانه، والرجال يعودون للأحصنة ويبدوون جذب العرادات متعدين عن هذا الموقع، عندما فوجئ الجميع بطلقة مدفع تسقط وسط الموقع مفجرة الصخور ومدمرة اثنتين من العرادات الثلاث التي يملكونها.. كان الانفجار قوياً وعنيفاً أسقط أغلب الرجال عن أحصنتهم وقضى على بعض الأحصنة، فيما سقط كين وتدحرج أرضاً لمسافة قبل أن يحاول النهوض لاهثاً بألم والحجارة تتساقط من حوله..

تلقت في الموقع حيث بدأ دخان الانفجار ينقشع، وصاح بالرجال "من يقدر على الرحيل فليغادر بأسرع ما يمكن.. لن تكون هذه هي الهجمة الوحيدة التي سيحاول الجنود بها التخلص منا.."

بدأ الرجال يتراجعون للخلف، فلاحظ كين أن اثنان منها قد أصيبا إصابات متفاوتة، لكن لم يقتل أحدهم لحسن الحظ.. تراجع كين بدوره مسرعاً وهو يمسك يده اليمنى بألم وهو موقن أنها كسرت أثناء سقوطه.. لكن لم يكن الوقت ملائماً للعناية بها وقذيفة أخرى تصيب الموقع السابق وتكاد تخلف في الرجال إصابات جديدة لولا اختباؤهم خلف صخور ضخمة قريبة..

بعد طلقة أخرى، صمت الموقع تماماً بحيث تجرأ كين ومن معه لمغادرة مخبئهم خلف الصخور لرؤية ما جرى.. فلم يجدوا إلا عرادة واحدة سليمة من بين الثلاث التي يملكونها.. وعند الأفق، لاحظوا أن السفينة التي كفت عن قصفهم تتلقى نيراناً مشتتة من الجهة الأخرى من المخيم حيث تركز بقية الرجال بآخر عرادتين..

لف كين ذراعه المكسورة كيفما اتفق، ثم نظر لبقية الرجال قائلاً "علينا إتمام مهمتنا بالعرادة الوحيدة الباقية معنا.. سنحاول تدمير السفينة الثانية المشغلة بهجوم المخيم قبل أن تقضي عليه بشكل نهائي.."

لم يعارضه أحد الرجال بكلمة وهم يتجاوزون إصاباتهم لتنفيذ أوامره.. وخلال وقت قصير، كانت السفينة الأولى التي تعرضت لهجوم من الجانبين قد اشتعلت بشكل يصعب السيطرة عليه وبدأت تغرق وسط الخليج، فيما بدأت السفينة الثانية بالتراجع مع اشتعال النار في مؤخرتها بشكل بالغ.. ومع تراجعها وابتعادها متوغلة في الخليج، توقف القصف الذي كان مستمراً حتى تلك اللحظة على المخيم.. ورغم توقف القصف، استغرق رجال القبيلة بعض الوقت لإطفاء النيران التي اشتعلت في جوانبه وإنقاذ كل من احتاج المساعدة من أفراد القبيلة..

وبعد ساعات طويلة، استقرت الأمور في المخيم بشكل تام، إن تغاضينا عن ملامح الدمار والحريق التي شوهدت ملاحمه بشكل شبه كامل.. وفي جانب المخيم، وقفت ججي تراقب الأفق حيث اختفت سفينة الجيش العربي متسائلة في سرها إن كان ذلك انسحاباً مؤقتاً أم أن قائد السفينة قد فضل السلامة والتراجع بدل الاستمرار في هذه المعركة التي قد تتسبب بخسارة السفينة ومن عليها من جنود.. بينما جلس كين قريباً وأحد الرجال يعتني بذراعه المكسورة بشكل بسيط وججي تعلق "كان عليكم الانسحاب من ذلك الموقع بأسرع ما يمكن.. لكن خانك تقديرك هذه المرة يا كين.."

غمغم كين "الحسن الحظ أن أحداً من الرجال لم يقتل في هذا الهجوم.."

ابتسمت ججي معلقة "الحسن الحظ أنك لازلت تحتفظ برأسك فوق عنقك.. وهذه معجزة حقاً بعد كل ما جرى لك معنا.."

لاحظت اقتراب زعيم قبيلة (وهج) ورجاله منها.. فتقدمت ججي لملاقاته وسمعتة يقول فور وصوله إليها "كيف تمكنت من دحر هجوم الجيش العربي بهذه السهولة؟.. وباستخدام آلات بسيطة كهذه؟"

قالت بابتسامة جانبية "ليس الأمر صعباً لهذه الدرجة.. ما وجهناه في قبيلتنا قبل شهرين كان أسوأ من هذا بكثير.."

زفر الزعيم وهو ينظر لججي بصمت، ثم قال "نحن شاكرون لك ما فعلته لقبيلتنا، وهو أمرٌ لم نتوقعه من قبيلة معادية لنا.. سيظل هذا ديناً علينا مدى الحياة.."

أسرعت ججي تقول "نحن لا نحمل ديوناً من أحد.. لذلك لا تفكر بهذا الأمر طويلاً.."

فقال الزعيم "عندها، لا يسعني إلا أن أتناسى العداة الذي طال بيننا لسنوات خلت، وأطلب إقامة حلفٍ مع قبيلة (أبناء الذئاب).. وهو أمرٌ سيشف قبيلتنا بالتأكيد.."

نظرت له ججي بصمت ودهشة لفترة طويلة وقد أخذت بهذا التغيير في الأحداث.. للمرة الأولى تشعر أنها سعيدة لأنها لم تأخذ بنصائح رجال قبيلتها الذين طالبوها بعدم التدخل في أمور هذه القبيلة، وفضلت الاعتماد على حدسها وحدها.. وها هو حدسها قد أتى ثماره بأسرع مما توقعت..

وإزاء صمتها، خفض الزعيم وجهه مضيفاً "قد أتفهم ترددك لقبول هذا العرض، بعد كل ما كان بيننا.. لكنني جادٌ في طلبي هذا، ولن تجدي منا إلا العون في كل ما ستمر به قبيلتك.."

ابتسمت ججي معلقة "ربما من الخير لك أن تخاطبني كرجل منذ الآن فصاعداً ولا تستهين بزعيم قبيلتنا.. ومدت يدها للزعيم بثقة، فابتسم بدوره مغمماً "كما تشاء.. يا جام.."

وصافحها دون تردد، موثقاً بذلك الحلف الأول الذي تحصل عليه ججي كزعيمة لقبيلة (أبناء الذئاب)، وراسماً في داخلها بعض الأمل في الحصول على المزيد من الحلفاء بما يؤمن للقبيلة الدعم اللازم لمواجهة أي عداءٍ من أي قبيلة أخرى..

وعند عودتها للمخيم، أسرعت ججي تبلغ كبار رجال القبيلة بما جرى وبالحلف الذي أنشأته مع زعيم قبيلة (وهج).. فما كان رد الرجال على هذا الخبر إلا الصدمة الظاهرة على وجوههم وساد يقول باستنكار

"قبيلة (وهج)؟!.. كيف حدث هذا؟!.. وبعد كل ما كان بيننا من عداوات وثورٍ ونزاعٍ دام لسنوات!!.."

قالت ججي بابتسامة "كل هذا تبخر عندما وجدوا من يعينهم على عدونا المشترك وينقذ القبيلة من الإبادة.. بخطوة بسيطة كهذه، أثبتنا قدراتنا لبقية القبائل، وكسبنا حليفاً جديداً.."

غمغم شيتار "هذا رائع.. رائعٌ بالفعل بعد أن خسرنا حلفاءنا السابقين جميعهم.."

فقلت ججي بحزم "سعودون إلينا.. أنا واثقة أننا نستطيع أن نكسبهم من جديد.. لن يطول الوقت قبل أن تستعيد قبيلة (أبناء الذئاب) مكانتها بين القبائل.."  
واتسعت ابتسامتها بثقة وهلفة لتحقيق هذه الأمنية.. والتي لم تبد لها بعيدة المنال في هذا الوقت..

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي، اتخذت ججي موقفاً حازماً دون أن تعبأ لا اعتراض كبار رجال القبيلة.. اختارت بعض الرجال ممن تثق بهم، وحملتهم برسائل إلى بعض القبائل التي تعرضت لهجوم بحري من جيش الملك فارس.. كان فحوى الرسالة يعرض على تلك القبائل مد يد العون في التخلص من أعدائها واستعادة مخيماتها التي تخلت عنها تلك القبائل، مقابل إقامة حلفٍ بينها وبين قبيلة (أبناء الذئاب) في مواجهة أي خطر مشترك..

أعلن سادر ومن معه عن رفضهم هذا بوضوح، حيث أن أغلب تلك القبائل كانت معادية لهم سابقاً مثل قبيلة (المخلب الأسود) لكن ججي عارضت هذا الرأي قائلة "لقد كانت قبيلة (وهج) معادية لنا سابقاً، لكنها عادت لرشدها وأقامت حلفاً معنا دون تردد عندما عاوننا على التخلص من الهجوم البحري.. ألا تعتقدون أنها فرصة ملائمة للحصول على بعض الحلفاء بالوسيلة ذاتها؟.."

لكن نظرة الاعتراض ظلت واضحة على الوجوه حتى بعد رحيل الرسل الذين أرسلتهم ججي لجوانب متفرقة من السهول.. طال الوقت لما يقارب العشرة أيام قبل أن يعود الرسول الأول حاملاً رفضاً صريحاً واستهزاءً واضحاً بالقبيلة وزعيمها.. قطبت ججي وهي تستمع للرسالة بينما قال سادر بحنق "هذا ما توقعته.. لا تسير الأمور كما تحب لها يا جام.. أنت تصغر من شأننا أكثر فأكثر بين القبائل.."

لم تعلق ججي على هذا الوضع وهي ترجو أن يعود الرسل الباقون بردٍ مختلف.. لكن في كل مرة، يعود أحدهم بردٍ مشابهٍ إنما بصيغةٍ مختلفة.. بدأ لججي أن زعماء تلك القبائل يحاولون التشبث بما بقي لهم من كبرياء دون أن يذعن أحدهم لعرضها خشية أن يعير باستعانتته بامرأة في التخلص من عدوه.. كان هذا أمراً مفهوماً، لكنه لم يقدم أي حلول لا لججي الساعية خلف حلفاء قبل أن تنتهي المهلة أمامها، ولا لتلك

القبائل التي لم تتمكن من التخلص من أعدائها بأي وسيلة كانت..

ومع عودة الرسول الأخير، فقدت ججي الأمل في حصول أي تغيير وزفرت بشدة وهي جالسة في خيمة مینار مغممة بحنق "هؤلاء الزعماء.. أئحشى أحدهم على سمعته ويرضى بالمهانة التي يعيش بها رجاله لكيلا يقال إنه استعان بقبيلة معادية تنزعها امرأة؟"

علق كين قائلاً "ألم تفعلی الأمر ذاته عندما عرضت عليك الهرب بعد عودتك من رحلتك الأخيرة؟.."

قالت بتبرير "الأمر مختلف في الحالتين.."

ثم نظرت لمینار الصامت مضيئة "ألا ترى هذا معي يا مینار؟.. لم أنت صامت هكذا؟"

قال مینار وهو يمسد لحيته الخفيفة بيده "ألا تلاحظون أن أمر هذا الهجوم الذي يقوم به الملك العربي غريب؟"

تعجب كين من انشغال مینار بالتفكير في ذلك الأمر الآن، فتساءل "ماذا تعني؟"

أجاب مینار "لقد قام بفتح عدة جبهات أمام جيشه، وبذا اضطر لتقسيم أسطوله وجنوده لما يقارب تسعة أجزاء، عوضاً عن تركيز هجومه على جانب واحد.. أي شخص يقوم بهذا التصرف لا يمكن وصفه بالحكمة والخبرة الحربية بتاتاً.. وهو أمرٌ يخالف ما يُعرف به الملك العربي.."

علق كين "أنا أرى ذلك أيضاً.. أتظن أنه يحاول استنزاف قبائل الأكاشي قبل أن يهجم هجمة شاملة عليهم؟"

قال مینار بتفكير "لا أظن ذلك.. ربما كان يريد تشتيت انتباههم.. إنه لم يرسل مدداً لجنوده الذين هزموا في تلك المواقع، ولم يحاول مساندتهم بسفن وفرق أخرى من الجنود بتاتاً.."

قالت ججي باهتمام "لو كان يريد تشتيت انتباهنا، أهذا يعني أنه سيقوم بهجوم قريب في موضع آخر؟.. لكننا لا نرى جواسيس في هذه الأنحاء كما حدث عندما حاول جيشه الوصول للسهول منذ ست سنوات.."

أجاب مینار "في المرة السابقة، كان وجود الجواسيس عاملاً دافعاً للأكاشي لاتخاذ الحيلة والحذر.. ربما كان يرغب بتفادي هذه النقطة هذه المرة.."

تساءلت ججي بحيرة "لكن كيف لنا أن نعرف ما يهدف له؟.. لا يمكننا أن نرسل الرجال عشوائياً بحثاً

عنه على طول سواحل الخليج.."

غمغم مینار " وهل سیأتي عبر الخليج حقاً؟"

علقت ججي "لا شك بذلك.. فقد باءت محاولته السابقة للعبور عبر الجبال بالفشل الذريع.. فما الوسيلة التي يملكها غير هذه؟"

سمعوا صوت باب الخيمة يفتح، ورأوا تبريق يقترب منهم قائلاً "لقد كنت أبحث عنك يا جام.."  
وأضاف مشيراً لرجل خلفه " هذا رسولٌ من قبيلة (المخلب الأسود) إليك.. وقد أصرّ على إبلاغك برسالته شخصياً.."

لاحظت ججي ذلك الرجل الذي كان يقف خلف تبريق، وقد اقترب منها وهي تقول "ألم يرفض زعيم قبيلتكم الحلف بيننا بشكل صريح؟.. ما الذي أراده بإرسالك إلينا؟"  
قال الرجل بتردد "لستُ مرسلًا من زعيم قبيلتنا.. بل من ديجار، وهو أحد أهم الرجال في قبيلتنا بعد الزعيم.."

تساءلت ججي باهتمام "وما فحوى رسالته هذه؟"

أجاب الرجل "ديجار يعلم أن الزعيم قد رفض الحلف مع قبيلة (أبناء الذئاب) بإصرار، لكن ديجار كان يخالفه الرأي ذاك بشدة.. وهو يعرض عليك عرضاً يمتنى أن ينال اهتمامك.."  
كانت ججي تستمع إليه باهتمام وشيء من الأمل بالفعل وهو يضيف "إنه يعرض عليكم القدوم لمعاونة قبيلتنا على التخلص من غزو الجيش العربي الذي لم نتمكن من التخلص منه بأي وسيلة من الوسائل..  
والمقابل سيكون إقامة حلفٍ مع قبيلتكم بكل تأكيد.."

تساءلت ججي "كيف سيفعل ذلك مادام الزعيم رافضاً لمثل هذا الحلف؟"

أجاب الرجل بحزم "سيُقام الحلف حتى لو اضطرّ ديجار لتغيير الزعيم.."

قطبت ججي وهي تغمغم "هل سيلجأ لهذا الحل في سبيل التحالف معنا؟.. هذا لا يطمئني بتاتاً.."

أسرع الرجل يقول "لم يكن هدف ديجار إثارة ارتيابك بهذا القول.. لكنه، وكثير من رجال قبيلتنا، قد سئموا من تخاذل الزعيم وتفضيله الحفاظ على ممتلكاته وخوفه من الهزيمة.. لقد مرّت عدة شهور منذ أرغمنا على مغادرة مخيمنا، والزعيم متهاون في اتخاذ قرار حاسم بهذا الشأن.. لذلك لا ينتوي رجال القبيلة



الصمت على ما يجري وقتاً أطول، سواءً تدخلت أم لم تفعل.."

نظرت له ججي بصمت مقدّرة عواقب قبولها أو رفضها لهذا العرض.. قد يتم اتهامها أنها قد عاوت على التخلص من زعيم قبيلة (المخلب الأسود) وهذا سيورثها عداءً أشد من بقية القبائل.. لكنها فرصة لا تعوض لكسب حليف جديد، ولربما يغري هذا قبائل أخرى بالانضمام إليها وطلب معونتها في مثل هذه الأوقات المضطربة..

أخيراً، قالت ججي "لقد اتخذت قراري.. ستساندكم قبيلتنا في التخلص من الغزو، مقابل إقامة عهدٍ وحلفٍ بيننا وبينكم.."

غمغم تبريق "أأنت جاد؟"

أجابت بسرعة "جادٌ طبعاً.. لكن هذا القرار لا يعني أنني سأستفرد برأيي فيه.. يجب أن أناقش سادر وبقية الرجال قبل أن أعطي موافقتي النهائية.."

هز الرجل رأسه موافقاً، ثم غادر الخيمة فيما قال تبريق لججي "هذا غير منطقي يا جام.. كيف تتخذ تصرفاً مثل هذا بعد كل من فقدناهم من الرجال؟.. لا نريد أن نفقد المزيد منهم لأجل قبيلة أخرى معادية لنا بالفعل.. أتظن أن زعيمهم سيرضى بتدخلنا رغماً عنه؟.. أم أن رجاله سيقبلون بك بعد أن تعاون ديجار للتخلص من زعيمهم؟"

قالت بحزم "لا يمكنني أن أتخلى عن هذه الفرصة لمثل هذه المخاوف.. أم أنك تملك رأياً آخر يا تبريق؟.. أنت تعلم أن فرصتي تتناقص مع كل يوم يمضي، فلا تحاول إقناعي بالعدول عما سأفعله لأنك لن تستطيع معاونتي بشيء عندما يقرر رجال القبيلة تنحيتي.."

صمت تبريق دون اعتراض مقررّاً برأي ججي، فيما التفتت ججي إلى كين قائلة بشيء من الحماس "عندما نصل لمخيم القبيلة، عليك أن تأخذ فكرة شاملة عن الموقع والجنود المعسكرين فيه.. سأعتمد عليك مرة أخرى في الحصول على طريقة سريعة للخلاص من الأعداء يا كين.."

قال كين بضيق "لا تفرطي في الاعتماد عليّ يا ججي.. كما أخبرتك، قد يكون ما تمكنا من تحقيقه بخططي السابقة مجرد حظ.. أنا لا أملك خبرة كافية لضمان النتائج.. ولا تنسي أن ذراعي اليمنى مكسورة.."

قالت بحزم "لقد اكتسبت بعض الخبرة بالفعل في المرتين السابقتين.. فما الذي يمنع أن نعتمد عليك

بعدها؟.. ثم إنك لن تخوض أي قتال معنا، كل ما أريده هو معاونتي في التخطيط للهجوم والفوز على أعدائنا بأقل خسائر ممكنة.."

علق تبريق بدوره "أظن أن ما يقوله كين صحيح.. علينا اللجوء لرجال أكبر خبرة وحصافة في مثل هذه المعارك.."

وأشار إلى مينار القريب، لكن الأخير قال وهو ينفث دخان غليونه "يمكنكم أن تقصوني من هذه المهمة.."  
نظروا له بدهشة، فقال "أنا لا أنوي الانضمام إليكم هذه المرة.."  
قالت ججي باعتراض "لم؟.. أنت مريض؟"

هز رأسه نفيًا وقال "لا.. أفضل عدم المشاركة هذه المرة دون سبب.. فلا تحاول الإلحاح يا جام.."  
تبادل الثلاثة نظرات الدهشة، فيما غمغم مينار "من الذي يرغب بالقيام بهذه الرحلة في هذا الجو البارد؟..  
أفضل قضاء أيامي في خيمتي الدافئة عن التخيم في العراء والتعرض لبرودة السهول التي لم تخفت بعد.."  
لم يكن قوله مقنعًا، لكن ججي لم تعارض هذه المرة وهي تقف قائلة "لا بأس.. سأذهب وأعود منتصرًا  
بالتأكيد.. ولن يعجزني شيء عن نيل هذا النجاح أبدًا.."

\*\*\*\*\*

بعد رحيل ججي ومن معها من الرجال نحو مخيم قبيلة (المخلب الأسود)، تركت خلفها سادر لقيادة القبيلة أثناء غيابها كالعادة.. وتخلف أيضاً مينار عن هذه الرحلة لسبب لم تفهمه تينا، فسألته عن ذلك عندما ذهبت لحيمته حاملة بعض الطعام كما اعتادت بين وقت وآخر.. لكن مينار لم يجاوبها إلا بالصمت، فسألته بشيء من الإلحاح "ما الذي يعنيه صمتك هذا؟.. أنا لا أفهمك حقاً.. وكأنك لا تهتم بما قد يجري لججي أثناء غيابها ولا احتمال فشلها دون أن تكون موجوداً لمعاونتها.."

فقال مينار "وهل أنت واثقة أن الفشل سيكون حليفهم بدوني؟"

أجابت "لا.. لكنني أتعجب من تخلفك هذه المرة.."

ودمدمت وهي تضع الطعام جانباً "لم أعد أفهمك منذ عاونت ججي على المطالبة بالزعامة لنفسها.."

وكانك شخصاً آخر لا يمتلك أي عقلٍ أو حكمة لتبرير تصرفاته الغريبة.. وهذا ما يدهشني.."

قال مینار معلقاً " وهل جانبت الصواب في أي أمر؟"

قالت باعتراض "نجاح مخططك لا يعني أنه أمرٌ مقبول.. فما الذي تهدف إليه حقاً من كل ما جرى؟"

أجاب مینار بهدوء "لا شيء يا تينا.. تسير الأيام ويسير عمري معها دون أي معنى.. الآن، بعد هذا العمر، وبعد أن فقدت العديد من الرجال ممن كنت أحترمهم وأعتز بصداقتهم، لم يعد هناك ما يثير اهتمامي ويدفعني للسعي خلفه.."

قالت بضيق "لا تصف نفسك بهذه الصورة.. لولا وجودك قرب ججي، لربما فقدت حياتها في أوقاتٍ كثيرة.. ربما كنت أستهجن ما صنعتاه بها أنت وأبي، لكنها بفضلك أصبحت أقوى، وأشجع من أي فتاةٍ قد يراها الأكاشي.."

فقال مینار بهدوء "ججي هي ابنتي التي لا أرضى بأن يصيبها مكروه مهما حدث.. لذلك ليس عليك أن تقلقي لأمرها في الوقت الحالي يا تينا.."

نظرت له تينا بعينين متسعيتين وصدمة ظاهرة، ثم قالت بدهشة "أأنت...؟!.. كيف يمكن ذلك؟!.."

قال مینار بابتسامة صغيرة "أنا كذلك منذ البدء.. لذا لا تندهشي لهذا كثيراً يا فتاتي.."

صمتت تينا للحظات محاولة استيعاب ما دار بذهنها، ثم غمغمت "سيقتلك أبي لو كان موجوداً.."

ضحك مینار معلقاً "لا أشك بذلك.. لكنني أثق بأنه كان يعلم منذ البدء.."

نظرت تينا من الباب المفتوح مضيفة "لا أظن ججي ستسعد بفكرة كهذه منك أنت بالذات.."

اتسعت ابتسامة مینار قائلاً "ربما.."

سادهما الصمت وتينا تفكر بحال ججي منذ غادرت المخيم، بل منذ أصبحت زعيمة له بين ليلةٍ وضحاها.. هل سيبقى لها بعض الحظ لتحتفظ بهذا المنصب، وبقلبها مدة أطول؟.. أم أنها قد استنفذت كل حظ تملكه منذ كانت في الخامسة من عمرها وحتى الآن؟..

عندما عادت تينا لخيمتها، بعد أن تناولت عشاءها مع مینار، لاحظت وجود إحدى جاراتها في الخيمة جالسة بانتظارها.. فتقدمت منها تينا قائلة "لم أتوقع قدومك بحثاً عني هذه الليلة أيضاً.."

قالت المرأة التي لم تكن تتجاوز الثلاثين من العمر وهي تحمل رضیعة بين يديها "أتيت للحديث معك.. أو

لنقل الحقيقة، أتيت هرباً من ضجيج الأطفال في الخيمة.. يمكنني الحصول على بعض الهدوء هنا، ويمكن للصغيرة أن تنام باطمئنان طالما هي بعيدة عن إخوتها.."

ابتسمت تينا وهي تجلس بدورها قرب النار وتتسامر مع المرأة التي كانت تزورها بشكل يومي منذ بعض الوقت.. رغم فارق السن، لكن تلك المرأة البسيطة والمرحة كانت تساعد تينا على شغل بضع ساعات من الليل بحديثها اللطيف وإبعاد ذهن تينا عن الأفكار الكئيبة التي تعاودها كلما وجدت نفسها وحيدة بلا عمل..

وعندما نهضت المرأة عاجزة على العودة لخيمتها، التفتت إلى تينا قائلة "ما رأيك بقضاء الليل في خيمتي عوض البقاء وحيدة هنا؟.. زوجي أيضاً رحل مع الزعيم، لذا ليس عليك أن تحملي أي هم إلا الإزعاج الذي قد يصيبك من صياح الأطفال الذي لا يكاد يتوقف ليل نهار.."

قالت تينا "لا أظن ذلك.. أرتاح أكثر بالبقاء في خيمتي.."

فقالت المرأة وهي تتأمل الخيمة الخالية "أشعر بالأسى لرؤيتك وحيدة بعد رحيل زوجك مع جام هذه المرة.. لذا لا يسعني إلا أن آتي للاطمئنان عليك كل ليلة.."

قالت تينا بابتسامة "لا تقلقي لأمري.. يمكنني تدبر أموري جيداً.."

ابتسمت المرأة بدورها للحظة، ثم مالت نحو تينا مضيفة "لأكن صريحة معك.. لقد طلب مني تبريق أن أطمئن عليك كل ليلة قبل أن أخلد للنوم.. إنه يخشى من بقائك وحيدة في المخيم، ويقلق لأمرك عندما لا يكون موجوداً.. لذا رجائي أن أبقى قريبة منك في حال احتجت أي مساعدة مني.."

خففت تينا بصرها بصمت وحيرتها من تصرفات تبريق تزداد، ثم غمغمت "لا تقلقي.. أنا آسفة لأن تبريق أولئك مهمة ثقيلة كهذه.. لذا ليس عليك أن تقلقي لشأني بعد الآن.."

وضعت المرأة يدها على كتف تينا مضيفة "من قال إنها مهمة ثقيلة؟.. هذه الساعات التي أقضيها معك أفضل عندي من بقائي وحيدة في خيمتي.."

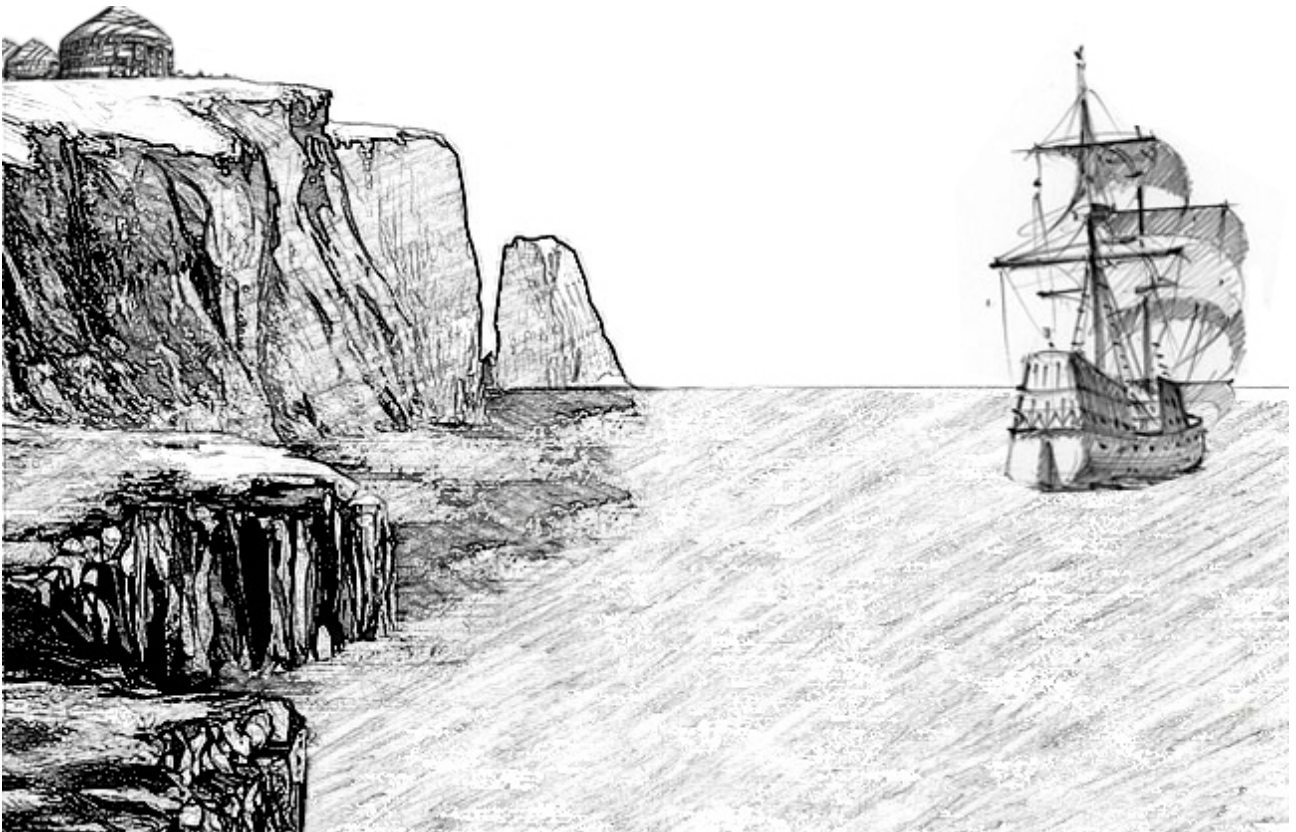
ثم لوحت بإصبعها لتينا مضيفة "لا تأتِ بذكر ما قلته لك لزوجك، وإلا قتلني في تلك اللحظة.."

ابتسمت تينا بصمت وهي ترى المرأة تغادر.. لم على تبريق أن يقلق لأمرها بهذه الصورة؟.. نساء الأكاشي معتادات على غياب أزواجهن وآبائهن لفترات طويلة في المعارك وفي غيرها من الرحلات التي يقومون بها

لمقايسة بضائعهم وشراء بضائع أخرى بين فترة وأخرى.. فلم يعاملها تبريق بطريقة مختلفة؟.. لم يحاول أن يثبت لها أنه يختلف عن بقية الأكاشي بهذه الطريقة الواضحة؟.. أيجاول إشعارها بالذنب لرفضها السابق له؟.. أم أنه يجاول استمالتها بهذه الوسائل؟..

تلفتت حولها في الخيمة الخالية التي بدت لها في تلك اللحظة أكثر كآبة ووحشة من المعتاد.. ثم انطوت جانباً على فراشها وهي تغمض عينيها محاولة إبعاد تبريق عن تفكيرها.. إنه لن يخذعها بتصرفاته تلك.. لا يمكن أن يستميلها ببضع كلمات.. كل ما عليها فعله أن تحاول جادة إزاحته من عقلها في الأيام القادمة..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثامن عشر {مجرد بداية}

غابت ججي عن المخيم ما يقارب الأسبوعين، وعند عودتها مع مجموعة الرجال الذين اصطحبتهم معها لمخيم قبيلة (المخلب الأسود)، كانت أصداء ما جرى في تلك المعركة، والفوز الساحق الذي نالته بالتعاون مع تلك القبيلة، قد سبقتها للمخيم واستحوذت على اهتمام أفراد القبيلة كبيرهم وصغيرهم.. فرغم أن ججي قد اصطحبت عدداً قليلاً من الرجال لا يتجاوز المئة، لكنها بالتعاون مع قبيلة (المخلب الأسود) قد تمكنت من التخلص من الجنود الذين عسكروا في مخيم القبيلة، ومن السفن التي تخلّت عن حذرها السابق واقتربت من الشاطئ الذي يخلو من أي صخور حادة أو معوقات تهدد سيرها.. وما لا يعلمه رجال تلك القبيلة التي دهشت بخطة ججي للتغلب على أعدائهم، أن كين كان المسؤول عنها مستغلاً تضاريس الموقع المحيط بالمخيم لمعاونتهم في الحصول على فوز سريع وساحق..

وعندما سارت ججي وسط مخيم قبيلتها على ظهر الغبراء، ومن خلفها الرجال يتقدمهم كين الذي يلازمها كالعادة، استطاعت أن ترى الأعين التي ترمقها باهتمام يمتزج بشيء من الحماس، وبدأ الصبية يترაკضون قرب الموكب الذي تتقدمه وهم يتصايحون "لقد عاد جام البطل.. لقد عاد جام البطل.."

ارتسمت ابتسامة جانبية على شفتي ججي ممتزجة بتعجب كبير، فهي لم تتوقع أن ترى ذلك الحبور في أعين أفراد قبيلتها رغم نجاحها في المعركة الثالثة التي خاضتها ضد جنود الملك العربي.. تقدمت نحو ساحة المخيم حيث تجمهر رجال القبيلة حول مجلس كبارها، وهناك ترجلت عن ظهر الفرس وهي تتقدم من الرجال الذين وقفوا القدامها مما زاد تعجبها أكثر.. وسمعت سادري يقول "أصداء فوزك قد بلغتنا قبل قدومك يا جام.. وهو أمرٌ لم نتوقعه بصراحة مع العدد الضئيل الذي اصطحبته معك من الرجال.."

علقت ججي "لكن ذلك الفوز قد منحنا أكثر من فائدة.. فقبيلة (المخلب الأسود) قد انحازت إلينا، وهناك عدة قبائل قد أرسلت تطلب إقامة حلف معنا.."

فقال سادر "بالفعل، وصلنا عدد من رسل تلك القبائل.. قد تكون بعض تلك القبائل ضعيفة بين الأكاشي، لكن هذا لا يلغي أنك نجحت في تعويض قبيلتنا من خسرانهم من الحلفاء السابقين.."

دارت ججي ببصرها في الوجوه، فلم تجد أي لمحة من سخرية أو استهانة بما فعلته، فتشجعت لتقول بصوت جهوري يصل للجميع "الآن، ترون أنني قد أنجزت وعدي لكم وحصلت على الحلفاء الذين تحتاجهم القبيلة لتجاوز أي أزمة تمر بها.. فهل أنتم مستمرون بالخضوع لي أم أن الشكوك لا تزال تساورك في تمكّني من هذا المنصب؟"

تبادل كبار القبيلة النظرات الصامتة، والتي جذبت اهتمام بقية أفراد القبيلة بالفعل.. فبكلمة واحدة، يمكن لكبار القبيلة أن يعلنوا بدء سباق الزعامة الذي سينتهي بقتل ججي وتنصيب الزعيم الجديد.. أو يمكنهم أن يقرّوا لججي زعامتها على القبيلة وبذلك يضعون حداً لمن قد تساوره الرغبة بمنازلة ججي وإزاحتها.. ومن بين الصمت الذي خيم على الموقع، سمعت ججي صيحة من جانب المخيم "جام زعيمنا.. وهو قد استحق الزعامة بالفعل.."

كان الصياح بصوت امرأة كبيرة في العمر، والتي حاولت التطاول ليراها البقية وهي تصيح "ما الذي تريدونه أكثر من كل ما فعله؟.. لقد أصبحت القبائل ترجوه إقامة حلف معها، وهو قد أظهر مهارة فائقة في التخلص من أعدائنا بشكل يثير الإعجاب.."

وعادت تصيح بحماس "جام زعيمنا ولا نريد غيره....."

تقافز الفتية القريبين هاتفين معها "جام زعيمنا.. جام زعيمنا..."

وسرعان ما انضم إليها الكثير من النساء الذين ترددوا في البدء خشية إغضاب الرجال.. لكن مع حماسهن بدأ بعض الرجال في إظهار موافقتهم على الأمر، والهتاف مع الجماعة المتحمسة.. بينما بقي الأغلبية صامتين بانتظار رأي كبار القبيلة دون أن يبدو الاستنكار والاعتراض على وجوههم..

تقدم سادر قائلاً "لقد كنتُ أكنّ احتراماً عميقاً لقادور، وأوافقه على كل آرائه التي لم تجانب الصواب يوماً.. اعتراضي الوحيد كان في ما يخصك أنت، وكل رجال القبيلة يشاركونني في ذلك الرأي بالتأكيد.."

نظرت له ججي بقلق، فأضاف سادر متطلعاً لمن حوله من الرجال "لكن الآن تساورني بعض الشكوك في رأيي ذلك رغم تعصبي السابق له.. وأنا أرى أن جام قد خالف كل توقعاتنا بالفعل.."

ونظر لججي مجدداً قائلاً "أنت لم تتمكن من قيادة الرجال بنجاح في المعركة التي خضناها ضد الجنود فقط، لكنك ساعدت عدداً من القبائل على التخلص منهم، وكسبتهم كحلفاء لنا بشكل لم نتوقعه رغم كل

المعوقات التي واجهتك.."

قالت ججي بشيء من الراحة "أهذا يعني أنكم تقبلون بي زعيماً حتى بعد انتهاء مهلة الثلاثة أشهر؟" أجاب شيتار الذي اقترب منها "لقد تناقشنا في هذا الأمر بالفعل.. ولا يمكننا أن ننكر ما حققته حتى الآن.. لقد استحققت الزعامة في الوقت الحالي يا جام.. لذلك نحتاج الآن لسبب أكبر من كونك امرأة لإزاحتك.."

اتسعت ابتسامة ججي وهي ترى الحماس وتسمع الهتاف من حولها.. قد يكون رجال القبيلة قد ركعوا عند قدميها مقسمين لها بالولاء من قبل، لكن لم ترَ في وجوههم أي تقبل لها ولزعامتها.. أما الآن، فالأمر يختلف بالتأكيد.. فالتفت للجموع حولها وقالت بصوت عالٍ "أعدكم أن أكون عند حسن ظنكم بي.. ولن أخيب أملككم في أبداً.. سأقود القبيلة لتنال ما تستحقه من هيبة واحترام وسط الأكاشي، ولن يستهين بنا شخصٌ بعد الآن أبداً.."

تزايد حماس أفراد القبيلة واحتفاؤهم بها، مما أبهج ججي أكثر فأكثر بشكل لم تتصوره.. ولما اجتمعت بمينار الذي تخلف عن مصاحبته هذه المرة، رأى ملامح السعادة في وجه ججي وهي تقول له "من كان يصدق أن يهتف رجال القبيلة ونساؤها لي بهذه الطريقة؟.. لقد شككت لوهلة أن هذا لن يحدث أبداً مهما بذلت من جهد.. لكن هذه المواجهة الأخيرة مع الجنود في مخيم قبيلة (المخلب الأسود) قد آتت ثمارها بالفعل.."

ربت مينار على كتفها وهو يقول "لهذا السبب بالذات رفضت الذهاب معك.. خشيت أن يُنسب نجاحك إليّ، نظراً للخبرة التي أملكها مقارنة بما تملكه أنت وبقية الرجال الذين رافقوك.. أما الآن، فنجاحك في هذه المعركة خير دليل على استحقاقك لقيادة هذه القبيلة.. ولا أظن أحداً سيفكر بعد الآن في إزاحتك.."

اختلج قلب ججي بسعادة وهي تغمغم "أتمنى ذلك.."

لوح مينار بإصبعه مضيفاً "في الوقت الحالي على الأقل.. إن لم تستمر في نجاحاتك هذه، فقد يغير الرجال رأيهم في أي لحظة.."

قالت ججي "لا تقلق.. سأبذل جهدي ولن أتهاون أبداً.."

صمت مينار للحظة، ثم قال "هناك أمرٌ آخر.."

ونظر لوجهها الذي غزته علامات الاستفهام، مضيفاً "لقد وردتنا أنباء عن موت طاغار.."



لم يكن الأمر صادماً بالنظر لعمر طاغار، لكنه صدم ججي لأنها أحبت ذلك الرجل بصدق.. فغزاها الوجوم وهي تصمت محاولة تذكر ما دار بينها وبينه من حوار في آخر مرة رآته فيها.. ثم سمعت مینار يقول "سمعت أن من تولى زعامة القبيلة من بعده رجل يسمّى هاكين.. ويقال إن رجال القبيلة قد انتخبوه زعيماً بالإجماع.. فهو كان يد طاغار اليمنى، ويتحلى بحكمته وقدراته ذاتها.."

تساءلت ججي بتعجب "ألا يتنافس رجال القبيلة على زعامتها كما يحدث عادة؟" أجاب مینار "يبدو أن أموراً كثيرة قد أفلح طاغار بتغييرها بين رجال قبيلته بالفعل.. لقد كان رجلاً ذا تأثيرٍ عظيم على رجاله، وعلى بقية زعماء ورجال القبائل الأخرى.. لذلك كان يحظى باحترام ومحبة الجميع.. لكن من يدري إن كان خلفاؤه من الزعماء سيحذون حذوه أم يعودون لعهدهم القديم؟.."

غمغمت ججي "أتظن أن هاكين ذلك سيقبل باستمرار الحلف مع قبيلتنا أم أنه سينقلب عدواً لنا؟"

قال مینار "سيوضح ذلك الأمر عندما يرسل رسوله إلينا.. ولا بد أنه فاعل.."

\*\*\*\*\*

عند عودة تبريق مصاحباً لججي بعد المعركة الأخيرة، توقف للحظة يراقب الوضع وسط الساحة.. كان باستطاعته رؤية الاحتفاء على وجوه أفراد القبيلة بوضوح، وهذا أراحه نوعاً ما رغم تدمير ججي طوال الأيام الماضية من قلقها لهذا الأمر وخشيتها من عناد رجال قبيلتها متمثلين في كبار القبيلة..

لا يدري تبريق سبب عدم اعتراضه على زعامة ججي للقبيلة، ربما لأنه لم يكن يهتم بأمر الزعامة هذه، أو لأنه لا يرى ضيراً من أن تتولى ججي بالذات هذا الأمر.. وربما، في الحقيقة، كان ذلك وفاءً منه لقادور الذي يكن له كل احترام وتقدير ويثق بأرائه وخياراته دائماً..

استدار تبريق عائداً لخيمته دون أن يشارك فيما يجري وسط الساحة بعد أن أدرك أن ججي قد أصبحت في أمان ولو جزئي لوقت طويل.. ولدى اقترابه من الخيمة، لاحظ تينا التي وقفت متوترة أمامها بصمت.. لم يستطع لومها على التوتر البادي في ملامحها، هل كانت قلقة على ججي وما قد يجري لها؟.. لكنه وجدها تحديق بوجهه بصمت دون أن تعير ما يجري وسط الساحة اهتماماً، فلم يملك نفسه أن سأل "أهناك ما

جرى أثناء غيابي؟"

هزت رأسها نفيًا وهي تنظر له بثبات مما زاده حيرة، فقال "إذن ما الأمر؟.. أنت قلقة على جام؟" غمغمت تينا "مما أراه فإنها قد تمكنت من زعامة القبيلة.. ولذا لا أظن حياتها بخطر في الوقت الحالي..". ورفعت بصرها إليه من جديد مما أشعره أن تساؤلات كثيرة تدور بذهنها في الوقت الحالي.. لكنه فضل الصمت وانتظار أن تبادره هي بالحديث، فدخل الخيمة ملقياً الجراب الذي يضع فيه أغراضه جانباً.. أما تينا، فقد وقفت في موقعها للحظات تنظر لما يجري حول ججي بصمت وهي سارحة في أفكارها.. في البدء، شعرت براحة كبيرة عندما رأت تبريق يتقدم مع ججي والرجال من وسط المخيم.. كانت تراودها أفكار عديدة عن موته في هذه الرحلة، لذا غمرها ارتياح لرؤيته، لكن سرعان ما استنكرت الأمر في نفسها وهي تشدّ على يديها.. أهي سعيدة لرؤيته حقاً؟.. هل كانت تنتظر عودته كما يخيل لها؟.. استنكرت الأمر بشدة في البداية وهي تحاول تجاهل تلك الأوقات التي قضتها في الأيام السابقة تفكر بحياتها مع تبريق.. رغم أنها حاولت جاهدة في الأيام الماضية إبعاده عن ذهنها، لكنها كانت تفكر به بصورة أو بأخرى، خاصة بعد ما أخبرتها به جارتهما اللطيفة.. والآن، مع مشاعرها التي دهشت لها لدى رؤيته، فإنها تجاوزت استنكارها بصعوبة مع اقترابه منها، وفضلت للمرة الأولى مواجهة مشاعرها ومحاولة تبيينها وهي تنظر في وجهه بصمت.. حاولت معرفة ما دفعها للبقاء معه طوال الشهور الماضية رغم أنه سيطلق سراحها لو طلبت ذلك منه.. لم احتفظت بصمتها ولم تطلب ذلك بالفعل؟.. لم فضلت البقاء معه وممارسة حياتها البسيطة التي تخلو من أي عاطفة تدفعها للاستمرار؟..

ورغم أنها حاولت مواجهة مشاعرها بشكل صريح في هذه اللحظات، لكنها لم تتمكن من إدراك ماهية تلك المشاعر حقاً.. هل اعتادت على وجودها معه؟.. أم أنها قد استمرت اعتمادها عليه ولطفه الذي لا يخفيه إلا صمته الدائم؟.. أهي حياة مجردة من أي عاطفة حقاً؟.. أم أنها قد بدأت تميل إليه بالفعل كما لمست لوهلة عندما رفعت بصرها إليه متأملة ملامحه؟..

ضايقتها تلك المشاعر أكثر من أي شيء آخر وهي تزفر.. ما الذي قلب أفكارها بهذه الصورة في هذه الفترة الوجيزة؟.. لقد عاملها بشيء من الصلافة وسخر منها مرات ومرات قبل زواجه بها بالفعل، لكنه تغير بعد الزواج تماماً.. إنه يعاملها بلطف رغم أنه لا يطيل الحديث معها بل يتجنبها بشكل واضح.. وقد شعرت

عدة مرات أنه حريص عليها ويخشى من أن يصيبها أي مكروه.. فهل هذا كان ما تحتاج إليه لتميل مشاعرها نحوه؟.. أهذا هو الحب حقاً؟.. فما الذي كانت تشعر به تجاه كين؟.. وكيف لذلك الحب الذي كانت تظنه عظيماً أن يتبخر خلال أشهر معدودة؟.. متى ستدرك تينا ما يريد قلبها حقاً لترتاح من هذا التفكير المتواصل الذي يتعبها ويؤلمها مرات ومرات؟..

\*\*\*\*\*

مضت عشرة أيام ونيف على القبيلة قضتها ججي منشغلة بأمور زعامتها الجديدة، والتي لم يتسن لها القيام بها في الشهور السابقة بسبب انشغالها بكسب القبائل الأخرى كحلفاء لها.. بدأت تهتم بأمور العوائل التي قضت الشهور السابقة موزعة بين الخيام بعد أن فقدت كل ما تملكه، وحاولت مع بعض الرجال تعويضها بكل ما يمكن ليعود إليها جزء مما خسرت في الحرب السابقة دون ذنب.. كما أنها حاولت الاستفادة من الأسلحة والبنادق التي خلفها الجنود في المخيم بعد القضاء عليهم، وأرسلت عدة رجال لبعض المدن محاولة بيعها ومقايضتها ببعض الماشية والعدة اللازمة لتعويض ما فقدته في السابق..

في جانب آخر حاول كين، رغم إصابة ذراعه، صنع المزيد من العرادات التي أثبتت فعاليتها في المعارك التي خاضوها مع سفن الملك العربي.. لم يتبق معهم من العرادات السابقة إلا اثنتين، فحاول كين مع عدد من الرجال صنع المزيد منها وتعويض السهام التي خسروها في المعارك السابقة احتياطاً لأي هجوم آخر من الجيش العربي.. فرغم الهدوء الذي ساد السهول في الأيام الماضية، لكن كين كان واثقاً أن ذلك لم يكن إعلاناً بهزيمة الملك العربي وتراجعته عن غزو السهول بشكل مطلق.. لا بد أن يحاول من جديد، مهما تأخر ذلك، ولا بد أن يتقمم للهزيمة التي أذاقه الأكاشي إياها قبل أن يخفت صداها الذي تناقلته الألسن في الجهات الأربع بكل تأكيد..

ورغم انشغال ججي أغلب الأوقات بأعمال القبيلة، كان توترها يتضاعف كل يوم وهي تنهض فجراً وتجول في المناطق القريبة من المخيم كعادتها وهي تبحث عند الأفق عن أي لمحة للرسول الذي يتوقع أن يصلهم من قبيلة (طاغار).. فبعد كل ما جرى، كانت تخشى أن تفقد حلف قبيلة قوية كتلك القبيلة،

فتحذو باقي القبائل حذوها دون تردد وتعود ججي من حيث بدأت..

ولما كاد صبر ججي ينفذ، ورادوتها رغبة قوية في الرحيل بنفسها لقبيلة (طاغار)، فوجئت عند انتصاف أحد الأيام برسول من قبيلة (طاغار) يصل إليهم حاملاً رسالة من زعيمها هاكين.. جلست ججي بشيء من التوتر ونفذ صبر وسط كبار القبيلة في خيمتها، بينما وقف الرسول قريباً منهم وهو يقول "أحمل إلى جام، زعيم القبيلة، وإلى قبيلة (أبناء الذئاب) رسالة من زعيم قبيلتنا هاكين.. بعد موت طاغار، فقد وقع على كاهل هاكين تسيير أمور القبيلة، واختيار الحلفاء الذين سيضمهم إليه من بقية القبائل.. وكما تعلمون، فإن أغلب القبائل القوية تسعى للحصول على حظوة لدى قبيلتنا لما نملكه من قوة وتأثير في السهول.."

شعرت ججي بنفاد صبر وهي تستمع لقوله، فقالت وهي تميل للأمام واضعة يديها على ركبتيها "هلا أخبرتني ما أرسلك به هاكين بالضبط؟.. أرجو ألا يكون قد أرسلك للاعتذار عن الحلف القائم بيننا وبين الزعيم السابق.."

غمغم شيتار "تحلّ ببعض الصبر يا جام.."

ابتسم الرسول قائلاً "أغلب كبار القبيلة ممن يشكلون مجلس الزعامة قد أعلنوا رفضهم لإقامة حلف مع قبيلتكم لعدة اعتبارات.."

أسرعت ججي تقول بشيء من الحنق "وما هي تلك الاعتبارات التي قد تفرض عليهم ذلك؟"

أجاب الرسول "السبب الأول هو لاعتراضهم عليك أنت بالذات.. والسبب الثاني والأهم هو خشية خسارة حلفائنا من القبائل الأخرى ممن يكونون عداً لقبيلتك واعتراضاً لتولييك أنت بالذات زعامة القبيلة.."

فقالت ججي بحنق "زعامتني لهذه القبيلة خاص بقبيلتي ورجالها.. ولا شأن لآخرين للتدخل في الأمر.."

أسرع الرسول يقول "هذه هي نظرة مجلس الزعامة للأمر.. لكن هاكين عارضهم في هذا وفضل إتمام الحلف السابق بين القبيلتين كما فعل طاغار قبل موته.."

شعرت ججي براحة شديدة وهي تسمع ذلك وخفتت حدتها متسائلة بلهفة "حقاً؟"

هز الرسول رأسه إيجاباً وأضاف "لقد أبلغ الرجال أن هذه كانت رغبة طاغار، وأن الزعيم السابق قد صارحه بأنه يتمنى لو استطاع أن يقدم لك عوناً أكبر، لكن أموراً كثيرة تحكم قبيلتنا وتمنعه من ذلك.."

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أن طاغار كان مسانداً لزعامتك، وهاكين سيحذو حذوه بالتأكيد.."

ابتسمت ججي براحة كبيرة وهي تنظر لمن حولها من كبار القبيلة، فيما قال شيتار بهدوء "عرض هاكين لا يُعتدّ به ما لم يوافق رجال قبيلته في ذلك.."

نظرت ججي للرسول بشيء من القلق، فأسرع يقول "لم يرسلني هاكين إلا بعد أن تأكد من موافقة البقية على رأيه ذاك.. وقد استغرقه ذلك بعض الوقت.."

فقال ججي براحة "هذا إذن كان سبب تأخيره في إرسالك؟.. لقد ساورني الشك للحظة أنه سيتجاهل قبيلتنا تماماً.."

علق الرسول بابتسامة "لا أظنه يستطيع ذلك أبداً وسط الظروف الحالية.."

\*\*\*\*\*

عندما حملت ججي تلك الأخبار إلى مينار وكين، حيث وجدتهما في جانب المخيم يعتنيان بحصانيهما، كانت السعادة واضحة على ملامحها وهي تقول "أرأيت؟.. لقد استطعت كسب هاكين زعيم قبيلة طاغار حليفاً لنا رغم أنني لم أره قط.. يبدو أنني قد أصبحت محل ثقة الكثيرين في سهول الأكاشي، بالنظر لعدد القبائل التي طلبت إقامة حلف معنا خلال الشهر الماضي.."

علق كين القريب "وهل تثقين في وعد رجال القبيلة بعدم إزاحتك حقاً؟"

أجاب مينار عنها "بل إنني أثق بذلك الآن.. لقد وعدنا سادر وكبار رجال القبيلة ألا يحدث ذلك في وقت قريب.. وأنا أثق أن بقية الرجال لن يقوموا بمخالفة وعدهم ذلك رغم كل شيء.."

اتسعت ابتسامة ججي وهي تمسح عنق حصان مينار قائلة "هذا رائع.. لقد استتبت الأمور لي في اللحظات الأخيرة.. لا أظنني كنت سأسعد بمقاتلة رجال قبيلتي وأن أضطر لقتل من أتغلب عليهم.. وطبعاً لا تعجبني فكرة أن يلتهم قلبي أحدهم.."

فقال مينار بابتسامة "ربما أن الأوان لكي تستقر الأمور في القبيلة.. ولكي تولي اهتمامك لأمرٍ أقل عنفاً وأكثر أهمية.."

قالت ججي "بالفعل.. مازلنا بحاجة لتعويض الموارد والماشية التي فقدناها في المعارك الأخيرة.. كما أننا نعاني نقصاً مريعاً في الأسلحة والعتاد.. ربما عليّ محاولة إرسال بعض الرجال للمدن الشمالية محاولاً استمالة التجار لبيعنا الأسلحة.."

ظل مينار يستمع لها بصمت، ثم قال "وماذا عنك أنت؟"

أجابت "لقد انشغلت بأشياء كثيرة في الآونة الأخيرة عن تدريباتي اليومية.. لذلك أشعر ببعض الوهن في جسدي، وما عادت ذراعي بالقوة السابقة نفسها.."

ثم قالت لمينار باهتمام "هل تشاركني التمرين لبعض الوقت؟.. لقد مضى دهرٌ منذ فعلنا ذلك.."

قال مينار "لم يكن هذا مغزى سؤالي يا جام.. قصدتُ ماذا تنوي فعله بحياتك.. هل تنوي البقاء وحيداً ببقية حياتك؟"

جذب ذلك التساؤل اهتمام كين الذي وقف قريباً بصمت وهو يعتني بحصانه، فنظر لعلامات الحيرة التي غلبت وجه ججي وهي تتساءل "ماذا تعني؟.. أملك الكثير من الرجال الذين أثق بهم حولي، مثلك أنت ومثل كين وتبريق.."

ثم قالت باهتمام "أتعني أن ذلك لا يكفيني في هذه المرحلة؟.. ربما كنت محقاً.. عليّ وضع ثقتي في عدد أكبر من الرجال.. من يدري متى قد أحتاج إليهم في الأيام القادمة.."

لم يعلق كين على هذا الأمر، وقد أدرك أن ججي بطبيعة الحال ستسيء فهم سؤال مينار.. لكن ما تعجب له كان طرح مينار لهذا الموضوع.. فما الذي دفعه لذلك؟..

زفر مينار مغمغماً "من أسوأ ما يمكن أن لا يتمتع زعيم القبيلة بالفطنة لفهم ما يقال له دون شرح.."

ارتفع حاجبا ججي بدهشة وقد غزاها بعض الاستياء لنقده لها، بينما نظر لها مينار قائلاً "ما عنيت أن أسألك عنه هو حياتك أنت.. هل ستظل وحيداً هكذا دون زواج؟"

أخذت ججي بهذا القول للحظة، ثم علقت باستنكار "زواج؟.. أهذا ما تسألني عنه حقاً يا مينار؟"

أجاب مينار "طبعاً.. وهل من المقبول أن يظل زعيم القبيلة دون زواج؟.. أم أنك لا تعتبر نفسك بشرياً؟"

قالت ججي باستنكار أشد "كيف يمكنني التفكير بذلك؟.. أنتظن أن رجال القبيلة سيقبلون بزعامتي عندما يرونني خاضعاً لرجل آخر؟.. هذا ما لا يقبله العقل أبداً.."

فقال مينار وهو يجذب لجام حصانه "بل ما لا يقبله العقل أن لا تسعى للاستقرار بعد أن استقرت لك الأمور في القبيلة.. فكر في قولي هذا جيداً قبل أن تجيب إجابة قاطعة يا جام.."

نظرت ججي لمينار بصدمة وهو يتعد بصمت عائداً بالحصان للسياج الذي يضم بقية الأحصنة، ثم قالت باستنكار بعد رحيله "لا بد أنه قد خرف أخيراً.. كنت أعلم أن يوماً كهذا سيأتي.."

قال كين معلقاً "لمر؟.. لأنه نصحك بالواقع دون مجاملة؟"

قالت باعتراض "الواقع؟.. الواقع أنني أعتبر نفسي رجلاً، وجميع من حولي يرونني كذلك.. مينار أيضاً لم يرني كفتاة قط.. فكيف يطلب مني الزواج الآن؟.."

قال كين "لأن هذا هو التصرف الطبيعي.. الرجال والنساء جميعاً يخضعون لهذا الأمر باختلاف أفكارهم.."

قالت بعناد "لماذا؟.. لا أفهم حقاً أهمية هذا الأمر خاصة لمن هم مثلي.."

علق كين قائلاً "ومن هم مثلك يا ججي؟.. أنا لم أرَ شبيهاً لك في السهول قط.."

لم تعلق وهي صامته باستياء، فيما قال كين بالحاح "هذا أغرب شيء سمعته منك في حياتي.. لم تستنكرين هذا الأمر لنفسك؟.. ألا تعتقدين أن رفضك هذا الأمر سيجعل الآخرين يعتبرونك شاذة عن نهج الطبيعة؟.."

نظرت له باستياء مغممة "أصبحت الآن من مؤيدي هذا الفكرة؟"

ثم أضافت مشيخة بوجهها "كما قلت لك.. الأمر لا يلائمني أنا، ولا يهمني ما قد يظنني به الآخرون.. ثم من سيفكر بالزواج بشخص مثلي؟.. لا ينظر الرجال لي بهذه النظرة بتاتاً.."

فقال كين متفحصاً ملامحها "ليس كلهم حتماً.."

أسرعت تقول "إن كنت تعني براد اللعين فهذا أمرٌ آخر.. إنه لم يرغب بالزواج بي إلا للاستيلاء على القبيلة وكل ما تملكه ظناً منه أنني أضعف من أن أقاومه.."

واجهها كين قائلاً "ليس براد الوحيد بالتأكيد.. وليس الجميع ينظر لك بهذه الدونية والاحتقار كما فعل هو.. ألم يدرك بذهنك قط أن ترينني وأنا قربك دائماً؟.."

ساد الصمت ججي وهي تنظر له بعينين متسعيتين وصدمة ظاهرة.. لم تتوقع منه هذا القول قط، ولم تتوقع أن يتحدث فيه رغم طول صداقتها وحديثها بشكل صريح في كل الأمور.. أمسك كين كتفها مضيفاً "ألا

تعلمين لم أصرّ على مناداتك باسم ججي؟ .. رغم إلحاحك السابق، لم أستخدم اسم جام يوماً معك، ولم أخاطبك كرجل بتاتاً.. ألم يدُر في ذهنك أيّ تساؤل عن مغزى ذلك؟"

قالت بدهشة متعاطمة "لا.. كل ما ظننته أنك ترفض مخاطبتي كرجل لأنك لا تريد الاقتناع بأنني أقوى منك.. ألم يكن هذا هو السبب؟"

نظر كين في عينيها بصمت للحظات، ثم قال "لا.. لا يمكنني مخاطبة الفتاة التي أحبها كما أخاطب رجلاً.. ولا يمكنني الاعتراف بذلك أبداً.."

ظلت ججي تنظر إليه بدهشة متعاطمة وصمت تام، بينما راقب كين انفعالاتها وفي داخله أملٌ أن تستجيب لهذا الاعتراف كما يحب ويتمنى.. لكن قبل أن تكتمل أمنيته، فاجأته ججي بضحكة عالية لم يتوقعها.. قضت عدة لحظات في الضحك دون توقف وهو ينظر لها بصمت ووجوم ظاهرين، ثم قالت بعد أن تماكنت نفسها وخفتت ضحكاتهما "أنت تمزح.. أليس كذلك؟.. هذه مزحة مضحكة جداً.."

غمغم كين بوجوم "لم أمزح في أي كلمة قلتها الآن.."

نظرت له بحيرة للحظة، ثم قالت "لا بد أنك كنت تمزح دون شك.. لا يمكنك أن تكون جاداً.."

ثبت كين نظراته في عينيها وهو يقول "وماذا إن لم أكن أفعل؟.."

أجابت بسرعة "عندها سأقول لك أنك واهمٌ بالتأكيد.."

غممته الدهشة لهذا التعليق وهي تدير بصرها جانباً وتضيف "لا بد أنك كذلك.. كيف يمكنك أن تحب رجلاً متجاهلاً كل تلك الفتيات في القبيلة؟.."

قال كين بصوت عالٍ "أنت لستِ رجلاً يا ججي.. متى ستقتنعين بهذا؟.."

نظرت له ججي بغضب واضح، ثم قالت له "يبدو أنك مصرٌّ على إثارة غضبي بمزاحك هذا.. لقد تجاوزت الحد هذه المرة.."

واستدارت مضيفة "راجع نفسك جيداً.. ولا بد أن تكتشف أن ما تشعر به لا يعدُّ حباً بأي شكل من الأشكال.."

فقال كين قبل أن تتبعد "كنتُ سأفعل هذا لو كان حبي لك وليد البارحة.. لكن لا يمكنني التشكيك في مشاعري بعد كل تلك السنوات.."



رمقته ججي بصمت، ثم غادرت دون تعليق.. بينما همس كين بغير تصديق "لا يمكنها أن تكون جادة بهذا القول.. أهي حقاً تستنكر حبي هذا لأنها (رجل)؟.. أي سخريه هذه؟.."

أسند جبينه لرأسه وهو يغمغم بكدرٍ شديدٍ "تباً لي.. لماذا لم أمسك لساني كما أفعل عادة؟.. لمَ كان عليّ أن أتفوه بما تفوهت به؟.. لا بد أنها ستنفّر مني الآن وتشعر بالضيق لوجودي.. فما الذي عليّ فعله لأعيد ما بيننا كما كان قبل تلك اللحظة المجنونة التي قررت فيها مصارحتها بمشاعري؟.."

\*\*\*\*\*

تلك الليلة، ظلت ججي جالسة في خيمتها وحيدة تنظر بصمت للنار التي تأكل الأخشاب المقدمة لها.. لقد حاولت تفادي اللقاء بكين ما بقي من ذلك النهار، ولاحظت أنه لم يقم بزيارتها في خيمتها بدوره.. كانت تريد الحصول على بعض الوقت للتفكير فيما سمعته منه، والذي سبب لها صدمة شديدة لم تتوقعها.. لم تكن تشعر بضيق لمشاعره تلك، فهي تشعر بتألف كبير معه وبأنه الصديق المقرب الوحيد الذي تشعر بالراحة والاطمئنان معه، لكن أن يتطور الأمر للحب من جهته؟ هذا أمرٌ لم تتوقعه بتاتاً.. لماذا تجاهل كين إصرارها على كونها رجلاً طوال تلك السنوات؟.. لمَ لا يزال يراها كفتاة بعد كل ذلك الوقت؟.. أهي حقاً فشلت في إقناعه بأنها لا تختلف عن الرجال في شيء؟..

زفرت وهي تحاول إقصاء تلك المشاعر التي سببت لها توتراً كبيراً.. عليها أن تتناسى ذلك، وتتناسى كل ما دار بينهما من حوار هذا اليوم.. وإلا، فلن تقدر على مواجهة كين بعينها ولن تقدر على أن تحتفظ بصدافته التي تحتل موقعاً كبيراً في حياتها.. هي بالتأكيد لا تريد أن تخسره، ولو تجاهلته فلربما فضلّ الرحيل عن القبيلة التي لا يربطه بها شيء، وهذا أمرٌ لا تريد أن يحدث بتاتاً..

في الجانب الآخر، لا يدري كين كيف قضى ليلته تلك وسط هواجسه ومشاعر الندم التي غمرته.. وفي اليوم التالي غادر خيمته بتردد وهو يشعر بشيء من التهيب لمقابلة ججي في هذا اليوم.. يخشى أن يرى في عينها ضيقاً منه أو كرهاً لمشاعره، وهذا ما قد يورثه حقناً على نفسه لأنه باح لها بمشاعره في الليلة الماضية.. لقد امتنع عن التصريح بحبه لها طوال السنوات الماضية لأنه كان يثق من النتيجة.. كان ينتظر أن يجد تغييراً

في شخصيتها أو يرى في عينيها مشاعر موجهة نحوه.. ولما لم يحدث ذلك طوال تلك السنوات، فضل الصمت على ما يكتنه في صدره لها لأنه يدرك تمام الإدراك أنها ستصدّه بكل وضوح.. ولكنه هدم كل هذا بلحظة صراحة واحدة..

وعندما رأى ججي وهي تضع سرجها على ظهر الغبراء، سار نحوها بصمت محاولاً ألا يلاقي عينيها بعينه لئلا يرى فيها ما يكره.. لكنه سمعها تقول له بلهجة عادية "ما الأمر أيها الكسول؟.. لقد انتظرتك لوقت طويل، وشككت عندها أنك غارق في النوم كعادتك.. ولو لم تأت الآن لغادرت بدونك.."

رفع كين بصره إليها بدهشة ليراهما تنظر إليه بابتسامتها الهازئة التي تلاقيه بها كلما تأخر في النهوض كعادته.. لم يبدُ عليها أي تردد أو وجل لمقابلته، ولم تُظهر أي انفعال لما جرى بينهما البارحة.. أهذا يعني أنها واثقة أنه لم يكن جاداً بأي كلمة قالها؟.. أهذا يعني أنها تستهين بمشاعره حقاً لهذه الدرجة؟.. ورغم أنه كان يخشى أن تتعامل معه ججي بشيء من التهيب أو تظهر ضيقها منه، لكن تصرفها بشكل عادي كما جرى الآن لم يورثه أي راحة أو سرور في نفسه..



مع ذوبان الثلج في جوانب عديدة من السهول، إلا بضع مواقع من المناطق الشمالية التي يستمر فيها الشتاء لوقت أطول، بدأ الربيع يعلن عن نفسه بشكل أكبر وأوضح مع اللون الأخضر الذي ساد المكان والزهور البرية التي بدأت تفتح في عدة مواقع بألوان زاهية وكثافة غير عادية.. فتجد تجمعات من اللون الأبيض في جانب يقابلها تمركز للزهور الحمراء الزاهية في جانب آخر، وجوانب غزاها اللون البنفسجي الذي يتماوج مع اللون الزهري في لوحة بديعة تشتاق لها العين كل سنة..

بدأت القبيلة مع تباشير الربيع استعداداتها للانتقال للمخيم الصيفي الواقع شمال السهول، حيث تستفيد من المراعي التي ازدهرت بعد الشتاء الطويل.. ورغم أن الانتقال لن يتم إلا بعد شهر على الأقل، لكن العديد من العوائل قد بدأت استعداداتها بالفعل..

وفي يوم من الأيام، عندما عادت ججي من الرحلة القصيرة التي تقوم بها برفقة كين، كما تفعل في كل

صباح عندما لا تشغلها أمور القبيلة، فوجئت بارتباك واضح وشيء من اللغظ يدور في خيم قبيلتها..  
أسرعت تترجل عن الغبراء بقفزة واحدة تاركة لجامها لكين، وتقدمت من وسط المخيم بخطوات واسعة وقوية وشيء من القلق يعترىها لرؤية تجمع الرجال في ذلك الموقع.. انزاح الرجال جانباً لرؤيتها ساحين لها الاقتراب من وسط الحلقة، حيث وقف سادر ومن معه من الرجال محتقني الوجوه وهم يستمعون لرجل غريب لا ينتمي لقبيلتهم.. أسرعت ججي لتقف قريهم وهي تتساءل "ما الذي جرى هنا؟"

قال سادر بغضب مكتوم "أخبار سيئة جداً.. يبدو أن المصائب لن تنتهي حتى تقضي علينا جميعاً.."  
تساءلت بالحاح "أخبرني بما جرى.. من هذا الرجل؟"

سمعت الرجل يقول مجيباً تساؤلها "أنا سوتير من قبيلة (جروان).. أرسلني الزعيم لإبلاغ القبائل القريبة بأن جيشاً عظيماً يتبع الملك العربي قد ظهر في السهول، وقطع جانباً منها دون أن يدرك وجوده أحد.. ونوايا مثل هذا الجيش واضحة كما قد لا يخفى عليكم.."

لم يكن ذلك النبأ غريباً، فقد كانوا يتوقعونه بشكل ما، ورغم ذلك أثار صدمة في الجموع التي تحلقت حول الرجل باهتمام شديد.. لكن ما أثار انتباه ججي هو السؤال الذي طرحته على الرجل "قبيلة (جروان) تقع في الجانب الشرقي من السهول، وهي بعيدة عن الخليج.. هجوم الملك الذي تتابع علينا منذ عدة أشهر كان يتم عبر الخليج، فكيف عرفتم بأمر ذلك الجيش قبل الجميع؟.. وأين تتمركز سفن الملك العربي؟"

قال سوتير "جيش الملك العربي قد جاء بواسطة السفن بالفعل، لكنه لم يصل إلى السهول عبر الخليج.. نظرت إليه ججي وبقية الرجال بدهشة وسوتير يضيف "لقد استخدم النهر الذي يقطع السلسلة الجبلية الشرقية، وحمل جنوده وعتاده على السفن حتى وصل للسهول دون عناء اجتياز تلك الجبال الشاهقة.. وكانت قبيلتنا هي الأقرب من ذلك الموقع، لذلك كنا أول من لاحظ قدومه.. لكن للأسف لم يحدث ذلك قبل أن يكتمل وصول الجيش للسهول، وقبل أن يقطع جزءاً من الجانب الشرقي بالفعل.."

اتسعت عينا ججي بصدمة وقالت باعتراض "كيف حدث ذلك؟.. لقد أيقن الجميع أن هجوم الملك العربي التالي سيكون عبر الخليج، لأنه دأب على الهجوم علينا عبره ومحاولة إضعافنا والتمكن من موقع آمن لإزالة قواته.. فكيف تمكن من تجاوز الجبال عبر الأنهار التي تقطعها؟.. كيف فعل هذا بغفلة من الجميع؟"

قال كين القريب "ألا يدلك هذا أن تلك الهجمات ما كانت إلا تمويهاً وشغلاً للأكاشي عما يجري في ذلك الموقع من الجبال؟"

نظرت له ججي محاولة استيعاب الأمر، بينما قال سادر لسوتير "أريد معرفة كل ما تعرفونه عن هذا الجيش.."

أجاب سوتير "سأخبركم بكل ما أعرفه.. لكنني يجب أن أنطلق في طريقي للقبائل الأخرى لأحذرهما.. فلا يمكننا انتظار لحظة واحدة وهذا الجيش يهددنا بهذه الصورة.."

هزت ججي رأسها موافقة، فيما قال شيتار القريب "أهي الحرب إذًا؟"

قالت ججي زافرة "يبدو ألا مناص من ذلك.. لن تتوقف هذه الحرب حتى يقتنع الملك العربي أن هذه السهول لن تكون تحت ملكه في يوم من الأيام.. ولن نكف عن المحاولة مهما قدمنا من دمائنا ورجالنا في سبيل إقناعه بذلك.."

\*\*\*\*\*

تطورت الأمور بعدها بأسرع مما يتوقع الجميع.. كانت الهجمات التي نالت قبائل الأكاشي القريبة من الساحل، والخسائر الجمة التي لا يمكن لأحد تجاهلها أو نكرانها، قد شحذت عزيمة وكراهية الأكاشي نحو الجيش العربي.. وبدا أن العديد من تلك القبائل قد وجدت لها فرصة ملائمة للانتقام لكل ما خسرت في تلك الهجمات.. لذلك لم يكن صعباً على هاكين استقدام أغلب زعماء القبائل في اجتماع كبير لم تشهد السهول مثله قط..

عدد القبائل الكبيرة ذات التأثير في السهول لا يقل عن خمسة عشر قبيلة، بالإضافة لما يوازي عشرون قبيلة صغيرة تتبع القبائل الأخرى المحالفة لها رغم أنها مستقلة عنها بزعيمها ومخيمها ومواردها الخاصة.. لذا انضم لهذا الاجتماع الزعماء الخمسة عشر دون أن يتخلف منهم أحد، بينما حضر بعض زعماء القبائل الأقل شأنًا مصاحبين حلفاءهم لمعرفة ما سيجري في السهول مما قد يؤثر في حياة القبائل كلها.. وقد تم الاجتماع في موقع متوسط بعيداً عن مخيم أي قبيلة ودام عدة أيام قبل أن ينطلق الزعماء عائدين لقبائلهم وقد توحد

رأيهم على أمرٍ واحد..

عادت ججي بعد بضع أيام لقبيلتها التي كانت تتربح نتيجة ذلك الاجتماع الاستثنائي وأي أخبار قد تكون وصلت للزعماء عن تحركات الجيش العربي.. وفور وصولها، شقت طريقها بين الجموع التي تجمهرت وسط ساحة المخيم، وسط نظرات التساؤل من الرجال والنساء على حد سواء.. فسمعت سؤال إحدى النسوة من كبار السن وهي تقول بصوت قلق "أحق ما سمعناه عن اقتراب الجيش العربي من مخيم قبيلة (جروان) واضطرارهم للتخلي عن ذلك الموقع لتفادي الاصطدام مع الغزاة؟.. هل سيصل الجيش لموقعنا هذا؟.."

ربت ججي على كتفها معلقة "ستعرفين كل شيء بعد قليل.."

وصلت لوسط الساحة، فاعتلت صندوقاً خشبياً لترفع نفسها ليراها الجميع، وتأمّلت العيون التي تعلقت بها بمزيج القلق والتوتر.. ثم قالت بصوت جهوري ليصل للجموع الصامتة حولها "كما يعلم الجميع، ها هو جيش الملك العربي قد اقتحم سهلنا رغم مقاومتنا له طوال سنوات.. ها هو يعلن بكل جرأة أنه لا يعبأ بنا ولا بالهزائم السابقة التي أذقناها لجنوده.. ومع هذا التعدي السافر على سهلنا وعلى قبائلنا، قرر زعماء القبائل جميعهم مواجهته بكل ما يملكونه.. قررنا تناسي كل خلاف وعداء بيننا حتى نقضي على عدونا المشترك.."

ودارت ببصرها بينهم مضيفة "ونحن، أبناء الذئاب، لا يمكننا التخلي عن المشاركة في هذه الحرب.. لا يمكننا الصمت ونحن نرى إخوتنا الأكاشي يجاربون عدواً أذقنا الهزيمة سابقاً وقتل الكثير من رجالنا وشبابنا ونسائنا في هجومه الغادر.. لا يمكننا ألا نشارك ونرد الصاع صاعين لهذا الملك ولجيشه التي تسخر منا ومن قوانا كشعب لا يعرف الهزيمة.. فهل ستكونون معي في هذا؟"

تعالت صيحات الاستحسان والموافقة من الرجال حولها، فصاحت ججي "أريد من كل رجل وشاب قادر على القتال اللحاق بي.. سننطلق بعد يومين فور أن نتم إعداداتنا لهذه الحرب.. ولن نحظى براحة أو هدوء حتى نتخلص من هذا الغزو الذي يستشري في سهلنا التي لم يفلح أي غاز قبلها في السيطرة ولو على جزء منها.. نحن الأكاشي.. لا نخضع، ولا نتهاون، ولا نرحم من يسخر منا ويسلبنا ما هو حق لنا.."

في جانب الموقع، وقف كين يستمع لصيحات الحماس من الرجال المحيطين بججي، ومال على مينار

القريب قائلاً "ألا ترى أن الأمور تتعقد أكثر من اللازم؟.. أليست هناك وسيلة أخرى لحل هذه الأزمة دون الاشتباك في حرب مع الملك فارس؟"

أجاب مینار قائلاً "ما الذي بظنك نستطيع فعله في ظل هذا الهجوم السافر من الملك العربي على سهولنا؟.."

وزفر دخان غليونه وهو يغمغم "كم رجلاً سيموت قبل أن يحقق الأكاشي نصرهم على هذا الملك الذي يسوقه طمعه ليطالب بأرضٍ ليست ملكه ويشرد شعباً ليس خاضعاً له؟.. تبال للملوك وأهوائهم.."

وفي تلك الليلة، اجتمعت تينا بججي قائلة بقلق شديد "هل عزمتم على الرحيل لقتال الملك العربي؟.. ألم نكتف بتلك الحروب والمعارك التي أنهكت القبيلة كاملة؟"

قلبت ججي كفيها مجيبة "وكيف يمكننا تفادي ذلك؟.. كل القبائل قد اجتمعت على ذلك، وسنجتمع في جيش واحد لمواجهة قبل أن يغزو هذه السهول بالكامل.."

قالت تينا بحنق "لكن هذا يعني أن نصفكم لن يعود بالتأكيد.. أما من وسيلة للتفاهم مع الملك وردعه دون قتال؟.."

قطبت ججي قائلة بضيق "كيف نتفاهم مع الملك وهو يهددنا بجيوشه؟.. سيظننا خائفين منه، وسيحاول السيطرة علينا عندها ويضمنا لمملكته.. فهل هذا ما تريدينه؟"

صاحت تينا "وهل ما تريدينه أنت سفك الدماء وقتل رجال القبيلة دون داعٍ؟.. أهذا ما سيظمنك فعلاً؟" صمتت ججي رغماً عنها وهي ترى جسد تينا الذي بدأ بالارتجاف، فيما شدت تينا قبضتها وهي تضيف بصوت متهدج "يكفي من فقدناه حتى الآن.. يكفي أننا لا نكاد نخلع ثوب الحداد عنا أبداً.. متى سنحصل على بعض الهدوء والراحة أخيراً؟"

قالت ججي برفق "هل تخشين على زوجك؟"

أخفت تينا وجهها بين يديها بصمت دون أن تكف عن الارتجاف، فربتت ججي على كتفها وهي تقول "يمكنني أن أمنعه من الرحيل معنا، لكنه سيرفض ذلك بكل تأكيد.. وأنا لا أريد أن أقلل من شأنه وسط رجال القبيلة.. كل ما يمكنك فعله أن تأملي بأن نعود منتصرين من هذه الحرب بأقل خسائر ممكنة.."

همست تينا بصوت متهدج "وهل تكفي الأمانى لتحقيق أي شيء؟!"

\*\*\*\*\*

لم يطلُّ برجال القبيلة للاستعداد بكل ما يملكونه للمعركة الوشيكة.. ولم يتوانَ فردٌ منهم عن بذل كل ما يملكه من خيل وماشية، بالإضافة للسيوف والدروع وكافة أدوات القتال اللازمة.. وخلال أيام قلائل، كان الجميع قد أعدَّ العدة للرحيل نحو الموقع المتفق عليه للقاء بين قبائل الأكاشي، في موقع يعترض طريق الجيش العربي لصدّه قبل أن يتوغل أكثر فأكثر في سهولهم..

وفي الليلة التي سبقت الرحيل، لم تنم تينا قط رغم تظاهرها بذلك.. أقلقت أفكار عديدة نومها وباتت ليلتها مسهدة مضطربة لأمر المعركة الكبيرة التي سيواجهها رجال الأكاشي عما قريب.. رغماً عنها، لم تعتد قط مثل تلك المعارك والحروب الدائمة بين الأكاشي، ورغماً عنها تشعر بتوجس كبير عندما تسمع عن بوادر حرب بين القبائل لسببٍ أو لآخر.. فكيف لا تقلق لهذه الحرب التي لم يرَ الأكاشي مثلها منذ سبع سنوات؟.. كانت صغيرة في ذلك الوقت ولا تذكر من تلك الحرب أي أمر، كل ما تذكره هي الاحتفالات التي أقامتها القبيلة فرحاً بالنصر لعدة أيام بعدها.. كما تذكر بكاء العديد من النسوة والأطفال مع عودة الرجال للقبيلة حزناً على من فقدوه في تلك الحرب.. فكم رجلاً سيفقد الأكاشي هذه المرة؟.. وكم منهم سيعود لأهله سالمًا؟..

نهضت من فراشها قرب الفجر بعد أن أدركت أنها قد غفت لوقت قصير، ولما تلفتت حولها في الخيمة أدركت أن تبريق قد غادر بالفعل.. فهل رحل بالفعل دون أن يعلمها برحيله؟..

ظلت مطرقة بشيء من الكآبة، ثم نهضت وجلست قرب النيران التي يبدو أن تبريق أشعلها قبل مغادرة الخيمة لتضفي بعض الدفء على المكان.. دفنت تينا وجهها بين ذراعيها وهي تستمع للضحج الواضح خارج الخيمة، دون أن تحاول الخروج والفرجة على ما يجري كما تفعل النساء عادة.. ظلت على صمتها حتى سمعت خطوات تقترب من الخيمة ودلف شخص المكان، ثم سمعت صوت ججي التي قالت بقلق واضح "هل أنت على ما يرام يا تينا؟"

رفعت تينا بصرها ونظرت لأختها التي اقتربت منها يتبعها تبريق الصامت وإن لاحظت تساؤلاً يبدو في

عينيه.. ولدئى رؤيتها له، سارعت تينا لحفض بصرها مغممة "لا شيء.. يقلقني أمر هذه الحرب الوشيكة ونتائجها على القبيلة.."

فقلت ججي "لا تقلقي.. لن نعود قبل أن ندحر هذا الغزو ونعيد الجنود جثثاً لموطنهم.."  
لم يكن هذا ليطمئنها بحال، فيما أضافت ججي "لقد أتيت للاطمئنان عليك ووداعك قبل رحيلي..  
سنرحل حالاً، ولا أدري متى ستمكن من العودة للمخيم.. لقد أوصيت سادر بك وبأن يهتم لأمرك حتى  
عودتنا، فلا تترددي من التوجه إليه إن احتجت لأي أمر.."

لم تعلق تينا على قولها.. فما تحتاجه الآن هو الشعور بالأمان، فكيف لسادر أو غيره أن يقدم لها هذا؟..  
بعد أن استمر صمتها، ربتت ججي على كتفها، ثم نهضت مغادرة قائلة لتبريق "لا تتأخر عن اللحاق بنا يا  
تبريق.."

رفعت تينا بصرها على الفور لترى تبريق الذي وقف للحظة وسط الخيمة قبل أن يقول "كوني بخير يا  
تينا.."

لم يجد منها رداً رغم ملامح القلق على وجهها، ولما استدار مغادراً استوقفته تينا هاتفة "هل ستعود؟"  
توقف تبريق واستدار بدهشة نحو تينا التي وقفت بتوتر كبير ووجه مضطرب، وإزاء صمته قالت بإلحاح  
"أريد وعداً منك بأنك ستعود يا تبريق.. فهل ستفعل ذلك؟"

راودته فكرة أن طلبها هذا منبعه الخشية على نفسها من البقاء وحيدة دون سند، وهذا أشد قسوة على نساء  
الأكاشي من الزواج غير المتكافئ، فقال بتردد "هل تخشين على نفسك إن قضيت نحبي؟"

واجهته بعينيها الزرقاوين وشفيتها المضطربتين، ثم قالت وهي تحفض وجهها حتى انسدل شعرها مخفياً  
ملاحظتها "لست أخشى على نفسي، لكني أخشى عليك أنت.. أعلمُ تمام العلم أنني لم أتمكن من رد لطفك  
وعنايتك بي طوال الشهور الماضية، ولست أندم على شيء قدر ندمي على ما آذيتك به طوال ذلك الوقت.."  
ونظرت له بعينيها الدامعتين قائلة "لكن لو لم تُعد، فسيزداد ندمي لأنني لم أتدارك الأمر قبل فوات  
الأوان.. وأنا لا أريد ذلك.. لا أريد ذلك.."

سالت دموعها رغماً عنها على خديها بشكل أدهشها هي نفسها، وهذا جعل مشاعرها تتداعى أكثر فأكثر..  
كانت واثقة أنه لن يعود هذه المرة، لكن كيف لها أن تصمت وتستسلم لفكرة كهذه؟.. كيف لها أن تهدأ



وهي تشعر أنها قد تراه للمرة الأخيرة في حياتها؟.. والأسوأ من هذا أنها لم تدرك مشاعرهما هذه إلا بعد فوات الأوان..

وجدته يقترب منها بخطوات سريعة فضمها إليه بقوة صدمتها شيئاً ما، لكن دموعها انهمرت بتزايد وهي تبكي محاولة خنق صوتها لئلا يزعجه بكاءها كما تخشى عادة.. فسمعتة يهمس "سأعود يا تينا.. حتماً سأعود لك.. فهل ستنتظريني؟"

ولم يكن وعده ذلك ليهدئ بكاءها وقلقها الذي يزداد بمرور اللحظات..

\*\*\*\*\*



## الفصل التاسع عشر {نزال فردي}

عندما وصلت قبيلة (أبناء الذئاب) برجالها وعتادهم والماشية التي اصطحبوها معهم لطعامهم، استطاعوا رؤية المعسكر الكبير الذي أقامته قبيلة (طاغار) وهي الأولى في الوصول للموقع المتفق عليه.. أشرفت ججي على المعسكر من فوق تلة عالية وهي تراقب الموقع وتتأمل رجال قبيلتها الذين ساروا نحوه تمهيداً لنصب الخيم اللازمة لإقامتهم في جانب منه.. بعد بعض الوقت قضته صامتة، لاحظت اقتراب كين منها بحصانه قائلاً "هل تذكرين جوانب الخطة التي وضعناها قبل مغادرتنا القبيلة؟"

أجابت بابتسامة "لا تقلق.. سيتم الأمر كما خططت له بشكل تام.."

ثم أضافت متطلعة إلى يده اليمنى التي لم يفك رباطها بعد "هل ستكون بخير؟.. ربما من الأفضل بقاؤك في المخيم عندما تندلع المعركة بيننا وبين جيش العدو.. لن تكون قادراً على المشاركة بيد واحدة.."  
فقال كين "لن أشارك بشكل مباشر بالطبع.. سأكون مع العرادات في الموقع المحدد لها وأشرف على عمل الرجال أثناء المعركة.."

هزت ججي رأسها موافقة، ثم قالت متطلعة للموقع أمامها "أتظن أن هذا سيكون كافياً لتغلبنا على أعدائنا؟.. لا يمكننا جرّ المعركة طويلاً، فهذا لن يكون في صالحنا أبداً.."  
أسرع كين يقول "سيكون كافياً لقلب موازين المعركة في لحظة حاسمة، لو استطعنا أن نختر التوقيت الملائم لذلك.."

غمغمت "أتمنى ذلك.."

قال كين عندها "الأفضل أن تنفردى بخطتك هذه مع هاكين يا ججي.. لا تعرضيها أمام القادة كلهم.."  
نظرت إليه بدهشة متسائلة "لم؟.."

أجاب "خطة منك أنت بالذات جديرة بأن تُفرض جملة وتفصيلاً.. خاصة أن أغلبهم لم يتعاملوا معك بشكل مسبق ولا يخفون رفضهم لك لكونك امرأة.."

علقت بضيق "أتظن أن بعضهم لا يزال على جهله القديم؟.. ألم أثبت نفسي أمامهم بعد؟"

قال كين "الأفضل أن تناقشها مع هاكين، ويقوم هو بعرضها لهم.. هذا أدهى لأن تلقى قبولاً لديهم.."  
 قالت بشيء من العناد "بهذا يُنسب الفضل إلى هاكين، وأخرج أنا بلا نتيجة ولا فائدة من هذه الحرب.."  
 قطب كين معلماً "لماذا تتشبهين بعنادك هذا رغم أن الخطة ليست خطتك في الأساس؟.."  
 نظرت له بحنق قائلة "هل تنوي إذلالى بخططك هذه؟"

قال كين بسرعة "لا.. لكن قصدت أن هوية صاحب تلك الخطة ليس مهماً، لا أنا ولا أنت ولا حتى  
 هاكين.. المهم هو نجاح هذه الحرب ورحيل الملك فارس.. أليس كذلك؟"  
 زفرت ججي متطلعة للأمام، ثم غمغمت "معك حق.. سأفعل ما تطلبه مني فور وصولنا للمعسكر وقبل  
 اجتماع القادة.."

في تلك الليلة، وبعد اجتماع قبيلة (أبناء الذئاب) مع قبيلة (طاغار)، والتي احتفظت بذلك الاسم حتى بعد  
 موت زعيمها السابق، فإن ججي سارعت فور استقرار الأمور للقاء بشكل منفرد مع هاكين وشرح الخطة  
 أمامه كاملة.. لم يكن هاكين يكبر تبريق في العمر كثيراً، بملامح هادئة إن تغاضينا عن حاجبيه الكثيفين  
 ونظرة عينيه الحادة، ورغم عمره وكونه زعيم قبيلة قوية، لكنه كان على شيء من الضعف الجسدي مع  
 طول الفارع ودون أي عضلات بارزة.. لكنه كان يتحلى بحكمة طاغار وثقته ذاتها، وقد قابلها بترحاب  
 فوجئت له عندما رآته لأول مرة في اجتماع الزعماء.. كانت تأمل أن تحصل على موافقته قبل قدوم بقية  
 زعماء القبائل الأخرى، لكن نظرة عينيه أثناء عرضها للخطة لم تكن مشجعة كثيراً وهو يلتزم الصمت حتى  
 بعد أن فرغت من عرضها أمامه..

ولما طال صمته وهو يحدق في الأرض مفكراً، تساءلت ججي "لا تبدو لي راضياً عن هذه الفكرة التي  
 عرضتها أمامك.. فما رأيك؟.. يمكننا أن نقوم بتعديل أي جزء لا يناسب وضعنا هذا، مع الاحتفاظ  
 بالفكرة العامة.."

قال هاكين بحيرة "هذا صعبٌ جداً.. خطة مثل هذه قد تزعزع الأكاشي وتخلخل صفوفهم قبل بدء الحرب  
 بالفعل.. ما الذي سنفعله لو انكسرت عزيمة رجالنا قبل بدء المعركة؟"  
 قالت ججي بابتسامة "أنت تمزح.. أليس كذلك؟.. كيف تريدني أن أصدق أن عزيمة الأكاشي تنكسر لأمرٍ  
 تافه كهذا؟.. هذا يخالف المنطق.."

قال هاكين عاقداً ذراعيه على صدره "لكن المعركة التي نحن بصددتها أكبر من المنطق الذي عشنا عليه طوال حياتنا.. لم يسبق للأكاشي أن واجه جيشاً بضخامة هذا الجيش، وهذا كفيل بإيقاع الرجال في فخ الذعر والتردد لأدنى حادث يقع قبلها.. وهذا ما لا نريده.."

قالت ججي "لذلك سيكون هذا الأمر داعماً لنا في هذه الحرب.. المواجهة المباشرة كما يفعل الأكاشي عادة لا تفيدينا الآن، فعدد جيش العدو يزيد علينا بثلاثة أضعاف، إن لم نأخذ بالاعتبار العتاد والأسلحة التي يملكها ولا نملك مثها.. علينا اتخاذ خطة بارعة لتجاوز فارق العدد والعتاد، ولكن لا يمكننا أن نفصح عن مثل هذه الخطة أمام الرجال جميعاً وإلا وصل خبرها لأعدائنا رغماً عنا.. أنت أدري مني بهذه الأمور بالتأكيد يا هاكين.."

ظل هاكين صامتاً يردد الأمر في ذهنه، ثم نظر لججي قائلاً "لا يمكنني الرفض الآن.. على الأقل، سأحاول عرضها على بقية الزعماء والحصول على موافقتهم عليها.. لكن لو تم رفضها، فلن أجبرهم على الموافقة بأي حال.."

علقت ججي "سيكون الأمر صعباً بالتأكيد، لكن لو لم تقتنع بهذا الأمر أنت، فسيكون إقناعهم بها أصعب بمراحل.. أرجوك أن تفكر بالأمر ملياً وتقلّب جوانب الخطة وموقفنا من المعركة الوشيكة جيداً.. هذه قد تكون المعركة الفاصلة في تاريخ الأكاشي، وسيقع اللوم علينا لما سيجري فيها.."  
هز هاكين رأسه مغمغماً "سأفعل ذلك بالتأكيد.."

تراجعت ججي بظهرها وهي تصمت بتوتر بالغ.. ليت الأمر مقتصرٌ على خطة قد يقبل بها بقية الزعماء ببعض الإلحاح، لكن تنفيذ تلك الخطة، وخوض تلك المعركة، أصعب وأقسى بمراحل من بضع كلمات..

\*\*\*\*\*

مضت عدة أيام قبل أن يجتمع أغلب زعماء الأكاشي المشاركين في هذه الحرب مع قبائلهم.. امتد المعسكر لمسافة كبيرة وسط السهول وضجّ المكان بأصوات الخيول والماشية وبصوت الأسلحة التي يتم سنها وإعدادها للحرب الوشيكة.. فيما توالى أنباء عن تقدم جيش الملك العربي من هذا الموقع بحيث توقع

أغلب الزعماء أن يتم اللقاء خلال أسبوعٍ واحد على الأكثر..

رغم أن هذه ليست المعركة الأولى التي يخوضها الأكاشي ضد الجيش العربي، لكن التوتر بدأ واضحاً في الوجوه لحجم المعركة التي لم يروا مثلها قط.. كان أكبر تلاقٍ للجيش شهدته السهول منذ سبع سنوات بعد المعركة التي خاضها الأكاشي بقيادة قادور وثلاثة زعماء فيما عرف باسم (الليلة البيضاء).. لكن هذا الجيش الذي كونه قبائل الأكاشي العشر كان يفوق ذلك الجيش بمراحل، كما كان جيش الملك العربي يوازي أربعة أضعاف جيشه السابق الذي هزم شر هزيمة على هذه السهول..

ومع اكتمال عدد جيش الأكاشي، توالى اللقاءات التي قام بها زعماء القبائل لمناقشة جوانب المعركة الوشيكة ومحاولة التوصل لاتفاق بين الزعماء الذين لم تجمعهم كلمة واحدة بعد.. ورغم أن كين لم يتمكن من حضور أي من تلك الاجتماعات، لكن ججي كانت تحرص على أن تبلغه بكل ما دار فيها معرفة رأيه ورأي مينار بذلك وتقرير أي تعديل يحتاجون القيام به في الخطة التي وضعها كين سابقاً.. كانت خطته رغم بساطتها قد لاقت معارضة من بعض الزعماء، ولا تدري ججي أكانت معارضتهم تلك نابعة من عدم اقتناعهم بالخطة أم أن الأمر يتعلق برفضهم الانصياع للبقية واعتزازهم بآرائهم حتى لو جانبت الصواب..

كان هاكين بهدوئه وحكمته قادراً على امتصاص جدالاتهم وغضبهم، لكن وقتاً طويلاً قد ضاع من تلك الاجتماعات في محاولة التوصل لحلٍ يرضي جميع الأطراف.. فمن الزعماء من يصرّ على القيام بهجوم مباشر وقوي، ومنهم من يرفض ذلك بشدة.. من الزعماء من يصرّ على البقاء في المقدمة ومنهم من يفضل وضع رجاله في المؤخرة حتى لو سبب حنق البقية.. كان اختلاف آرائهم يسبب ضيقاً وحنقاً شديداً لججي التي التزمت الصمت أغلب الأوقات في تلك الاجتماعات.. لكن صمتها ذلك لم يدُم أياماً طويلة وهي تسمع اعتراضاً واضحاً من جدار الزعيم الجديد لقبيلة الأرقط على وجودها وطلبه إبعادها من المعسكر والمعركة كاملة.. ورغم أن هاكين قد عارض هذه الفكرة بوضوح، لكن ججي لم تطق صبراً لتقول بحنق "ما الأسباب التي تملكها مثل هذا الطلب؟.. قبيلتي ستساند في هذه الحرب بكل قوة، ولا يحق لك إبعادنا عنها.. نحن الأقرب لمسار جيش الملك، وخسارة الأكاشي في هذه الواقعة تعني أن مخيمنا سيتعرض لهجوم آخر من الجيش الذي سيتقدم أكثر في السهول.."

قال جيدار بصلافة "لسنا بحاجة لعون قبيلة تُولي أمرها لامرأة.. هذا يدلنا أنهم ليسوا بالقوة التي قد تعيننا في هذه الحرب، لذا الاستغناء عنهم لن يضرنا في شيء.."

فقلت ججي بابتسامة ساخرة "هذه المرأة قد جردتكم من زعيمكم السابق كما أذكر.."

نهض جيدار واقفاً وهو يستل سيفه صائحاً بحقن "أيتها اللعينة.. أتظنين أننا سنغفر لك ذلك؟"

أوقفه هاكين قائلاً بصرامة "لسنا هنا لتصفية الخلافات يا جيدار.."

لكن ججي قالت بحدة "لا يحق لك الانتقام لزعيمكم المقتول.. هو من استهان بقبيلتنا وبزعيمها، واختطفني متتويماً إذلالياً وقتلي.. لذا استحق القتل بهذه الصورة.."

فصاح جيدار بعصبية "وتجروؤين على قول ذلك بكل صفاقة؟.. لا يمكن أن أرضى بأن تدلنا امرأة، حتى لو كنت زعيمة قومك.. لن يهدأ لي بال وأنت معنا في هذه المعركة.."

قال هاكين بحدة "كف عن هذا الجدال يا جيدار.."

لكن جيدار دفعه جانباً وتقدم من ججي التي قفزت واقفة مستلة سيفها بدورها.. وقالت بحدة "هل تنوي قتلي انتقاماً لزعيمكم الغادر؟.. كان عليكم أن تخرجوا من مجرد ذكر تلك الحادثة، فهي أمرٌ لا يشرف قبيلتكم بأي حال.."

هوى جيدار بسيفه نحو ججي التي تلقت الضربة بسيفها، فرنّ صدى الضربة في الخيمة كلها، فيما صاح هاكين بغضب "لو كتما تريدان التقاتل، فافعلا هذا خارجاً.. هل تنويان قتلنا جميعاً بسيفيكما؟"

تراجعت ججي خطوة، ونظرت لجيدار الحانق قائلة "لا أمان ذلك.. لو كان هذا سيطفئ غضب قبيلتكم ويقنعكم بأنكم قد نلتم الانتقام الذي تسعون إليه.."

قال جيدار بصرامة "انتقامنا سيتحقق بقتلك أنت.."

وقف هاكين بينهما قائلاً لجيدار بصرامة "وهذا ما لا يمكن أن يتم هنا وفي هذه الظروف.. أتريد أن تشعلها حرباً بين الأكاشي وعدونا على مسير أيام منا؟.."

نظر له جيدار مقطباً، فيما أضاف هاكين منقلباً بصره بينه وبين ججي "فليكن هذا نزالاً فردياً دون أن يقتل طرف الطرف الآخر.."

قال جيدار مقطباً "وما الذي سنستفيده إن لم يقتل الفائز الخاسر؟"

أجاب هاكين "يكفي الإذلال الذي سيحصل عليه الخاسر عندما يخسر أمام رجاله وأمام بقية القبائل.. أظن ذلك سيكون كافياً لتحقيق انتقامك يا جيدار لو كنت أنت الفائز.. أليس كذلك؟"

نظر جيدار إلى ججي التي لم تظهر معارضة للأمر، ثم قال بابتسامة ساخرة "هذا سيكون كافياً.. أنا واثق أن قبيلة (أبناء الذئاب) لن تسمح ببقاء هذه المرأة على زعامتها عندما أهزمها شر هزيمة أمام الجميع.."

فقلت ججي "شريطة أن تكف عن فكرة الانتقام هذه حتى لو كنت الخاسر يا جيدار.."

زجر جيدار بحقن "أنا لن أخسر أمام امرأة.."

فقال هاكين بنفاذ صبر "مادمنا قد اتفقنا فلنته من هذا الأمر.. سيتم النزال في ساحة المعسكر، وسيشهده الجميع بطبيعة الحال.. لذا، فليكن نزالاً عادلاً.."

غمغم جيدار بسخرية وهو يغادر "لا يمكن أن يكون هذا النزال عادلاً لها بالنظر لما هي عليه.."

لم تعلق ججي مغادرة خلفه بصمت وهي تقبض على سيفها بقوة..

\*\*\*\*\*

في ذلك الوقت، كان كين عائداً للمعسكر بعد جولة متفحصة قام بها حول هذا الموقع من السهل.. كان عليه اختيار أفضل موقع يناسب وضع العرادات التي جاؤوا بها معهم، واستغلالها أفضل استغلال في هذه المعركة حسب الخطة التي شرحها لججي سابقاً.. وفور عودته للمخيم، لاحظ تدافع بعض الرجال من ذلك الموقع نحو قلب المعسكر.. فاستوقف أحدهم متسائلاً بدهشة "ما الذي يجري؟.. هل استدعاكم أحد القادة؟"

قال الرجل بعجلة "لا.. لكن يشاع أن نزالاً فردياً سيتم بين زعيم قبيلة (الأرقط) وزعيم قبيلة (أبناء الذئاب).. ونحن ذاهبون للفرجة على هذا النزال.."

ارتفع حاجبا كين بدهشة وصدمة، فيما ابتعد الرجل بسرعة وآخر يقول له "النتيجة محسومة سلفاً بالفعل.. لكن لا يضيرنا أن نتفرج على ما سيجري.."

ترجل كين من على ظهر الحصان بقفزة سريعة واندفع بدوره خلفهم نحو قلب المعسكر، ليرى دائرة كبيرة

من الأكاشي تحيط بالساحة التي تتوسطها خيمة القادة.. دفع كين نفسه بين الرجال بشيء من العسر حتى وصل لقلب الدائرة، وهناك استطاع أن يرى جدار الذي وقف متأهباً بسيفه العريض والذي يفوق سيوف الأكاشي حجماً، بينما وقفت ججي في الجانب الآخر تستعد لهذا النزال.. خلعت معطفها الثقيل لتصبح حركتها أخف وأسهل، وربطت ذراعيها بقطعة قماشية طويلة لتتفادى تشنج عضلاتها لهذا المجهود المفاجئ، مما قد يعطلها عن مواجهة غريمها..

أسرع كين إليها قائلاً بحنق "ما الذي يجري يا ججي في مثل هذا الوقت؟.."  
قالت وهي منشغلة بعملها "زعيم قبيلة (الأرقط) مصر على الانتقام لمقتل براد.. ولا أستطيع التنصل من هذا الأمر.."

فقال كين بضيق "أهذا وقت مناسب لتصفية الخلافات؟.. ماذا لو تسبب بجرحك؟"  
قالت بابتسامة "الأهم من ذلك أن هاكين قد منعه من قتلي.. وهذا سيكون في صالحني بالتأكيد.."  
نظر كين إلى جدار الذي وقف في موقعه مسترخياً بانتظارها، فلم يفتَهُ رؤية جسده العريض بشيء من الطول وذراعه الضخمان بعضلاتها البارزة.. فقارن مظهره القوي بمظهر ججي الأضعف بالتأكيد، ثم قال لججي "عليك ألا تهجمي عليه بشكل مباشر يا ججي.. عليك استخدام الحيلة معه واستغلال نقاط ضعفه لليل منه بأسرع ما يمكن.."

قالت ججي مقطبة "هذا سيظهرني بمظهر الضعيف أمام الآخرين.. وسأكون محل سخرية الجميع.."  
اعترض كين قائلاً "أنت ضعيفة بالفعل مقارنة بـرجل مثله.. إنه يفوقك حجماً وقوة بالتأكيد، والهجوم المباشر لن يكون في صالحك.. كما أن عليك إنهاء هذا النزال بأسرع ما يمكن.. كلما طال نزالك معه، كلما أضعف هذا موقفك أكثر فأكثر.."

ربت ججي على كتفه قائلة "لا تقلق لأمرى.."

وتقدمت من جدار فيما تراجع كين خطوات وهو ينظر للموقع الذي يحيطه الرجال من جميع الاتجاهات.. وجود هذه الجماعة من الرجال على مسافة قريبة من موقع النزال ليس في صالح ججي بالتأكيد، فهي بحاجة لمساحة أوسع كي تتمكن من تفادي ضربات غريمها والحركة بحرية.. أما جدار الأقوى والأكثر ثقة، فليس بحاجة لمثل هذه المساحة لأنه سيكون المهاجم بدون أي تردد، ويكفيه موقع محدود لتوجيه



ضرباته القوية نحو ججي..

وقف الإثنان مقابل بعضهما البعض بتحفز بينما تعالت بضع صيحات تشجيعية لجيدار من وسط الحضور.. أما أغلب رجال قبيلة ججي فقد التزموا بالصمت وهم يراقبون ما يجري باستياء.. أدركت ججي أن رجالها يخشون ضعفها ويثقون بعدم قدرتها على التغلب على غريمها، ولذلك شعرت أنهم لن يترددوا في التخلي عنها لحظة سقوطها أمام جيدار.. لكنها لم تكن لتسمح بذلك.. لم تكن لتسمح لرجل يمتلك كل ما تفتقر إليه دون أن يبذل جهداً للحصول عليه، وفوق ذلك يصبغ تصرفاته بالكبر والصلافة التي تتعمد إهانتها لمجرد أنها امرأة، لم تكن لتسمح لرجل مثله بإذلالها أمام رجالها.. لذا كانت عازمة على الحصول على هذا الفوز بأي وسيلة كانت..

لاحظ كين في تلك اللحظة أن ججي الواثقة من نفسها دائماً تمسك سيفها بيديها الاثنتين عوضاً عن يد واحدة كما اعتادت دائماً.. وهذا دلل على خشيتها من فارق القوة بينهما وأن يتمكن جيدار من تجريدها من سيفها بضربة واحدة.. وبدل الاندفاع في هجوم عشوائي، وقفت ججي في موقعها بانتظار غريمها الذي رفع سيفاً يفوق ما تملكه حجماً، واندفع نحوها موجهاً لها ضربة قوية بيد واحدة.. حاولت ججي تلقي ضربته تلك بسيفها دون أن تنفادها خشية أن تظهر بمظهر الضعيف، فتلاقى السيفان في ضربة وصل صداها لموقع بعيد في المخيم بينما شعرت ججي بسيفها يكاد يطير من قبضتها المشدودتان عليه، وتشنجت أصابعها بقوة من عنف الضربة.. لكنها ثبتت قدر ما تستطيع وهي ترى جيدار يوجه لها ضربة أخرى سريعة، ثم تبعتها ضربات أخرى متلاحقة فتصدت ججي ما تقدر عليه وتتفادى أغلب هجومه رغماً عنها..

كان جيدار يعتمد على قوة ساعديه مقارنة بها، وحجم سيفه العريض مقارنة بسيفها، مما جعل ججي تخشى أن ينكسر سيفها لقوة تلك الضربات.. واضطرت في مرات عديدة للتراجع عدة خطوات وهي تصد ضرباته دون أن تتمكن من إصابته بأي ضربة من جهتها.. ومن الجمهور، بدأت تسمع صفير تشجيع وبعض الضحكات من رجال القبائل الأخرى الذين يتوقعون منها الهزيمة، عندها عزمت ججي على نيل هذا النصر ولو بالحيلة.. تخلت عن فكرة إثبات قوتها وفضلت إثبات مهارتها وقدراتها مقارنة بهجوم جيدار المباشر..

وعندما هوى جيدار نحوها بضربة جانبية وهو يضحك ضحكة ساخرة، تفادت ججي الضربة وسارعت

لدفع سيفها نحو سيفه قبل أن يتمكن من إيقاف اندفاع سيفه الثقيل.. فضربت سيفه ضربة قوية في اندفاعه محاولة أن تجبر جيدار على إفلاته وبذلك تحرز نصراً سريعاً عليه، لكن قبضة جيدار كانت أقوى من توقعاتها وهو يزجر ويدير السيف ليضربها من جديد.. لم تياس ججي وهي توجه ضرباتها إلى نصل سيفه بعد كل تلويح منه بالسيف، فيتعالى صوت التقاء السييفين وججي تستنفر قواها محاولة استغلال ثقل سيفه لتزيد من اندفاعه بعيداً عن صاحبه.. ورغم فشلها في كل مرة، لكنها استمرت في تفادي ضرباته واستخدام تلك الطريقة مغيرة أسلوبها وقوة ضرباتها في كل مرة..

صاح جيدار بحنق وهو عاجز عن إصابتها رغم محاولاته "ألن تكفي عن هذا العبث وتواجهيني بجدية؟.."

قالت ججي وهي تتفادى ضربة جديدة منه "أنا أواجهك بكل جدية بالفعل، لكن لا أفعل ذلك بغباء كما تفعل أنت.."

زجر جيدار بحنق، ورفع سيفه عالياً مغيراً اتجاهه، وهوى نحو رأسها بأقوى ما يملك.. لم تخش ججي الضربة لوجود تلك الخوذة على رأسها، لكن لو أصابتها تلك الضربة القوية فلاشك أن تفقدها الوعي أو تسقطها أرضاً على الأقل.. انتظرت ججي للحظة وهي ترى السيف الحاد يهوي نحوها دون تردد، ولما اقترب النصل منها تراجع بجسدها ليهوي النصل بقوة نحو الأسفل، عندها لم تتردد ججي في ضرب النصل بسيفها لتدفعه نحو الأرض بقوة أكبر حتى انغرز فيها، ثم وضعت قدمها على النصل الحاد قبل أن يسحب جيدار وضغطت عليه بقوة وهي تديره جانباً مما أجبر جيدار على إفلات السيف بعد أن آلمته قبضته التي كانت متعبة بالفعل بعد كل تلك الضربات.. فأسرت ججي لرفع سيفه بقدمها ورميه بعيداً عن متناول يده وهي تضع سيفها عند عنقه قائلة "والآن.. ما رأيك؟"

نظر لها جيدار بشيء من الصدمة وكثير من الحنق، فيما تعالي مزيج الصفير من الجموع المحيطة بهما مع صيحات حانقة من رجال جيدار الذين ساءهم فوزها عليه.. ولكن جيدار لم يستسلم وهو يمسك نصل سيفها بيد دون أن يعبأ بحدته ويقول بغضب "أظنن أنني سأراجع بعد عرضك الساخر هذا؟.. أنت تستهينين بي دون شك.."

تدخل هاكين في تلك اللحظة قائلاً "كفى يا جيدار.. لقد كان بيننا وعدٌ وعليك أن تفي به.."

صاح جيدار "محال.. لن أتناسى ثأرنا من هذه المرأة مطلقاً.."

كاد الموقع أن يشتعل بين الأكاشي، ورجال جيدار قد وضعوا أيديهم على سيوفهم فيما أسرع رجال ججي لسحب سيوفهم بتحفظ واضح، لكن توقف كل شيء مع صيحة آتية من جانب المعسكر.. انفضت الدائرة التي كانت تحيط بججي وجيدار ليظهر من خلفها خمس رجال من الأكاشي يسوقون ثلاثة رجال غربيي الهيئة.. كان منظر أولئك الرجال كفيلاً بشغل الجموع وجذب اهتمام جيدار وبقية الزعماء عن المباراة التي كادت تشعل معركة بين قبائل الأكاشي المتواجدة في المعسكر، ولذا فقد تنهدت ججي براحة وهي ترجع خطوة فيما تقدم الأكاشي بالرجال من هاكين وأحدهم يقول "لقد عثرنا على هؤلاء الجواسيس في موقع قريب من المعسكر.. ولا نعلم منذ متى كانوا يراقبوننا.."

التقت الأبصار عند الرجال الثلاثة وأحدهم يقول شاحباً "لسنا جواسيس.. نحن عابروا سبيل.."

قال هاكين بجفاء "هذه دعواكم في كل مرة.. ولا يخيب ظننا فيكم في كل مرة أيضاً.."

وقال للرجال "اصطحبوهم لخيمة القادة.. سأقوم باستجوابهم بنفسي.."

دفع الرجال الجواسيس الثلاثة نحو الخيمة الكبيرة التي يجري القادة اجتماعاتهم فيها، فيما التفت هاكين إلى جيدار وججي مضيفاً "لا أظن الوقت أصبح ملائماً للعبث الذي تقومون به.. كفا عن هذه الخلافات فما نواجهه أهم بكثير.."

لم يعارض جيدار وهو يعيد سيفه لغمده، بينما تراجعت ججي وهي تعيد سيفها للغمد المعلق في حزامها.. وتقدمت من هاكين قائلة بخفوت "ألا ترى أن الوقت ملائم الآن لتنفيذ ما اتفقنا عليه؟.. هؤلاء الجواسيس سيفيدوننا بكثير في المعركة الوشيكة بالتأكيد.."

غمغم هاكين "أفهم ما تعنيه.. لكن هذا سيتسبب بخسارة فرصتنا للحصول على معلومات عن جيش الأعداء من هؤلاء الجواسيس.."

فقال ججي "لكن قد لا تواتينا فرصة أخرى لتنفيذ تلك الخطة.. نحن بحاجة إليهم، ولما قد نحققه لو شهدوا هذا الأمر بأنفسهم.."

هز هاكين رأسه قائلاً "أنا معك في ذلك.. اسبقني للخيمة فيما أنني بقية الترتيبات، ثم سنقوم باستجواب الجواسيس والحصول على ما يمكننا الحصول عليه من معلومات منهم.."

هزت ججي رأسها موافقة وعادت لخيمة القادة حيث سبقها جیدار وعدد من الزعماء.. وبعد غياب قصير، عاد هاكين للخيمة ليوقف أمام الجواسيس الذين تم تقييد أيديهم بإحكام وقال " أين وصل جيش الملك؟.. أهو قريب منا؟"

قال أحد الجواسيس "لا نعلم عن هذا شيئاً.. إنما نحن....."

فقال هاكين "جرت العادة على قتل الجواسيس دون سؤال، لكن هذه المرة نحن بحاجة إليكم ولما تملكونه من معلومات.. فلو قررتم عدم التعاون معنا، عندها لا نملك أي سبب للاحتفاظ بكم أحياء.."  
تبادل الجواسيس النظرات الصامتة، فيما عاد هاكين يسأل بصرامة "أنا لا أطيع الكاذبين.. ومن سيكذب عليّ سأقوم بقطع لسانه دون تردد.. هل فهمتم؟"

صمت الجواسيس بقلق وتردد واضحين، عندما تعالی صوت جهوري من مدخل الخيمة قائلاً "ما الذي جرى؟"

التفت هاكين مع بقية الزعماء لزعيم قبيلة (الغربان) المسمى ستراك والذي دخل الخيمة بطوله الفارع وجسده العريض واضعاً يده على سيفه الضخم المعلق في حزامه العريض.. فأجاب هاكين مشيراً للجواسيس أمامه "لقد تم القبض على هؤلاء الجواسيس في موقع قريب من المعسكر.."  
قطب ستراك قائلاً "ولم لا يزالون أحياء حتى الآن؟.. ألم تأمر رجالك بقتلهم فور العثور عليهم؟"  
قال هاكين بهدوء "لا.. لقد طلبت إحضارهم حتى أقوم باستجوابهم.. أريد معرفة كل ما يمكنني معرفته عن جيش الملك العربي.."

ونظر للجواسيس المرتعبين مضيفاً "ويمكنني الحصول عليه ببعض الضغط.."  
ارتجف الجواسيس للهجة هاكين، بينما صاح ستراك "هذا غير مقبول بتاتاً.. المفترض أن تقتلهم لئلا تمنحهم الفرصة للهرب وحمل أخبار معسكرنا إليهم.."

فقال هاكين "لن أسمح لهم بالهرب بالطبع.. فلم القلق؟"

قال ستراك بغيظ "أنت دائماً تتعامل مع الأمور الحساسة ببرود شديد.. وهذا يثير أعصابي بالفعل.."

وتقدم من الجواسيس مستلاً سيفه وهو يضيف "هل يجب أن أنجز الأمور كلها بنفسني دائماً؟"

صاح به هاكين "مهلاً يا ستراك.."

لكن ستراك لم يتردد وهو يرفع سيفه نحو الجواسيس الذين اتسعت أعينهم برعب واضح.. لكن سيف ستراك الذي طوّحه بقوة قد ارتطم بسيف ججي التي اعترضت طريقه وهي تقول "اهدأ يا ستراك.. لا يمكنك الاستفراد برأيك في هذا الأمر.."

استنفر ستراك قواه ليدفع سيفه بقوة طرحت ججي جانباً وهي التي لا توازيه في القوة مع ضخامة جسده، لكن هاكين اندفع ليوأجه ستراك الثائر وهو يصيح "توقف يا ستراك.."

صاح ستراك بحنق وغضب "من الذي يستفرد برأيه هنا يا هاكين؟.. أنت تجبرني على إطاعتك رغم أنفي، وفوق هذا أحضرت هذه المرأة لتشاركنا هذه المعركة رغماً عنا.. أنت تدرك أن رجالي ورجال باقي القبائل نكفي في هذه الحرب دون الاضطرار للاستعانة بهذه المرأة وقبيلتها الخانعة.."

قال هاكين بغضب "وهل هذا وقت إثارة المشاكل؟.. سنطيع كل ما تطلبه، لكن كفّ عن هذا الانفعال الأحمق.."

خفض ستراك سيفه وهو يزفر بقوة، ثم قال بلهجة آمرة "في البدء، تخلص من هذه المرأة ومن رجالها.. نحن لسنا بحاجة لهم في هذه الحرب.."

تراجع هاكين خطوة وقال "عدنا لهذا من جديد؟.. هذا ما لا يمكنني فعله.. نحن بحاجة لكل رجل، والاستغناء عن قبيلة قوية مثل قبيلة (أبناء الذئاب) مرفوض تماماً.."

نظر له ستراك بغضب شديد، ثم قال بحنق "حقاً؟.. أنت لا تمنحني أي خيار إذاً.."

وأعاد سيفه لغمده مضيفاً "أنا أنسحب من هذه الحرب التي يهان فيها رجالي بالقتال بجوار امرأة.. مثل هذه الحرب لا يرتجى منها مادمنا نحتاج لمثلها للفوز.."

وغادر بخطوات واسعة، فصاح هاكين "مهلاً يا ستراك.. هل ستفعل هذا حقاً؟.. أنت تجردنا من ثلث جيشنا بسبب غضبك الأحمق هذا.."

قال ستراك بجفاء "غضبي الأحمق هذا لن يهدأ مادامت هذه المرأة في هذا المعسكر.. عندما تقرر طردها منه، أرسل من يستدعيني وسأعود إليكم على الفور.. حتى ذلك الوقت، لا تأمل أن نعاونكم في هذه الحرب بتاتاً.."

صاح هاكين "مهلاً.. لا يمكنك أن تكون جاداً يا ستراك.."

لكن ستراك غادر دون أن يستدير وهو يصيح بأحد رجاله " أخبر الرجال جميعاً أن يجمعوا عتادهم ويستعدوا للرحيل فوراً.. ليست بنا حاجة للبقاء في هذا المعسكر.. "

أسرع الرجل يطيعه دون نقاش، بينما وقف هاكين يراقبه بغير تصديق فيما اقتربت ججي منه قائلة بضيق "لمر عليه أن يكون مندفعاً بهذه الطريقة في وقت حساسٍ مثل هذا؟"

نظر لها هاكين بصمت والصدمة واضحة في ملامحه، بينما بقي الجواسيس في موقعهم وهم يتبادلون النظرات بصمت وانفعال واضح.. وبعد بعض الصمت، قال هاكين " هذه خسارة لا يمكننا تعويضها.. " واستدار إلى الجواسيس مضيفاً "لكني سأضمن تعويضها بكل ما يمكنني الحصول عليه من معلومات منكم.. "

لم يعترض أحد الزعماء ممن بقي في المعسكر أو يتدخل في استجواب هاكين للجواسيس.. لكن هاكين لم يستخدم العنف معهم واكتفى باستخدام التهديد وبغزلهم عن بعضهم البعض أثناء الاستجواب.. وبعد عدة ساعات، نادى هاكين أحد رجاله قائلاً " احبسوا هؤلاء الجواسيس في جانب المعسكر وحاذر من أن يهرب أحدهم.. سأستكمل استجوابهم غداً.. وسأحصل على ما أريده من معلومات بالتأكيد.. "

أسرع الرجل مع رفيق له بجذب السجناء مغادرين الخيمة، فيما التفت هاكين إلى بقية الزعماء الذين حضروا الاستجواب قائلاً " يبدو أننا لن نستطيع إجبارهم على الإفصاح عن كل ما يملكونه من معلومات.. " علق جدار قائلاً " كان عليك استخدام القوة.. "

فقال هاكين " استخدام القوة سيعطل خططنا الأخرى.. لذا ليس علينا سوى الانتظار.. " في تلك الأثناء تم اقتياد السجناء لجانب المخيم وتقييد أيديهم بحبلٍ غليظٍ وطويل نوعاً ما في عمودٍ خشبي يرفع خيمة قريبة.. وفي ذلك الجانب، تمكن الجواسيس من رؤية البلبلة الواضحة التي حدثت في المعسكر وأن يشهدوا انسحاب ما لا يقل عن عشرين ألفاً من الأكاشي، من أصل ستين ألفاً تجمعوا في ذلك الموقع، والذين يكونون قبيلة (الغربان) والقبائل الموالية لها والتي فضلت الانسحاب معها.. وقف عدد كبير من الأكاشي يراقبون انسحاب تلك القبائل والقلق واضحٌ على الوجوه، بينما همس أحد الجواسيس لرفاقه بعيداً عن مسمع الحارس الذي يراقبهم " هذه أخبار هامة.. يجب علينا أن نحملها للملك فارس بأسرع ما يمكننا.. هذا يقلب الأمور لصالحنا بشكل تام.. "

قال رفيقه بتوتر "كيف يمكننا فعل ذلك؟.. من المحال أن نهرب من معسكر الأكاشي.."  
 قال رفيقهم بإصرار "يجب أن نفعل هذا الليلة.. أنسيتم أنهم ينتوون استجوابنا غداً؟.. لن يبقى أحدنا حياً  
 بعد ذلك الاستجواب.. لذلك، فرصتنا الوحيدة هي في الهرب هذه الليلة.."  
 صمت رفاقه بغير اقتناع، بينما دمدم الأول بإصرار "تلك فرصتنا الوحيدة بالتأكيد.."

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، وبعد أن هدا المعسكر بشكل تام من حولهم، بقي الجواسيس منتبهي الحواس وهم يتلفتون  
 حولهم بتوتر شديد في الموقع الذي تم سجنهم فيه.. بينما جلس الحارس قريباً منهم مع أحد رفاقه وهو  
 يسرف في شرب الخمر من وعاء فخاري ذي فوهة ضيقة.. ظل الجواسيس صامتون يراقبون الموقف، ثم  
 همس أحدهم بعيداً عن مسامع الحارس ورفيقه "يبدو أن الحظ حليفنا.. مع إسرافه في الشرب، سيفقد  
 الحارس وعيه بالتأكد.. عندها، قد نتمكن من الهرب ببعض الحظ.."  
 تساءل أحد رفاقه بتوتر "كيف؟.. ونحن وسط معسكر الأكاشي؟"  
 قال الأول بضيق "لا تحمّلهم أكبر من قدرهم بالفعل.. معسكر الأكاشي ليس منيعاً كما قد تتصور.."  
 قال الثاني "ليست المناعة ما أخشاه، بل وحشيتهم في التعامل مع الهاربين من سجنائهم.."  
 سمعوا الحارس يصيح بهم بلسانٍ ثقيل "كفوا عن التهامس.. وإلا قطعت ألسنتكم هذه.."  
 ساد الصمت بين الجواسيس بشيء من القلق، بينما نهض الرجل الثاني قائلاً للحارس "يبدو أنك تسرف في  
 الشراب هذه الليلة.. هل نسيت أنك مناوبٌ لحراسة هؤلاء؟"  
 وحاول سحب الوعاء مضيفاً "أعطني إياها.. يجب أن تكفّ مادمت قادراً على ذلك.."  
 قال الحارس بحنق "أنت تريد الاستيلاء على ما بقي في الوعاء.. لكنني لن أسمح لك بذلك.."  
 لوّح الرجل بيده حانقاً وهو يغادر، بينما غمغم الحارس وهو يصبّ لنفسه المزيد من الشراب "تريدون مني  
 البقاء في العراء في ليلة قارسة مثل هذه دون أن أجد ما يدفع أوصالي؟.."  
 احتفظ الجواسيس بصمتهم وهم يراقبون الحارس الذي استمر في استنزاف ما في الوعاء من خمر حتى

سقطت رأسه على صدره بعد أقل من ساعة.. علا شخيره في الموقع والجواسيس يتلفتون حولهم في توتر.. وأخيراً، تجرأ أحدهم للاقتراب من الحارس مستغلاً طول الحبل الذي يقيده، فقام بسحب خنجر الحارس بخفة وهو يراقب ملامحه خشية إيقاظه، بينما تلفت رفيقاه حولهما وأحدهما يهمس "أنت مجنون.."

لم يعلق الأول وهو يسحب الخنجر حتى استخرجه كاملاً من حزام الحارس، عندها تراجع نحو رفيقيه بسرعة وهو ينطوي على نفسه مخفياً الخنجر بين يديه.. ثم بحركة سريعة قام بقطع الحبل الذي يقيّد يدي زميله القريب منه وهو يهمس "علينا الرحيل بسرعة قبل أن ينتبه الأكاشي لهروبنا.."

سقطت قيود يدي الرجل، فأسرع يتناول الخنجر ويجرر رفاقه الآخرين.. وعندما اطمأنوا لخلو الموقع من أي رجل قد يلحظ هربهم، استدار الجواسيس الثلاثة وبدؤوا التسلسل بين الخيام ونحو أقرب طريق يقودهم للخيل التي استلبها الأكاشي منهم.. كان التوتر قد بلغ منهم مبلغه، وخوفهم من ردة فعل الأكاشي على هروبهم تفوق الكلمات.. وخلفهم، فتح الحارس عينيه ورمقهم بنظرة صامته حتى ابتعدوا، عندها نفص ملامح النوم البادية عليه وهو يصيح بأعلى ما يملك "الجواسيس هربوا.. أمسكوهم.."

ارتجفت أعماق الجواسيس لذلك الصياح الذي وصل لسمعهم بوضوح، فصاح أولهم "النسر..". مدوا سيقانهم بالركض السريع نحو الخيول التي تبدوا لهم على شيء من المبعدة، بينما لاحظ آخرهم أن عدداً من الأكاشي قد بدؤوا يلحقون بهم من جوانب المخيم القريبة.. عندها توقف فجأة واستدار مواجهاً الملاحقين وهو يرفع الخنجر الذي سلبه من الحارس صائحاً برفاقه "أكملوا هروبكم ولا تتوقفوا.."

صاح أحد الرجال "ما الذي تنوي فعله يا مجنون؟"

قال الجاسوس الأخير "يجب أن أمنعهم من قتلنا جميعاً.. يجب أن يصل أحدنا إلى الملك فارس ويخبره بما نحمله من أبناء.. لا تتوقفوا حتى تتموا مهمتكم يا رجال.."

تردد الجاسوسان لوهلة، لكن صيحة من رفيقهما قد أعادت إليهما صوابهما وهما يستديران محاولين الوصول للخيل قبل اقتراب الأكاشي منهما.. بينما وقف الثالث رافعاً الخنجر الصغير بشحوب واضح وهو يتمتم "اللعنة.. أنا مقضيّ عليّ في كل الأحوال.."

رأى رجلين من الأكاشي يقتربان منه ركضاً، ورفع أحدهم سيفه هاماً بضربه، لكن الجاسوس تفادى الضربة بشيء من الصعوبة وهو يندفع نحو غريمه محاولاً طعنه بالخنجر.. لكن ضربة أخرى أصابته من

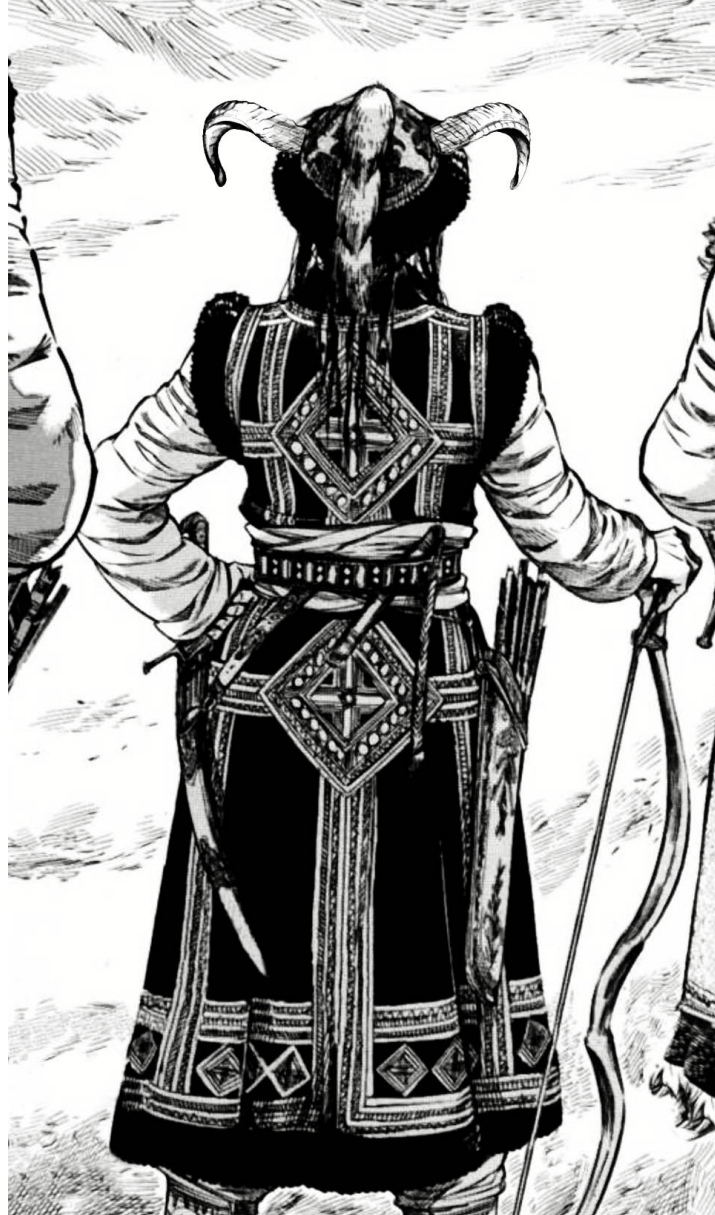


الخلف من الرجل الثاني ألقته أرضاً والدماء تنزف من ظهره بغزارة..

تأمل الرجلان الجاسوس الذي سقط أرضاً والأول يدفع سيفه في عنقه ليقضي عليه في الحال.. ثم نظرا للجاسوسين الآخرين الذين كانا قد تمكنا من الهرب بحصانيهما من المعسكر مثيرين سحابة من الغبار خلفهما.. لم يحاول رجلي الأكاشي اللحاق بهما وأحدهما يقول لرفيقه "لقد هربا أخيراً.. لنذهب لإخبار هاكين بالأمر.."

وغادرا بصمت ودون انفعال لكل ما جرى تلك الليلة..

\*\*\*\*\*



## الفصل العشرون {أتون الحرب}

بعد أقل من أربعة أيام، استطاع الأكاشي أن يروا الجيش العظيم الذي ساقه الملك العربي فارس نحوهم مجتازاً السهول بعزم ودون تردد.. كان منظر تلك الجحافل التي احتلت جانباً كبيراً من السهول في موضع لا يبعد الكثير عن موضعهم سبب لإثارة بعض القلق بين الأكاشي.. لم يكن أحدهم يخشى الموت، كعادة الأكاشي، لكن الهزيمة مرّة، وهم يشعرون أنهم يتجرعونها الآن قبل بدء الحرب بالفعل.. بدا أن الملك العربي قد اتخذ آخر وأكبر الوسائل التي يملكها لغزو الأكاشي والإطاحة بهم، جاراً ما يقارب مائة ألف جندي عربي لهذه المعركة التي يعتبرها الكثيرون الأخيرة والحاسمة، وهذا أثار بعض التوجس في معسكر الأكاشي لم يرغب عن أعين القادة.. عندها تقدم هاكين واعتلى ظهر حصانه ليبدو واضحاً للناظر إليه وسط جموع الأكاشي التي تجمعت وسط المعسكر، فوقف مواجهاً الرجال، وأغلبهم رجال قبيلته، وصاح فيهم "مالي أسمع غمغماتكم وتساؤلاتكم عن جدوى هذه الحرب التي نحن موشكون عليها؟.. هل بدأت ثقتكم تتزعزع لرؤية بضع آلاف من الجنود العرب المتمترسين خلف دروعهم البراقة ومدافعهم الثقيلة؟.. هل أصبح الأكاشي يخافون على حياتهم وتدور أعينهم في محاجرها بذعر؟.. نحن لم نخض المعركة بعد، وها أنتم تنهزمون قبل خوضها بالفعل.."

صمت الرجال بشيء من التردد والحرج وهم يتبادلون النظرات، فأضاف هاكين "إن كنتم تنتوون الانخدال في وجوه أعدائكم، فأخبروني بذلك منذ الآن.. سأسحب رجالي وأعود لمخيمني دون أن أخسر روحاً أو أفقد دابة مما نملكها.. وعندها، عليكم تحمّل الذل والحزي الذي سيلحقكم عندما يبسط الملك العربي سيادته عليكم وتصبحوا مجرد تابعين لمملكته وجزءاً متهاوياً من شعبه.."

قال أحد الرجال باندفاع "لا يرغب أحد الرجال بالهزيمة، ولا نرضى بسيادة أحد علينا.."

فقال هاكين "إذن أثبتوا لي ذلك.. سنؤا سيوفكم، واستعدوا لهذه الحرب كما يفعل الأكاشي دائماً.."

ساد الصمت للحظات والرجال يتبادلون النظرات، ثم تجرأ أحدهم ليقول أخيراً "رغم كل ما تقوله، لا يمكننا أن نأمل بالفوز ومعنا تلك المرأة التي تظن نفسها رجلاً.. سنهزم شرّ هزيمة اليوم بالتأكيد.."

بدت الموافقة واضحة على عدد من الوجوه القريبة، فيما أضاف آخر "لقد أصبنا بالنحس بالفعل.. ها هو ستراك قد رحل ساحباً معه رجاله المكونين لثلث جيشنا السابق.. فما الذي سيجري لنا بعد هذا؟"

بدا الضيق والحلق واضحاً على الوجوه القريبة، فلم تتمهل ججي وهي تسرع لتقف قرب هاكين على ظهر الغبراء وتقول بصوت واضح "لقد أصبحت زعيماً بموافقة رجال قبيلتي، ولا أظن أحداً يستطيع أن يصفهم بالضعف أو الخنوع أبداً.. بل هم من خيرة رجال الأكاشي.. ومنذ أصبحت زعيماً على قبيلة (أبناء الذئاب)، فإننا خضنا ثلاث معارك مع جيش الملك العربي.. ولم نهزم في أي معركة منها مهما كان عدداً.. ألا يدللكم هذا على عدم صحة القول بأن المرأة هي جالبة للشؤم في مثل هذه المعركة؟"

ثم صاحت "وأنا رجلٌ باعتراف قادور، الزعيم السابق لقبيلتنا والذي ساعد الأكاشي على الفوز في حربهم الأولى ضد الملك العربي.. فهل ستستسلمون لاعتقاداتكم وتنهزمون أمام خوفكم من المرأة، أم أنكم ستثبتون لي، ولأنفسكم، أنكم أقوى من مجرد كلمات لا معنى لها؟.. هل أنا من ستسبب هزيمتكم، أم أنكم ستقتنصون الفوز بسواعدكم التي لا تعرف اليأس أبداً؟.."

بدا شيء من الاقتناع على الوجوه حولها، وبدت صيحات متفرقة تعلو قائلة "الأكاشي لا يهزمهم أحد..". فنظر هاكين للرجال حوله وهو يهتف "يجب أن تكون الغلبة لنا.. ومن رحل، أو ينوي الرحيل، عن معسكرنا هذا فهو الخاسر في النهاية.. هذه معركة فاصلة، فإما أن يندحر الملك الفخور بجيوشه ويعود ذليلاً لمملكته قانعاً بهزيمته المذلة هذه.. وإما أن ينكسر الأكاشي ويعودوا لمخيماتهم أذلاء، ويقبلوا المهانة التي ستصطبغ بها حياتهم وحياة أولادهم ما طال بهم الزمان.."

صاح الرجال بحق "نحن لا نرضى الهزيمة.. ولا نرضى المهانة.."

تعالت الصيحات من جوانب عدة من المعسكر أمامه، فرفع هاكين سيفه عالياً لي جذب انتباههم، وصاح "إذن فلتكن هذه السهول هي مقبرة الجيش العربي.. ولو شربت السهول من دم هذا الملك فستردع بقية الشعوب عن التفكير بنا كلقمة سائغة لهم، وستكف عن التفكير بغزو هذه السهول مدى الأزمان.."

ازداد صياح الجيش الحماسي من حوله والأيدي ترتفع بسيوفها العريضة التي تعكس نور الشمس القوية.. فصاح هاكين ليعلو صوته على صوت الرجال من حوله "الملك العربي يحاول أن يوهم العالم أن الأكاشي ليسوا بالوحشية والقوة التي يعرفها الجميع.. يحاول أن يظهرنا بمظهر الضعيف الذي سينكسر عند أول

لقاء.. لكننا سنثبت له أننا أكثر إرعاباً ووحشية من كل ما تتناقله الأنباء عنا.. فلنثبت له أننا الأقوى.. وأن الأكاشي لا يكسرهم إلا الموت.. والموت هو ما سيدوقونه.."  
وصرخ بقوة "الموت للملك.."

تعالت الصيحات مرددة قول هاكين عشرات المرات وججي تردده معهم بقوة حتى بح صوتها.. انتابها الحماس وهي ترى هذه الجيوش التي لم تشهد مثلها من قبل من رجال الأكاشي يلتقون على أمرٍ واحد ويصيحون بصوتٍ واحد.. كان ذلك ما حلم به طاغار طويلاً، وما حاول قador جاهداً تحقيقه.. وها هو يتحقق أمامها دون أن تتوقعه.. حتى لو لم يكن ولاء هذه الجيوش لها هي وحدها، لكن ما حققته حتى الآن يرضيها.. وما تسعى إليه ستناله مهما طال الأيام.. وجل ما تسعى إليه هو دحر غزو الملك العربي والانتقام لمقتل أبيها وأمها.. أن تعود سهول الأكاشي حرة بيد أصحابها لا ينازعهم فيها أحد أبداً..

\*\*\*\*\*

عندما أشرقت شمس يوم المعركة، بدا أن تلك البقعة من سهول الأكاشي قد أصبحت ذات ثقلٍ نفسي ومركز حشدٍ من الانفعالات المتباينة التي حملتها الجموع العظيمة من الرجال في صدورهم.. عندما التقى الجيشان، لم يكن أحدهما يستطيع رؤية نهاية جيش العدو أو تقدير لمن ستكون الغلبة بنهاية هذه الحرب.. فمن جهة، كان جنود الملك فارس يحدهم الأمل بالفوز لكثرة أعدادهم وحسن إعدادهم وامتلاكهم لذلك العدد الكبير من المدافع والعرادات التي تقذف الصخور الثقيلة، بالإضافة للبنادق والسيوف التي يحملها كل جندي من جنودهم.. ومن جهة أخرى، كانت الثقة طاغية على الأكاشي الذين لا يؤمنون إلا بقوة سواعدهم وجرأة خيولهم على خوض المعارك دون تردد.. لم يكن يهمهم العدد، ولم تكن آلات الحرب تلك تقلقهم، بل ما يقلقهم بالفعل هو انهزام جزء من الرجال عندما يشتد أتون المعركة، وأن ينسب ذلك الخذلان لهم جميعاً.. عندها لن يقدر أحدهم على رفع بصره في وجوه بقية رجال القبائل الأخرى مدى الحياة..

وقفت ججي بفرسها في موقع متوسط من الصف الأمامي للجيش برفقة تبريق وبقية رجالها، فيما أوكلت

أمر العرادات التي أحضرها معهم لكن وأوكلت أمر حماية كين إلى مينار.. لم ترغب بزج هذين الإثنين وسط المعركة، فكين بخبرته البسيطة في القتال، ومينار بعمره الذي يتجاوز الخامسة والخمسين، سيواجهان صعوبة في خوض هذه الحرب بسهولة دون إلقاء نفسيهما في التهلكة.. ورغم أن مينار كان يحتفظ بقواه ومهارته في القتال، لكنه رضخ لإلحاح ججي بالبقاء مع كين وحماية العرادات من هجوم متوقع من الجنود للتخلص منها..

ساد الصمت هذه البقعة من السهول، رغم الحشود المجتمعة فيها، والفريقان يتواجهان بتحفظ كبير بانتظار أن يبدأ أحدهما الخطوة الأولى.. كان الأكاشي بطبيعة الحال يتحرقون شوقاً للانقضاض على أعدائهم، فلا متعة لديهم تتفوق على متعة القتال والتطويح بسيوفهم العريضة ثقيلة الوزن واقتناص أرواح من يعاديهم مهما كانت هويته.. وفي الجانب الآخر، كان الجنود يقفون في صف ثابت بانتظار أوامر قادتهم دون أن يبدو أي حماس أو انفعال عليهم..

في البدء ساد صمت غريب في ذلك الموقع، ثم تعالي صياحٌ فج من جهة الأكاشي بدأ يتعالى شيئاً فشيئاً مصحوباً بالطرق على دروعهم بسيوفهم الثقيلة.. بدا واضحاً أنهم يهدفون لإثارة رعب الجنود بهذا الصياح، ورغم إدراك الجنود هذا الأمر إلا أن ثقة الكثيرين منهم قد بدأت تهتز قليلاً وهم يلحظون التماعه السيوف في الشمس والخوذات ذوات القرون التي اشتهر بها الأكاشي.. ونظراً لأن قلة من الجنود ممن واجه الأكاشي سابقاً قد عاد حياً، ومن عاد لم يكن يحمل حكايات سارة عن مواجهاتهم مع هذه القبائل التي يعدّها العالم همجية، فإن القلق والارتباك الذي بدأ يسري في صفوف الجنود يكون مفهوماً تماماً..

وبعد لحظات قصيرة، بدأ الأكاشي التقدم نحو أعدائهم باندفاع وسرعة دون أن يكف رجل منهم من إطلاق صيحاته أو تخفيف سرعة حصانه، فبدأت الجموع التي تتقدم من الجنود ككتلة واحدة تثير الغبار باندفاع كبير لا يبدو أن شيئاً بقادر على إيقافه.. فصاح قادة الفرق في الجيش العربي بجنودهم "فليستعد حملة البنادق للإطلاق.."

كان حملة البنادق يشغلون الصف الأول في الجيش، وقد استعدوا بالفعل لتلقي ذلك الهجوم بطلقات رصاصاتهم التي تطايرت بغزارة شديدة، فأصابت من أصابته وألقته من على ظهر حصانه، بينما تمكن البقية من ردها بدروعهم المعدنية التي رفعوها أمامهم.. وفي الآن ذاته بدأ إطلاق المدافع الذي استهدف

منتصف جيش الأكاشي، فكانت كل طلقة منها تسقط ما لا يقل عن أربعة رجال بأحصنتهم ليتجاوزهم البقية دون تردد.. ووسط رجاله، صاح تبريق بهم "لا تتوقفوا حتى تلتحموا بالعدو.. لن يتمكن الجنود من إصابتنا بمدافعهم ونحن وسط رفاقهم.."

لاحظ أن ججي تلكز الغبراء مندفعة مع البقية نحو جيش العدو الذي أصبح قريباً منهم، فصاح بها "مهلاً يا جام.. ابق بين رجالك ولا تندفع بهذه الطريقة.."

لكن ججي لم تتأخر وهي تندفع وسط صف الجنود الذين أفرغوا رصاصات بنادقهم سابقاً واستعدوا لجولة جديدة برصاصات جديدة.. فلم تتمهل ججي وهي تلكز الغبراء لتقفز فوق ذلك الصف وتدوس بعض الجنود، فيما طوّحت ججي سيفها في كل من تطاله وهي تدفع الغبراء لتتقدم بين صفوفهم مسببة تخلصاً بينهم، وبانضمامها لعدد من الرجال الذين تقدموا بجرأة وسط جيش العدو، فإنهم كونوا فرجة بين صفوفهم تسمح للأكاشي بالاندفاع وسطها.. ولم يتردد أحد الرجال في اللحاق بهم بتشكيل مشابه لرأس السهم يخترق صفوف الجنود دون هوادة..

ورغم أن المدافع لم تتوقف عن قصف ما تطاله من جيش الأكاشي، لكن أولئك الرجال لم يتوقفوا ولو للحظة لرؤية خسائرهم وللسماع بالقلق والخوف من التسرب لنفوسهم.. ودون تردد، بدأ رأس السهم الذي يشكله الأكاشي بقيادة ججي وتبريق وغيرهما يتوغل أكثر فأكثر في صفوف الجيش العربي، وبدأ الشق الذي يفصل الجيش لقسمين يتسع أكثر فأكثر..

في ذلك الوقت، كانت ججي منشغلة بالمعركة التي سلبت حواسها كلها.. ضربت رأس أحد الجنود بسيفها ففصلته عن جسده، ولم تهتم للدماء التي أغرقت وجهها وهي تستدير لآخر فتطعنه بقوة في ظهره وتسقطه من فوق حصانه.. دفعت نفسها بين الجنود دون أن تعبأ بابتعادها عن رجالها وهي تصيب من تصيبه من الجنود القرييين، ولم تسلم هي أيضاً من بعض الإصابات التي أصابت ذراعها وساقها.. لكنها كانت تصد أغلب الضربات وتشق طريقها بعزم مخترقة صفوف الجنود حتى وجدتهم يتكاثفون حولها.. وقبل أن تراجع، وجدت سيف أحدهم ينغرز في عنق الغبراء ليحجر ججي على الوقوف، فأطلقت الغبراء صهياً متألماً وهي تترنح وتميل جانباً لتسقط على جنبها بعنف.. أسرع ججي تقفز بعيداً عن جسد الغبراء، ثم عادت إليها قائلة بجزع "ما الذي فعلتموه أيها الجبناء؟.."

لكن الغبراء انتفضت انتفاضة أخيرة قبل أن يهدم جسدها تماماً.. وقبل أن تجد ججي الفرصة لإظهار حزنها على رفيقة عمرها التي قضت ما يقارب ثماني سنوات تخدمها بإخلاص، وجدت سيفاً يطوّح أحد الجنود نحوها.. قفزت ججي للخلف وهي تصدّ الضربة بسيفها، ثم انحنت ودفعت سيفها في عنق الجندي القريب قبل أن تراجع بضع خطوات.. كانت لا تزال محاطة بالعديد من الجنود، ورفاقها بعيدون عنها، لكن لحسن حظها لم يكن حولها إلا المشاة من جيش الأعداء بعد أن تجاوزت الفرسان منهم في اندفاعها السابقة.. لذلك لم يكن صعباً عليها أن تندفع نحو هؤلاء الجنود دون أن تخشى كثرتهم مقارنة بالتوتر العارم البادي في أعينهم، فرمت سيفها نحو أقربهم ليقطع سيفها الحاد يده من الرسغ.. عندها أسرع ججي تتناول سيفه الذي سقط غير عابئة بصياح الجندي المتألم، وبسيفين في كل يد اندفعت نحو أعدائها تضرب وتصدّ ما يوجه نحوها من ضربات مثيرة ذعر الجنود القريبين الذين تراجع أغلبهم للخلف..

كانت مشاعر ججي قد تجمدت وما عادت تفكر إلا في القتل والتغلب على أعدائها بأي وسيلة كانت.. ما عادت تخشى مما قد يصيبها، وانصرف تفكيرها عما جرى لفرسها العزيزة ولما قد يجري لبقية رفاقها وهي تدفع نفسها دفعاً بين الجنود تقتل كل من تطاله يدها.. ولما قفزت نحو أقرب الجنود منها، رأتها يسقط للخلف وهو ينظر لها بذعر وانهار متناسياً السيف في يده والدرع في اليد الأخرى.. كان ذعره عنيفاً بشكل بدا لها يفتقر للمنطق، لكنها لم تحاول تحليل الأمر وهي تغمد السيف في عنقه وهو الموقع الوحيد المكشوف من درعه الحديدي.. ثم نهضت بسرعة لتصدّ ضربة من جندي آخر وتطوّح سيفها بيدها اليسرى نحو أقربهم إليها، عندما سمعت صياح أحد الجنود القريبين وهو يسقط بضربة رمح اخترقت درعه من الخلف وأسقطته ميتاً..

وجدت ججي في تلك اللحظة تبريق يقترب منها على ظهر حصانه برفقة عدد من الرجال، وقد تمكنوا من التخلص ممن يحيطها من الجنود وشكلوا دائرة حولها للحمايتها.. وسمعت تبريق يقول بصوت يعلو على صليل السيوف ودوي المدافع البعيدة "ما الذي دفعك للابتعاد بهذه الصورة وحيداً؟.. ابق بين جنودك فلا نملك الفراغ للحمايتك في كل مرة.."

تساءلت ججي وهو يردفها خلفه على ظهر الحصان "ما الذي تطوّر في المعركة؟.. هل أرسل هاكين

الإشارة؟"

أجاب تبريق بتوتر "ليس بعد.. ولا يزال فارق القوة بيننا وبين العدو كبيراً بوجود هذه المدافع وبعدهم الذي لا يزال يفوق أعدادنا.."

قالت ججي بحنق "لا يمكننا أن نستسلم الآن.. ما الذي يفعله هاكين حتى الآن؟.."

فأضاف تبريق "لا أدري.. لكن الهزيمة ستطالنا لو لم نتدارك الأمر ونهزم أعدائنا بأسرع وقت ممكن.."

كان الجنود قد استعادوا تنظيمهم وهجموا على الأكاشي الذين توسطوا الجيش بقوة، وفي الآن ذاته لاحظ الأكاشي ذلك العلم الأحمر الذي ارتفع على رمح أحد رفاقهم أعلى تلة قريبة حيث يقف هاكين مع رجاله ممن بقوا لمراقبة المعركة وتسييرها من بعيد.. ومع هجوم الجنود، وتلك العلامة التي تعني الانسحاب السريع، تراجع الأكاشي بشيء من السرعة محاولين تقليل الخسائر قدر استطاعتهم.. تراجعت ججي مع الرجال الذين أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم وأحد الرجال يقول "لا تتعد هذه المرة يا جام.. ابق بيننا لتمكن من حمايتك.."

فقالت بتقطيعة "ليس عليكم الانشغال بحمايتي.. الحرب التي نواجهها أهم من الانشغال بأمر شخص واحد.."

علق تبريق قائلاً "هذا لا يعني أن نتجاهل أمر زعيمنا الطائش الذي لا يحسب حساباً لأي خطر.."

صمتت ججي دون تعليق هذه المرة.. وتساءلت في سرها إن كان لكل ما يفعلونه أي جدوى في هذه الحرب..

\*\*\*\*\*

مع هجمة الجنود، تراجع الأكاشي بصورة سريعة وقد بدا أن أيديهم كلت من تطويح تلك السيوف الثقيلة، وخفتت حماسة الأحصنة التي كانت تندفع سابقاً شاقة طريقها في صفوف الأعداء.. ومع تراجع الأكاشي، ازدادت حماسة الجنود الذين وجدوا الفرصة مواتية للقضاء على أعدائهم بضربة أخيرة ودحروهم بشكل كامل.. ورغم محاولة القادة ضبط فرق الجنود لئلا تندفع بشكل أعمى وسط الأكاشي، لكن السيطرة على



الجنود كانت صعبة في تلك اللحظات واللهفة تغمرهم للتقدم بأسرع ما يمكن..

ومع تقدم الجنود، توقفت المدافع التي كانت تطلق قذائفها في مناطق عشوائية بين الأكاشي، خشية إصابة جنودها بنيران القذائف تلك.. وبذلك، بدأت فرجة واسعة تبدو بين صفوف الجنود الذين تقدموا بحماس وبين صف المدافع التي لا يقل عددها عن عشر، ومن خلفها عسكر الملك فارس وسط فرقة من أقوى جنوده وهو يمتطي ظهر حصان أبيض اللون..

راقب الملك فارس سير المعركة وسط جنوده بصمت، فيما قال أحد معاونيه بابتسامة ظافرة "هذا نصرٌ سريع سنحققه دون شك.. يبدو أن الحظ حليفنا هذه المرة.."

غمغم الملك "ربما.. لكن لم يبدو لي تراجع الأكاشي غير مقنع؟.."  
 علق معاونه قائلاً "أظنهم يقتادون جنودنا لفخ؟.. السهول منبسطة بشكل شبه تام، فما الفخ الذي هيأه الأكاشي لنا؟.."

قال الملك بتقطعية "لا أدري.. لكن أصدر أمراً بتوقف تقدم الجنود.."

قال المعاون بقلق "لكن يا مولاي.. قد نخسر فرصتنا للقضاء على الأكاشي بضربة أخيرة.."

فقال الملك "خسارة فرصة خير من خسارة جيش بأكمله.. لو كان الأكاشي ينوون الهرب، فقد انتصرنا عليهم بذلك.. ولو كانوا ينوون الهجوم علينا بعد استعادة ترتيب جيشهم، فسنكون متأهين للقائهم.."  
 لم يعترض المعاون هذه المرة وهو يتقدم لإلقاء أمره للجنود، عندما رأى بعضاً من جنوده الذين يقومون بإعداد المدافع يسقطون بضربة سهم يتفوق حجمه على حجم السهام المعتادة..

تلقت المعاون حوله بدهشة ليجد عدداً أكبر من السهام تشق الهواء وهي تقضي على عدد من الجنود في كل ضربة، مستهدفة الجنود الذين أوكلوا بالمدافع بالذات.. صاح المعاون وهو يتراجع بحصانه بسرعة "احموا الملك.. أبعده عن مرمى تلك السهام.."

تراجع الجنود بالملك للخلف بعيداً عن مرمى تلك السهام، فيما تلقت المعاون عابساً بحثاً عن مصدرها.. فمن موقع قريب، تخفيه الشجيرات الكثيفة، وضع الأكاشي العرادات التي يملكونها موزعة على مسافة محدودة، وربضوا بصمت بانتظار اللحظة المناسبة للتخلص من المدافع بالقضاء على الجنود الموكلين بها.. وباستخدام السهام الخشبية التي تتفوق على السهام العادية حجماً بعدة أضعاف، كانت العرادات تحصد

عدداً من الجنود في كل ضربة والسهام تتطاير بغزارة من العرادات وتتابع كثيف..  
تتابعت الإصابات بين الجنود الذين حاولوا إدارة المدافع نحو ذلك الموقع للتخلص من العرادات بضربة واحدة، لكن الأكاشي لم يمنحهم الفرصة لذلك وكين يقول لمن قربته من الرجال "لا تتركوا لهم الفرصة لاستخدام إحدى تلك المدافع.. بطلقة واحدة يمكنهم القضاء علينا بشكل تام.."  
في تلك الأثناء، كان المعاون يقف قرب أحد المدافع صائحاً بجنوده "أطلقوا النار على تلك الشجيرات.. تخلصوا من هجوم الأكاشي بأسرع ما يمكن.."

كان الجنود يديرون المدفع الثقيل محاولين توجيه فوهته نحو الشجيرات التي يختبئ خلفها الأكاشي، عندما طار نحوهم سهمٌ مشتعل بسرعة كبيرة، وفور ارتطامه بالجنود تبعثرت المادة سريعة الاشتعال التي تحملها الجرة الفخارية بسرعة البرق لتنتشر النار في جماعة الجنود المحيطين بالمدفع دون هوادة.. تعالت صيحات الجنود في ذلك الجانب فيما حاول الآخرون إطلاق مدافعهم نحو العرادات دون الالتفات للإصابات التي أصابت رفاقهم.. ففي حمى المعركة، يكون الالتفات للجري والمصايين نوعاً من الترف الذي لا يمكن تحقيقه..

صاح المعاون بجنوده وهو يتراجع بعيداً عن النيران والجنود الذين سقطوا يتلوون من الأمر، فيما تطايرت السهام المشتعلة في جوانب المكان دون هوادة.. وقبل أن يتمكن الجنود من صد الهجوم بمدافعهم، تعالي غبارٌ من تلك الناحية المواجهة لهم مصاحبٌ لصوت حوافر تلك الأرض دكاً بحيث أثار انتباه الجميع.. تجمد الجنود في مواقعهم بصدمة وعدم استيعاب وهم يراقبون الوضع، فيما غمغم المعاون بصدمة "ما هذا؟....."

كان جلّ الجيش العربي قد تقدم مبتعداً عن هذا الموقع ملاحقاً الأكاشي الهاربين.. ومن موقع قريب من مؤخرة الجيش، ظهرت فجأة فرقة كبيرة من الأكاشي تقارب عشرة آلاف تتقدم بإصرار مثير الغبار في المكان لشدة ركضها وسرعتها.. وفي مقدمتهم، كان ستراك على ظهر حصانه رافعاً سيفه الطويل الذي يتفوق على سيوف البقية حجماً و ضخامة.. فقال المعاون بشحوب "أهذه هي الفرقة التي أشاع الأكاشي أنها انسحبت؟.. أكانت تلك خدعة إذا؟"

وصاح بالجنود وهو يتراجع إلى موقع الملك "احموا الملك.. اقصفوا هذا الهجوم.."

كان الجنود قد تمكنوا من توجيه أحد المدافع نحو الأكاشي، وخلال وقت قصير، كانوا قد جهزوا المدفع بقذيفة جديدة واستعدوا لإطلاقها، عندما فوجئوا بسهم مشتعل يطير نحوهم مسقطاً عدداً من الجنود المحيطين بالمدفع.. لكن آخرين قد تمكنوا من إطلاق مدفع آخر، فأطاحت القذيفة جانباً من الهجوم الذي استمر رغم ذلك متجاوزاً من سقط منهم أرضاً..

فصاح المعاون من جديد "أطلقوا المدفع مرة أخرى.."

قال أحد الجنود بارتباك "سيدي.. انظر خلفك.."

التفت المعاون بسرعة ليرى من بين الغبار المتطاير صفّاً آخر من الخيول يتقدم من الجانب الآخر نحوهم، عندها أدرك المعاون أن ما نقله الجواسيس إليهم عن انسحاب ربع جيش الأكاشي كان خدعة بالفعل، وهدفهم واضح وضوح الشمس.. ها هم العشرون ألف رجل يتقدمون من مؤخرة جيشهم لتطويقه وليسقط الجنود بين شقيّ الرحي، عندها صاح المعاون وهو يعود للملك "مولاي.. عليك الفرار من هذا الموقع.."

قال الملك فارس مقطباً وهو يراقب الخيول التي تقترب منهم بشكل حثيث "كيف يمكن ذلك؟.. أتعني أننا هزمنا بالفعل؟"

قال المعاون بتوتر "ليس هذا ما أعنيه.. لكن مع تقدم هذه الخيول منا، سيفصلوننا عن بقية الجيش، وسنغدو لقمة سائغة لهم.."

سمعوا في تلك اللحظة صياحاً يتعالى من مقدمة الجيش، واقترب منهم أحد الجنود على ظهر حصانه وهو يصيح "مولاي.. لقد عاد الأكاشي للهجوم علينا.. ومع هذا الهجوم القريب من الجانبين، فإن جنودنا قد أصبحوا في قبضة الأكاشي بشكل تام.."

قال الملك بسخط "كيف يمكن أن يهزم مئة ألف من الجنود بيد هؤلاء الهمج؟"

فقال المعاون بقلق "مولاي.. لا يمكننا أن نتحمل خسارتك أنت، فسيضيع الهدف الذي لأجله يقاتل الجنود.. عليك الابتعاد لموقع آمن، حتى يتمكن جنودنا من هزيمة الأكاشي بالفعل.."

نظر الملك للجانبين حيث اقتربت جحافل الأكاشي منهم وصياحهم يمتزج مع التماع سيوفهم التي يرفعونها بتهديد واضح لترسم لوحة تسبب التوتر لكل من يراها.. فقال الملك بحزم "سأفعل ذلك.. لكن

عليك أن تقود الأمور بنفسك الآن.."

نظر له المعاون بتوتر وشيء من الصدمة، فيما أضاف الملك "ولن أرضى بالخسارة بتاتاً.. أسمعني؟"

قال المعاون أخيراً "ثق بي يا مولاي.. سأبذل جهدي لنتصر هذه المرة.."

وصاح بالفرسان القريبين "رافقوا الملك لموقع آمن، واعملوا على حمايته بشكل تام.."

أدار الملك لجام حصانه، ولكزه مبتعداً عن هذا الموقع، فيما لحق به الفرسان وهم يحيطون به وعددهم لا يقل عن ثلاثين فارساً.. فأدار المعاون بصره فيمن حوله زافراً وهو مدرك أن فرصتهم بالفوز تتناقص مع مرور اللحظات.. ثم اندفع عائداً للجنود وهو يصيح بهم "ادفعوا الأكاشي بعيداً.. بادروا أنتم بالهجوم ولا تسمحوا لهم بأن يغلقوا الحلقة حولكم.."

أطاعه الجنود وهم يندفعون نحو ذلك الهجوم الجديد بكل قوة.. لكن رجال ستراك المتعطشين للقتال بعد طول انتظار قد تمكنوا من دفع هجوم الجنود بكل قوة وهم يتقدمون بخط طويل مائل حتى التقى طرفاه برجال الأكاشي الذين ينتمون للقبائل الأخرى بالفعل.. وفور أن اكتملت الحلقة المحيطة بجيش الجنود، بدأت المذبحة بالفعل.. فمن كل الجهات، بدأ الأكاشي بالقتل والنحر وفصل الرؤوس بكل سرعة ودون تردد.. حوَصر الجنود بشكل تام رغم كل محاولاتهم، ورغم مقاومتهم، كان الأكاشي يتقدمون منهم بثبات وإصرار، وتوحدوا في عمل واحد وهدف واحد، وكأنها يدا رجل واحد، لا أيدي ما يقارب ستون ألفاً من الرجال.. ورغم تساقط الجثث بغزارة، صاحبها جثث بعض الأكاشي الذين تمكن الجنود من اصطيادها، لكن الرجال لم يتوقفوا أو يخامرهم تردد فيما يفعلونه.. فحياتهم، وحياة أبنائهم، وماشيتهم التي هي أغلى ما يملكونه، وخيامهم، بل تاريخهم ومستقبلهم كشعب ذو كبرياء لا يوازيه شعبٌ آخر.. كل هذا وأكثر كان على المحك في هذه الحرب، بينما لم يكن الجنود ليخسروا أكثر من حيواتهم، ولم يكن الملك ليخسر أكثر من جنوده وأمواله التي يمكن تعويضها.. لذا كان الفارق مهولاً بين عزيمة الفريقين، وكانت اندفاعية الأكاشي قوية لا يمكن ردعها رغم تصايح قادة الفرق ومعاون الملك الذي استلم الأمور بعد ابتعاد الملك فارس..

لكن لم يلبث المعاون أن صمت للأبد مع ضربة رمح أصابته في مقتل، ولم يبق إلا الصراخ والصياح المرتعب، والجثث المتناثرة التي لا تكف عن نرف دماؤها بغزارة، والأعين الملتمة بحماس أقرب للوحشية

في عيون الأكاشي بلا استثناء..

ومن موقعه فوق مرتفع صخري يقع على شيء من المبعدة من ساحة المعركة، وقف الملك فارس يراقب المعركة التي تحولت لمذبحة خالصة في لحظات قليلة.. راقب جثث جنوده التي تساقطت رغم مقاومتهم المستميتة، وغمغم بغیظ لا يحمل أي رائحة ندم أو أسى لمن مات بسببه "تباً لهؤلاء الهمج.. ألا يمكن كسرهم بأي وسيلة كانت؟.."

قال أحد الفرسان بتوتر "لم تسمح لنا بالمشاركة في هذه المعركة يا مولاي؟.. نحن فرقة خاصة ذات تدريب عالٍ، ويمكن لكل فرد منا أن يقضي على خمسين رجلاً من هؤلاء الرعاة، ونحن أكثر خبرة بالتأكد من فرق الجنود ذات التدريب والخبرة الأقل شأنًا.."

قال آخر باستياء وهو يراقب ما يجري "كان من المفترض أن نبدأ بنزال زعماء تلك القبائل بشكل فردي.. وعندما نتخلص منهم، وهذا ما سيحدث دون شك، سيغدو الخلاص من رعاياهم أسهل بالتأكيد.."  
جز الملك فارس على أسنانه للحظات، ثم قال بصرامة "لا.. دوركم لم يحن بعد.. لكنه سيحين قريباً.."  
وأدار حصانه مغادراً وهو يضيف بغضب عارم "قريباً جداً بكل تأكيد.."

لكز حصانه ليركض متجاوزاً ذلك المرتفع وطاويماً السهول في الاتجاه الآخر يتبعه الفرسان بصمت ودون اعتراض.. فابتعدت تلك الفرقة الصغيرة دون أن يلتفت الملك فارس خلفاً ولا لمرة واحدة بعدها..

\*\*\*\*\*

مع تهاوي آخر جندي من جنود الملك فارس، كان صياح الأكاشي فرحاً بالنصر يصم الآذان كعادتهم.. اعتاد الأكاشي على التعبير عن فرحهم وغضبهم وكافة انفعالاتهم بأوضح صورة ممكنة، وهو ما يثير دهشة الناظر إليهم في العادة.. تعالى الصياح وآلاف الحناجر تردده بلا انقطاع لوقت طويل، فيما اندفع بعض الرجال لممارسة طقس مهم بعد نصر كهذا، وهو يتمثل في تقطيع بعض الجثث والتهام جزء من أعضائها الداخلية مثل القلب أو الكبد، موقنين أن هذا سيمنحهم القوة للنصر على أعدائهم في كل مرة دون شك..  
وقفت ججي بصمت تتأمل ساحة المعركة التي سادها اللون الأحمر والدماء الغزيرة تتشربها الأرض

بسرعة وشراهة.. لم يكن مثل ذلك المنظر ما يثير مشاعرهما، لكنها تعشق النصر وما يتبعه من شعورٍ بالفخر للمكان الذي تنتمي إليه.. وفي كل مرة تقف فيها في مثل هذا الموقف، تراودها الأفكار عن حالها لو لم يكسر قادور قوانين الأكاشي التي تحرم على المرأة حمل السيف وركوب الخيل.. في كل مرة تراودها الأفكار عن حالها لو ظلت مجرد امرأة بين جموع النساء اللواتي يبقين في المخيمات بقلق بانتظار أخبار الرجال في مثل تلك المعارك.. وفي كل مرة تشعر بسرور لأنها ليست معهم في مثل تلك الأوقات..

ومن بين الصياح المتعالي حولها، والنصر يرسم ابتسامات ظافرة على الوجوه القريبة، وجدت ججي ستراك يقترب منها بسيفه الذي يقطر دماً، وفكه الذي ينافس سيفه في الدماء التي تغرقه، وقال بتعجب "مالي أراك لا تفعل ما يفعله البقية يا جام؟.. عند النصر، لا بد للأكاشي التهام أجزاء من أعضاء أعدائهم وهو طقس مهم من طقوسنا.. ألسنتَ رجلاً؟.. أم أن قلبك المرهف لا يحتمل ذلك؟.."

نظرت ججي لابتسامته الساخرة، لكنها لم تشعر بأي غضب لرؤيتها وهي تبتسم معلقة "لا أظنني أحمل قلباً مرهفاً بعد أن أكلت قلب أبي للوصول للزعامة.."

وأضافت وهي تراقب الرجال من حولها "ولكن هذا هو الأمر الوحيد الذي أخالف الأكاشي فيه.."  
تساءل ستراك بسخرية "ولمَ ذلك؟.."

نظرت له بثبات قائلة "أنا أثق أن الأكاشي هم أقوى وأشجع شعب على الأرض، والجثث أمامي أكبر دليل على ذلك.. لذا لا يقتعني منطق التهام أجزاء من الضحايا الذين سقطوا بأيدينا زعماً بأن ذلك يزيدنا قوة.."  
وأضافت بثقة "لا يمكن للضعيف أن يزيد القوي قوة بالفعل.. أليس كذلك؟.."

صمت ستراك وهو يلقي عليها نظرة تعجب، ثم التفت لبقية الرجال معلقاً "هذا حق.. لكن لا أظن أنك تستطيع تغيير هذه العادة بين الأكاشي.."

وجدت ججي في تلك اللحظة يداً تجذبها، ورأت تبريق القريب يقول بتوتر لا محدود "جام.. أنت بخير؟"  
قالت ججي بابتسامة "أجل.. كما ترى.. ويبدو لي أنك بخير أيضاً...."

قاطعها تبريق قائلاً بتوتر "مينار قد أصيب....."

صمتت للحظة بصدمة، فيما أضاف تبريق "لقد عثرت عليه مصاباً في جانب الساحة، ويبدو أن إصابته بليغة بالفعل.. لكنه كان يسأل عنك بإصرار وطلبني بمعرفة ما جرى لك....."

لم تستمع ججي لما يقوله وهي تغادر راكضة نحو الموضوع الذي أشار إليه في حديثه.. شعرت بشيء من الذعر للقلق البادي في وجه تبريق، وأدركت من نظرة عينيه أن جرح مينار ليس بالشيء الذي يمكن الاستهانة به.. وفي موقع بعيد، استطاعت أن تتبين مينار بين العديد من الجثث التي افترشت الموقع لرجال الأكاشي وللجنود على حد سواء.. ووسطهم، رأت مينار يجلس مستنداً على صخرة بجرح عميق في صدره سألت الدماء منه بغزارة دون توقف، بينما ركع كين قربه وهو يضغط على جرحه بقطعة قماشية.. أسرعت ججي إليه بارتياح وهي تقول "كيف حدث لك ذلك؟.."

نظر لها مينار بصمت، بينما قال كين بقلق "لقد تركني وانضم إلى جيش ستراك في هجومه الأخير رغم معارضتي.. وبعد هدوء الأوضاع بشكل نسبي، انطلقت بحثاً عنه، فوجدته قد أصيب إصابة بالغة.."

قالت ججي بقلق عارم وهي تزيح كين "يجب أن نوقف النزيف قبل أن يقتله.."

ضغطت على الجرح بقوة وتلفتت حولها بحثاً عن حصان قائلة بتوتر "علينا العودة للمعسكر.. يمكن ببعض العناية أن نعالج هذا الجرح قبل أن تسوء حالته.."

غمغم مينار بصوت متعب "لا داعي لذلك.."

قالت باعتراض "كيف تقول ذلك؟"

وصاحت بكين القريب "اذهب وأحضر لي حصاناً.."

انطلق كين لتنفيذ قولها على الفور، فيما نظرت ججي للجرح وهي تضيف بقلق شديد "النزيف لا يكاد يخفت.. ما الذي سأفعله الآن؟"

أمسك مينار يدها مغمماً "ججي.. لم يعد أي داعٍ لهذا الانفعال الآن.."

صدمت ججي لذلك وهي تحديق في وجهه المتعب، ثم قالت باعتراض "لا.. ستكون بخير بكل تأكيد.. ستكون كذلك ببعض العناية.."

لكن مينار ضغط على يدها بحزم أشد وهو يقول "ججي....."

في المرة الأولى، ظنت أن سمعها خانها وهي تسمعه يناديها بهذا الاسم، لكن الآن مع تكراره له فإنها تيقنت من تعمد ذلك، فقالت بصوت مرتجف "لم تناديني بهذا الاسم الآن؟.."

علق مينار "أليس هذا اسمك الحقيقي؟.."

تزايد ارتعابها شيئاً ما وهي تقول بصوت متهدج "أهذا يعني أنك لا تعترف بي حقاً كجام يا مینار؟.. أنت من تقول هذا من بين الناس جميعاً؟.."

نظر لها مینار مجيباً "أنا لم أركِ كرجل يوماً يا ججي.."

حدقت في وجهه وهي تشعر بتهاوٍ في مشاعرهما بشكل لم تتصوره قط.. كيف يمكن لها أن تهدأ وهي تسمع هذا القول من معلمها الذي قضى خمسة عشر عاماً من عمره في العناية بها وتنشئتها كأفضل ما يكون؟.. ما الذي حققته حقاً إن كان معلمها لم يعترف بها قط؟.. خفضت بصرها بصدمة ظاهرة، فوجدت مینار يمسك يدها بقوة ويقول "أنت كنتِ وستظلين امرأة، لكن لا يجب أن يشعر ذلك بالعار أبداً، وليس أمراً يجب أن تواريه بأي شكل من الأشكال.."

نظرت له دون أن تخفت صدمتها لقلوبه وهو يمسك كتفها ويشدّ عليه قائلاً بحزم "أنت امرأة، لكنك أفضل من كثير من الرجال الذين أعرفهم.. هذا وحده يجب أن تفخري به يا ججي.."

قالت بتلعثم "ولكن.. أنت أنشأتني على هذا.. أنت علمتني أنني يجب أن أكون رجلاً.."

هز مینار رأسه نفيًا وقال "هذا ما أراده لك قادور.. لكن ما أردته أنا أن تكوني قوية، بغض النظر عن جنسك.. أردتك أن تثبتي لذوي العقول المغلقة أن امرأة يمكنها أن تكون أفضل منهم وأقوى وأكثر مهارة.. أن الفأل السيئ الذي يتشدقون به هو وليد خيالهم وأفكارهم العتيقة.. هو إطارٌ وضعوا المرأة فيه بأنفسهم واستنكروه بعد ذلك.."

خفضت ججي بصرها وهي لا تعرف كيف عليها أن تتصرف إزاء هذا القول.. إنه أمرٌ ميسّر صميم أعماقها، ويلمس جرحاً تداريه بالتظاهر بالقوة والشدة أمام الجميع.. هو جرحٌ منشؤه ذلك التساؤل الذي سألته أمها منذ خمسة عشر عاماً.. "لم أنال عقاباً لأنني فتاة حتى لو لم أرغب بأن أكون كذلك؟..". وحتى الآن، لم تحصل على جوابٍ شافٍ لهذا السؤال..

سمعت مینار يقول بخفوت وصوتٍ متعبٍ "آسفٌ لأنني قسوتُ عليك في أيامٍ كثيرةٍ يا ججي.. لكنني كنت فخوراً بك.. لم أكن لأفخر بابنٍ من صلبٍ كما كان حالي معك.. ولست نادماً على لحظة قضيتها في تعليمك وتدريبك لتصبحي ما أنت عليه.."

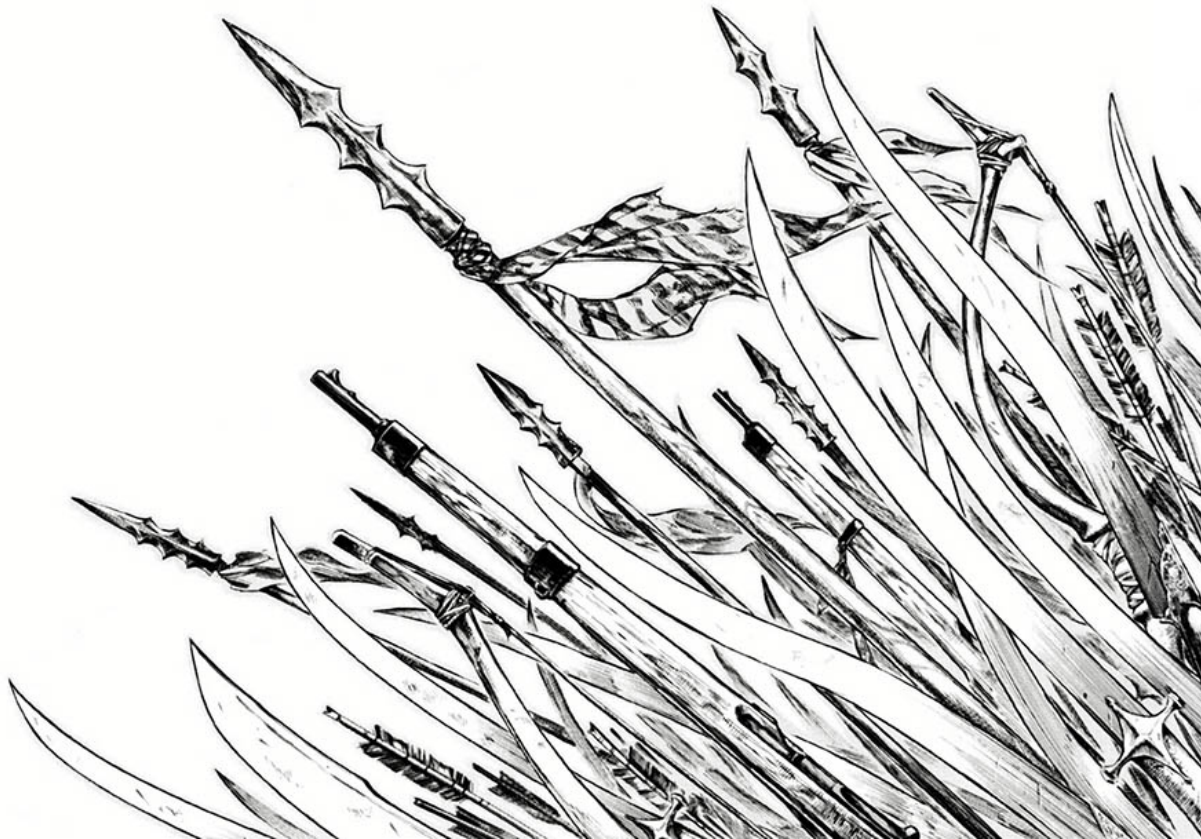
سالت دموع ججي رغماً عنها دون أن ترفع بصرها إليه.. كتمت نشيجها لقلوبه هذا وهي التي تمنّت لو



تسمعه سنوات طوال .. رغم علو منزلة أبيها في عينيها وشعورها بأنها تتمنى لو تصبح مثله وتحظى بفخره وثقته، لكنه لطالما كان بعيداً عنها.. أما مينار، فهو الأقرب إليها منذ اللحظة التي تولّى تدريبها بأمر من قادور.. ولربما كان أقرب إليها من كين بالفعل.. فهو الوحيد الذي تلجأ إليه كلما أهمّها أمرٌ ما وشغل بالها، وهو الذي لم يخيب ظنها يوماً بنصائحه وتعليماته.. لطالما كان محل ثقتها، ولطالما شعرت بالراحة والسرور لوجوده معها في كل خطوة تخطوها.. فكيف لها أن ترد له جميله هذا يوماً ما؟..

رفعت بصرها إلى مينار بعد أن مسحت ما سال من عينيها، لتفاجأ بصمته وسكونه وقد مال رأسه على صدره.. انتفضت ججي وهي تمد يدها بحثاً عن أي نفسٍ يتردد منه، أو نبض في صدره، لكن لم يجاوبها إلا الصمت التام لوقت طويل وهي تحاول إقناع نفسها بأنها واهمة دون شك.. ولما يئست من تغيير تلك الحقيقة انتحبت بشدة وهي تسند رأسها لصدره.. تشبثت بملابسه ودموعها تسيل دون انقطاع.. للمرة الثانية، تفقد ججي أباه.. للمرة الثانية تشعر بطعم اليتم والفقد المرير في حلقها.. للمرة الثانية تجد نفسها وحيدة وسط عالمٍ قاسٍ لن يكون رفيقاً بها بأي حال.. وهذه المرة، اختفى الرجل الذي كانت تستند عليه كلما مالت بها عواصف حياتها، وأصبحت وحيدة بلا سندٍ أو عون.. ولشدة ما كان ذلك قاسياً..

\*\*\*\*\*



## الفصل الحادي والعشرون {المبارزة}

مضت عدة أشهر منذ انتهت تلك المعركة الكبرى بين جيوش الملك العربي وجيوش الأكاشي التي اجتمعت على كلمة واحدة للمرة الثانية في تاريخها.. بعد عودة ججي ورجال القبيلة منتصرين من تلك المعركة، وردت أخبار عن تمكن الملك فارس من الفرار بالقليل من الجنود الذين هربوا معه، وعاد عبر النهر الذي يقطع الجبال القريبة إلى مملكته تاركاً أشلاء مائة ألف جندي من جنوده تسقي تلك البقعة من السهول بدمائها الغزيرة.. ورغم أن ستراك قد أرسل مجموعة من رجاله للحاق بالملك والقضاء عليه، لكنهم عادوا خائبين بعد أن تمكن الملك من الفرار قبل لحاقهم به..

انتقلت قبيلة (أبناء الذئاب) بمخيمها إلى الشمال الذي غدا مزدهراً بعد ذلك الشتاء الطويل واستعاد نضرة سهوله الخضراء.. كانت الليالي لا تزال تحتفظ ببرودتها القارسة، لكن الشمس التي تشرق كل صباح كانت تحمل الدفء والنور الكافيين لإنعاش الطبيعة في ذلك المكان والسهول تزدهر بأنواع مختلفة وكثيرة من الزهور وشجيرات الورد.. فيما بدأت الأشجار تحمل على أغصانها ثمارها بعد أن نفضت عنها ثلوج الشتاء واكتست بالأوراق الخضراء الزاهية..

لريكن إعداد المخيم صعباً على القبيلة التي اعتادت على تكرار تلك النقلة كل ستة أشهر، ولم يمض أكثر من أسبوع حتى كان المخيم معداً لإيواء القبيلة في جوانبه.. وبينما انشغل عدد كبير من الرجال بصيد الطرائد وجز صوف الخراف التي يملكونها، فإن النسوة بدأن عملهن المعتاد في إعداد ما يعود به الرجال من الطرائد وتقديد اللحم الذي يزيد عن استهلاكهم اليومي لتخزينه استعداداً للشتاء القادم.. بالإضافة لمعالجة الصوف بدءاً من غسله وتنظيفه من الشوائب، انتهاءً بغزله في خيوط مختلفة السماكة وتلوينه بما يتوفر من مواد طبيعية لدهن..

بدورها انشغلت ججي بتسيير بعض الرجال نحو المدن القريبة في الشمال محاولة الحصول على تعاون من تجار تلك المدن لتزويدهم بكل ما يحتاجونه من معدات وأدوات لا يستطيعون صنعها بأنفسهم.. واتباعاً لنصيحة كين، أرسلت مع الرجال بعض المنتجات التي تنتجها القبيلة لإهدائها للتجار كمحاولة أخيرة

لا استهالتهم ودفعهم لتناسي الحظر الذي أجبرهم الملك العربي عليه لسنوات.. كان كين موقناً أن تطاول السنوات قد أضرب بمصالح التجار أنفسهم، ولا بد أن يعثروا على واحد أو اثنين منهم قادران على تجاوز أوامر الملك العربي بمنع التعاون مع الأكاشي لإضعافهم..

كانت أمور القبيلة مستتبه في تلك الآونة، ورغم أن الحديث لا يكاد ينقطع عن الحرب التي حققوا فيها انتصاراً ساحقاً زهت له نفوسهم، رغم من خسروه في تلك الحرب من خيرة رجال وشباب القبيلة، لكن الحياة قد عادت لمجراها المعتاد الذي لا يكاد يتغير رغم مضي السنوات على السهول.. وبدأت القبائل الأخرى بالعودة لمناوشاتها القديمة بسبب خلاف على أراضٍ رعوية أو محاولة نيل ثأر قديم..

وفي أحد الأيام، جلست ججي في خيمة مينار مع كين وهي تقول "أتظن أن الملك العربي قد كف عن غزو سهولنا حقاً؟.. ربما كان من الخير لنا أن نرسل من يتقصى الأمر كما أرسل أبي تبريق سابقاً.."

قال كين "هذه هي الخطوة الأكثر أمناً بالنسبة لنا في الوقت الحالي.. لا يجب أن نتناسى مطامع الملك فارس في هذه السهول حتى لو اندحر جيشه منذ وقت قريب.. فهو، خلافاً لنا، لا يعبأ بعدد من قتل من جنوده، إذ يمكنه تعويضهم بسرعة من المدن والقرى التي تقع ضمن ملكه الشاسع.. أما نحن، فخسارة رجل واحد تقلب كفة الموازين في قبائلنا بشكل كبير.."

صمتت ججي وهي تدير بصرها في الخيمة بشكل لم يُفُت كين.. فسألها بعد لحظة صمت "ما الذي قاله لك مينار قبل موته؟.. عندما عدت إليكما، كنت تبكين بشدة بشكل لم أتوقعه منك قط.."

ابتسمت ججي بجانب فمها ابتسامة مريرة وقالت "لقد أخبرني أنه لم يرن قط كرجل.. أتصدق ذلك؟.."

تساءل كين "وهل كان ذلك ما أحزنك؟"

خفضت ججي رأسها محجبة "لا.. لقد أخبرني أنه فخورٌ بي رغم أني امرأة، وبقوله هذا سكن الجزع الذي اعتمر قلبي لفكرة أن أكون قد خذلت معلمي.. لكن فقدانه لم يكن أمراً أستطيع تجاوزه مهما حاولت.."

ثم أسندت ذراعيها للأرض ورفعت بصرها للأعلى قائلة "تباً لك يا مينار.. لقد هربت قبل أن نحصد نتائج جهودنا الطويلة.. لم العجلة للحاق بأبي أيها العجوز؟"

ابتسم كين لتعليقها وهو يراها تنفض الحزن الذي تبدى في عينيها لوهلة، ثم انتبه الإثنان لصياح تعالي من أحد الرجال في جانب المخيم.. كانت أغلب المصائب التي تحمل على القبيلة تبدأ بصياح أحدهم إعلاناً عن

الأمر، فلم يقدر على تجاهل هذا الصياح وهما يغادران الخيمة.. وفي وسط المخيم وجدا أحد الرجال يتقدم منها بعد أن رأى ججي صائحاً "جندي عربي يقترب من مخيمنا.."

رفعت ججي حاجبيها بدهشة وقالت "أهو جندي أم فرقة جنود؟.."

أجاب الرجل مشيراً للأمام "بل هو جندي واحد فقط.. ولا يبدو أنه يبغى قتالنا.."

نظرت ججي لحيث يشير، فرأت جندياً وحيداً يقترب منهم على ظهر حصانه ووقف على شيء من المبعدة..

اقتربت ججي من الموضوع الذي جلس فيه سادر مع كبار رجال القبيلة، وهم يسمعون الجندي العربي يقول بصوت واضح "أنا رسولٌ من الملك فارس إلى جام زعيم قبيلة (أبناء الذئاب).. لدي رسالة خاصة له، وأرجو أن يستمع إليها.."

نهض سادر قائلاً بعصبية للرجال حوله "اقطعوا رأسه.. لا نريد أن نستمع لأي رسالة من ذلك الملك الذي قتل شبابنا في حربٍ لا طائل منها.."

توتر الرسول وهو يقبض لجام حصانه وراودته الرغبة بالفرار في تلك اللحظة، لكن ججي اقتربت قائلة "مهلاً.. فلنستمع لما يقوله الملك أولاً.."

التفت إليها سادر قائلاً بحق "لسنا بحاجة لذلك.. يجب أن يعلم الملك مع أي شعب يتعامل، وما الذي سيحصل عليه عندما يحاول غزو بلادنا.."

قالت ججي بهدوء "أنا أدرك مدى غضبك يا سادر بعد موت ابنك الأكبر، لكن قتل الرسول لن يجعل الملك يخشانا ويتراجع عن هجومه ذلك.. لقد أرسل رسوله وحيداً دون مرافقين، وهذا يدل على نواياه الحسنة بالتأكيد.."

علق سادر بسخرية وضيق "نوايا حسنة؟"

تجاهلته ججي وهي تنظر للرسول قائلة "ليس من اللائق أن تبقى على ظهر حصانك أمام كبار رجال القبيلة.. ترجّل واقترب وأنا أضمن لك أن أحداً لن يمسك بسوء.."

ترجّل الرسول بعد لحظة تردد، ثم اقترب منهم قائلاً "أين زعيم هذه القبيلة؟.. رسالتي هذه موجهة إليه بالذات.."

عقدت ججي ذراعيها على صدرها مجيبة "أنت تنظر إليه بالفعل.."

حدق الرسول في وجهها للحظة، ثم قال بدهشة "أليس الزعيم رجلاً؟.. مما علمته أن اسمه جام.. أليس كذلك؟"

قالت ججي بهدوء "أنا جام زعيم هذه القبيلة.. فهلا انتهينا من هذه المسألة؟" ظل الرسول يحدق في وجهها بدهشة، فانبرى سادر صائحاً وهو يقبض على مقبض سيفه "هل ستحدث عما جئت لأجله أم نقطع رأسك وننتهي من هذا الأمر؟.."

استوقفت ججي سادر قائلة "لا أظنه سيتحدث مع عصيبتك هذه.. اهدأ أرجوك ولنستمع له بهدوء.."

وأشارت للرسول قائلة "اتبعني إلى خيمتي.."

سار الرسول خلف ججي بشيء من التردد، فيما تبعها كبار رجال القبيلة وسادر يغمغم بحقن "هذا مضيعة للوقت.."

علق رجل آخر "لنستمع لما يقوله، ثم نتصرف بهذا الشأن بعد ذلك.."

استقر الجميع في خيمة ججي، بينما وقف الرسول أمامهم وقال بعد أن أشارت له ججي ليبدأ الحديث "لقد أرسلني الملك فارس برسالة وطلب يرجو منكم النظر إليه بجدية.. الطلب الذي يطلبه الملك فارس منكم هو إبرام معاهدة للسلام بين الملك والأكاشي.."

نظر له الرجال بدهشة وصدمة، والرسول يضيف "لقد طالت الحرب نوعاً ما، والملك لا يريد أن يخسر جنوداً أكثر مما فعل.. الأكاشي أيضاً قد خسروا الكثير في هذه الحرب، وربما كان من الخير أن نعقد معاهدة سلام بين الجانبين لنحقق الدماء ويمكن لكل طرف العودة لممارسة حياته دون قلق.."

قال سادر بغضب "أنت تمزح بالتأكيد.."

استوقفته ججي قائلة للرسول "لا سلام بيننا حتى يجلو الملك جنوده عن السهول ويعدنا بعدم العودة إليها.. بغير ذلك، لا يمكننا المهادنة بتاتاً.."

فقال الرسول "لكن هذا لا يحقق أمراً بالنسبة للملك.. سيكون قد خسر جنوده دون أن يجني أي فائدة.."

قالت ججي بحزم "هذا لا يعيننا.. لقد خسرنا خيرة رجالنا فقط لنحافظ على ما نملكه بالفعل، وهو ليس بالشيء الكثير.. لو قارنت سهول الأكاشي بالأرض التي يمتلكها الملك، لرأيت أن هذه الحرب غير منطقية بتاتاً.."

دار الرسول بعينه في وجوه الرجال الحانقين بوضوح، ثم قال "لكن الملك يريد أن يعرض عليكم عرضاً، وهو متأكد أنه سيوافق جميع الأطراف.."

تساءلت ججي "وما هو هذا العرض؟"

أجاب الرسول "لا علم لي به.. إنه يعرض لقاء زعماء أكبر قبائل الأكاشي في موضع سيتحدد لاحقاً، ليحاول التوصل لاتفاق معهم وإقامة هذه المعاهدة التي ستضمن السلام للجانيين.."

نظر الرجال لججي التي صممت مفكرة، ثم انبرى شيتار قائلاً "أنت لا تفكر بقبول هذا العرض.. أليس كذلك يا جام؟"

نظرت له ججي بصمت للحظة، ثم قالت للرسول "أهنك أمر آخر يجب أن تخبرني به؟"

هز الرسول رأسه نفيًا، فقالت له "إذن يمكنك المغادرة وإخبار الملك أنني سأرسل له ردي خلال أيام قليلة.."

فقال الرسول "هناك سفينة ترسو في أعرق نقطة من الخليج الذي يفصل بيننا وبينكم، في موضع قريب من موقع معركة (الليلة البيضاء) التي خاضها الملك ضد الأكاشي.. سنتظر جوابك هناك.."

هزت ججي رأسها، فاستدار الرسول وغادر على الفور عائداً لحصانه.. وفور مغادرته قال سادر باستياء "هذه استهانة بنا دون شك.. كيف يتوقع منا أن نقابل الملك بعد كل ما جرى؟"

نظرت له ججي بصمت بينما قال شيتار "كان عليك رفضه على الفور يا جام.. ليس هناك ما يدعونا للتفكير في الأمر حقاً.."

خفضت ججي وجهها تحديق في الأخشاب السوداء التي تحتل موضع النيران عادة وأفكارها تسرح بعيداً دون أن تسمع كلمة مما يردده الرجال حولها.. حاولت أن تفكر برد فعل أبيها، لو كان حياً، على مثل هذا الطلب، وأن تقرر إن كان عليها أن تأخذ نصائح كبار السن في قبيلتها أم تعتمد على رأيها هي.. في الواقع، كانت ججي تميل للمهادنة بشدة، لو كان ذلك يعني أن تحقن دماء رجال القبيلة وأن تعود قبائل الأكاشي لحياتها الاعتيادية المسالمة، إن صح القول، التي افتقدوها لوقت طويل.. لكن لا يمكنها أن تقبل بهذا الأمر دون أن تعرف بالضبط ما الذي سيجرّه عليهم، ولا يمكنها قبوله دون موافقة بقية زعماء القبائل، وموافقة رجال قبيلتها بالذات..

رفعت رأسها إليهم وهي تسمع سادر يقول "ما الذي يجري يا جام؟.. نحن لم نسمع رأيك بالأمر.."  
 فقالت مديرة بصرها في الوجوه من حولها "ربما يجدر بنا الاستماع لهذا العرض.."  
 نظروا لها باستنكار واضح، بينما قال سادر بحدة "أهذا ما هداك إليه تفكيرك البسيط؟"  
 أسرع تقول "الاستماع للعرض لا يعني قبوله بالتحديد.. فما المانع؟.. ربما لو تمكنت من مقابلة الملك  
 العربي أستطيع معرفة كيفية إنهاء هذا الحرب دون أن نضطر للاستسلام.. مواجهة شخص مع شخص هي  
 أفضل من مواجهة جيش بجيش.. فلننصت لما يقوله، وبعدها يمكننا تقرير ما علينا فعله.."  
 قال سادر بحنق "أرفض ذلك.. لقد خسرتنا الكثير في هذه الحرب، وسعينا وراء عرض الملك هو إهانة  
 لكل من مات فيها.."

قالت ججي "لقد خسرتنا العديد من رجالنا بالفعل.. ورفض هذا العرض يعني أننا سنخسر المزيد أيضاً..  
 لا تنس أن لديك ثلاث أبناء غير من مات بالفعل.. هل ستمنعهم من المشاركة في الحرب عندما تندلع مرة  
 أخرى؟.. أم أنك ستحميهم وتضمن سلامتهم أثناءها؟.."  
 صمت سادر بغضب، بينما قالت ججي للبقية "نحن لن نقبل هذا العرض من الملك إلا إن وافق شروطنا..  
 فما الذي يمنعنا من التفاوض معه في هذا الشأن؟.. كلنا خسرتنا شخصاً مهماً في حياتنا.. لقد خسرتُ أبي  
 وأمي بسبب الحرب، لكن هذا لا يمنعني من السعي لإنهاءها بأي وسيلة كانت.. ولا أظن أبي سيكون  
 سعيداً لو استمرت هذه الحرب وقضت على آخر رجل منا.."  
 قال أحد الرجال بضيق "لقد رفض قادور طلب الملك العربي ذلك عندما التقاه للمرة الأولى، فكيف تظنه  
 سيقبل بما تنوي فعله؟"  
 أجابت ججي بحزم "لقد رفضه أبي لأنه كان يطلب استسلامنا بلا قيد أو شرط.. أما الآن، فالوضع  
 مختلف.."

غمغم سادر بحنق "بل أنت المختلف بكل تأكيد.."  
 نظرت ججي لوجه سادر الحائق، ووجوه الرجال التي لم تحاول إخفاء استيائها لرأي ججي.. عندها دار  
 بذهنها أن هذا الاجتماع لن يسير بالشكل الذي ترجوه أبداً، وأن وقتاً طويلاً سيمر قبل أن تقنع هذه  
 العقول المنغلقة برأيها الذي لا يوافق أهواءهم بكل تأكيد..

بعد انتهاء ذلك الاجتماع، دون أن تصل المناقشات فيه إلا إلى طريق مسدود، غادرت ججي خيمتها واتجهت لخيمة مینار القریبة فدلفتها بصمت على غیر العادة وجلست قرب النار حیث جلس کین وهو یراقبها بتعجب.. ولما طال صمتها تساءل کین "ما الذي جرى مع رسول الملك العربي؟.. لقد رأيتہ یغادر بعد دخوله بقليل.."

زفرت ججي بحدّة، وشرحت له العرض الذي حمله الرسول إليهم، ورد فعل كبار القبيلة على ذلك.. عندها قال کین "أليس ذلك جيداً؟.. بهذه الهدنة، يمكننا أن نمنع المزيد من الحروب ونحظى ببعض السلام على الأقل.."

قالت ججي بحق "من سيسمح لنا بذلك؟.. لقد غضب كبار القبيلة بشدة عندما فكرت في الأمر، وأطلقوا عليّ نعتاً قاسية.. قالوا إنني غرٌ صغير السن ولا أفقه في أمر الحروب شيئاً.. وأن قادور لو كان حياً لا يمكن أن يقبل هذا الأمر.."

وقبضت على يديها بشدة مضيضة بضيق "لقد صرّحوا بأنني غير أهل لهذا المنصب، وأنني سأدفع القبيلة كاملة للموت بهذه الطريقة.."

فقال کین "لكنك أثبت نفسك ومهارتك طوال الشهور الماضية، ولم تعودي بحاجة لفعل ذلك من جديد.."

نظرت له ججي بصمت وهو يضيف "لو كان رأيك قد تصادم مع رأي البقية، فهذا لا يعني أنك مخطئة أو لا تفقهين شيئاً.. فلا تدعي قولهم يؤثر فيك.."

تساءلت ججي "أهذا يعني أنك مع رأيي بقبول هذا العرض؟.."

أجاب کین "هذا لا يعني أن تقبلي العرض دون أن تعرفي عواقبه.. يجب أن تختاري بحكمة، لا أن تسعي خلف الهدنة مهما كانت ستظلم الأكاشي.."

قالت ججي "لكنني لا أعلم شروط وجوانب تلك الهدنة بعد.. لقد طلب مني الملك مقابلته عندما أوافق على ذلك، ووقتها سنناقش الأمر ونعرف ما الذي سنعاهد عليه.."

ارتفع حاجبا کین بدهشة، ثم قال بقلق "هل يطلب مقابلتك دون أن يخبرك بشروط تلك المعاهدة؟.."

هزت رأسها نفيّاً مجيبة "لا.. لقد أفصح عن رغبته بإبرام تلك المعاهدة، ومناقشة شروطها وجهاً لوجه معه



ومع بقية زعماء القبائل.."

عندها قال كين "لكن هذا ليس في صالحكم بالتأكيد.."

تساءلت ججي بدهشة "لم؟.. لقد كنت مع تلك المعاهدة قبل قليل.."

أجاب كين "لا أدري.. أشعر بدهشة من طلب الملك لقاءك.. لو أنه أخبرك بكل جوانب المعاهدة، فهذا يدلنا على أنه يسعى لإتمامها حقاً.. لكن هذا الاستدعاء من جانبه لا يعجبني.."

قالت مقطبة "لم؟.. ألا تشرح لي ما الأمر؟.."

تردد كين للحظة، ثم قال "الأكاشي لا يحظون باحترام بقية الشعوب، ولا يعتبرونهم إلا بضع قبائل همجية لا يعبأ بها أحد رغم قوتهم.."

قالت ججي بضيق "كيف يمكنك قول ذلك؟"

أسرع كين يقول "هذا هو الواقع.. وما أريد إيصاله لك أن الملك لن يتنازل للقاء زعيم قبيلة لا يعتدّ بها العالم كله.."

قالت ججي بحزم "لأننا أذقناه الهزيمة وهو يريد أن يحفظ جيوشه وماء وجهه أمام العالم.."

قال كين بتوتر "هو لا يريد الهزيمة بالتأكيد، لكنه يعتبر نفسه ملك مملكة كبيرة وعظيمة، فحجمها يتجاوز حجم الممالك الأخرى بشكل كبير.. لذلك، لو فكر بالتنازل ومقابلة زعيم قبيلة صغيرة، سيكون ذلك مذلاً له بشدة.. وتصغيراً له أمام بقية الممالك.."

ظلت ججي تستمع له بضيق وتساءلت "ماذا تعني؟.. هل أرفض لقاءه بسبب شكوكك هذه؟"

أجاب كين "لا بد من وسيلة أخرى لمعرفة شروط تلك المعاهدة دون لقاء الملك بشكل شخصي.. يساورني شك بأنه سينصب لكم كميناً للتخلص منكم ومن مقاومتكم له بضربة واحدة.."

غمغمت ججي "لا يمكنني ألا أفكر بالخسارة التي سنخسرها والحروب التي سنخوضها لو رفضنا عرض الملك.."

ونظرت إليه قائلة "سأفكر بالأمر جيداً.. لكنني لن أخشى الملك، ولن أرفض العرض فقط خوفاً على نفسي.."

ونهضت مغادرة الخيمة.. فزفر كين متمتماً "أخشى ما أخشاه أن تندفع ججي لهذا العرض الذي لا يمكنها

مقاومته.. لكن كيف أقنعها بالعكس؟.. ما الذي كان مینار سيفعله لإقناعها لو كان موجوداً؟.."

دار ببصره في خيمة مینار التي أصبحت خالية بعد موته.. ثم عاد كين يزفر بضيق وهو يخفض رأسه بصمت.. مع غياب مینار، تقطع خيط آخر من الخيوط التي تشده هذه القبيلة.. وبقيت ججي الوحيدة التي تجعله يتشبث بالبقاء في هذه السهول التي لا تعرف الهدوء.. ولو جرى لها أي أمر، فهل سيستمر في العيش في هذه السهول وحيداً؟.. أم أنه سيرحل محاولاً تناسي السنوات الست التي قضاها في ربوعها ومصيره الذي تشابك مع مصير القبائل فيها بأكثر مما توقع في السابق؟..

الأهم من تفكيره بمصيره، التفكير بما قد يجري لججي في هذا اللقاء.. هذا طعم واضح، وججي الساعية للخلاص من هذا الحرب ستلتقط الطعم بأسرع مما يتوقع الجميع.. لكن كيف يقنعها بغير ذلك؟..

\*\*\*\*\*

بعد أيام قلائل من هذا الحدث، وقبل أن تتمكن ججي من التوصل لحلّ يلائم جميع الأطراف، فوجئت برؤية رسولٍ من هاكين زعيم قبيلة (طاغار).. وكانت الرسالة تتلخص في إبلاغها بطلب الملك فارس إقامة عهد سلام مع الأكاشي، وقبول هاكين وقبيلته هذا الطلب مع بعض الشروط..

كان هاكين قد أرسل رسالة مماثلة لعدد من القبائل الكبيرة في السهول، مثل قبيلة (الغربان) و(جروان) و(عين النسر).. وهي أكثر القبائل تأثيراً في هذه السهول، لذلك شعرت ججي بشيء من الغبطة لأن هاكين قد وضع قبيلتها في موقع متساوٍ مع تلك القبائل الكبيرة.. وهذا يعني أنها نجحت في رفع مكانة قبيلتها بعد أن انحدر مستواها بين القبائل كثيراً بعد موت قادور وتوليها الزعامة..

ورغم كل اعتراضات كين، فإن ججي لم تتوان عن إعلان رأيها أمام سادر وبقية كبار القبيلة قائلة "لقد اتخذت قراري.. بما أن هاكين قد أعلن قبوله هذا العرض من الملك العربي، فهذا يعني أن قراري لم يجانب الصواب.. سأرسل لهاكين أعلن عن موافقتنا على ذلك العرض، وسأنضم إليه في اللقاء الذي سيجمع فيه مع الملك العربي.."

قال شيتار بغير تصديق "أأنت مقتنع بهذا الأمر؟.. هاكين لا يزال حديث عهد بالزعامة، لذلك لا تغتر"

بآرائه ولا تتبعه بشكل أعمى.."

قالت ججي بثبات "لقد أثبت هاكين نفسه في المعركة التي خضناها مع الملك العربي، وأنا أثق به وأثق برأيي في الوقت الحالي.. وكما أخبرتكم، لا أنوي قبول ذلك العرض قبل معرفة كل جوانبه وما يعنيه لنا ولجميع قبائل الأكاشي.. ألا يطمئنكم ذلك قليلاً؟"

تبادل شيتار مع بقية الرجال النظرات الصامتة التي تدلّ على ضيق واضح وعدم اقتناع بما تقوله، ثم قال سادر "ستناقش في هذا الأمر بيننا.. لكن أطلب منك يا جام ألا تقبل هذا العرض إلا إن أجمعنا عليه بالموافقة.."

هزت ججي رأسها إيجاباً وإن اعترافها ضيق واضح لهذا الطلب.. لا يعني طلب سادر هذا إلا أنهم لا يثقون بها وبرأيها ولا يعتدّون به، وعندما صرّحت برأيها هذا الكين، فاجأها بتعليقه على الأمر "هم محقون في هذا الأمر.. أخشى أن تقتك بنفسك وبرجال القبيلة قد أسكرك يا ججي.."

نظرت له بضيق وقالت "لم؟.. لأنني أريد الحصول على السلام أخيراً؟"

قال كين "لا ألوّمك على ذلك.. لكن من قال إن الملك العربي يطمح للحصول على السلام؟.. هذا السلام لن يفيد في شيء، فستبقى السهول ملكاً لكم، وسيعود هو برجاله للجانب الآخر من الجبال بعد أن خسر الكثير من الرجال والعتاد بالإضافة للسنن التي أغرقناها في الخليج.. لو كان الملك واثقاً من انتصاره عليكم، لما سعى للحصول على هذا السلام.. هذا نهج الضعفاء الذين لا حيلة لهم، والملك العربي لن يرضى بأن يوصف بذلك.."

قالت بسخرية "بيدو أنك تعرف الكثير عن الملك العربي.. ما الذي يجعلني أصدقك في ما تقوله؟"

أجاب بعد لحظة تردد "الأكاشي لا يعرفون الملوك ولا يتعاملون إلا بنظام الزعامة الذي يتحلّى بالبساطة والمباشرة.. يمكنني معرفة ما يفكر به الملك العربي لأننا نملك نظاماً مماثلاً في مملكة كشميت، والملوك شأنهم واحد في كل مملكة وزمن.."

قالت بعناد "هذا لا يعني أن رأيي يفتقر للصحة.. لقد اتبعت حدسي عدة مرات ولم يجانب الصواب.."

فقال كين "لكن هذا لا يمنعك من الاعتراف عندما يجانب حدسك الصواب هذه المرة.. لقد أجمعنا على رفض هذه الفكرة والقلق من خيانة الملك العربي.. فلم عليك أن تخالفي الجميع في هذا؟"

قالت ججي بعصبية "لم عليّ أن أخضع للجميع رغماً عني؟.. لم أكن لأصل لما وصلت إليه لو كنت سأتابع رأي الآخرين بشكل أعمى.."

ونهضت مغادرة قائلة بشيء من الجفاء "كشميتي مثلك لن يفهم ما أسعى إليه.. ستظل طوال عمرك خانعاً.."

غادرت بحنق واضح تاركة كين يجلس في موقعه بصمت.. كانت ججي مستاءة للإلحاح الجميع عليها برفض عرض الملك.. ورغم أنها ترفض الاعتراف بذلك، لكنها شعرت أن الكل يشكك بتقديرها لهذا الأمر الذي وافقها عليه هاكين بالفعل.. لم يكن ذلك تكبراً منها، بل اقتناعاً برأيها وبأنها حريصة على سلامة قبيلتها أكثر من أي شخص آخر.. وربما كانت تثق برأي هاكين أكثر من رأي رجال قبيلتها كلهم.. في الوقت ذاته، كان كين ينظر للنار أمامه بصمت ووجوم لم يفُت تبريق الذي دلف الخيمة باحثاً عن ججي.. فاقرب منه متسائلاً "ما الذي جرى؟.. هل عنّفك أحدهم؟" التفت إليه كين قائلاً "ولم؟"

ابتسم تبريق وهو يجلس معلقاً "هذا ما يبدو على وجهك.. كطفل مذنبٍ عنفه أحدهم لخطأ ارتكبه.."

ابتسم كين بدوره وغمغم "يا للخيال.."

فتساءل تبريق "إذن ما الأمر؟.. ما الذي يشغل تفكيرك لهذه الدرجة بحيث تبدو بائس الحال؟"

غمغم كين "أليست هذه الحرب التي نخوضها بائسة بالفعل؟"

نظر له تبريق بعدم فهم، فأضاف كين "لقد مرت سنوات منذ انضمت إليكم، والحرب لا تكاد تهدأ إلا لتشتعل من جديد.. أشعر بضيق شديد لرؤية كل ذلك الموت والقتل الذي يعتبر من مفردات يومكم الاعتيادية.. ورغم أن العرض الذي أرسله الملك العربي يهدف في ظاهره للسلام، إلا أنني أشعر بتوجس شديد منه، وأشعر أنه بابٌ سيفتحه الأكاشي لإراقة المزيد من دمائهم.."

علق تبريق "ألم تحدث جام عن هذا الأمر؟.. ربما يقتنع بقولك هذا ويصرف نظره عن هذا الأمر.. إنه يثق برأيك كثيراً.."

زفر كين ناظراً لسقف الخيمة وقال "لقد نعتني بـ (الكشميتي) عندما صرّحت برأيي هذا أمامها.. وهذا يدلّك عن مقدار حنقها بهذا الرأي.."

صمت تبريق عن التعليق وقد أدرك سبب الوجوم الذي بدا على كين عند رؤيته، بينما غمغم كين "لا أظنني سأعتاد على هذه الحروب القاسية أبداً.. ألا يشبع الأكاشي منها رغم كل ما يفقدونه فيها؟.."  
قال تبريق "لكنك كنت مشاركاً في حروبنا هذه، ولك يدٌ في كل القتل الذي تمّ في السهول حتى لو لم تحمل السيف بنفسك.. أليس كذلك؟"

زفر كين وهو يقول بضيق "وهذا يثقل كاهلي أكثر.. لستُ سعيداً بما جرى، ولست مرتاحاً لما سيجري بعد الآن.. أخشى اللحظة التي أعتاد فيها رؤية هذا الموت، وأصبح مثل الأكاشي أتعامل مع القتل بحيادية تامة.."

نظر له تبريق بصمت، ثم تساءل "أهذا يعني أنك أصبحت تبغض البقاء معنا؟.. هل تفكر بالرحيل؟"  
غمغم كين "ولمَ لا؟.. ربما كانت عودتي موالية الآن لكاشتار بعد كل تلك السنوات.."  
رفع تبريق حاجبيه معلقاً "حقاً؟.. كنتُ موقناً أنك لا يمكن أن تفعل هذا وتتخلى عن جام.."  
قال كين مطرقاً "وهل تعباً هي بي حقاً؟.. لا أظنها ستعباً حتى لو رحلت عن هذه السهول.. فأنا مجرد (كشميتي) بالنسبة لها.."

قال تبريق بغير اقتناع "محال.. لا بد أنك واهم.. كانت تلك مجرد كلمة لا يعينها جام بالتأكيد.."  
علق كين قائلاً "المفترض أن فكرة رحيلي تلك ستسعدك أيما سعادة.. فما الذي تغير؟"  
صمت تبريق مفكراً في تينا، التي تغيرت تغيراً كبيراً بعد عودته من الحرب، ثم قال هازماً كتفيه "ربما لأنني شبه واثق أن تينا ما عادت تعباً لأمرك كما كانت في السابق.. وهذا يجعلني أقتنع أن وجودك في القبيلة لم يعد مكروهاً كما كنت أراه قبلاً.."

صمت كين بابتسامة جانبية وهو الذي لم يتوقع تقبل تبريق له مطلقاً، ثم تمالك نفسه وأفكاره قائلاً "انسَ ما قلته لك.. كان ذلك مجرد هذيان مني.. لذلك لا تذكره لأحد أبداً.."  
رمقه تبريق بتعجب مغمماً "أكان ذلك مجرد هذيان بالفعل؟.."

\*\*\*\*\*

في صباح اليوم التالي، خرجت ججي من خيمتها وتوجهت إلى حصانها الذي وقف في جانب المخيم مع بقية الخيول التي تمتلكها القبيلة.. قامت بإعداده للجولة التي تنوي القيام بها، وامتطت ظهره وهي تلكزه لتغادر تاركة المخيم خلفها في جولة واسعة في السهول التي غمرها الضباب قبل ارتفاع الشمس في السماء.. بدت الشمس عند الأفق باهتة مع الضباب المهيمن على المكان، ولم تخفت البرودة التي سادت في الليلة الماضية بعد رغم أنهم كانوا في منتصف فصل الصيف بالفعل، لكن ججي لم تعبأ بذلك وهي تدفع الحصان للركض بأسرع ما تستطيع..

ظلت التلال تتراكم أمام ججي، بينما سادها الصمت وهي تفكر بكل الأحداث التي مرت عليها طوال سني عمرها.. مع حلول الصيف، وقد أزهرت السهول وازدانت بألوان زاهية بعد أن كساها الثلج لعدة شهور، تكون ججي قد أكملت عشرون عاماً من عمرها.. من كان يتخيل أن تصبح فتاة مثلها في هذا العمر زعيمة لقبيلتها؟.. لا بد أن قادور كان مجنوناً بالفعل عندما فكر بذلك، لكن جنونه قد أتى ثماره بالتأكيد.. وهي قد أثبتت نفسها لا لرجال قبيلتها فقط، لكن للقبائل الأخرى التي تفاوتت رداً فعلها نحوها بين الرفض والقبول..

والآن، بعد صراعٍ طال منذ كانت هي في الثالثة عشر من عمرها، اقتربت نهايته مع هذا العرض الذي عرضه الملك العربي لإقامة معاهدة بينه وبين الأكاشي.. ولولا مساندة هاكين لها، لوجدت ججي صعوبة في إقناع رجال قبيلتها بالاستسلام لهذا العهد وإيقاف هذه الحرب التي التهمت خيرة رجالهم طوال تلك السنوات..

بعد أن دارت ججي دورة واسعة على ظهر الحصان، لاحظت اقتراب تبريق على ظهر حصانه منها ليسير قربها قائلاً "ألا تشعر بالبرد في هذا الصباح؟"

قالت ججي بابتسامة "لا.. بل أستمتع به.."

نظر لها تبريق بتعجب، ثم قال "لقد عاد فريق من الرجال الذين أرسلناهم للمدن الشمالية.. بعضهم قد تلقى رفضاً صريحاً باقتراحاتنا، والبعض الآخر فضل الوقوف على الحياد.. فهم قبلوا هدايانا لكن لم يتعاونوا معنا بشكل صريح بعد.."

نظرت ججي للموقع حولها، والذي كساه غطاء أخضر زاهي اللون، ثم قالت "أتظن أن علينا استمالتهم

بالمزيد من الهدايا؟.."

علق تبريق قائلاً "ربما.. لكن عليك مناقشة كبار رجال القبيلة في هذا الأمر.. فهذا سيضعف مواردنا الضعيفة بالفعل.."

غمغمت ججي "سأفعل ذلك بالتأكيد.."

سادهما الصمت للحظات إلا من زقزقات بعض العصافير التي صدح صوتها في الموقع الساكن، ثم لاحظت ججي نظرات تبريق الصامته نحوها والتي تكررت عدة مرات.. مما دفعها لتقول "ما الأمر؟.. لو كنت تملك ما تقوله، فلا تتظاهر بالتردد.. أنت سليط اللسان عادة ولا يهملك رأي الآخرين بما تقوله.."

ابتسم تبريق بجانب فمه قائلاً "سليط اللسان؟.. أتمنى ألا تضع هذه الفكرة في عقل تينا، فلست بحاجة لما يزيدنا كرهاً لي.."

قالت ججي "أنا واثقة أنها تنعتك بنعوت أشد قسوة.."

ضحك تبريق لتعليقها، فيما قالت ججي "تحدث بما في ذهنك، فلا أحب أن تتركني لخيلات.."

فغمغم تبريق "في الواقع، كنت متردداً في إخبارك بهذا الأمر.. أشعر أنني سأخون ثقة كين بي.."

انتبهت ججي لدى ذكر كين، فالتفتت إلى تبريق باهتمام قائلة "أهناك أمرٌ يخفيه عني؟.. لمَ صارحك أنت به دوني؟.."

أجاب تبريق "لا أظنه يجروء على ذكر ذلك أمامك قط.."

تزايد قلق ججي وهي تتساءل "ما الأمر؟.. أفصح عما جرى دون تردد.."

فقال تبريق "لقد كنت أتحدث مع كين البارحة.. وقد خيّل إليّ أنه ينتوي الرحيل عن قبيلتنا.."

نظرت له ججي بدهشة وصدمة، ثم علقت "خيّل إليك؟.. ما معنى هذا؟.."

أجابها "لقد كرر عدة مرات أنه يشعر بضيق شديد من وجوده في هذه القبيلة، وأنه سئم الصراعات التي نعيشها.. ولما سألتته إن كان ينوي المغادرة، قال إن ذلك ليس مستبعداً بتاتاً.. لكنه لم يوضح لي الموعد الذي ينتوي الرحيل فيه، أو سبب ذلك.. لذلك لست متأكداً إن كان الأمر مجرد هذيان أم أنه عازم على فعل ذلك حقاً.."

كانت ججي قد أدارت الحصان ولكزته قبل أن ينهي جملته، وغادرت بصمت وتبريق يصيح خلفها

"مهلاً.. لا تحدث كين عن هذا الأمر الآن يا جام.."

لكنها لم تتردد في الابتعاد عائدة لمخيم القبيلة، بينما زفر تبريق مغمغماً "والآن، سيصب كين غضبه عليّ لأنني صارحت جام بذلك.."

في تلك الأثناء، كان كين يجلس في جانب المخيم على إحدى التلال وهو يراقب حصانه الذي يرعى في المرعى القريب.. شعر بشيء من السوء لحديثه في الليلة السابقة مع تبريق، والذي لم يكن له سبب إلا تفرغ بعض الضيق الذي أحس به.. لا بد أن تبريق سيظن به الظنون، وقد يصدق أن كين سيرحل عن القبيلة حقاً.. زفر بشيء من الضيق وهو ينظر للسماء بصمت.. لم يكن ذلك الحاضر بعيداً عنه فعلاً، لكنه لم يجرؤ يوماً على اتخاذه.. كيف يمكنه الرحيل بعد كل تلك السنين؟.. يشعر ألا فائدة ولا هدف لوجوده في هذه القبيلة، وهو مجرد ظل لججي.. هو حقاً راضٍ بموقعه إلى جوارها، لكنه يشعر أن حياته قد توقفت عند هذه النقطة ولا يبدو أنها ستسير في أي اتجاه غيره.. لكن كيف يمكنه أن يتركها ويرحل بهذه البساطة؟.. وبالحدث عنها، ها هي آتية نحوه بخطواتها الواسعة القوية وحاجبيها المعقودين أبداً.. متى تدرك تلك الفتاة أنها لم ولن تكون رجلاً مهما حاولت؟.. رآها تتقدم منه بقوة وقالت له بصوتها الذي تتعمد جعله جهورياً "كين.. اضغط على أسنانك.."

نظر لها لوهلة بدهشة وعدم فهم، عندما رأى قبضتها تطير في وجهه فتضربه على فكه بقوة ألقتة للوراء.. اعتدل كين شيئاً ما بألم وهو يشعر بطعم الدماء في فمه، ثم قال "تباً يا ججي.. لقد عضضت لساني.."

قالت بحزم وهي تقترب "لو كنت رجلاً لفعلت ما أمرتك به بسرعة قبل أن تقطع لسانك مع قوة الضربة.."

وجذبتة من مجمع ثيابه بقوة حتى أوقفته أمامها ليواجه عينيها الغاضبتين وهي تقول له "أصحيح ما سمعته من تبريق؟"

نظر لها بعدم فهم وهو يمسح الدماء التي سالت من فمه، فهزته بشدة وهي تقول بغضب "أكنت تنوي الرحيل وترك قبيلتنا حقاً؟.. لمَ قد تفكر بفعل ذلك؟.. ولمن كنت تنوي الانضمام من القبائل الأخرى؟"

دفع يدها لتفלתه وهو يقول بضيق "ذلك المأفون.. لمَ لا يحتفظ بلسانه في فمه؟"

واجهته قائلة بحدة أكبر "إذن كان ما قاله صحيحاً.."



قال بحزم "قطعاً لا.. أتظنين أنني أقدر على ذلك؟"

نظرت لوجهه للحظة، ثم دمدمت "لا.. لا أظنك تملك الشجاعة لفعل ذلك.."

أصابه الغيظ من تعليقها ولأنها تتجاهل مشاعره بشكل تام، فقال بسرعة "بل لأنني لا أطيق فراق فتاة حمقاء تصرّ على أنها ليست كذلك.."

نظرت له باهتمام واضح متسائلة "ومن هي؟"

نظر لها بدهشة تامة.. أهي حمقاء حقاً؟.. لكن من بين ملامح وجهها الجادة، تمكن من رؤية تلك الضحكة التي توارت في عينيها، وبدت له سخرية واضحة منه بحيث زفر بضيق وهو يدير بصره جانباً.. عادت ججي تسأله بجدية "إذن أنت لا تنوي الرحيل حقاً؟"

قال بضيق "لا.. ليس قبل أن أحظى بالاحترام الذي أستحقه منك بالذات.."

فقلت وهي تستدير "إذن.. عليّ عقاب تبريق على تفوهه بتلك الحماقات التي لا يصدقها عقل.."  
استوقفها كين قائلاً "مهلاً.. ماذا عني أنا؟"

نظرت له بتساؤل، فقال مشيراً لفكه "ألا أجد تعويضاً على هذه الضربة المؤلمة التي لم أستحقها؟"  
فقلت "إن كنت ترغب بالقصاص من تبريق بنفسك، فلا مانع من ذلك.."

قال بحزم "بل أريد الاقتصاص منك أنت.. فأنت من لكمي، وليس تبريق.."  
استدارت إليه قائلة "هذا حق.. لا بأس.. الكمني كما تشاء.."

نظر لملامحها الجادة بتعجب وهي تنظر له بصمت.. أي فتاة تطلب من الآخرين لكمها بهذه السهولة؟..  
فاقترب منها شاداً قبضة يده وقال "أغمضي عينيك واضغطي على أسنانك.."

فقلت دون أن تفعل ما طلبه منها "لماذا؟.. أتظنين خائفاً من لكمتك الهزيلة تلك؟"  
نظر لها مقطباً وغمغم "تبالثقتك العجيبة هذه.."

لم تطرف ججي وهي تقف أمامه بانتظار أن يلكمها، وهي واثقة ثقة تامة أنه لن يؤلمها بالقدر الذي يتوقعه.. لكنها رأته يرخي قبضة يده وهو يتقدم منها ثم رفع ذراعيه وأحاطها بهما وهو يضمها إليه بقوة..

لم يكن هذا ما توقعه، فقلت بحنق وهي تحاول دفعه عنها "أهذا هو القصاص الذي تريده؟"  
غمغم كين "هذا يكفيني.."

أبعدته عنها بقوة ليراها بوجه أحمر حتى الأذنين بحيث أصبح بلون شعرها، بينما ملامحها عابسة وهي تقول بشدة "أخبرتكَ ألا تعاملني كفتاة.. هل كنت ستعانقني بهذه الطريقة لو كنتُ رجلاً فعلاً؟"

قال كين بابتسامة جانبية "لكنك لستِ رجلاً يا ججي.. لم أركِ يوماً كذلك.."

لكمته بقوة على صدره ثم استدارت مبتعدة وهي تدمدم بغضب، بينما وضع كين يده على موضع الضربة التي آلمته بشدة وقال بابتسامة "لا بأس.. يكفيني ما حصلت عليه.. فلن أحصل على أكثر من ذلك من فتاة عنيفة مثلك.."

تنهد وهو يراقب ابتعاد ججي بصمت، ثم أدار بصره للأفق.. يبدو أن حياته ستتجمد في هذه النقطة فعلاً حتى يقوم أحدهما بكسر هذا الحاجز المقام بينهما.. إما أن تملك ججي الشجاعة للاعتراف بمشاعره، سواء بادلت تلك المشاعر أم رفضتها رفضاً صريحاً.. أو أن يملك هو الجرأة على الرحيل وتركها دون أن يندم على هذا.. ويبدو أن كلا الأمرين صعبٌ عليهما، ولذلك لا يملكان إلا الصمت وانتظار أن تحدث معجزة تتسبب بتغيير هذا التيار الهادئ الذي لم يعترض طريقه شيء بينهما منذ أن التقيا لأول مرة..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثاني والعشرون {من تكون؟}

بعد ذلك الموقف بينهما، والذي بدأ بلكمة من ججي على وجه كين وانتهى بلكمة منها على صدره، لاحظ كين أنها قد بدأت تتجنب البقاء معه لأوقات طويلة وتتحدث معه بشيء من التكلف.. بدا له بوضوح أنها تتهرب منه، أم أنها تهرب من مشاعره ومما تثيره في نفسها من انفعالات؟.. ربما كان كين يتمنى ذلك، لكن الواقع يخبره أنها تستثقل وجوده كما تستثقل حبه ذلك.. ربما كان الهدف الوحيد الذي يجعلها متشبثة به كما رأى في السابق هو ما يقدمه لها عقله والمعونة التي تحصل عليها من خططه وأفكاره..

كان كين يستاء من ذلك الشعور، وزاده نعتها له بلقب (الكشميتي) الذي أورثه غصة قوية في حلقه.. هذا اللقب معناه أنه مجرد شخص عابر في حياتها لا أهمية له، وربما كان رجال الأكاشي في نظرها أهم منه بمراحل.. لذلك بدأ كين بدوره بتقليل أوقاته معها قدر الاستطاعة.. أصبح ينأى بنفسه أكثر من اللازم ويستمر على صمته كلما كانت قريبة، حتى شعرت ججي كأن جداراً سميكاً قد ارتفع بينهما وما عادت الأمور كما كانت عليه في السابق..

وفي إحدى الليالي القليلة التي جمعتها معاً على إحدى التلال التي تقع خارج خيم القبيلة، قالت ججي "من كان يصدق أن يقبل سيدار والبقية عرض الملك بعد إلحاح شديد مني؟.. لقد شككت لوهلة أنهم سيرفضونه ويرفضونني أنا بالتالي.. لكن هذا لم يحدث لحسن الحظ.."

لم تتلقَ إجابة من كين الذي ظل صامتاً يتأمل السماء بصمت، فأضافت "لقد قررنا الانطلاق لمقابلة الملك العربي غداً، فهل أنت آت معنا؟"

استمر كين على صمته مدة أطول، ثم غمغم "لا أدري.."

غمرتها دهشة لحديثه بهذا الحياء عن موضوع أثار جدالات عديدة بينهما في اليومين الماضيين، وشعرت أنه بالفعل غير مهتم لهذا الأمر، وهذا جعلها تصمت بدورها دون أن تدري بمَ تتحدث لتكسر ذلك الجدار القائم بينهما.. لقد تغيرت أمورٌ كثيرة بينهما في الآونة الأخيرة، ولا تعرف على من تقع لائحة ذلك.. هل كانت تصدق قبل شهرٍ مضى أنها ستجد صعوبة في الحديث مع كين والتبسط معه كما كانت تفعل

سابقاً؟..

بعد أن استثقلت ججي الصمت المخيم عليهما، نهضت وهي تقول لكين "هيا بنا.. علينا أن نخلد للنوم باكراً هذه الليلة.. منذ الغد سنبدأ رحلتنا للقاء الملك العربي.. وأنت آت معنا بكل تأكيد.."  
لم يعلق كين أو يتحرك من موقعه، ولما هممت بحثه على النهوض سمعته يقول "سأبقى قليلاً هنا وحدي.. يمكنك الرحيل الآن وسأتبعك بعد بعض الوقت.."

كان تشديده على البقاء وحيداً يدلها على أنه لا يرغب بوجودها في الوقت الحالي.. وهو أمر يسبب لها الضيق الشديد في السابق، لكنها مع التغيير الكبير الذي جرى لهما لم تعترض وهي تقول "لا بأس.. لكن لا تبقَ طويلاً في العراء.. لا أريد أن أقضي وقتاً طويلاً في إيقاظك من نومك كالعادة.."

لم يعلق كين حتى عندما استدارت ججي مغادرة، لكنها فضّلت تركه وحيداً في تلك اللحظات دون أن تلحّ عليه بأي أمر.. عادت لخيمتها وقضت بعض الوقت مع تينا التي بدت أكثر انشراحاً وتبسّطاً من السابق، وقد أثار هذا بعض السعادة في نفس ججي التي اعتادت في الآونة الأخيرة على وجومها وحزنها الدائمين.. لم تكن تينا تفصح لججي عن أي شيء مما يدور بينها وبين تبريق، لكن ججي شعرت أن الأمور قد استقامت بينها أخيراً، وهذا منحها سعادة وراحة بالٍ فوق ما تتصور..

لم تدر ججي كم من الوقت مضى عليهما وهما تتحدثان في أمورٍ شتى، وقد حرصت ججي على ترك باب خيمتها مفتوحاً لتلاحظ كين عند عودته، عندما سمعتا تلك الطلقة التي دوّى صوتها في جانب المخيم..

قفزت ججي واقفة وهي تتساءل بتوتر "ما هذا؟.. هل نتعرض لهجوم؟"

قالت تينا بعينين تفضحان قلقها وذعرها الشديدين "لا بد أنه كذلك.. نحن نقارب منتصف الليل.. وهذا الصوت دليل على أن الهجوم ليس من قبيلة أخرى.."

نظرت ججي لذعر تينا الواضح، والتي تذكرت ما جرى في الهجوم الأخير الذي تعرضت له القبيلة من الجنود، فقالت محاولة تهدئتها "ستكون الأمور كلها على ما يرام.. ابق في الخيمة ولا تغادريها.."

هزت تينا رأسها إيجاباً، فأسرعت ججي لحمل سيفها وغادرت الخيمة متلفتة حولها عندما اندلع صوت الطلقات من جديد في جانب المخيم.. دلهما الصوت على موقع الهجوم، فاندفعت نحوه دون تردد وهي ترى بضع رجال من قبيلتها يندفعون نحوه بدورهم.. لم يكن ذلك الصوت العالي إلا إعلاناً واضحاً عن

الهجوم، مما يستنفر جميع رجال القبيلة نحوه، وهذا ليس في صالح المهاجمين بالتأكيد.. خاصة عندما تكون تلك فرقة صغيرة لا تتعدى عشر جنود كما ترى أمامها..

كانت تلك الفرقة الصغيرة قد اشتبكت مع بعض رجال القبيلة في الطرف الأبعد من المخيم، فاقتربت ججي من الموقع محتمية بإحدى الخيم من طلقات الرصاص وراقبت الوضع للحظات.. لم يبدُ أن هناك قتلى من رجالها، وكأن الجنود يعمدون لإطلاق الرصاص كتخويف ليس إلا رغم هجوم الأكاشي عليهم.. لاحظت ججي بعد فترة اقتراب تبريق منها وهو يقول "ما الذي نفعله بهم؟.. هل نقتلهم؟" قالت ججي مقطبة "ما الذي جاء بهذه الفرقة الصغيرة إلينا، وما الذي يطمحون لتحقيقه؟.. ربما علينا الإمساك بهم لمعرفة سبب وجودهم.."

ثم أضافت بحنق وهي تتفحص ما يجري أمامها "كيف تمكن الجنود العرب من التسلسل لمخيمنا بهذه الصورة؟.. هذا حرق واضح لدعوى الملك العربي للسلام آنفأ.."

قال تبريق وهو ينظر للمعركة الدائرة بين رجاله والغرباء "لكنهم ليسوا عرباً.. إنهم من الكشميت..". نظرت له ججي بصدمة وتبريق يضيف "رغم الظلام الذي يخفي ملامحهم، لكنني سمعتهم ينادون بعضهم بعضاً بلغة غير عربية.. وقد طالب أحدهم، بلهجة عسيرة، أن نسلّمهم الكشميتي الذي نحتجزه عندنا..". قالت ججي هاتفة "هل يبحثون عن كين؟.. لكن كيف عرفوا بموقعه؟.. امنعوهم من الوصول إليه بأي وسيلة كانت.."

قال تبريق "نحن نفعل ذلك بالفعل.. لكن ثلاثة من الجنود قد انفصلوا عن البقية واختفوا.. والرجال يبحثون عنهم في أرجاء المخيم.. أين كين الآن؟.."

تزايد ارتعاب ججي لما تسمعه وهي تفكر في الموقع الذي تركت فيه كين وحيداً منذ بعض الوقت.. إنها شبه واثقة أنه لم يعد بعد، فهي كانت تنتظره قبل أن يحدث الهجوم بقليل.. استدارت ججي دون إجابة وهي تركز عائدة لذلك الموقع، فتبعها تبريق وهو يصيح "إلى أين أنت ذاهب يا جام؟.."

لكن ججي ركضت بأسرع ما تستطيع وهي تقبض على سيفها بشدة.. هؤلاء الجنود يستهدفون كين بالتحديد، وهو بقدراته المحدودة لن يقدر على التصدي لهم وردعهم.. لكن كيف استدّلوا على موقعه في هذه القبيلة بالتحديد؟.. كيف وصلوا إليه؟.. ولم الآن بعد كل تلك السنوات؟..

لما غادرت المخيم، استطاعت أن ترى كين في موقعه بوضوح على ضوء القمر الشحيح.. وقربه، رأت ثلاثة من المهاجمين يحيطون به والبنادق في أيديهم.. رأت كين يرفع سيفه محاولاً التصدي لأحدهم، لكن الرجل ضرب سيفه ببندقيته بقوة بحيث طار جانباً بينما سقط كين خلفاً والذهول واضحٌ على ملامحه..

ركضت ججي بذعر واضح تجاه كين وهي تصيح "اهرب يا كين.."

لم تكن تعلم ما يريده الكشميت بالبحث عن كين بهذا الإلحاح لدرجة التوغل في هذه السهول التي يخشاها الجميع.. لكن كل ما تعلمه أن كين الآن أعزلٌ من أي سلاح، وهو ضعيف في القتال مقارنة بالجنود المدربين وبالأكاشي.. ومن عينيه المتسعيتين بدا ذعره واضحاً وهو يرى جنود الكشميت يحيطون به.. فاندفعت ججي نحوه ملاحظة تجاهل الجنود لها وهي تصيح "كين....."

ورمت سيفها تجاه أحدهم فأصابته في كتفه ضربة صاح لها متألماً.. وقبل أن ينزع السيف من موضع الإصابة كانت ججي قد قفزت عليه وأسقطته أرضاً وهي تسحب سيفها وتغمده في عنقه.. ثم طوّحت سيفها جانباً لتطيح بأقرب كشميتي إليها والذي سقط بعد أن أصابته الضربة في ساقه.. نهضت ججي واندفعت بضربة أخرى نحو الرجل الثالث، بينما تجمد كين في موقعه للحظة يراقب ما يجري بذهول.. كانت صدمته بوصول جنود الكشميت إليه قد جعلته واهناً يرتجف ذعراً بشكل لم يسبق له أن فعل منذ أمد بعيد.. وربما شعر للحظتها أنه ذلك الفتى ذا الستة عشر عاماً والذي فرّ هارباً من كاشتار وهو يخشى مجرد رؤية ظل لجندي من الكشميت..

لاحظ أن الجندي الثاني المصاب في ساقه قد حاول النهوض بعد أن استعاد ببندقيته، ولما رفعها محاولاً التخلص من ججي التي انشغلت بمعركة قصيرة مع الجندي الأخير، فوجئ كين برؤية رأسه يطير من عنقه بسهولة ويسقط أرضاً مع سيل من الدماء التي انبثقت من العنق المقطوع.. ومن خلفه رأى تبريق يقول "تبال لك يا كين.. لقد أثرت معممة كبيرة في المخيم.."

في تلك اللحظة، أطارت ججي ببندقية الجندي الأخير الباقي على قيد الحياة، ثم رفعت سيفها عالياً وهي تسمعه يصيح مذعوراً بكلمات بلغت حدتها وكأنها محاولة استعطاف أخيرة، لكن كلماته تلك أثارت انتباه كين بشدة.. ولما همت بغرز سيفها في صدر الجندي بعد سقوطه أرضاً، هتف بها كين "مهلاً.. لا تقتليه.."

نظرت له مقطبة والجندي مستمر بهتافه بلغته، فصاحت به ججي بحنق "تحدث العربية يا هذا.."

نظر لها الجندي بذعر وهي تقف أمامه رافعة سيفها بتهديد، ثم قال بالعربية وبلكنة سيئة ككل الكشميت "أنا لست عدوًّا.. لقد أتينا لاستعادة مولاي كين، ولم نرغب بإيذاء أحد.."

توقفت ججي لوهلة وهي تنظر في وجه الجندي بدهشة لا تقل عن دهشة تبريق.. بينما اعتدل كين واقفاً وهو يسأل "كيف أمكنكم التعرف عليّ؟.."

أجاب الجندي بسرعة "هذا الخاتم في إصبع يدك هو الدليل.. وهو ما أكد لنا هويتك.."

نظر كين لخاتم فضي يحتفظ به في يده اليمنى، والذي لم يتجرأ على نزعه من يده يوماً رغم اقتناعه بأنه قد لا يعود قط لمملكة كشميت.. ثم رفع رأسه للجندي قائلاً "من الذي أرسلكم؟.. وما الذي يسعى إليه باستعادتي؟"

قال الجندي وهو يقلب بصره بين كين وبين ججي بحذر "لقد أرسلني الملك لاستعادتك بعد أن وصلتنا أخبار عن وجود كشميتي في سهول الأكاشي.. لقد شك بأنك هو، ولذلك أرسلنا للبحث عنك واستعادتك مهما كانت الوسيلة.."

نظرت ججي بدهشة لكين الذي تساءل مقطباً "الملك؟.. أتعني الملك سوجا؟"

أسرع الجندي يقول "لا.. الملك سوجا قد مات منذ تلك الليلة قبل سبع سنوات.. بعد أن....."

امتنع عن إكمال حديثه وهو ينظر لكين بتردد، فقالت ججي بحدة وهي تضع السيف قرب عنقه "بعد أن ماذا؟.. بم تهذي يا هذا؟"

استوقفها كين وهو يخاطب الجندي قائلاً "لو كان الملك سوجا قد مات بالفعل، فمن الذي أرسلكم إليّ؟"

تساءل الجندي بدهشة "ألا تعلم من هو ملك مملكة كشميت؟"

قال كين مقطباً "لا.. أخبار كاشتار ومملكة كشميت لا تصل إلينا بتاتاً في هذه السهول المنقطعة عن العالم بشكل شبه تام.."

قاطعته ججي قائلة بعبوس "ما الذي يجري هنا يا كين؟.. أئن تشرح لي الأمر؟"

أجابها كين مهدئاً "سأخبرك بعد أن أفهم الأمر أنا نفسي.. اصبري قليلاً يا ججي.."

اضطرت للصمت وهي تستمع للجندي الذي اعتدل واقفاً أمام كين وقال "بعد موت سوجا والضجة التي أثارها ذلك، فإن الأمير ترمين قد عاد لكاشتار واستلم زمام الأمور بسرعة.. وسرعان ما تم تنصيبه

ملكاً على مملكة كشميت بموافقة أغلب الوزراء، لأنه الوريث الشرعي للمملكة.."

رفع كين حاجبيه بدهشة وهو يغمغم "ترمين؟.."

هز الجندي رأسه قائلاً "أجل.. وبعد أن نجح الملك في إحكام قبضته على جميع أجزاء المملكة، أرسل رسله بحثاً عنك في جوانبها على أمل استعادتك.. وقد ألغى جميع القرارات التي قررها الوزراء بشأنك منذ تلك الليلة التي هربت فيها.."

ظل كين صامتاً وهو يحاول استيعاب ما قيل، بينما أضاف الجندي "والآن، بعد تلك السنوات، سمع الملك عن أخبار ما يجري في سهول الأكاشي بينهم وبين الملك العربي.. فهذا أمر يمس مملكتنا بشدة بسبب بروز تلك المملكة الوليدة والخطر الذي تحمله لمملكتنا ولأماننا.. ومع تلك الأخبار، تناهى إليه بعض الحكايات عن وجود كشميتي بين الأكاشي منذ عدد من السنين.. عندها راود الملك أمل أن تكون أنت ذلك الكشميتي، وأرسل هذه الفرقة من الجنود لاستعادتك معها كانت المعوقات.."

خفض كين رأسه بصمت وهو يفكر في كل ما سمعه، بينما قال الجندي أخيراً "أرجوك يا مولاي.. عد معنا فلم يعد هناك ما يتهددك بأي خطر.. والملك يرغب باستعادتك بشدة، وقد هددنا بالعقاب لو فشلنا في استعادتك.."

استمر كين على صمته بينما وقفت ججي جانباً مع تبريق وهما يستمعان لما يقال دون أن يتمالكا دهشتها لكل ما يسمعه.. ولما فاض بججي الصبر اندفعت إلى كين فأمسكته من مجمع ثيابه وأدارته نحوها وهي تقول بحنق "والآن.. هل ستشرح لي ما يجري يا كين؟.. أم أنك ستدعي أنك مجرد رجل عادي من كشميت كما كذبت علي لسنوات طوال؟"

خفض كين عينيه بصمت دون أن ينكر ما قالته، بينما أبعدها تبريق قائلاً "سنفهم كل ما يجري منه.. لكن علينا أن نوقف المذبحة الوشيكة التي ستحيق بفرقة الكشميت هذه.."

انبرى الجندي يقول "أرجوكم لا تقتلوا الجنود.. نحن لم ننو إيداء أحد لو لم يتصدى الأكاشي لنا ويمنعونا من إنجاز مهمتنا.."

ظلت ججي تحدق في وجه كين الذي رفض رفع عينيه والنظر في عينيها، ثم التفتت إلى تبريق قائلة "أوقف بقية الرجال وامنعهم من قتل الكشميت.. لكن هذا لا يمنع تقييدهم وسجنهم في إحدى الخيم وحراستهم



بشكل جيد.."

أسرع تبريق لإطاعة أمرها وهو يدفع الكشميتي الأخير أمامه والذي ألقى نظرة قلقة على كين.. بينما قالت ججي لكين بصرامة "أنتظر منك شرحاً وافياً لكل ما سمعته اليوم.. أنت كما فهمتُ من ذلك الرجل حقاً؟"

تنهد كين عاقداً حاجبيه، ثم قال وهو يدير بصره جانباً "أجل.. أنا كما فهمت بالضبط.. أحد أمراء مملكة كشميت.."

لم تعلق ججي على قوله وهي تتمالك صدمتها بلكمة وجهتها لفكه بقوة ألقته جانباً، لكنه لم يتذمر هذه المرة وهو يعتدل جالساً واضعاً يده على موضع اللكمة.. بينما جثت ججي قربته وهي تمسك عنق ثوبه من جديد قائلة بصرامة "أي أكاذيب أخرى كذبتها عليّ طوال تلك السنين؟.. من هو ذلك الرجل الذي قتلته وهربت بسبب ذلك إلينا؟.."

أجاب كين بعد برهة صمت "كان ذلك الملك سو جا نفسه.."

شدت ججي قبضتها من جديد وهي تهمّ بلكمه بغيظ، لكنه نظر إليها قائلاً "لكم تك هذه لن تفيد في شيء يا ججي.."

فقالت ججي بحنق "لكنها تشفي غليلي على الأقل.. كيف كذبت عليّ طوال تلك السنوات؟.. كيف خدعتني بهذه المهارة حتى أقنعتني أنك مجرد رجل عادي؟.."

قال كين وهو يمسك يدها التي تقبض على ملابسه "لقد اضطررت للكذب عليك طوال تلك السنوات.. لم أرد أن يحاول الكشميت قتلي أو استعادتي لمحاكمتي على ما اقترفته يداي.. ولم أرد أن يصلوا لهذه الأنحاء فيتسبوا لك بأي مكروه أثناء محاولتهم استعادتي.."

قالت ججي بجفاء "أنا أقوى من ذلك بكثير.."

قال كين "أنا أدرك ذلك الآن.. لكنك عندما انضممت إليك لم تكوني تتجاوزي الثالثة عشر من عمرك.. ثم إنني...."

خفض رأسه بصمت وهي تشد قبضتها على عنقه، فقالت بجفاء "أنت ماذا؟.. أي تبرير آخر تملكه لكل ما فعلته لسنواتٍ طوال؟"

رفع بصره إليها وقال بعد صمت قصير "أنا لم أزد الافتراق عنك يا ججي.. هذه هي الحقيقة الوحيدة.."  
نظرت له عابسة بصمت وهو يضيف "لو أدرك الأكاشي أنني أمير من كشميت، فقد يسعون للخلاص  
مني لينأوا بأنفسهم عن أي حرب محتملة مع تلك المملكة.. فهم في غنى عن ذلك مع كل ما جرى لهم مع  
الملك العربي.. أو ربما سعى أحدهم لتبليغ جنود الكشميت بأمر طمعاً في أي مكافأة قد يحصلون عليها  
بتسليمي لهم.."

لم تعلق ججي للحظة وكين يقول "كل ما أهمني ألا تجبرني الظروف على الابتعاد عنك بأي شكل كان.. لا  
بعودتي لكاشتار ولا بهربي من جنود الكشميت.. أردت البقاء معك لأطول وقت ممكن، وقد تحقق لي ذلك  
لعدة سنوات على الأقل.."

غمغمت ججي وهي تدير وجهها جانباً "ألم تظن أنني يمكن أن أغضب لهذا حقاً؟"  
أمسك كين يديها بيديه وقال بخفوت "لو فكرت بالأمر لأدركت أن ما فعلته ليس جريمة حقاً.. أنا لم  
أكذب إلا لأحمي نفسي، ولأبقى قريباً منك.. ألا يكفيك هذا يا ججي؟"  
نظرت له بصمت لوقت طال وكين ينظر في عينيها.. تمنى لو تقدّر ججي حرصه على البقاء قريباً منها، لو  
تفهم رغبته بعدم الافتراق عنها وما يعنيه اهتمامه ذلك بها.. تمنى، للمرة الأخيرة، أن تشعر به حقاً.. لكن  
ججي العصبية على مثل تلك المشاعر وقفت بصمت وهي تنظر للمخيم القريب، ثم قالت له "أريد أن  
أسمع الحقيقة كاملة منك مع الآخرين.. وهذه المرة إياك والكذب.."

واستدارت مغادرة دون أن تسمعه وهو يغمغم "بالطبع.. وهل أملك إلا أن أفعل؟.."  
نظر لها وهي تتعد دون أن تلتفت إليه لتعرف إن تبعها أم لا.. ثم زفر وهو ينهض واقفاً يتطلع لأجساد  
جنود الكشميت الذين تخلصت منهم ججي وتبريق.. مع معرفته لسبب وجودهم هنا، فإنه يشعر بالأسى  
للمصير الذي لاقوه وهم يحاولون استعادته، ولأنه السبب في نهايتهم البشعة هذه..  
ظل في موقعه صامتاً للحظات طالت، ثم استدار عائداً للمخيم ولحيث تنتظره ججي ليخبرها بالحقيقة  
كاملة.. دون مداراة أو مواراة..

\*\*\*\*\*

جلس كين وسط حلقة مكونة من ججي وتبريق وتينا، وهم ينظرون له بصمت دون أن تتمكن تينا من إخفاء صدمتها وهي تنبري لتقول "أنت أمير حقاً يا كين؟.. أمير من الكشميت؟" هز كين رأسه إيجاباً، فقالت بذهول "من كان يصدق؟.. لم يبدُ ذلك عليك بتاتاً طوال السنوات التي بقيتها معنا.."

لم يعلق كين بينما أضافت بصوتٍ حالمٍ "إذن، لو أنك وافقتَ على الزواج بي لكنتُ الآن زوجة أمير.. لا مجرد زوجة رجل عادي.."

نظر لها تبريق بحنق واضح وهو يقول "أسف لأنني مجرد رجل عادي.."

ضحكت تينا للغيرة الواضحة التي أبداها تبريق، بينما قالت ججي بصوت صارم "ليس الوقت ملائماً للمزاح يا تينا.. فما زلنا بانتظار تفسير ملائم من أمير كشميت هذا.."

تنهد كين وقال "لقد أخبرتك بأسبابي يا ججي.. فلا داعي لمعاملي بهذه القسوة المتعمدة.."

قالت بتقطيعة "أريد أن أسمع الحكاية منك.. منذ بدايتها.."

فقال بشيء من السخرية "أتريد مني أن أحكي لك تاريخ الكشميت منذ بداية تكون المملكة؟.. يمكنني ذلك بالطبع لكنه سيستغرق وقتاً طويلاً.."

ضربت ججي ركبتيها بقبضة يدها وهي تقول بحنق "لا داعي لهذه المراوغة يا كين.. أفصح عما لديك قبل أن يُستنفذ صبري.."

أمسكت تينا ذراع ججي قائلة "لا داعي لهذه العصبية يا ججي.. سيخبرنا لو صمت قليلاً واستمعت إليه.."

ونظرت لكين مشجعة، فقال أخيراً "كما علمتم اليوم، فأنا أمير من أمراء مملكة كشميت.. لكن ما لم تعلموه، فإن أبي الذي مات وأنا في العاشرة كان ملك المملكة نفسه.. الملك سابا.."

شهقت تينا بمفاجأة بينما حدق به البقية مذهولين.. فأضاف كين "توفي أبي بسبب عدة أمراض استفحلت في جسده، وقد ماتت أمي قبله بزمان طويل.. ولم يبقَ سواي أنا وشقيق وشقيقة يكبرانني في العمر.. ورغم أن شقيقي كان الأحق بوراثه العرش طبقاً للقانون، لكن عمي لم يتردد في اقتناص الفرصة وإزاحة شقيقي

وإعلان نفسه ملكاً على المملكة دون منازع.. طبعاً استدعى ذلك منه ثروة وزعها على ذوي النفوس المريضة من المقربين للعرش، والذين سارعوا لمساندته دون تردد.. فلم يملك شقيقي الذي لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره سوى التسليم بالأمر والانخراط في الجيش التابع للمملكة على أمل أن يصبح يوماً قائداً عاماً للجيش.. ورغم أن ذلك ليس مستبعداً لمهارته وذكائه، لكن عمي حرص على أن يمنع ذلك بكافة الأشكال الممكنة، وإن لم يجرؤ يوماً على محاولة اغتيال شقيقي لأن الأصابع ستتهجه إليه على الفور في اتهام صريح.."

غمغمت تينا مشفقة "لابد أن ذلك كان صدمة لك يا كين.."

أطرق كين قائلاً "لا.. لم يكن ذلك يعني لي الكثير رغم أنني تجاوزت العاشرة من العمر.. كل ما يهمني أن يكون شقيقي وشقيقتي بخير دون أن يمسه عمي الملك بأي سوء.."  
تساءلت ججي "عمك الملك هو.....؟"

أجاب كين "هو الملك سوجا.. الذي قتلته بيدي قبل أن أفر من كاشتار ومن المملكة كلها.."  
قال تبريق "هذا أمر يذهلني يا كين.. مما رأيته فيك أنك شخص هادئ ومسالم جداً.. ورغم كل محاولاتك، إلا أنك لم تكن قوي الجسد قط.. فكيف تمكنت من قتل ملك المملكة والهرب بهذه الصورة؟.. وما الذي دفعك لذلك؟"

أجاب كين بعد صمت "بعد عدة سنوات، كنت قد بلغت السادسة عشر من عمري وتهيأت للانضمام للجيش بدوري تابعاً لخطوات شقيقي.. فالحياة في القصر لم تكن سارة بالشكل الذي تتخيلونه والملك يتصيد لنا الأخطاء ليجد حجة للتخلص منا.. كما أنني مع كل سنة أكبر فيها كنت أشكل تهديداً أكبر للملك الذي لم يزل يخشى أن يطيح به أحد أبناء الملك السابق.. فالغادر دائماً يخشى الغدر.. لكنني لم أكن أفكر بذلك يوماً ما، ولم يكن الملك والعرش يستهوياني بتاتا.. لكن حدث ما أثار غضبي الشديد وأخرجني من طوري رغماً عني.."

بدا الاهتمام واضحاً على الوجوه القريبة وتينا تتساءل بلهفة "ما الذي جرى؟"

لكزها تبريق قائلاً "نحن لا نستمتع لحكاية خرافية يا تينا.. عليك تقدير مشاعر كين فهذه ذكريات لا يودّ تذكرها بالتأكيد.."

لكن اللفظة لم تغادر ملامح تينا وهي تستمع لكين الذي قال " رغم كل ما جرى، لم أندم يوماً على قتلي للملك وعلى ما جرى بعدها.. ففي تلك الأوقات، وبعد أن بلغت شقيقتي السابعة عشر من عمرها، بدأ الملك يضايقها ويستدعيها لجناحه بدون أي عذر.. رغم أنه كان يقارب الستين من عمره، لكنه لا يكاد يرفع عينه عن ابنة أخيه التي اشتهرت بجمالها في قصره.. ورغم كل محاولاتها لتفاديه، لكنه كان لحوحاً ولزجاً بحيث أصابها بانهايار عصبي في أوقات كثيرة وهي لا تجد وسيلة للهرب منه دون أن تقع تحت طائلة أفعالها تلك.."

قالت تينا باستنكار "إنها ابنة أخيه.."

غمغم كين "لكن ذلك لم يكن يعني شيئاً للملك.. هو لا يقدر على الزواج بها بالطبع، لكن هذا لا يمنع من أنها تعيش في قصره وفي متناول يده ولا تقدر على إعلان رفضها له صراحة.. ومع هربها المستمر منه، تزايد إلحاحه بشكل بشع، ووصل الأمر لدخوله جناحها في أوقات كثيرة وإثارة فزعها دون رادع.. لكنني لم أتمكن من الصمت على ما أراه.. حاولت ردعه بكافة الطرق، وحاولت العثور على وسيلة لإخراجها من ذلك القصر.. حتى إنني تقدمت لأحد الرجال الذين أثق بهم طالباً منه الزواج بها لتخليصها من الملك.. لكن ذلك لم ينجح بتاتاً والملك يرفض تزويجها بحجة البحث عن زوج يناسب مقامها كابنة أخ الملك.. عندها، وبعد أن عيل صبري وركبني الغضب الشديد مع مرأى شحوب وجه شقيقتي ودموعها التي لا تكاد تتوقف عن الانهيار، كمننت للملك في جناح شقيقتي وفي سريرها حاملاً خنجري.. كنت أريد أن أوقف تعرضه لشقيقتي بأي شكل من الأشكال، ولم تكن النتائج تهمني بتاتاً.. وعندما سمعت خطواته في تلك الليلة وسط جناحها، وعندما أزاح غطاء فراشها دون رادع وعلى وجهه تلك الضحكة المقيتة، قفزت واقفاً على السرير وأغمدت الخنجر حتى مقبضه في موضع قلبه.. كانت ضربة مباشرة تبعثها عدة ضربات استهدفت بها صدر وعنق الملك بغلّ وحقد لم أتمكن من التحكم به.. ولما سقطت جثته عند قدمي، انتبهت في تلك اللحظة لما أقدمت عليه.. وأدركت أن بقائي في القصر هو حكم علي بالموت.."

تساءل تبريق باهتمام "كيف تمكنت من الهرب من كل الجنود إذا؟"

أجاب كين "ذلك الشخص الذي طلبت منه الزواج من شقيقتي سابقاً، كان هو قائد الجند في كاشتار، وكنت أدرك أنه رجل طيب ونبيل رغم عمله مع الملك.. لكنه لم يكن يملك الرفض، ولم يملك التخلي عن

عمله دون أن يلجأ الملك لقتله بتهمة الخيانة.. لذلك، وبعد أن جرى ما جرى، هربت من جناح شقيقتي عبر النافذة، ولجأت لقصر قائد الجند متخفياً ومصطحباً معي شقيقتي.. عهدت بها إليه، وطلبت منه أن يعاوننا في الخلاص من هذه الورطة.. ورغم استنكاره لما جرى، فإنه قام بنقل الجثة من جناح شقيقتي إلى جناح الملك مستعيناً بعدد من رجاله الأوفياء، ليبعد الشبهة عني وعن شقيقتي.. ثم ساعدني على الهرب واعداً بأن ينسب قتل الملك لمجهول.. ورغم أنني غادرت كاشتار، لكن سرعان ما انتشرت شائعات عن المشاجرات التي كانت تدور بيني وبين الملك وتهديدي له بالانتقام في أكثر من مرة.. لذلك ألصقت بي تهمة قتله رغماً عني، ولم أتمكن من الدفاع عن نفسي بل فضّلت الهرب من مملكة كشميت ومن القارة كلها.."

ساد الصمت المكان وهم يحاولون تخيّل ما واجهه كين من ذعر وقلق في مثل تلك الليلة، ثم قال تبريق أخيراً "ومن هو هذا الملك الذي أرسل بطلبك؟.. ألا ينوي عقابك على كل ما فعلته؟" هز كين رأسه نفيًا وقال "مستحيل.. ترمين لن يفعل ذلك.. فهو شقيقي الأكبر.."

نظرت له ججي مقطبة بصمت، بينما علق تبريق "رائع.. هذا يعني أن جميع مشاكلك قد حلّت مع مملكة كشميت.. أليس كذلك؟.. لم تعد مطاردًا ولم يعد هناك ما يمنعك من العودة إليها.."

لم يجب كين وهو مطرق بصمت، بينما لكزت تينا تبريق بشيء من الحنق وهمست في أذنه "يا لك من عديم الإحساس.."

غمغم تبريق باستنكار "ما الذي قلته؟"

لم تجبه تينا وهي تنهض قائلة لكين "رغم أنك كذبت علينا طوال تلك السنوات، لكنني أفهم دوافعك يا كين.. لو كنت أنا مكانك، لما ترددت في قتل ذلك الملك مائة مرة.."

علق تبريق "كفي عن المبالغة.."

لكن تينا جذبته خلفها لتجبره على الرحيل معها، تاركين المكان خاليًا إلا من كين الذي بقي في موقعه، وججي التي ظلت في مجلسها دون أن تغيره.. كانت مطرقة بصمت وكين يراقبها محترمًا صمتها، لكن صمتها طال واستطال دون أن ترفع رأسها وتتفوه بكلمة.. فقال كين برفق "ججي.. أما زلت غاضبة؟"

لم تجبه ججي رغم تزايد انعقاد حاجبيها مما دلّ أنها لم تغفر له صمته الطويل وكذبه السابق.. فعاد لصمته

بانتظار أن تبادره هي بالحديث.. لكن ججي كانت غارقة في أفكارها.. تتذكر كل الأيام التي مرت عليها منذ عرفت كين ومنذ أنقذ حياتها في ذلك اليوم البعيد.. لطالما شعرت أنه مختلف، لكنها عزت ذلك لكونه من الكشميت الغرباء.. ورغم ما أبداه من مقدرة عالية على التخطيط في حروبهم التي خاضوها مع الجيش العربي، لكنها لم تظن يوماً أنه قد يكون أميراً من كشميت.. ولا تدري حتى الآن سبب استيائها الشديد لمعرفة أنها عاشت كذبة كبيرة نسجها كين حول نفسه سنوات طوال..

شعرت به يتقدم منها ويجثو على ركبتيه أمامها، ثم مد يده وأمسك يدها وهو يقول بهمس "حتى متى ستظلين صامتة؟.. لقد أثبتني مراراً وتكراراً، بل إنك لكمتني دون تردد.. ألم يخفف ذلك مقادر الغضب الذي تشعرين به؟.."

أدارت ججي وجهها جانباً مغممة "أنت لن تفهم شعوري وأنا قد ابتلعت أكبر خدعة في حياتي بسهولة تامة.. مادمت أنت قد تمكنت من خداعي بهذه الصورة وأنت أقرب الناس إليّ وثقتي بك مطلقة، فما الذي سيفعله الآخرون بي؟.. هذا يعني أنني لقمة مستساغة لكل من شاء خداعي.."

قال كين وهو يضغط على يدها "لست كذلك أبداً.. لقد خضت نضالاً طويلاً يا ججي منذ كنت في الخامسة من العمر.. وقد آتت جهودك ثمارها الآن.. ألا ترين ما قد أصبحت عليه؟.. أنت زعيمة قبيلة من الأكاشي.. أنت أول امرأة تحكم رجال الأكاشي الذين يحتقرون المرأة ولا يسمعون لها كلمة.. وها هي كلمتك مسموعة ومحترمة لا في قبيلتك فقط لكن بين قبائل عديدة من الأكاشي.. وها أنت قد حققت حلم أبيك الذي لطالما رده أمامك، ها قد دحرت الجيش العربي وأجبرت الملك على اللجوء للسلم والمعاهدة تمنع جيوشه من الوقوع في مزيد من الإخفاقات والفشل الذريع أمامكم.. ألا يفترض بك أن تكوني سعيدة لكل هذا؟"

قالت ججي بشيء من الاستياء "لم يكن ربع هذا يحدث لولا عونك لي.. لولا خططك البارعة، ولولا وقوفك بجانبني أنت ومينار، لكنت ميتة في الليلة ذاتها التي أصبحت فيها زعيمة على هذه القبيلة.."

غمغم كين "لا تستهيني بنفسك يا ججي.. أنت قوية، وستظلين كذلك.."

خفضت ججي رأسها بصمت، ثم وجدته يحيط وجهها بيديه ويرفعه لتقابل عيناه عينيها وهو يقول "أترين أشد ما يغيظني في قوتك هذه؟.."

نظرت له باستفهام، فقال "يغيظني أنك أقوى مني بمراحل، ولذلك لا تشعرين بي بتاتا.. لديك أهداف وأحلام عظيمة تخص قبيلتك وقبائل الأكاشي مجتمعين، لكنني لست جزءاً من أحلامك تلك.."  
نظرت له ججي بدهشة.. لم يصبر كين على أنها غير مهتمة به ولا يعني لها شيئاً؟.. ألا يكفيه أنها تحرص على وجوده معها في كل مكان ترتحل إليه؟.. ألا يهيمه أنها تستشيريه في كل كبيرة وصغيرة وتفضي له بما يعتلج في صدرها من قلق وهواجس تقض مضجعها؟..

وجدته يسند جبينه لجبينها وهو يغمض عينيه هامساً "تمنيت طوال تلك السنوات أن يتغير فيك أمر ما.. أن تصبحي تلك الفتاة التي تمنيت أن أراها فيك، فأستعرض أمامها قوتي وأسبغ عليها حمايتي.. لكنك في كل مرة تصبحين أقوى وأكثر قدرة مما حلمتُ أنا أن أكون.. وفي كل مرة تتبعدين عني حتى ما عادت أصابعي تستطيع بلوغك والإمساك بك.. وهذا كان يؤلم قلبي بشدة ويورثني غصّة لا أظني قادرٌ على تجاوزها يوماً.."

تجاوزت ججي انفعالاتها لحديثه الهامس وهي تقول بخفوت "ألست تبالغ؟"

ابتسم كين وهو ينظر في عينيها وقال "ربما.. فهذا ما اهتمتني به سنين طوال.."

ابتسمت ججي ابتسامة جانبية معلقة "لا أظني كنت مخطئاً في هذا بتاتا.."

لمس كين خدها بظاهر إصبعه مغمغماً "ها قد ابتسمت أخيراً.. الآن يمكنني أن أعود لحيمتي مرتاح البال.."

نظرت له ججي بتدقيق ملاحظة ابتسامة مريرة على شفثيه لم تخطئها، فقالت بعد لحظة صمت "أنت لن ترحل يا كين.. أليس كذلك؟"

اتسعت ابتسامة كين وهو يجيب "أخبرتك أنني لا أستطيع التخلي عنك لأي سبب كان.. لا يمكنني الرحيل إلا لعذر قوي.."

وأدار خصلة من شعرها حول إصبعه مغمغماً "وأنت أقوى أسبابي.. لذلك لك أن تهني بالاً يا ججي.."  
ظلت ججي تتأمله بصمت وحيرة ظاهرة لم تغب عن عيني كين.. فقال وهو ينهض "علينا الحصول على بعض الراحة.. الليل قد أوغل، ونهارنا غداً سيكون حافلاً.."

هزت ججي رأسها موافقة، فرأته يغادر خيمتها بصمت بينما هي تراقبه دون أن تزول الحيرة من ملامحها..



يبدو الحزن ظاهراً على ملامح كين، وابتسامته المريرة قد أشعلت في صدرها توجساً كبيراً لم تدرك سببه..  
أهي السبب في ذلك؟.. تباً، ما كان عليها أن تغضب منه بهذه الصورة.. كان عليها أن تقبل أعذاره بهدوء  
ودون تعصب.. يا لها من حمقاء سريعة الغضب..

تنهدت وهي تستلقي في فراشها الموضوع جانباً وتتأمل العوارض الخشبية التي تشكل سقفاً للخيمة.. غداً  
بداية أحداث حافلة بالفعل، ستتحدد بها مصير الأكاشي مع الملك العربي وربما تؤثر بهم لسنوات قادمة..  
إما أن تكون هي الحرب التي لن تبقي منهم أحد، أو يرضخوا لمطالب الملك العربي بشروط تضمن لهم  
استقلالهم وعدم تدخل الملك في حياتهم التي استمرت لأجيالٍ وأجيالٍ دون تغيير..

\*\*\*\*\*

## الفصل الثالث والعشرون {نقطة تحول}

في اليوم التالي، وقبل انبلاج الفجر بقليل، كانت ججي تغادر خيمتها دون أن تذوق لحظة راحة.. لقد استعرت الأفكار في عقلها وعجزت معها عن الخلود لأي راحة، ولم يزدتها التفكير في كين إلا قلقاً وتوتراً.. لذلك، فقد نهضت أبكر من المعتاد واتجهت من فورها إلى خيمة كين فدفعت بابها دون لياقة وهي تقول بصوت حازم "انهض يا كين.. أمامنا عمل كثير هذا اليوم....."

دارت ببصرها في الخيمة المظلمة ملاحظة الفراش المطوي بعناية في أحد جوانبها.. هل استيقظ كين أبكر منها وغادر خيمته؟.. أم أنه لم ينام قط؟..

شعرت بشيء من التوجس وهي تغادر الخيمة وتتجه لجانب آخر من المخيم بحثاً عنه.. بحثت في عدد من المواقع التي تتوقع وجوده فيها دون أن تعثر عليه، عندما لاحظت أحد رجالها يقترب قائلاً بقلق "يا زعيم.. هناك أمر حدث للأسرى الذين قبضنا عليهم البارحة.."

نظرت له ججي باستياء قائلة "ما الذي جرى لهم؟.. هل مات منهم أحد؟"

قال الرجل بسرعة "بل هربوا.."

نظرت له ججي بصدمة والرجل يضيف "لقد غفوت للحظات قصيرة بعد منتصف الليل، وعندما انتبهت بعد غفوتي تلك لاحظت الصمت التام الذي حل بالخيمة.. لكنني ظننت أن الأسرى قد أخلدوا للنوم لذلك لم أحاول تفحص الخيمة بنفسني فالباب مغلق بإحكام.."

قالت ججي بغضب "غفوت؟.. أهذا هو عذرك؟"

قال الرجل بارتباك "لا أعلم ما حلّ بي.. لقد رأيت كين يقترب مني قبل منتصف الليل وطلب الحديث مع الأسرى من خلف الباب المغلق.."

قالت ججي بتوجس "وهل سمحت له بذلك؟"

قال الرجل بتوتر "لم يكن لدي ما يمنع ذلك.. فهو يدك اليمنى، ونحن معتادون على إطاعة أوامره دون سؤال.."

لم تتمكن ججي من الاعتراض على ذلك والرجل يضيف "ولقد حادثهم بالفعل للحظات قصيرة فقط، لكن الحديث كان بلغتهم التي لم أفهم منها شيئاً.. بعدها شكرني كين بحرارة ومنحني بعض الأعشاب ذات الجودة لأدخنها بغليونى.."

وضعت ججي يداً على جبينها مغممة "وطبعاً غلبك النعاس بعد أن قمت بتدخين تلك الأعشاب.. أليس كذلك؟"

أجاب الرجل بحرج "أجل.. هذا ما حدث.."

أطلقت ججي شتيمة توتر لها الرجل قبل أن يسمعها تقول "والآن، بعد تلك الساعات الطويلة، ارتأيت أن تتفحص الأسرى أخيراً واكتشفت خلو الخيمة منهم.. أليس كذلك؟"

هز الرجل رأسه إيجاباً وتوتره يزداد.. فقالت ججي "اذهب لتفحص الخيول ولمعرفة ما فقدناه منها.. لا بد أنهم لم يهربوا على الأقدام في هذا الموقع النائي.."

أسرع الرجل لتنفيذ قولها بينما عضت ججي شفتها السفلى بشيء من الغيظ.. ما الذي يهدف له كين بهذا الفعل؟.. هل كان ينوي تحرير الأسرى منذ البدء؟.. وهل هرب معهم أم أنهم اصطحبوه عنوة بعد أن حررهم؟..

هزت رأسها وهي تستدير مغادرة.. لا يمكن أن يكون قد هرب معهم.. لقد وعدوا أنه لن يهرب.. أخبرها مراراً وتكراراً أنها أقوى أسبابه للبقاء.. فكيف يمكنه أن يهرب بعد كل هذا؟.. لا بد أنهم اختطفوه.. هذا ما توقعه وتكاد تجزم به..

اتجهت من فورها لخيمتها فحملت سيفها وقوسها مع كنانة السهام، ثم خرجت لتجد الحارس الذي كان يجرس الأسرى يقترب منها مهرولاً وقال "كما توقعت يا زعيم.. الخيول التي أتى بها الكشميت قد اختفت، وقد اختفى حصان كين أيضاً.."

قطبت ججي بحنق بينما أضاف الرجل "ولم نفقد حصاناً آخر غيره.."

فقالت ججي "أرسل إليّ تبريق.. أريده حالاً.."

أسرع الرجل لتنفيذ أمرها بينما اتجهت ججي لمربط الخيول وحملت السرج لتضعه على ظهر الحصان وتثبته بشكل محكم عندما استوقفها تبريق متسائلاً "ما الذي جرى في هذا الوقت المبكر؟"

قالت بتقطيبة "لقد أطلق كين سراح الأسرى.. ويبدو أنهم أجبروه على الرحيل معهم.. فلا أثر له في المخيم كله.."

ثم أكملت عملها مضيفة "سأتبعه بنفسي مع عدد من الرجال.. سأتركك لتتولى تجهيز رحلتنا القادمة حتى أعود.."

جذب تبريق ذراعها ليوقفها قائلاً بتقطيبة "أين تظن نفسك ذاهباً يا جام؟.. أتظن أنك قادر على الرحيل بهذه السهولة وحيداً؟"

قالت ججي مقطبة "يجب أن ألحق بالأسرى قبل ابتعادهم بكين.."

فقال تبريق باعتراض "لا يمكن.. أنسيت موعدنا القريب مع الملك العربي؟.. من يضمن لنا أنك ستتمكن من العودة في الوقت المحدد؟.. بل من يضمن أنك لن تتعرض لهجوم في طريقك خلفهم؟"

قالت ججي بعصبية "أتريد مني الصمت على ما جرى؟"

أجاب تبريق "لا.. سأذهب أنا هذه المرة.. سأخذ أربع رجال معي وسنذهب لاستعادة كين.."

ظلت ججي تنظر إليه باستياء، بينما قال تبريق مؤكداً على كلامه "لا تقلق.. لن نتأخر ولن نسمح لهم بالفرار.. لقد قالوا إن سفينتهم ترسو قرب إحدى القرى في الغرب.. ونحن أعلم بالسهول وطرقاتها منهم.. لذلك ستتمكن من اللحاق بهم بسرعة بالتأكيد.."

فقالت ججي "ستعود به بكل تأكيد يا تبريق.. أليس كذلك؟"

هز تبريق رأسه قائلاً "وهل فشلت في أي مهمة أو كلتها إلي؟.. ثق بي وانتظر عودتي.."

لم تكن ججي تملك الاعتراض، فاستسلمت للأمر وهي تراه يستدعي بضع رجال ويقوم بتهيئة الأحصنة للطريق.. وخلال وقت قصير انطلق مع رجاله متجهين نحو الغرب بأقصى سرعة.. بينما وقفت ججي عند حدود المخيم وهي لا تقدر على تمالك العصبية التي شعرت بها جراء هذا الحدث الذي لم تتوقعه بتاتاً..

\*\*\*\*\*

عندما وصل تبريق ورجاله بعد عدة أيام لتلك القرية الصغيرة الواقعة غرب سهول الأكاشي، والتي تطل

على البحر مكونة ميناءً بسيطاً ترسو عنده بعض السفن في طريقها للجنوب أو الشمال، فإن وقتاً قصيراً قد استغرقه للاستدلال على موقع جنود الكمشيت.. ففي هذه القرية، لم يكن من الممكن إخفاء تلك الجماعة المميزة بشكلها ولهجتها العسيرة.. وهكذا، تمكن تبريق من تحديد المنزل البسيط الذي استأجره الجنود لإقامتهم حتى وصول أول سفينة تنقلهم لقارة الثنايا..

ترجل تبريق عن ظهر حصانه، وقال لرجاله القريين "حاولوا ألا يصاب كين في المعركة التي ستندلع هنا.. سيغضب منا جام لو أصيب كين بمكروه.."

هز الرجال رؤوسهم موافقين، فامتشق تبريق سيفه وتقدم دون تردد من الباب فركله مندفعاً وسط المنزل.. وفي جانبه، رأى الجنود الذين لا يقل عددهم عن سبع وقد هبوا بشيء من الارتباك لرؤية الأكاشي.. تقدم تبريق نحوهم شاهراً سيفه، واشتبك مع أول جندي اندفع نحوه وجرده من سيفه بحركة سريعة، بينما تقدم رجاله من بقية الجنود.. انشغل أغلب الجنود بقتال الأكاشي، بينما وقف تبريق صائحاً "كين.. أنت هنا؟.. أجبني لو كنت تسمعني.."

اندفع نحوه أحد الجنود حاملاً كرسيًا خشبياً، فضرب تبريق به بقوة ليصيب ذراعه التي حمى بها رأسه.. تراجع تبريق خطوتين لقوة الضربة، ثم اندفع متجاهلاً الألم في ذراعه وهو يدفع سيفه نحو الجندي الذي حاول تفادي الإصابة بالكرسي.. فرفع تبريق قدمه وركل الكرسي والجندي من خلفه بقوة حتى أسقطه جانباً، ثم تلقى ضربة من جندي آخر بسيفه.. كان الموقع في المنزل ضيقاً لا يسمح لهم بحرية الحركة، فيما اعتاد الأكاشي على القتال في الأماكن المفتوحة بما يسمح لهم بتطويح أذرعهم في ضربات قوية دون أن يعبؤوا بمن يكون قريباً منهم.. لذلك لم تكن تلك المعركة الصغيرة سهلة والطرفان لا يملكان إلا مساحة محدودة للتحرك فيها..

وقبل أن يحتدم الأمر أكثر، سمع الطرفان صوتاً من خلفهم يطلب منهم التوقف، فتوقفت أيدي الجنود على الفور وهم يتراجعون عدة خطوات، بينما بقي الأكاشي على تحفزهم حتى رأوا كين يقترب منهم متسائلاً "ما الذي أتى بكم لهذا الموقع؟.."

اقترب تبريق خطوة قائلاً "أليس هذا بديهاً؟.. أتينا خلف جبان هرب دون أن يعبأ بمن خلفه.."

لم يعلق كين على إهانة تبريق وهو يلتفت إلى الجنود طالباً منهم الرحيل.. فغادر الجنود بعد تردد، فيما اقترب

كين من تبريق قائلاً "وما الذي تطمح لفعله باللحاق بي؟.. كان عليكم أن تنسوا أمر هذا الجبان وتتجاهلوه بشكل تام.."

فقال تبريق "لكن هناك من لا يمكنه نسيانك أبداً.. ألم تدرك ذلك قط؟.."

أطرق كين بصمت وتبريق يقول "لا يبدو لي أن أولئك الجنود قد أجبروك على الرحيل معهم.. فما الذي دعاك لذلك؟.."

لم يجبه كين وهو مطرق بصمت، فزفر تبريق قائلاً "هذا لا يهم.. لنعد الآن.. من المفترض أن نرحل للقاء الملك العربي، لكننا أجلنا هذا الأمر بسبب اختفائك غير المتوقع.."

قال كين دون أن يرفع رأسه "لن أعود.."

نظر له تبريق بدهشة، ثم تساءل "ماذا تعني؟"

أجاب كين "سأعود إلى كاشتار، وإلى ما كنت عليه سابقاً.."

قال تبريق باستنكار "أنت تمزح بالتأكيد.. لم قررت العودة الآن بعد كل هذه السنوات؟"

لم يجبه كين أو يواجهه بعينه، فالتفت تبريق إلى رجاله طالباً منهم البقاء خارجاً.. ولما خلا الموقع إلا منهما اقترب تبريق من كين وأمسك كتفه قائلاً "ماذا عن جام؟.. لقد أرسلني لاستعادتك وأصرراً ألا أعود

دونك.. فما الذي يمكنني أن أقوله إزاء فشلي هذا؟"

تنهد كين دون أن يجيب، فعاد تبريق يقول "أنت لا تنوي العودة إليه حقاً؟.. ألا تهتم لما سيجري له وأنت بعيد؟"

غمغم كين "لقد انتفتت حاجة ججي إلي.. إنها على وشك القيام بمعاهدة مع الملك فارس، وبعدها ستنتهي

هذه الحرب وستعود الأمور لما كانت عليه.. لذلك، ما عاد لوجودي أي معنى هناك.."

قال تبريق بإصرار "أتظن ذلك حقاً؟.."

نظر له كين قائلاً بحزم "أجل.. هذا ما أظنه.."

فقال تبريق بضيق "ولم قررت الآن أنك لا تريد أن تكون جزءاً من قبيلتنا؟.. لم ترحل منذ البدء؟.. ألا

تظن أن هذا التوقيت غير ملائم لجميع الأطراف؟"

أدار كين رأسه جانباً وقال "لكنه ملائم لي.. وكما قلت أنت، لقد حلت جميع مشاكلي مع مملكة كشميت،

وما عاد هناك سبب لهروبي منها.."

فقال تبريق بغير اقتناع "لا أصدق ذلك.. ولا يمكن لمن رآك يوماً مع جام أن يصدق أنك سترحل بهذه السهولة يا كين.. فهل تحاول خداعي أم أنك تخدع نفسك؟.."

رفع كين بصره إليه قائلاً بحزم "هذا أمرٌ يخصني يا تبريق.. ولا شيء يجبرني على العودة للقبيلة.. أليس كذلك؟"

همّ تبريق بالاعتراض من جديد، لكن كين استوقفه قائلاً "الأهم من ذلك.. هناك أمرٌ أريد الحديث معك عنه.. وأريد أن تعدني ألا تذكر حرفاً من هذا للججي مهما كانت الظروف.."

نظر له تبريق باستغراب لهذا الطلب، فقال كين "بخصوص هذا اللقاء الذي تنتوي ججي القيام به مع الملك فارس.. أنا أثق أنه لن ينتهي نهاية سعيدة أبداً.. وأثق أن الملك ينتوي خيانتكم بشكل سيصدمكم.."

قال تبريق بغير اقتناع "لم أنت واثقٌ من هذا؟.."

فقال كين بتوتر "لأن الملوك لا يرضخون لأعدائهم، ولا يمكن أن يرضخوا لبضع قبائل بدائية كما يصفونكم في الممالك الأخرى.. هذا يعدّ إهانة له وتصغيراً من شأنه أمام بقية الممالك.. ولذلك، سيسعى بكل ما يملك للتخلص من ججي ومن أي زعيم يقف في وجهه.. لقد أخبرت ججي بشكوكي، لكنها رفضت الإصغاء لما أقوله بشكل تام.."

ظل تبريق صامتاً بتفكير، فتقدم كين خطوة وأمسك ذراعه قائلاً برجاء "أرجوك يا تبريق.. لا تغادر موقعك إلى جوار ججي أبداً.. ولا تسمح للملك باللقاء معها منفرداً دون أن تكون معها.. مهما كانت ججي قوية، ومهما كانت ذكية، فلا يمكنها أن تقاوم جماعة من الجنود أو تصدّ طلقات بنادقهم.. سيغتالونها فور أن تجتمع بالملك، هذا ما أنا واثقٌ منه.."

قال تبريق "بالطبع لن أسمح له بفعل ذلك، وسأحمي زعيمنا بكل ما أملك.."

فقال كين "ليس هذا ما أطلبه منك فقط.. هناك أمرٌ آخر.."

نظر له تبريق بتعجب، فخلع كين الخاتم الفضي من إصبع يده اليمنى، ومدّ يده نحو تبريق مضيفاً "هناك أمرٌ آخر قد تتعجب له أو تستنكره.. لكنني أرجوك أن تحققه لي مهما كانت النتائج.."

ووضع الخاتم في راحة يد تبريق الذي قال وهو يتأمل الخاتم "وما الذي يجبرني على طاعتك في أي أمر؟"

قال كين "لأنك تتمنى الخلاص مني بالفعل.. أم أنك نسيت؟"  
حدج تبريق كين بنظرة حادة وهو يقول "حسناً، أيها السليط.. يبدو أنني لن أستطيع الإفلات منك هذه المرة.. فما الذي تريده مني حقاً؟"  
جذب كين نفساً عميقاً، وبدأ يشرح لتبريق طلبه الصغير.. كان واثقاً من تقديره لما سيجري مع الملك فارس.. وهو مدرك أن الأكاشي الواصلون بأنفسهم والمعتزّون بهويتهم لا يمكنهم تخيّل أن الشعوب الأخرى تستحقهم وتعاملهم بدونية.. وثقة الأكاشي هذه هي بالذات ما سيودي بهم إلى نهاية لا يتمناها أحدهم في حياته..

\*\*\*\*\*

رغم أن الخطة كانت تقضي بأن تتحرك ججي مع فرقة من الرجال نحو موقع الاجتماع مع هاكين وبقية زعماء القبائل الذين سيحضرون ذلك اللقاء، لكن ججي رفضت بكل عناد مغادرة موقعها بانتظار عودة تبريق مع كين.. كانت واثقة من نجاح تبريق في المهمة التي أوكلتها إليه.. وكانت واثقة كل الثقة أن كين سيعود معه بعد أن يتخلص من جنود الكشميت.. لم يخايلها الظن ولو لو هلة أن كين قد لا يعود لها هذه المرة كما كانت تتوقع.. لذلك كانت صدمتها وعصبيتها كبيرتين وهي ترى تبريق يعود بعد ما يقارب عشرة أيام مع من صاحبه من الرجال بدون أن تلمح كين معه.. تلفتت في الموقع بحثاً عن أي أثر له، ثم قالت لتبريق مقطبة عند اقترابه منها "أين هو؟.."  
نظر لها تبريق بصمت للحظة ملاحظاً الاستياء الواضح على وجهها، فقال وهو يدرك الثورة التي عليه مواجهتها بعد جملة هذه "لم أتمكن من إعادته.."  
نظرت له بصدمة للحظة، ثم صاحت بثورة "ماذا تعني بذلك؟"  
نظر لها تبريق بصمت وهي تقول بغضب "أتحاول إقناعي أنك لم تتمكن من استعادة كين أنت وكل رجالك؟.. كيف يمكنك أن تعود إليّ بفشلك هذا؟"  
قال تبريق بحزم "لم أفشل يا جام.. لكن كين رفض العودة معي بإصرار.."



قالت بغضب "هذا محال.. لا يمكن أن يعود كين إلى الكشميت راضياً.. لا يمكن أن يفعل ذلك.."  
فقال تبريق "لم أنت متشبت به هكذا؟"

نظرت له بغضب عارم وصاحت "كين لا يمكن أن يتخلى عن الأكاشي.. لا يمكن أن يرحل وسط هذه الظروف التي نعيشها.. أنسييت أن معظم نجاحاتنا كانت بسبب مخططاته تلك؟"

هز تبريق رأسه قائلاً "أنت تخشى من فشلك بدونه أم أنك تريده هو؟.."

فقالت بجفاء "ما الذي تعنيه؟.. أفصح لو كنت تملك رأياً تريد إقناعي به.."

زفر تبريق بضيق بينما وقفت ججي في موقعها وهي تشدُّ على قبضتي يديها بقوة وملامح وجهها منقبضة..  
ثم سمعته يقول "حتى متى ستمسك به يا جام؟.. عليك أن تطلقه وتتركه يعود لعالمه.."

صاحت بحق "عالمه؟.. هل أقنعك أنه راضٍ بالعودة إليه؟"

قال تبريق هازئاً رأسه "لا.. لكن لم يكن له بدٌ من ذلك.. إنه ليس رجلاً عادياً.. إنه أمير من الكشميت..  
مهما هرب، فسيستعيدونه مهما طال الزمن.."

نظرت له ججي بنظرات حادة حانقة وهي تود لو تطرده لثلاث تسمع المزيد، بينما أضاف تبريق "عليك أن تدرك أنك وهو لا تجتمعان أبداً.. أنت من الأكاشي الهمجيين.. وهو من الكشميت الغرباء.. كين لم يكن يوماً من الأكاشي ولم يكن ولاؤه لهم بأي حال.. ولو بقي معنا وقاتل إلى جوارنا طوال هذه السنين، فهذا لا يعني أنه قد أصبح منا.. ومادام عزم على الرحيل، فلا يمكننا إبقاؤه بيننا رغماً عنه.."

فقالت ججي بحق وقد فاض بها الكيل "اصمت.. لا أريد سماع المزيد.."

فقال تبريق بهدوء "كما تريد.. لكن ضع في ذهنك أننا لن نبقي هنا زمناً طويلاً.. علينا أن نبدأ سيرنا نحو موقع اللقاء مع الملك العربي قبل أن يغضب لتجاهلنا إياه ويعتبرها إهانة في حقه.."

وغادر تاركاً ججي تقف في موقعها وهي تشدُّ قبضة يدها بقوة.. وتحاول ابتلاع هذا الخبر الذي لم يدُر في ذهنها أبداً طوال السنوات الماضية أن تسمعه في يومٍ ما.. وفي وقوفها وسط المخيم، شعرت أن الأنظار تتجه إليها بتفحص كرهته، وكأنها تقرأ تعبيراتها وتشمت من عجزها عن استعادة يدها اليمنى الذي لطالما لازمها بشكل شبه دائم.. عندها استدارت ججي وعادت لخيמתها بصمت مغلقة الباب خلفها بقوة..  
تلفتت حولها شاعرة بحشد من المشاعر التي غلب عليها الحنق، عندها ركلت كل ما يمكنها ركله في

خيمتها بغيظ، ثم تناولت سيفها وتسَلَّت بضرب بعض المخاد الثقيلة به مبعثرة ما بقلبها.. ولولا خشيتها من تهاوي الخيمة على رأسها لشغلت نفسها بضرب الأعمدة الخشبية التي ترفعها.. ظلت على هذا الحال وهي تتنفس بقوة وتزفر بحدة بين ضربة وأخرى.. وتدمدم بأنفاس متلاحقة "كين الأحمق.. كين الغبي.."  
ولما شعرت بذراعيها تؤلمها لهذا المجهود، تهاوت جالسة قرب النار وسط الخيمة وهي ترمي سيفها بعيداً وتقول بغيظ "ذلك المعتوه.. فليهرب كما يشاء.. لطالما أدركت أنه لا يستحق أن يكون رجلاً.."

سمعت صوتاً يقول من مدخل الخيمة "أكل هذا الغضب لأنه تخلى عنك؟"  
التفتت إلى المدخل لترى تينا تدخل الخيمة بخطواتها الهادئة كعادتها، وتأملت محتوى الخيمة المبعثر وججي تقول بحزم "لست غاضباً لأنه تخلى عني.. بل لأنه هرب في موقف حاسم كما نحن الآن.."  
قالت تينا بسخرية "حقاً..!"

قطبت ججي دون أن تعلق، بينما أخذت تينا تلملم الأغراض المبعثرة وهي تقول "لو أنك كنت صريحة معه، ولو أوليته بعض الاهتمام لما اختفى بهذه الصورة.. لكن، والحال هكذا، ما الذي يربطه بهذه السهول الدموية كما يصفها دائماً؟.."

قالت ججي بضيق "ما الذي تعنيه؟.. أنا صريحٌ معه دائماً.. ألم أجعله ذراعِي اليميني؟.. أليست كلمته مسموعة بين رجال القبيلة كلهم رغم ضعفه وهزاله؟.. ما الذي يبغيه بعد؟"  
نظرت لها تينا بتعجب، ثم اقتربت منها قائلة "من قال لك أن هذا ما يبغيه حقاً؟.. أتظنين أن أميراً مثله يرضى بأن يكون مجرد مساعد لزعيم قبيلة لا أهمية لها في هذا العالم؟.."

قالت ججي بغيظ "هل تستهزئين بقبيلتك يا تينا؟"  
زفرت تينا وهي تقف أمام ججي التي أدارت وجهها جانباً بضيق، ثم جلست قريبا وأمسكت كتفها قائلة "هو لا يريد أن يكون مجرد ذراعٍ أيمن لك.. هذا الدور يمكن أن يقوم به عشرات الرجال من هذه القبيلة دون أن يهملك هويته.. إنه يريد موقعاً أكبر وأقرب إليك من ذلك.."

ثم أحاطت وجه ججي بيديها وهي تواجه عينيها مضييفة "حتى متى ستتجاهلين مشاعره تجاهك؟.. بل حتى متى ستتجاهلين مشاعرك أنت؟"

حدجتها ججي بنظرة حادة متسائلة "مشاعري؟.. أي مشاعر تعنين؟.. إن كنت تعنين غضبي هذا فهو..."

قالت تينا بحزم " هذا الغضب يخفي مشاعر أخرى أكثر قوة ورقة.. مشاعر تنكرينها لأنك واثقة أنها ستجعلك أضعف مما تحبين.. مشاعر تعرفها أي أنثى في العالم بالفطرة إلا أنت.. "

قطبت ججي بشيء من الاستنكار، فابتسمت تينا معلقة "لم لا تمنحين عقلك إجازة ليوم واحد وتساألين قلبك بإخلاص؟.. لو لم تصلي لنتيجة هذا اليوم فحالك ميؤوس منه.. لكنني واثقة أن قلبك سيدلك على حقيقة ما يجري.. "

ونفضت تتم عملها بتنظيف المكان، بينما بقيت ججي في موقعها متربعة قرب النار وهي مطرقة بصمت.. وبعد بعض الوقت، غادرت تينا همدوء كما دخلت تاركة ججي تفكر وتفكر وتساأل نفسها باستمرار.. لم هي غاضبة حقاً؟.. الحرب قد أوشكت على الانتهاء، وهي قد اكتسبت خبرة كافية وأصبحت أكثر قدرة على اتخاذ الخطوات الملائمة لخوض معاركها دون الاستعانة بكين.. فلم هي مستاءة لرحيله؟.. لم تستنكر عليه أن يقرر التخلي عن الأكاشي والعودة لعالمه السابق؟.. لم تشعر بأنه خذلها بشدة؟.. لأنه خدعها؟.. أم لأنه رحل دون وداع؟..

لم تعد قادرة على الجلوس في هذه الخيمة الخائفة، فخرجت منها واتخذت طريقاً يدور بها حول المخيم وهي تتأمل جوانبه بصمت.. ثم اتخذت موقعها المعتاد في جانب المكان حيث تطل على السهول الشاسعة خلفه وهي تتأمل الأفق بصمت ساهمة.. للمرة الأولى تقضي ججي وقتها صامتة بتفكير عميق فيما لا يخص القبيلة.. للمرة الأولى تفكر في أمر كين بهذه الحدة والإلحاح.. كانت تشعر أنها لو لم تفعل ذلك، فستمضي الأيام دون أن تفكر في أمرها مع كين كما يجب ودون أن تفك طلاسم هذه العلاقة التي لا تعرف لها اسماً.. ولو لم تفعل، فستظل ذكرى كين تورثها غصة كلما مرت بخيالها، وهو أمر لا تستطيع تجاوزه بعد أن قضت أهم سنواتها الماضية بقربه وقضتها معه.. لقد كان كين ملازماً لها ومتواجداً في حياتها بشدة بحيث لا تذكر حدثاً هاماً جرى لها إلا وكان كين طرفاً من تلك الذكرى..

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، عادت تينا إلى خيمة ججي التي التزمت بصمتها أغلب ساعات النهار، فقالت وهي تقترب

منها حاملة بعض الطعام "أنت لم تتناولي أي شيء يذكر منذ الصباح.. أليس كذلك؟.."

غمغم ججي بصوت خافت "لا رغبة لي بالطعام.."

نظرت تينا لوجه ججي الصامت، ولم يرغب عن عينيها الشحوب الخفيف الذي بدا عليه.. كما كان صمت

ججي غريباً وهي التي اعتادت أن تلفت الأنظار بصوتها العالي في كل وقت.. جلست تينا قرب ججي

وابتسمت لها، ولما استمر صمت ججي دون أن تلاقي أختها بعينيها قالت تينا بهدوء "هل فكرت بالأمر

كما طلبت منك؟"

استمر صمت ججي وتينا تتساءل "هل أدركت حقيقة مشاعرك تجاهه كين؟.. أم أنك لا زلت بعنادك

القديم؟"

فقالت ججي بحق و غضب "وما فائدة ذلك؟.. لقد هرب ذلك الجبان دون أن يعبا بي أو يهتم لما قد أشعر

به.. إنه لم يهتم حتى بإبلاغي برغبته تلك بالرحيل.. كان يستغفني طوال الوقت.."

قالت تينا بغير اقتناع "هذا مستحيل.. أنت لا تعرفين ما يعنيه وجودك بالنسبة له.."

أشاحت ججي بوجهها جانباً رافضة الاقتناع بما تقوله، عندها قالت تينا "هل أخبرك أمراً احتفظت به سراً

لوقت طويل؟.."

لم تجب ججي بالرفض أو الإيجاب، فاستمرت تينا تقول "قبل زواجي من تبريق، ذهبت إلى كين،

وصارحته بحبي له.."

نظرت لها ججي بدهشة، فأضافت تينا "أجل.. كين هو من كنت أحب قبل زواجي، وطلبت منه أن

يتزوجني أو أن نهرب معاً.. وهو من رفضني بسببك أنت.."

غمممت ججي "بسببي أنا؟.."

هزت تينا رأسها إيجاباً وقالت "أخبرني أنه لا يرى غيرك، ولا يهتم بفتاة إلا أنت.."

خفضت ججي رأسها معقودة الحاجبين، فضغطت تينا على يدها وقالت "لقد كان يجبك منذ البدء.. وقد

صارحك بذلك مرات ومرات بكل الوسائل الممكنة.. هل تنكرين ذلك؟.. أنت من عامله بتجاهل

ونكران لمشاعره.. أنت من تنكر لمشاعره بقسوة.. ومع ذلك، بقي إلى جوارك وبذل ما في وسعه لحمايتك

ودفعك للأمام راضياً بأن يبقى مجرد نكرة.."

ظلت ججي صامته وتينا تضيف "أظنن أن أي رجلٍ قد يكون سعيداً عندما ينسب نجاحه إلى غيره؟.. كان يفكر ويخطط، ونجاح مخططاته ينسب إليك أنت.. لو كان شخصاً آخر لغضب وفارقك منذ البداية.." قالت ججي بحدة "لقد فعلت ذلك لأحميه.. إنه شخص غريب، ولذلك لن يتردد أحد أعدائنا في قتله لتعطيلنا بأي صورة كانت.. وقتله لن يثير نقمة القبيلة ولن تطالب بدمه المهذور.. لذلك سيكون لقمة سائغة لكل من أراد الانتقام مني.."

فقلت تينا "هذا صحيح، لكنه لا يلغي أن كين فعل الكثير لأجلك منكرًا ذاته.." ثم هزت كتف ججي قائلة "ما الذي قاله لك قبل أن يغادر في الليلة الأخيرة؟.. لا بد أنه ذكر شيئاً، فمثله لن يرحل دون تفسير أبداً.."

صمتت ججي متذكرة تلك الليلة.. تلك اللحظات الأخيرة التي رأت فيها كين وتحدثت معه.. راودتها غصّة قوية أعجزتها عن الكلام وهي تتذكر كل كلمة وهمسة خرجت من شفثيه.. وقتها، ومع انفعالها وغضبها مما تكشف أمامها من الحقائق، لم تكن مهتمة بما قاله.. ولم تتمعن في كلماته وفي معناها.. كان همّها منصباً على الكثير من الأمور، بينما كان كين آخر اهتماماتها.. ولم يكن ذلك لأنها لا تهتم به حقاً، لكن لأنه كان أمراً مضموناً في حياتها.. كان وجود كين الدائم قربها وتأكيدده على أنه لن يفترق عنها من الأمور التي دفعتها للتركيز على كل ما يشغلها وإرجاء التفكير به..

والآن، هي لا تندم على شيء قدر ندمها على هذا..

بعد صمت طويل أخرجتها تينا من ذكرياتها وهي تسأل بإلحاح "ما الذي أخبرك به يا ججي؟.. لا يمكن أن أصدق أن كين قد فضل الصمت ورحل دون تفسير.."

زفرت ججي وقالت بصوت متغير "لقد أخبرني أنه لن يرحل أبداً دون سبب.. أكّدي أنه لن يرحل قط، وأخبرني أنني أقوى أسبابه.."

ثم أضافت بصوت متهدج "لكنني لا أفهم.. كيف يدّعي هذا أمامي ثم يرحل بعدها مباشرة؟.. أكان يكذب علي؟.. هل رحل ساخراً من الفتاة البلهاء التي خدعها ببضع كلمات جوفاء؟.."

أمسكت تينا ذراعيها وقالت "ألم تفهمي أيتها الحمقاء؟.. لقد رحل بسببك أنت، ولأجلك أنت.."

نظرت لها ججي بدهشة وتينا تقول "لا بد أنه يخشى عليك من بحث ملك كشميت عنه.. قد يسيء الملك

فهم ما جرى لأخيه، وقد يحاول استعادته بالقوة لو رفض العودة هذه المرة.. عندها، لا يمكن ألا يصيبك مكروه وأنت لن تسمح ليهم باستعادة كين بالقوة.. أليس كذلك؟.."

خفضت ججي بصرها مجدداً بملامح متغيرة وهي تزم شفيتها المرتجفتين.. قاومت الدموع التي أوشكت على الانحدار على خديها بكل ما تملك.. ظلت تضم قبضتها وتخفض وجهها وهي تودّ لو تبقى وحيدة.. فالندم الذي يحتشد في صدرها لن يزول بسهولة مهما ذرفت من الدموع.. والألم والتعاسة اللذان يبدوان على وجهها بوضوح من أشد ما تكره للآخرين رؤيته..

لكن تينا ضمتها بقوة وقالت مشفقة "لا بأس يا ججي.. يمكنك استعادته دون شك.. إنه ما يزال حياً، وهذا يعني أن لقاءك به ليس مستحيلاً.."

لكن ججي لم تشعر بأي راحة لمثل هذا القول.. كل ساعة تمضي تزداد فيها المسافة بينهما، ويزداد كين بعداً عن قبضتها بشكل يزيد أسى فوق ما تتصور.. لم تتخيل يوماً أن تشعر بهذا الألم لرحيله، وأنها ستشعر بهذا الضياع والأسى لاختفائه..

ولكي تمنع دموعها من الانهار بمذلة أمام تينا، ولكي تخلو لنفسها، فإنها نهضت وسارت بخطى مترنحة إلى فراشها فألقت جسدها عليه وهي تغمض عينيها بقوة.. بينما وقفت تينا تراقبها بإشفاق بالغ وهي حائرة في الطريقة التي يمكنها بها أن تهدئ حزنها وألمها ذاك.. ججي القوية دائماً، والشجاعة بشكل يفوق البقية.. ججي الصلبة التي لم تنكسر لحظة موت أبيها وقودتها بل اتخذت قرارها في تلك اللحظة بما عليها فعله دون تردد.. ججي التي تسخر من الهزائم ولا يرتجف جسدها لخوف أو ذعر.. هي ججي ذاتها التي تراها الآن بهذا الضعف البالغ والوهن الغريب.. أين كانت تحفي هذا كله عن عيني تينا؟..

لاحظت تينا ظلاً قرب الباب في تلك اللحظة، ولما استدارت إليه رأت تبريق يطلّ عبر الباب المفتوح ويشير لها لتبعه.. ترددت تينا للحظة وهي ترمق شقيقته الساكنة، ثم قررت أن عليها منحها بعض الوقت لتخلو لنفسها وترتب أفكارها فيما عليها فعله.. تناولت غطاءً سميكاً وغطت به جسد شقيقته الصامتة، ثم غادرت بصمت بدورها وهي تتبع تبريق الذي همس "كيف هي الآن؟"

هزت تينا كتفيها بحيرة وقلة حيلة، فقال تبريق وهو يجذبها لتبتعد عن الخيمة "عليك تركها لترتاح قليلاً.. بعد أحداث هذا اليوم، ومع ما ينتظرنا غداً، من الأفضل لها الحصول على بعض النوم لتلتقي بالملك العربي

بعقلٍ صافٍ.."

غمغمت تينا وهي ترمق الخيمة خلفها "لا أظنها ستحظى بأي نوم هذه الليلة.. فما جرى ليس شيئاً يمكن أن يبعث على الراحة.."

قال تبريق "أنت تبالغين.."

هزت تينا رأسها معلقة "لا.. بل أنا أثق بذلك.. ندمها على ما فرطت به، والمرارة التي تشعر بها لأنها لن تراه مرة أخرى سيكونان أقوى من أي تعب أو نعاس.."

ابتسم تبريق وقال محاولاً تخفيف القلق البادي عليها "لا ألومها لو حدث ذلك.. أنا بالكاد كنت أذوق نوماً منذ عدت للمخيم ورأيت فتاة جميلة سلبت عقلي رغم أنها كانت تناديني (يا أبتاه) منذ رأيتني.."

قالت تينا مشيخة بوجهها "لكنك تنازلت عن تلك الفتاة التي سلبت عقلك بأسرع مما توقعت وعرضت عليها أن تطلق سراحها بعد أيام قليلة من زفافك منها.. كيف تريدني أن أصدق حياً تبخر بهذه السرعة؟"

فقال تبريق وهو يدير بصره جانباً بدوره "لو أنك عرفت كيف كان قلبي يتمزق المأ وأنا أعرض عليها هذا الأمر، لأشفقت عليّ بالتأكيد.."

نظرت له بشيء من الشك متسائلة "أنت واثق من ذلك؟"

نظر لها بابتسامة حانية وقال "وكيف أسعد بفراق الفتاة التي سلبتني عقلي؟.. هذا يعني أن أفقد عقلي وقلبي معاً في لحظة واحدة.. فما الذي سيتبقى مني بعدها؟"

أدارت تينا بصرها جانباً وقالت بشيء من الارتباك "أنت تجيد الكلام المعسول بشكل لم أتوقعه.. كدت للحظة أن أصدق ما تقوله.."

أحاطها تبريق بذراعه وغمغم "ليتك تفعلين ذلك.."

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي، دخل تبريق خيمة ججي ليجدها جالسة قرب النار بصمت متجاهلة تينا التي تحدثها بحديث خافت.. فاقترب تبريق منها متسائلاً "هل استدعيتني يا جام؟"

رفعت بصرها إليه قائلة بصوت حازم "علينا الرحيل للقاء الملك العربي.. أم أنك نسيت ذلك؟.."  
كانت الجدية التي تبدو على وجهها غريبة مع انفعالها في اليوم السابق.. بدا أنها نبذت كل ما شعرت به في  
اليوم السابق، وارتدت ملامح جامدة حادة وكأنها ترفض أن يرى شخصٌ مشاعرهما الحقيقية.. أم أنها  
نبذت تلك المشاعر بالفعل وتناستها؟..

لم يستطع تبريق أن يسألها ما هي فاعلة بشأن كين، فقال عوضاً عن ذلك "كم رجلاً سنصطحب معنا؟.."  
أجابت وهي تنهض واقفة "عشرون رجلاً.. سأجعل سادر على رأس القبيلة أثناء غيابنا كما هي العادة.."  
نظر تبريق إلى تينا، فرآها تنظر إليهما بشيء من اليأس، ثم قال "لا بأس.. سيجهز الرجال خلال دقائق  
معدودة.."

وغادر الخيمة تاركاً تينا التي قالت لججي "هل ستركين كين يرحل حقاً؟.. أألن تذهبي لاستعادته؟.."  
قال ججي وهي ترتدي حذاءها استعداداً للرحيل "لقد رفض طلب تبريق منه العودة إلينا، فلم يجب أن  
أضيع وقتي في اللحاق به؟"

قالت تينا بانفعال "هناك فرق بين تبريق وبينك أنت.. لو رآك أنت، ولو صارحته بحاجتك له وبحقيقة  
مشاعرك، فلا أشك أنه سيتخلى عن الدنيا ليقبلي معك.."  
نظرت لها ججي عابسة وقالت "من قال لك إنني بحاجته حقاً؟.. ما أشعر به وما أحجاجة أمران مختلفان  
تماماً.."

هتفت تينا "هذا لا يعني شيئاً.. هل ستكونين سعيدة بحياتك دون أن يكون كين قريباً منك؟.."  
زفرت ججي باستياء، ثم ارتدت خوذتها وتناولت سيفها قائلة "لدي من الأمور ما هي أهم من ملاحقة  
ذلك الأحمق.."

وضعت السيف في حزامها، وغادرت الخيمة فيما تنهدت تينا مغممة بضيق "من الأحمق بينكما؟.. حقاً ما  
عدت أدري!.."

انشغلت ججي بإعداد حصانها للرحلة الطويلة والتي ستأخذها للجانب الشرقي من السهول.. ثم امتطت  
ظهر الحصان ووقفت للحظة تدير بصرها في المخيم الهادئ في هذا الصباح.. كانت على وشك أن تتخذ  
خطوة هامة في حياة الأكاشي، وكل ما يقلقها إن كانت هذه الخطوة ستعود على قبيلتها بالخير أم أنها ستكون



شؤماً عليهم لأجيالٍ طويلة.. هل سيذكرها أفراد قبيلتها بخير، أم أنهم سيلعنونها ببغض لما جلبته على رؤوسهم؟.. لكن أي خيار تملكه الآن؟.. لم تعد القبيلة بذات القوة ولا التجهيز اللازم لمواجهة جيوش الملك، ومن حسن حظهم أنه عرض عليهم أن يبرموا معاهدة تحقن دماءهم ودماء جنوده قبل أن ينكسر رجال قبيلتها بالفعل ويسقطوا فريسة سهلة لجيوش الملك..

ومع كل هذا.. أي خيار تملكه الآن في كل ما تفعله؟..

رأت سادر يقترب منها مع بضع رجال من كبار القبيلة، وسمعتة يقول "كن حذراً يا جام.. أكاد أشم رائحة الغدر في عرض الملك.."

غمغمت ججي بصوت خفيض "لم الكل مصرُّ على هذا القول؟"

ثم نظرت لسادر قائلة "لا تقلق.. سأخذ حذري بالطبع.."

فقال سادر "هذا لا يعني أنك لا تستهين به.."

صمتت وهي تجول ببصرها في المخيم، ثم قالت "لا يمكنني التفريط بهذه الفرصة أبداً.. لأجلكم.. لأجل القبيلة كاملة.."

نظر لها الرجال بصمت، ثم قال سادر ببطء "وإن لم تعد قط؟.."

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تجيب "أحوالك التصرف بما في صالح القبيلة.. مهما كان ذلك القرار.."

في الآن ذاته، كانت تينا تقف قرب حصان تبريق الذي تلملم بانتظار صاحبه.. صمت تبريق وهو يثب

السرج على ظهر حصانه وتينا تنظر إليه بتوتر قبل أن تقول "هل ستعود يا تبريق؟"

أجاب تبريق وهو ينهي عمله "سأحاول ذلك.. لن يمنعني من العودة إلا الموت.."

ازداد القلق في عينيها وهي تغمغم باستياء "لا تتحدث عن الموت الآن أرجوك.."

أمسك تبريق يدها وقال بابتسامة "لا تقلقي.. سأعود بالتأكيد.."

ابتسمت تينا ابتسامة متوترة بدورها، ثم قالت "هل ستمنع ججي من ارتكاب أي جنون يودي بحياتها؟"

قال تبريق هازأً كتفيه "سأحاول، لكنني لا أضمن ذلك بتاتاً.."

خفضت تينا بصرها بصمت وهي تضغط على يده بيديها، ثم همست "سأنتظر حتى تعود.. فلا تجعلني

أنتظر طويلاً يا تبريق.."

ابتسم تبريق وهو يلمس خدها بأصابعه وغمغم "سأعود يا تينا.."

وجدها تتراجع بصمت فيما امتطى هو ظهر حصانه دون أن يضيف كلمة أخرى، وجذب اللجام ليدير الحصان وهو يلكزه ليسير لاحقاً بججي التي انطلقت مسرعة وسط نظرات رجال ونساء القبيلة.. وخلال لحظات، تبعها عشرون رجلاً على ظهور الخيل، حاملين أسلحتهم ودروعهم باستعداد تام للقتال وللدفاع عنها لأي لمحة غدر.. ابتسمت ججي وهي تواجه الأفق بنظراتها وتلكز الحصان ليركض بأقصى سرعته.. لكم هي فخورة بقبيلتها وبما حصلت عليه من ولاء تام من رجالها.. لم تتوقع يوماً أن تصل لهذا المكان، وأن تحصل على هذا الولاء.. ولا يغيب عن ذهنها الخطر الذي تسير إليه بإرادتها الحرة.. لكن، لو تحققت توقعات كين وكبار قبيلتها، فهي على الأقل لن تندم لما وصلت إليه.. على الأقل، حققت بعض طموحاتها، وحققت الغرض الذي لأجله اتخذ قادور قراره بجعلها رجلاً، رغم كل السخرية التي طالته جراء ذلك..

\*\*\*\*\*

في وقت آخر، وفي موقع آخر يبعد مئات الآلاف من الأميال عن سهول الأكاشي التي تحتل جزءاً صغيراً فقط من القارة العظمى، وفي ميناء حيوي ينبض بالحركة الدؤوبة والأعمال التي لا تنتهي، رسّت تلك السفينة الكبيرة ذات الزخارف والرايات التي تحمل الشعار الملكي الخاص بتلك المملكة.. وفور رسوها، في موقع خاص من الميناء يستوعب حجمها الكبير، تم مدّ جسر خشبي من السفينة وحتى رصيف الميناء الحجري..

ومن قلب السفينة، خرج كين ووقف على الجسر يتأمل الميناء الذي يعتبر جزءاً حيوياً من هذه المدينة العظيمة.. تأمل جوانب المكان بمشاعر مختلطة، متذكراً تلك الليلة التي خرج فيها من المدينة خائفاً يرتعد فرقاً من أي ظل يمر به.. ثم بعد تردد، دفع نفسه ليهبط نحو الرصيف الحجري ملاحظاً عدداً من الجنود الذين اصطفوا في جوانب الرصيف مكونين فرقة خاصة لحمايته واصطحابه في رحلة العودة نحو قلب المدينة..

سار كين عدة خطوات على الرصيف ملاحظاً الأعين الفضولية في جوانب أخرى من الميناء، عندما رأى

تلك العربة التي توقفت قريباً من موقعه.. ظن كين أن تلك العربة آتية لاصطحابه، فتقدم نحوها بصمت عندما وجد بابها يفتح بسرعة ورأى شخصاً يرتدي ثياباً زاهية يخرج من العربة مسرعاً إليه.. تجمد كين للحظة وهو يرفع بصره ليرى تلك الشابة ذات البشرة البيضاء الشاحبة والشعر الفاحم والعينين السوداوين الدامعتين وهي تركض نحوه حتى رمت نفسها عليه وهي تعانقه بقوة..

بدا لكين، الذي لم يستوعب بعد أنه قد عاد لموطنه، وللعاصمة كاشتار، أن من يراها هي جزءٌ من حلم يحلم به.. رفع يده بعد هنيهة وضم الجسد الباكي والشابة تقول من بين دموعها "كيف تفعل هذا بي يا كين؟.. لقد اختفيت لسنواتٍ طوالٍ دون أن تصلنا أخبار عنك، إلا تلك الأخبار التي تناقلها الجنود بمقتلك في ميناء سربيل بعد أيامٍ من هربك.."

ورفعت وجهها المبلل بالدموع وهي تنظر إليه مضيئة بصوت مرتجف "لقد مرت عليّ أيامٌ وشهور كنت أثق فيها أنك قد قضيت نحبك في موضع مجهول ولن نعثر عليك بعدها أبداً.. ولم أكد أصدق الأنباء التي وصلتنا منذ أشهر قليلة عن وجود كشميتي في سهول الأكاشي.. بل لم أصدق بتاتاً أنك أنت ذلك الكشميتي المجهول.."

ابتسم كين أخيراً وهو يقول "كيف حالك يا أختاه؟.."

قالت بنبرة لائمة "أتسألني الآن؟"

ثم شدت على يديه قائلة "لم تعد طوال تلك السنين حتى بعد موت الملك سوجا وتولي ترمين الحكم من بعده؟.. ألم تعلم أن ترمين قد أسقط جميع الأحكام الصادرة بحقك فور توليه العرش؟.."

غمغم كين "وكيف لي أن أدرك ذلك وأنا في تلك المنطقة المعزولة عن العالم بشكل شبه تام.."

نظرت له بإشفاق وهي تقول "يا لأخي المسكين.. كيف تمكنت من قضاء تلك السنوات مع تلك القبائل الوحشية التي تتصف بهمجية مطلقة؟.. لا بد أن حياتك كانت عسيرة هناك.. هل كنت سجيناً لديهم؟"

ابتسم كين وهو يجذبها نحو العربة قائلاً "لم يكن الأمر سيئاً كما لك أن تتصورى.."

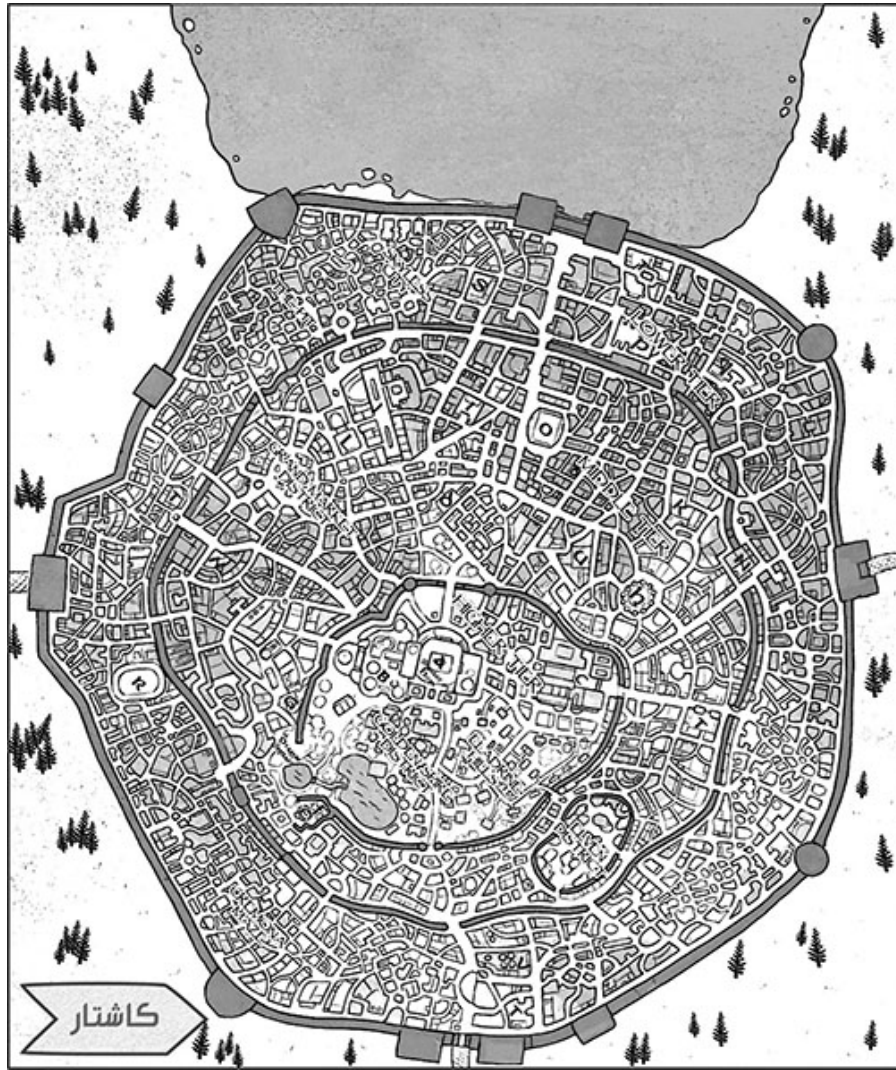
قالت باستنكار "مستحيل.. هل تقنعني أن العيش مع تلك القبائل التي لا تملك أي تحضر ولا معرفة كان أمراً مقبولاً؟.. هذا من سابع المستحيلات.."

غمغم كين وهو يستقر في العربة معها "ربما كان ذلك من وجهة نظر العالم كله.. لكن العيش في تلك

السهول يخالف التوقعات بشكل قد لا تتصورينه قط.."

انطلقت العربة شاقة الطريق الذي يتجاوزها السور الأول فالثاني فالثالث الذي يحيط بكاشتار.. ووسط السور الثالث، الذي يضم القصور الملكية وقصور كبار التجار والوزراء والطبقة الغنية من العاصمة، يستقر القصر الذي شهد طفولة كين وسنوات مراهقته الأولى.. قبل أن تضطره الظروف لهجر كل شيء والهرب متسللاً وسط أستار الظلام، في رحلة ساقه إليها قدره نحو عالم كان مجهولاً بالنسبة له..

\*\*\*\*\*



## الفصل الرابع والعشرون {بشائر سلام أم نذر حرب}

استغرقت الرحلة من ججي والفرقة المصاحبة لها ما لا يقل عن ستة أيام، ولم تكن ججي متعجلة في رحلتها هذه.. كانت لا تزال تقلّب الأمر في ذهنها، ولا تزال تتساءل عن العرض الذي قد يقدمه الملك لها لكسب موافقتهم على هذه المعاهدة.. وعندما تسأل أحد رجالها عن السبب الذي لأجله لم ترسل أحدهم لإعلام الملك بقدمها، فإنها أجابته "لكيلا يتخذ الملك احتياطاته ويستعد لقدمنا.. لا أريد أن نجد كميناً معداً لاستقبالنا فور وصولنا.."

علق تبريق قائلاً "الأفضل كذلك أن نحدد نحن موقع اللقاء.. ويستحب أن يكون بعيداً عن مدئ مدافع السفينة.."

هزت ججي رأسها مغممة "سنفعل ذلك.."

وفي اليوم الخامس، التقت جماعة (أبناء الذئاب) بفرقة من رجال قبيلة (طاغار) يقودهم هاكين.. وبذلك، أصبح عدد الأكاشي يقارب الخمسين رجلاً بالإضافة لججي وهاكين، فسار الفريقان حتى قطعاً الجزء الشرقي من السهول مقتربين من الخليج الضيق الذي يفصلهم عن مملكة الملك فارس، وتقف الجبال الشاهقة حاجزاً أمام الخليج مانعة إياه من التوغل بشكل أعمق وسط القارة..

سار الفريقان متجاوزين موقع معركة (الليلة البيضاء) الذي كان موقع قبيلة (نجم الشمال) التي لم يبق لها أثر بعد أن تفرق رجالها في السهول.. اختار هاكين موقعاً يبعد عن الشاطئ مسافة كافية لحمايتهم من مدافع السفن العربية، وقريباً من غابة كثيفة تمتد مسافة محدودة في الموقع لتكون منفذاً لهم للهرب في حال أطبق الملك بجنوده على المعسكر بغية الغدر بهم.. وخلال أيام قليلة كان عدد كبير من زعماء الأكاشي قد تجمع في الموقع منهم جيدار وستراك وغيرهم حتى أصبح العدد يوازي عشرة زعماء مع مجموعة من الرجال التابعين لكل زعيم.. وعند اجتماعهم، أرسل هاكين رسولاً إلى الملك العربي ليعلمه بوصولهم وبموقع اللقاء الذي يفترض أن تتم إقامته في معسكرهم..

بعد يومين، عاد الرسول إليهم يخبرهم بوصول الملك العربي مع فرقة من جنوده، ورغم النظرات التي

تبادلها الزعماء في الخيمة التي اجتمعوا فيها، إلا أن أحدهم لم يُظهر توتراً أو قلقاً وهاكين يقول دون أن يتحرك من موقعه "اسمح له بالدخول فور وصوله.. سنتظره.."

غمغمت ججي بعد رحيل الرسول "ألن يعتبر الملك عدم خروجنا لملاقاته إهانة له؟"

قال هاكين همدوء "لا.. نحن أصحاب الأرض، وهو الذي تقدم إلينا بطلب المعاهدة.."

علق جيدار وهو يلكم راحة يده بقبضة يده الأخرى "فليحاول هذا الحقير إغضابي بأي صورة كانت.. لن يمنعي جنوده جميعاً من قتله والتخلص من تهديده لنا بطرفة عين.."

قال ستراك بصوته العميق "عليك أن تتحلى ببعض الهدوء يا جيدار.. لم نأت هنا للعراك مع الجنود.. لو لم يعجبنا عرضه، سنرفضه ونرحل على الفور.. وهو الخاسر بالتأكيد عندها.."

تناهى لسمعهم صوت الأقدام التي تدك الأرض مقتربة من الخيمة، مما دهم على اقتراب الجنود بأحذيتهم الحديدية الثقيلة التي تختلف عن أحذية الأكاشي الجلدية الخفيفة، وتوقفت الخطوات قرب مدخل الخيمة قبل أن تزيح يد الستار الذي يغطي المدخل..

تعلقت الأبصار بالرجل الذي دخل بخطوات ثابتة يتبعه عدد من الجنود الأشداء متسلحين بأسلحتهم وخوذاتهم اللامعة ودروعهم الحديدية.. لم يعلق زعماء الأكاشي أو يتحرك أحدهم من موقعه بينما تحفز بعض الرجال الذين وقفوا خلفهم خشية أن يغافلهم الجنود بأي هجوم.. أما الملك، فقد كان يبدو مخالفاً للفكرة التي أخذتها ججي عنه سابقاً.. فرغم أنه تجاوز الأربعين من عمره بقليل، لكنه يبدو أكثر شباباً من كثير من رجال الأكاشي.. جسده مشدود بقامة طويلة ويمشي بثبات وثقة مرتدياً درعاً ذهبياً يخالف بقية الجنود، ويحمل خوذته بذراعه اليسرى.. ملامحه حادة صارمة ونظرة عينيه تدل على ثقة شديدة بنفسه، وابتسامة خفيفة ترسم على جانب شفثيه وهو يقترب من وسط الخيمة قائلاً "ليست العادة أن يسعى الملوك للقاء ضيوفهم قاطعين مسافات طويلة لهذا الهدف، لكنني تنازلت عن هذا لكي تعلموا حرصى على التوصل لاتفاق معكم.."

رأوا جنديين يدخلان خلف الملك حاملين كرسيه الخاص مذهب الأطراف بقماش أزرق لامع ويبدو وثيراً بشكل يخالف البساط الذي فرشاه الأكاشي لجلسهم أرضاً.. لم يعلق زعماء الأكاشي بكلمة والملك يتخذ مجلسه على الكرسي في صدر المكان دون أن يصافح أحد ضيوفه كما يدعوهم، بل اكتفى بالابتسامة التي

تعلو وجهه وهو يقول "هل أعتبر قدومكم للمقائي دليلاً على موافقتكم إقامة العهد معي؟.. أرجو ألا تخذلوا توقعاتي.."

لم يحاول أحد الزعماء الاقتراب من الملك الذي ظل يرمقهم بابتسامة لم تخفت للحظة، فيما قال هاكين بعد أن اتفق مع بقية الزعماء أن يتولى هو المفاوضة مع الملك "قدومنا لا يعني أننا سنخضع لك بشكل مطلق.. لقد أتينا للاستماع لما تعرضه علينا، ويبقى لنا حق القبول أم الرفض.."

نظر له الملك فارس بتمعن للحظات قبل أن يقول "أنت..... كما أظن هاكين.. أليس كذلك؟.. سمعت أن قبيلتك كبيرة وعظيمة وسط الأكاشي.. لا بد أن لك تأثيراً على بقية القبائل.. أم أنك تتولى زعامة القبائل بالفعل؟"

قال هاكين بهدوء "قبيلتنا كبيرة حجماً، لكنها لا تملك أي ميزة أو تفوق على بقية القبائل.. لذا كل قبيلة من الأكاشي مسؤولة عن نفسها في هذا الأمر.."

مال الملك فارس في كرسيه قائلاً بلهجة عملية "لنكن صريحين مع بعضنا البعض.. لا أحب التطويل في هذه اللقاءات، ولا أظني أملك القدرة على استمالتكم إليّ بكلمات معسولة مغلفة بالأكاذيب.."  
فقال هاكين معلقاً "هذا ما نطلبه بالفعل.. لا نريد أحاديث فارغة، فوقتنا محدود وقبائلنا تنتظر عودتنا بأسرع ما يمكن.."

تراجع الملك بظهره قائلاً "جيد.. إذن إليكم عرضي.. لقد طالت الحرب أكثر من اللازم، وهذه ليست الحرب الوحيدة التي أخوضها حالياً.. لذا فكرت بإقامة معاهدة تضمن للجانبين الخروج من هذه الحرب ظافرين.. فهل ستقبلون بذلك؟"

علق هاكين "يعتمد ذلك على شروط تلك المعاهدة.."

راقب الملك انفعالاتهم بابتسامة جانبية، وكأنه يحاول استقراء ملامحهم على ما سيقوله، ثم قال "أنتم تعلمون أنني أملك مملكة كبيرة مترامية الأطراف.. هناك مئات وآلاف المدن تدين لي، ومثلها من القرى والمقاطعات.. وهذا سيمدني بعدد لا محدود من الجنود يمكنني أن أسوقه لقتالكم في أي وقت.. لكنني اخترت أن أمد يدي إليكم بالسلام بدل السيف، فأنتم شعبٌ أثار إعجابي بعد كل ما رأيته منكم.."

قطب هاكين شيئاً ما لهذا التهديد المبطن وقال "ألم يكن الاختصار في الحديث شرطاً في اجتماعنا هذا؟.."

أطلق الملك فارس ضحكة عالية وقال "لا بأس.. يبدو أنكم بالفعل لا تعبؤون لهيبة الملوك التي تخيف أقوى الرجال، ولا تقلقكم فرق الجنود التي صاحبتني.."

ثم مال بجذعه للأمام مضيفاً "شروط المعاهدة بسيطة.. أنتم لكم الأرض، ولكم الموارد فيها وكل ما كنتم تملكونه بالفعل.. لكن الحكم سيكون لي أنا.. سأضّم هذه الأراضي لمملكتي، وسأبني عدداً من المدن على سواحلها لتسهيل سير السفن التجارية والملكية في هذه الأنحاء.. وسأعزز الطريق التجاري الذي يقود للممالك الشمالية بشرط أن يكف الأكاشي عن الهجوم عليها واستلاب ما تحمله من بضائع.. فهل تتفقون معي على هذا؟"

كان غضب جيدار قد فاض به فصاح بحق "نتفق؟.. نحن لا نستفيد أمراً من هذه المعاهدة، فالأرض أرضنا بالفعل وكل شيء عليها ملكنا.. كل ما تعرضه هو أن نخضع لك وأن تقتطع جزءاً من السهول لبناء مدنك تلك، فكيف تريد منا القبول على هذا؟"

قال هاكين "اهدأ يا جيدار.."

صاح جيدار بغضب "مخيم قبيلتي على الساحل، فهل سيأمرنا هذا الملك بالتحول عن موقعنا لبناء مدينته تلك؟.. كيف نرضى بأمر كهذا؟"

أجاب هاكين بصرامة "لا يمكننا أن نرضى بهذا الأمر.."

ونظر للملك الصامت مضيفاً "لقد ظننا أنك تملك عرضاً يمكن أن يثير اهتمامنا، لكن كل ما تطلبه منا هو أن نستسلم لك بعد أن تغلبنا عليك بالفعل في الحرب الماضية.. فهذا ما لا يمكننا الاقتناع به.."

أسند الملك خده لقبضة يده اليمنى وهو يقول بابتسامة جانبية "أهذا يعني أنكم ترفضون عرضي هذا؟"

قال هاكين بحزم "لولا تكن تملك عرضاً غير هذا، فسرفضه بالتأكيد.."

لوح الملك بذراعيه قائلاً "هل استمرأتم المعارك والحروب العنيفة تلك؟.. أهذا ما تريدونه حقاً لقبائلكم؟"

نهض هاكين واقفاً يتبعه بقية الزعماء وقال "نحن لا نسعى للحرب معك، بل أنت من يسعى إليها بإصرار.. أتعلم ما نطلقه على المعركة التي فررت منها كأبي جبان خسيس؟.. نسميها معركة (المئة ألف قتيل)..مئة ألف جندي قتلوا على هذه الأرض، وسنقتل كل من تقدمهم لنا مهما طال الزمن ومهما



استمرت هذه الحرب.."

غمغم الملك "حقاً؟!.."

ثم نهض واقفاً ودار ببصره بين الزعماء مغمماً "ظننت أنني سأجد عقلاً راحجاً بين زعماء الأكاشي، لكن كما يقال، الأكاشي لا عقول لهم.. تسيرهم غرائزهم كيفما شاءت، ويعيشون بالهمجية ذاتها التي دامت مئات السنين.."

قال ستراك بصرامة "أجئت لتهزأ بنا يا هذا؟"

فقال الملك بابتسامة صغيرة "الملك لا يُنادى بـ (هذا) يا هذا.."

لم يعبأ ستراك للنظرة التحذيرية التي ألقاها عليه الملك، فيما دار الملك ببصره بين الزعماء مضيفاً "سيظل عرضي لكم قائماً لخمسة أيام.. وسأبقى بانتظار أن تقتنعوا بما أعرضه عليكم.. فإن وافقتم، فسأعوضكم عن كل ما خسرتموه في هذه الحرب.. وإن رفضتم، فأعدكم بأن تخسروا أضعاف ما خسرتموه بالفعل.. والأمر راجع لكم.."

تقدم جيدار بغضب وهو يضع يده على سيفه، لكن هاكين استوقفه بذراعه فيما تحفز الجنود القرييين لهذا.. لكن الملك لم يعبأ وهو يحمل خوذته قائلاً "إذن.. حتى نلتقي في السلم أو الحرب، استمتعوا بحياتكم البسيطة هذه.."

وغادر وسط نظرات الزعماء الحارقة فيما تبعه الجنود حاملين كرسيه الملكي خلفه.. وبعد رحيله، ركل جيدار أقرب شيء له وهو يقول بحق "هل جئنا ليقوم الملك بإهانتنا بهذه الصورة؟"

ونظر لهاكين مضيفاً بغضب "لم منعني من قتله؟"

أجاب هاكين وهو يعود للجلوس في موقعه السابق "يمكنك اللحاق به وقتله كيفما تشاء.. لكن لا تفعل هذا وسط معسكرنا وتجربنا لمعركة لا نريدها.."

علقت ججي قائلة "هل يمكن للملك أن يكون أكثر صفاقة من هذا؟.. لقد نسي هزيمته السابقة بأسرع ما يمكن، وها هو يخاطبنا كأننا الجانب الأضعف في هذه الحرب.."

فقال ستراك "لأنه يرانا كذلك.. إنه يقدر على استبدال جنوده مهما قتلنا منهم، بينما كل رجل من رجالنا لا يمكن تعويضه بسهولة.."

قال هاكين "لا تنخدع بما قاله.. لو كان يستطيع تسيير الجيوش إلينا كيفما شاء، لما سعى لإقامة هذه المعاهدة معنا.. كما قال، فإنه يخوض أكثر من حرب في الوقت الحالي.. وبعد القلاقل التي حدثت وسط ملكه قبل عدد قليل من السنين، فلا بد أنه يخشى من انهيار مملكته لو سيرّ جيوشه كلها لقتالنا.."  
ونظر لمن حوله مضيفاً "لقد سعى إلينا بنفسه لأنه هو الطرف الأضعف في هذه الحرب في الوقت الحالي.. لكننا لن نرضخ لهذه المعاهدة الظالمة، وسنظل على موقفنا بالرفض مهما حاول استمالتنا.. فهل أنتم معي في هذا؟.."

أجاب ستراك "طبعاً.. من يريد الخضوع لهذا الملك العربي بعد كل ما فعله معنا؟.. إن قبائلنا رفضت الرضوخ لزعيم واحد يوحدها، فكيف يمكننا أن نخضع لرجل أجنبي عنا بهذه السهولة؟.. لن يحدث هذا ولو ضربت أعناقنا بالسيف.."

كانت ججي توافقهم في كل ما قالوه، لكنها نوعاً ما شعرت بكآبة شديدة.. لم تستفدِ أمراً من سعيها لهذا اللقاء ومخالفتها لكبار قبيلتها فيما نصحوها به.. لكم كانت تود لو تنتهي هذه الحرب.. ولكم تمنّت أن تستعيد قبيلتها حياتها الآمنة بعيداً عن هذا القتل والدمار الذي عطل حياتهم وما يزال يهددها لوقت لا يعلمه أحد..

\*\*\*\*\*

تلك الليلة، وبعد أن رحل الملك من معسكرهم دون أن يبقى له ولجنوده أي أثر، اجتمع الزعماء وسط المعسكر قرب النار يتسامرون قبل أن ينطلق كل فريق عائداً لمخيمه في اليوم التالي.. تسلّى جيدار بنزال عنيف مع بعض رجاله، فيما جلست ججي قرب بقية الزعماء الذين تحلقوا حول ظبي يتم شيه مما اصطاده بعض الرجال في الغابة القريبة..

وفيا التهمت ججي لحم الظبي الشهوي، قال ستراك وهو يعقد ذراعيه على صدره "ألا تظنون أننا يجب أن نستغل فرصة وجودنا هنا ونحاول شنّ هجوم على السفن التي لجأ ذاك الملك إليها؟.. لو تمكنا من التخلص منه، فستوقف هذه الحرب بشكل كامل.."

قال هاكين "كيف نصل للسفن وهي وسط الخليج؟ .. اقترابنا من الشاطئ يعرضنا لمدافعها القوية، وجنوده الموجودون في هذه السفن يفوقوننا عدداً بالتأكيد.. أتظن أنهم سيمنحوننا الفرصة للوصول لملكهم بهذه السهولة؟"

علق جيدار وهو يضرب خصمه بسيفه بقوة "لقد خسرنا فرصة كبيرة لقتل الملك في معسكرنا هذا.. لولا تردك يا هاكين لكننا أنهيينا مشاكلنا هذه بضربة واحدة.."

لم يعلق هاكين على هذا الأمر فيما قال أحد الزعماء "فلننس كل ما جرى هنا ونعود غداً لمخيماتنا.. الحرب ستستمر رغم كل ما نفعله.. ولكننا لا يمكن أن نستسلم بسهولة.."

هز بقية الزعماء رؤوسهم موافقين، وسرعان ما دارت كؤوس الشراب بينهم دون سبب إلا لتناسي خيبة الأمل التي حصلوا عليها بعد مسيرهم الطويل ذاك.. وعندما عرض هاكين كأساً على ججي، رفضت ذلك بتهديب قائلة "أنا لا أشرب مطلقاً.. يكفيني بعض الشاي بعد وجبة دسمة كهذه.."

تساءل هاكين وهو يحتسي كوبه "ولم لا تشرب أبداً يا جام؟ .. أهنك سبب لذلك؟"

ابتسمت معلقة "رغم أنني لا أعتبر نفسي امرأة، لكن الرجال يرون أن المرأة عامة لا تملك عقلاً.. ولو أفقدني الشراب عقلي أمام بقية الرجال، فما الذي سيبقى لي بعدئذٍ؟ .. أفضل الاحتفاظ بما أملكه ولا أخسره للاستمتاع بجرعة شراب.."

ونهضت مضيئة "سأذهب للاطمئنان على الرجال.. أرجو ألا يفقدوا وعيهم بدورهم فيبقى المعسكر دون حراسة هذه الليلة.."

تركت وسط المعسكر وسارت ناحية جزء منه حيث تقع خيام الرجال الذين صاحبوها.. وهناك، رأت تبريق مع بقية الرجال وهم يتناولون طعام العشاء، فيما لاحظت أن أغلب رجال بقية الزعماء قد بدؤوا باحتساء الشراب بالفعل.. فتقدمت ججي من رجاها متسائلة "هل شاركتم البقية في احتساء الخمر؟"

قال أحد رجاها بضيق "لا.. لقد حذرنا تبريق من ذلك.."

التفتت إلى تبريق مبتسمة وتساءلت "ولم؟"

أجابها "أفضل أن يحتفظ الرجال بانتباههم هذه الليلة قبل أن نرحل من هذا الموقع مع طلوع شمس الغد.. لا يزال الملك قريباً منا، وأخشى من غدره لنا بعد أن رفضه الزعماء بشكل صريح.. لذا، علينا أن نشدد

الحراسة هذه الليلة.."

قالت ججي "وأنا أوافقك على هذا.."

وجلست قربه قائلة بزفرة حارة "سنعود بخيبة وفشل ذريع للقبيلة.. فلا بد أن يهزأ سادر ومن معه مني لعنادي السابق.."

غمغم تبريق "لا أحد يمكنه لومك على ذلك.."

نظرت له متسائلة "ألا تفعل أنت ذلك؟"

أجابها "لا.. أفهم شعورك بالتأكيد، فما نواجهه من معارك وقتال جانبي مع باقي القبائل يكون مفهوماً، لكن هذه الحرب التي طالت مع الملك العربي قد بدأت تنهكنا بشكل كبير.. والجميع يود الانتهاء منها بأي شكل كان.."

صمتت ججي وهي تحاول تخيل ردة فعل رجال قبيلتها على هذا الأمر.. هل سيتفهمونه كما فعل تبريق؟.. أم أنها ستنال سخريتهم بالفعل؟.. قضت بعض الوقت مع رجالها تتبادل أطراف الحديث، ولما بدأ المعسكر يهدأ وأخذت أغلب الزعماء للخيام المنصوبة لهم، عادت ججي لحيمتها وقد عازمت على النوم قبل أن تبدأ رحلة العودة مع فجر اليوم التالي.. لكن عقلها كانت له آراءٌ أخرى بهذا الشأن وهي تتقلب في الفراش الذي فرشته أرضاً.. كانت خيبة أملها كبيرة لما جرى هذا اليوم، وسخرية كبار القبيلة منها تكاد تلوح أمام عينيها وهي تتخيل ما سيقال لها عند عودتها.. حتى كين كان أكثر حصافة منها وطلب منها تكراراً رفض هذا اللقاء وحذرها منه.. فهل كانت حمقاء لهذه الدرجة لتأمل خيراً من مثل هذا الملك؟..

قادها تفكيرها إلى كين الذي نبذته ظاهرياً وانغمست في هذا الأمر الذي يمسّ قبيلتها والأكاشي كلهم.. لكنها في الواقع كانت تشعر بوخزة مؤلمة في صدرها كلما طاف خياله بتفكيرها.. بل إنها ضبطت نفسها وهي تكاد تناديه أثناء رحلتهم هذه عدة مرات، ولكنها تمسك لسانها في اللحظة الأخيرة خوفاً من سخرية الرجال لما وصلت إليه.. فهل هي غير قادرة على تجاوز غيابها لهذه الدرجة؟..

بعد تفكير طويل لم يؤد لأي نتيجة مطلقاً، غفت ججي لوقت قصير قبل أن تنتبه من نومها على صوت خافت تردد في جانب المعسكر.. ظلت تنصت للصمت خارجاً وقد تراءى لها أن ذلك الصوت كان جزءاً من حلمها الذي حلمت به في غفوتها تلك، خاصة أن الصوت لم يتكرر مرة أخرى.. تشاءت بشدة وهي

تحاول العودة للنوم، عندما تردد الصوت من جديد في جانب آخر من المعسكر بحيث قفزت جالسة لدى إدراكها أن ذلك الصوت كان صوت بندقية..

أسرعت ججي تحمل سيفها القريب وتندفع نحو باب الخيمة، عندما سمعت الطلقات التي تعالت بكثافة في عدة جوانب من المعسكر، مما صدم ججي بشدة لدى إدراكها أن الموقع ظل ساكناً رغم صوت الرصاصات تلك.. لا تسمع صليل السيوف ولا صياح الرجال.. لا تسمع إلا صوت الرصاص الذي تبغضه بشدة وهو يتردد في آن واحد في عدة مواقع.. هذا دليلٌ مؤكد أن المعسكر يواجه هجوماً كبيراً وليس مجرد بضعة جنود.. فهل خانهم الملك؟..

كانت تود الاندفاع خارج الخيمة لرؤية ما يجري، لكن حذرهما منعها من ذلك وهي تنظر عبر شق الستار الذي يغطي مدخل الخيمة.. ووسط المعسكر الذي لا تزال النيران تشتعل وسطه، رأت رجال الأكاشي الذين غلبهم النوم قرب النار بعد أن غلبهم السكر وبمعدة متخمة.. ورأت في الآن ذاته تلك الأجساد السوداء التي تسير وسط المعسكر بثقة وثبات.. لم يكن أولئك من الأكاشي، بل بدا لها أنهم من الجنود التابعين للملك.. لكن عوضاً عن ارتداء الدروع والخوذات التي يُسمع صوت حركتها من مبعده، كان أولئك الجنود يرتدون ثياباً سوداء تجعل تمييزهم في ظلام هذه الليلة عسيراً لو لم تفضح النيران أمرهم.. ومن سيرهم الواثق بين الأكاشي، انتهت ججي أن الرجال لم يكونوا مجرد سكارى نائمين.. فهل ينام السكير منكفئاً على وجهه أو مائلاً بهذه الوضعية الغريبة؟.. إنهم قتلى.. أدركت ذلك في وقت متأخر وهي ترى جنديين يتقدمان من خيمتها بثبات حاملين بندقيتهما..

تراجعت ججي وقد أدركت أن مقاومتها مع العدد الكبير من الجنود وسط المعسكر ستكون عديمة الجدوى.. فأسرعت حاملة سيفها نحو مؤخرة الخيمة، فجثت واضعة رأسها أرضاً ورفعت جانب الخيمة متطلعة خلفها حتى اطمأنت لخلو الموقع من أي جندي.. عندها رفعت ذلك الجانب وتسللت عبره خافضة جسدها وهي تتلفت حولها بتوتر.. ما الذي جرى لرجالها؟.. هل قتلهم الجنود بالفعل؟.. أم أنهم هربوا من المعسكر؟..

أسرعت نحو أقرب خيمة منها، والتي احتلها هاكين مع بعض رجاله، وانسلت عبر جانبها بعد أن اطمأنت للصمت داخلها.. هذا جعلها توفن أن الجنود لم يصلوا لهذه الخيمة بعد، لذا عليها أن تقوم

بتحذير هاكين الذي ربما كان نائماً في مثل هذا الوقت، والهرب معه ومع بقية الزعماء بأي وسيلة كانت.. بعد أن تجاوزت جانب الخيمة ودارت ببصرها في الخيمة المظلمة، لاحظت وجود عدد من الأجساد في جانب المكان.. فاقتربت منها دون أن تصدر صوتاً بحثاً عن هاكين وكشفت أحد الأغشية هامسة "هاكين.. أأنت نائم؟.. استيقظوا فنحن نتعرض لهجوم من الملك الغادر.."

سمعت خطوات خلفها ولاحظت النور الذي غمر الخيمة وأحد الجنود خلفها يصيح "إنها هنا..". لكن ججي لم تلتفت إليه وهي تثبت بصرها على الأجساد الساكنة أمامها.. عندما زال الظلام المهيم على الخيمة وغمرها ذلك النور، تمكنت من رؤية تلك الوجوه التي كانت تحديق في الفراغ بصمت.. ولم يفثها رؤية الدماء التي سالت من أكثر من موضع من تلك الأجساد وهي تتعرف عليها في لحظات.. كانت تلك الأجساد تضمّ عدداً من رجال هاكين، ووسطهم تمكنت من رؤية وجه هاكين الذي زينّه ثقب واضح في منتصف الجبهة.. رغماً عنها انتفضت ججي مع مرأى جثة هاكين، وهو الذي كانت تعتمد عليه وتثق برأيه وبقوة قبيلته.. لكن لم ينفعه وجود رجاله حوله ولم يتمكنوا من ردع الموت عنه عندما غافلهم.. وجدت الجندي يجذبها من ذراعها متأملاً ملامحها، ثم صاح للجنود الذين اقتربوا من خلفه "هذه هي المرأة التي تولّت زعامة إحدى القبائل.."

ورفع بندقيته في وجهها لتلامس جبهتها وهو يقول بابتسامة "أنت الأخيرة يا امرأة.. أألسعدك معرفة هذا الأمر؟"

ازدادت نفضة ججي لقوله، وقالت بصدمة "كيف؟.. كيف تمكنتم من الرجال والزعماء جميعاً؟" قال الجندي بسخرية "لأنكم حمقى.. عند قدومنا، تجمع رجالكم حول خيمة الزعماء وسط المعسكر، تاركين بقية المعسكر دون ملاحظة.. لذا لم يكن صعباً على أحد جنودنا دس بعض المخدر في دَنّ الخمر الذي جلبتموه معكم.."

تزايدت صدمة ججي لما تقوله وقد أدركت الخدعة التي خدعهم بها الملك للتخلص من زعماء القبائل العشر، وبالتالي التخلص من أغلب مقاومة الأكاشي بضربة واحدة.. وها هو قد حقق مبتغاه بكل سهولة يعجز المرء عن تصديقها، وهي ستلحقهم الآن سريعاً.. فما ستكون ردة فعل رجال قبيلتها الذين عارضوا لقاءها هذا بالملك العربي؟.. ما ستكون ردة فعل كين عندما يصله خبر هذه المذبحة التي قام بها الملك

للتخلص من أعدائه؟..

اتسعت ابتسامة الجندي الساخرة وهو يرى نفضتها، وجذب زناد بندقيته دون تردد بينما تجمدت ججي في موقعها بصمت وصدمة.. وفي اللحظة التي تردد فيها الصوت المدوي، شعرت بالرصاصة تشق الهواء قربها وأحست بإحساسٍ حارق في شحمة أذنها في الآن ذاته.. وتناهى لسمعها، من بين الدوي الذي تردد في أذنها اليمنى مصيياً إياها بصمم مؤقت، شهيق الجندي الذي مالت يده جانباً مع الضربة التي أصابته من الخلف ممن حسبهم رفاقه من الجنود.. فيما دفع الرجل الذي وقف خلفه سيفه عميقاً بين لوحى كتف الجندي حتى خرج نصله من صدره، ثم سحب السيف بقوة فأغرقت دماء الجندي الموقع قبل أن يسقط على وجهه بصمت قرب ججي..

نظرت ججي خلف الجندي وهي تضع يدها على موضع الجرح الذي أصابها من الرصاصة تلك، فرأت تبريق يتقدم منها قائلاً بتوتر "أأنت بخير يا جام؟"

نظرت له براحة لرؤيته ورؤية رجالها بخير خلفه وقالت "هل الجميع بخير؟"

هز تبريق رأسه مجيباً "على الأغلب.. الرجال الذين بقوا لحراسة المعسكر أثناء نومنا قد قتلوا على أيدي الجنود عند بدء الهجوم.."

بدت الصدمة على وجهها وهي تغمغم "كيف...؟"

قال تبريق "يبلغ عدد المهاجمين من الجنود خمسين جندياً تمكنوا من التخلص من الحراس بضربة واحدة.. ولما أدركنا ما يجري هرعنا إلى خيمتك بغية إنقاذك، ولحسن الحظ سمعنا صياح هذا الجندي معلناً عن عثوره عليك.. لقد ظننا رفاقه من الجنود، لذا لم يجترس من قدومنا وهو يوجه اهتمامه لك.."

فتساءلت ججي بتوتر "أحق ما قاله الجندي عن تخلصهم من جميع الزعماء؟"

نظر تبريق للموضع الذي استلقت فيه جثث هاكين وبعض رجاله، ثم قال "يبدو كذلك.."

أغمضت ججي عينيها بالمرأسى لتبعات هذا الأمر على نصف قبائل الأكاشي في وقت حاسم مثل هذا، فيما نظر تبريق للمشعل الذي سقط من يد الجندي مع سقوطه وبدأ يأكل البساط والفراش القرييين، وقال "فلنهرب.. قد لا تكون هذه آخر مفاجآت الملك الغادر لنا.."

ساعد ججي لتقف فيما الدماء تسيل على عنقها من أذنها المصابة، لكنها لم تعبأ لهذا الأمر وهي تتقدم بخفة

خلف تبريق يتبعها بقية الرجال من مدخل الخيمة.. وهناك، تلفت تبريق في الموقع الذي تطل عليه الخيمة، والذي تخفيه الخيام القريبة عن وسط المعسكر الذي يعجّ بالجنود، ثم قال بخفوت لججي القريبة "علينا تجاوز الخيام والتسلل من هذا الجانب.. الغابة قريبة من المعسكر، لذا يمكننا الهرب عبرها بأمان أكثر.."  
انبرى أحد الرجال قائلاً "علينا استعادة خيولنا لنعود بها إلى القبيلة بأسرع ما يمكن قبل أن يصل الجنود إلى الزعيم.."

اعترضت ججي بقلق "في هذا مخاطرة كبيرة لا يمكننا القيام بها.."  
نظر لها الرجل قائلاً بحزم "بل هي تستحق.. يجب أن نعود بك للقبيلة، ولا يمكن أن يحدث هذا دون خيول.. سأخذ معي بعض الرجال ونحاول التسلل للناحية التي تم ربط الخيول عندها.. ربما يئس الجنود من العثور علينا بعد هذا الوقت ورحلوا من الموقع.."

وضع تبريق يده على كتف الرجل قائلاً "لا تتفائل كثيراً، لكن هذا لا يمنع أن تنفذوا هذه الخطة دون المخاطرة بحياتكم قدر الإمكان.. سنتظركم في الغابة حتى عودتكم.."

فيما قالت ججي "لو لم تعثروا علينا في الغابة لأي سبب، فانطلقوا عائدين للمخيم دون تأخير.. أخبروا سادر بما جرى، وحذروا بقية القبائل من هجوم متوقع للملك بعد أن تغلب على المعارضة التي كانت تقف في وجهه.."

هز الرجل رأسه موافقاً، ثم نظر في وجوه الرجال حولهم، ليجد خمسة منهم يهزون رؤوسهم بعزم.. عندها أسرع الرجل مع الخمسة الآخرين يتعدون محاذرين من إصدار أي صوت يجذب الجنود لهم، وبقية ججي تراقبهم مع البقية بقلق واضح.. ثم قال تبريق "لنذهب.."

استدار نحو الجانب الآخر من المعسكر متسللاً بين الخيام وججي تتبعه مع من بقي من الرجال.. كانت خطوات الجنود الواثقة وأصواتهم العالية تدلّ على تمكنهم من المعسكر بشكل شبه كامل وعدم خوفهم من هجوم الأكاشي عليهم.. لقد انقضت كل شيء بضربة غادرة سريعة خطط لها الملك بثقة كبيرة، والآن، بقي مصير ججي ورجالها ليتحدد في الساعات القادمة.. فيما أن تنضمّ إلى الجثث التي تكومت في جوانب المعسكر، أو تفرّ من المكان هاربة بحياتها بشكل لم تجرؤ عليه قط..



\*\*\*\*\*

عندما تمكنت ججي والرجال من الحصول على بعض الأمان في المخبأ الذي اتخذوه لأنفسهم وسط الغابة، بعد أن تسللوا هارين من المعسكر بغفلة من الجنود، تنفسوا الصعداء للحظات رغم أن أيديهم بقيت شادة على السيوف بتحفظ تام.. نظرت ججي حولها للغابة المظلمة، وقالت لتبريق "ما الذي يمكننا فعله الآن؟.. هل نختبي هنا حتى طلوع الشمس؟.. أم نحاول الهرب من الجانب الآخر للغابة قبل قدوم الجنود؟.."

تلفت تبريق حوله في الغابة المظلمة وقال لهم "لن يمكننا الهرب بعيداً على الأقدام.. واختباؤنا هنا قد لا يكون له فائدة لو حاول الجنود تفتيش هذه الغابة بحثاً عنا.."

نظر الرجال لبعضهم البعض فيما غمغمت ججي بغضب "ما كان علينا الهرب.. ما كان علينا الفرار بخسة تاركين البقية.."

قال تبريق مقطباً "ما الذي يمكننا فعله إزاء هذا الهجوم؟.. لا أظن أن هناك أي أحياء في المخيم عدانا، وإلا لسمعنا مقاومتهم للجنود.."

غمغمت ججي باستياء وغضب "كيف حدث كل هذا؟.. كيف تمكن الملك من خداعنا بهذه الصورة؟.."

علق تبريق قائلاً "لقد سمعت من الجندي الذي كاد يقتلك أنهم خلطوا مخدراً في دنّ الشراب.. لحسن حظنا أننا لم نذق قطرة منه، وإلا ما استيقظنا قط من سكرنا ذلك.."

زفرت ججي بضيق بينما أضاف تبريق "عندما وصل الملك بفرقة الجنود الكبيرة للمعسكر، ظننت أنه يخشى على نفسه من الأكاشي.. لكنه كما اتضح لاحقاً كان يريد إشعار الأكاشي بالتوجس لتواجد هذا العدد الكبير من الجنود، ولذا احتشد أغلب الرجال قرب خيمة الزعماء خوفاً من غدر الملك وجنوده بهم.. لذا لم يكن صعباً على أحد جنوده فعل ما فعله بغفلة من الجميع.."

قالت ججي بحيرة "لكن لم دسّ مخدراً في الخمر بدل السم؟.."

أجاب تبريق متلفتاً حوله "قد يظهر تأثير السم بشكل سريع على شاربه، ولذا قد يتحذر البقية من الشرب ويدركوا أن الملك قد غدر بهم.. لم يكن يريد أن يداهم جنوده المخيم ليجدوا الأكاشي محتاطين لهجومهم

ذاك.."

فضمّت ججي ذراعيها لجسدها وهي تقول بأسى "ولقد وقعنا في فخه بكل غياب.. لو أن الرجال امتنعوا عن احتساء الشراب.. لو أنهم التزموا جانب الحذر هذه الليلة فقط...."

فقال تبريق وهو يمسك سيفه بقوة "فات أوان الندم.. فلنسع للخلاص مما نحن فيه، وبعدها نلوم بعضنا البعض قدر ما نشاء.."

زفرت ججي بألم لمرائى الرجال الذين قتلوا في المعسكر.. لقد أصيب الأكاشي بضربة غادرة ستكلفهم الكثير.. وربما يصبح الطريق سالكاً للملك الغادر لاحتلال السهول بعد النصر الذي أحرزه عليهم بكل خسة وحقارة.. فما الذي جنته بقدمها لهذا المكان؟.. ما الذي جناه الزعماء على قبائلهم بتجاهلهم للخطر الذي يمثله الملك العربي على حياتهم وعلى حرية الأكاشي التي قاتلوا بكل ما يملكونه للاحتفاظ بها؟..

دام الصمت في المكان وقتاً طويلاً والأيدي متحفزة على السيوف والرجال يلتفتون حولهم لأقل صوت يصدر في الغابة الساكنة.. ثم انقطع السكون بدوي رصاصات تصدر من المخيم، فتوتر الجميع بشكل بالغ وأحد الرجال يقول قلقاً "أنظن أن المستهدفين هم رجالنا؟"

قال تبريق وهو يقف "لا أعلم.. ولا يجب بنا أن نقف هنا لنتنظر الإجابة.."

استوقفه أحد الرجال قائلاً بقلق "ماذا عن البقية؟.. هل نتركهم لمصيرهم؟"

أجاب تبريق "رغم كرهى لذلك، لكن هذا ما يجب فعله.. لن يستفيدوا أمراً من اندفاعنا خلفهم دون حذر.. وربما قضوا نحبهم في تلك المواجهة فعلاً.."

قال الرجل مقطباً بحنق "هذا لا يعني أن نتخلى عنهم.. لقد تطوعوا لهذه المهمة الخطرة لمعاونتنا على الهرب.. فكيف نتخلى عنهم الآن؟"

قال تبريق بضيق "وهل يعقل أن نندفع للمعسكر الذي يعجّ بالجنود بعد أن فررنا منه بالكاد؟"

قالت ججي بإلحاح "ما يقوله هو عين العقل يا تبريق.. لا يمكن أن نتخلى عن رجالنا في هذه الأوقات.. هذه تعتبر خسة منا.. هل تقبل أن نفعّل الأمر ذاته لو كنت في موقعهم؟"

قال تبريق بحزم "طبعاً أقبل بذلك دون تردد.."

وزفر باستياء متطلعاً في وجوه الرجال من حوله، ثم قال لججي "سأعود مع البقية محاولاً إنقاذ رجالنا وإتمام المهمة التي ذهبوا لأجلها.. اذهب أنت مع رجلين وحاول تجاوز هذه الغابة بأسرع ما يمكن قبل أن

يصل الجنود لموقعكم.."

هتفت ججي "أنا لا يمكن....."

قال تبريق بصرامة "ليس لك رأي في هذا يا جام.. أطع الأمر الوحيد الذي أطلبه منك، فعنقك هو ما يلاحقه هؤلاء الجنود الآن.."

غمغمت ججي بحنق "هل تجرؤ على إلقاء الأوامر على زعيمك يا تبريق؟"

ابتسم تبريق معلقاً "تجاوز عني هذه المرة فقط يا جام.."

أشار لرجلين ليصاحبا ججي، ثم استدار مع بقية الرجال عائدين للمعسكر الذي لم يكن بعيداً عن موقعهم كثيراً.. وبينما راقبتهم ججي لبعض الوقت، قال أحد الرجلين قربها "لنرحل يا زعيم.. كل لحظة تمضي علينا هنا تزداد الخطورة فيها عليك.."

هزت ججي رأسها باستسلام، واستدارت معها وهي تركض بعيداً عن الموقع وعن المعسكر خلفه وقلبها يدق بشيء من الشدة.. شعرت أنها تقوم بعمل حقير قد لا تنساه ما بقي لها من عمر.. كيف تتخلى عن رجالها بهذه الصورة المخزية؟.. ما أهمية وجودها هي بالنسبة للقبيلة ليضحى الآخرون بأرواحهم لأجلها؟.. هل أصبحت زعيمة لكي تستخدم الرجال كدرع بشري لحماية حياتها هي؟..

توقفت مع هذه الأفكار وقد عجزت قدماها عن التقدم خطوة أخرى.. ثم رفعت بصرها للرجلين القريبين وقالت بتوتر "لا يمكنني فعل هذا أبداً.. يجب أن نعود لمعاونة البقية.."

استوقفها أحد الرجلين جاذباً ذراعها وقال بتوتر "لا يمكن ذلك.. سيقتلنا تبريق لو خالفنا أمره وأعدناك لموضع الخطر يا زعيم.."

قالت بشيء من الحنق "وهل تخشون عصيان تبريق أكثر من عصياني؟"

تردد صوتها شيئاً ما في الغابة الساكنة، وبدا أن ذلك أزعج بعض الحيوانات التي كانت غافية وهي تهرب من الموقع هازة الشجيرات في طريقها مما وتر ججي ورفيقها أكثر.. وبعد أن سكن كل شيء، قال الرجل من جديد "لنهرب يا زعيم كما طلب منا تبريق.. سننتظرهم عند الطرف الآخر من الغابة حتى....."

دوى ذلك الصوت العالي في الموقع مثيراً ضجة أكبر من السابق بشكل أجفلت له ججي وهي تستدير خلفها.. فكان ما لمحتة في تلك اللحظة هو الرجل الثاني الذي كان يقف خلفها وهو يهوي على وجهه بعد

أن اخترقت رصاصة صدره، وبلمحة أخرى رأت جندياً يقف على مبعدة والدخان يتصاعد من فوهة بندقيته..

رفعت ججي سيفها بسرعة وعيناها تتسعان، لكن الرجل الثاني دفعها بقوة في اللحظة ذاتها التي تردد فيها صدى طلقة أخرى من بندقية جندي ثانٍ لحق برفيقه قبل أن يبدو من خلفه عددٌ آخر من الجنود.. ومع دفعته تلك، تمكنت ججي من تفادي الإصابة برصاصة البندقية التي ارتطمت بالأرض قريبة من قدميها، لكنها تمالكت نفسها بسرعة وهي تقفز خلف شجرة قريبة لاهثة فيما اختبأ الرجل بدوره وهو يغمغم بحقن "اللعنة.. هل لحقوا بنا بهذه السرعة؟.. ما الذي جرى للبقية؟"

دار رأس ججي وهي تفكر بمن أرسلتهم للمعسكر للتو.. هل أرسلتهم بنفسها للموت؟.. تعساً لها.. كيف يمكنها أن تواجه تينا لو قدر لها أن تعود للمخيم حية؟.. كيف تواجه رجال ونساء قبيلتها بعد أن خسروا عشرين رجلاً من خيرة رجالهم؟..

تتالت طلقات الرصاص على الأشجار والأرض قريهما، ثم هدأ كل شيء وسمعت أقدام الجنود الخافتة وهي تتقدم من موقعها.. فنظر الرجل إلى ججي قائلاً "سأحاول تشتيتهم.. حاول الهرب من هذا المكان بأسرع ما يمكنك أثناء ذلك.."

قالت ججي باعتراض "لا يمكنني فعل ذلك.. كيف.....؟"

كانت أصوات الأقدام تقترب منها بشكل حثيث ومن أكثر من موقع، فيما فوجئت ججي بالرجل يدفعها بشيء من العنف حتى كادت تتعثر خلفاً، وقال بغضب "غادر الموقع يا زعيم.. لا تجعل حياة رجالك تضيع هدرًا.."

قالت بصوت مرتجف "لماذا؟.. ما أهمية بقائي على قيد الحياة حقاً؟"

نظر الرجل في وجهها بصمت، ثم قال بحزم "لا نريد أن يجرز الملك انتصاره على قبيلتنا بأي شكل كان.. قتلك أنت هو ما يسعى خلفه، وهو ما سنقاومه بكل قوة.. نحن مقضيُّ علينا في كل الأحوال.. لذا، أطمع طلبنا هذا للمرة الأخيرة يا زعيم.."

تراجعت ججي خطوة وهي تسمع الأقدام التي أسرع نحوهما، ولما اقترب الجنود أكثر فأكثر من موقعها رفع الرجل سيفه بتحفز كبير وهو يدفع ججي نحو أجمة كثيفة قربه ليخفيها عن العيون.. أخذت

ججي بتصرفه هذا الوهلة، ثم وجدت نفسها تستدير في موقعها وتتسلل مغادرة وكلمات الرجل تدوي في عقلها.. هل سيكون لهروبها أي معنى؟.. أحقاً نجاتها سيجعل لموت رجالها معنى يرضيهم؟.. سمعت عدة رصاصات تتردد في الموقع، وسمعت صوت الأنين الواضح قبل أن يخفت كل شيء في المكان.. لكن ججي لم تتوقف وهي تتسلل متجاوزة الأجمة وراكضة عبر الغابة وبين الأشجار الكثيفة باحثة عن مخرج ومهرب بعد أن أصبحت وحيدة تماماً في مواجهة أعدائها..

\*\*\*\*\*

توقفت ججي عن الركض فجأة عندما لاح أمامها انحدار شبه حاد وسط الغابة المظلمة يضم في أسفله نهراً ضيقاً يسير بسلاسة عابراً الموقع نحو الخليج القريب.. لهتت وهي تتلفت حولها بحثاً عن وسيلة لتجاوز هذا المنحدر نحو الجهة الأخرى منه، عندما سمعت صوت الطلقة المدوي خلفها، وشعرت بألم حارق في خاصرتها فيما اختل توازنها مع اندفاع الرصاصة العنيف حتى وجدت نفسها تسقط في ذلك المنحدر وتنزلق على صخوره القاسية لمسافة قبل أن تستقر أرضاً..

تألمت ججي بشدة وهي تسمع تصايح بعض الجنود في الأعلى، لكنها لم تبال بالجرح الذي يحرق خاصرتها، بل عضت على شفتها السفلى وهي تنهض واضعة يداً على الجرح الذي أخذ ينزف بغزارة.. تجاهلت السجحات التي أصابت ذراعها وركبتيها ووجهها من سقوطها العنيف، وأسرعت تركض مخبئة خلف شجيرات كثيفة تخفيها عن الجنود في الأعلى.. لكن الجنود الذين لمحوها أسرعوا لإطلاق الرصاص بغزارة في الموضع الذي اختبأت فيه، بينما ركضت ججي بين الشجيرات لتتفادى إصابة جديدة قد تصيبها في مقتل.. وفي موضع بعيد عن الجنود، جلست أرضاً بين الشجيرات الكثيفة التي تخفيها عن الأعين وهي تلهث بشدة وألم.. نظرت للجرح الذي لم يتوقف نزفه خاصة مع حركتها العنيفة أثناء الهرب من الجنود، ثم أسندت ظهرها لصخرة قريبة وهي تتمتم بألم "تباً.. هل سيكون هذا المكان قبري؟"

سمعت تراكض الجنود في الأعلى، فظنت أنهم قد رحلوا وتركوها، وأغمضت عينيها مستسلمة للسكون الذي لا يقطعه إلا صوت خرير المياه من النهر الضحل القريب من موقعها.. لكن سرعان ما سمعت

الخطوات التي اقتربت من موقعها من جانب آخر وقد بدا أن الجنود عازمون على التخلص منها بأي شكل كان.. ألا يياسون أبداً؟..

زفرت ججي بشدة وهي تمسك سيفها بيدين ترتجفان للإتهام الذي أصابها، وربضت في موقعها بصمت دون أن تجد مخرجاً من هذا المأزق الذي يكاد يطبق عليها.. رأت ست أقدام تمرق قربها قبل أن تتمهل وأصحابها يديرون رؤوسهم وبنادقهم بتحفظ في الموقع.. ثم سمعت صوت أحدهم وهو يشير للشجيرات الكثيفة "قد تكون مخبئة هنا.. اعثروا عليها.."

حبست ججي أنفاسها دون أن تصدر صوتاً وهي ترى الجنود يزيجون جانباً من الشجيرات بحثاً عنها في أكثر من موقع.. صمتت وهي تراقبهم من بين الأشجار الكثيفة، وترى تلك القدمين اللتين اقتربتا من موقعها والجندي يمد يده ليزيح الأوراق ويكشف ما خلفها.. وقبل أن يراها بالفعل، كانت ججي قد مدت يدها وأمسكت فوهة بندقيته القريبة، وفي الآن ذاته دفعت سيفها ليخترق بطنه بقوة حتى تصببت الدماء منه.. شهق الجندي بألم وهو يتراجع خطوة بعد أن أفلت بندقيته، ولما سحبت ججي سيفها سقط أرضاً على ظهره بصمت فيما رفع الجنديين الأخيرين بندقيتهما بتأهب وهما يتقدمان من هذا الموضع دون أن تكشف ججي نفسها لهما بعد.. حاولت ججي الاستفادة من البندقية التي استلبتها من الجندي، وأدارتها نحو الجنود وهي تحاول التصويب بها على أقرب جندي.. كانت تملك معلومات ضئيلة عن كيفية عمل هذه البندقية، عندما تبرع كين في إحدى المرات بشرح آلية عملها وكيفية استخدامها.. وجهت الفوهة نحو أقرب الجنديين وضغطت الزناد دون تردد، لتفاجأ بأن قوة اندفاع الرصاصة قد تسببت بدفع البندقية للخلف بقوة واختلال تصويبها فيما صمّ الدوي العالي أذنيها لشدة..

نظرت ججي للجنديين اللذين تراجعاً للخلف خطوات، فوجدت أن الطلقة لم تُصَبِ أيّاً منهما رغم محاولتها.. أعادت ججي المحاولة من جديد لتجد أن ضغطها للزناد لم يأتِ بأي نتيجة، وبقيت البندقية صامته والدخان يتصاعد من فوهتها لثوان..

رفعت بصرها بقلق لترى الجنديين يصوبان بندقيتهما نحوها بعد أن أدركا أن بندقيتهما فارغة من الرصاص، وطبعاً لا تقدر على إعادة تعبئتها لأن الرصاص الاحتياطي في جيب الجندي القليل وهي لا تعرف كيف تفعل ذلك قطعاً.. نهضت ججي بتحفظ، ثم ركضت خلف الشجيرات بينما تطايرت

الرصاصات نحوها لتجد إحداها تصيبها في ساقها إصابة مؤلمة تعثرت لها وهي تتدحرج في موقعها.. حاولت ججي النهوض بسرعة وهي ترى الجنديان قريبان من موقعها وأحدهما يضربها على وجهها بعقب البندقية بقوة أسقطتها أرضاً من جديد، بينما سحب الآخر سيفها من يدها.. كتمت ألمها دون أن تصدر صوتاً وهي ترى الجنديان يعيدان حشو بندقيتيهما، عندها لم تتمهل وهي تقذف حجراً قريباً في وجه أحد الجنديين بقوة رمته خلفاً، ثم نهضت وقفزت على الجندي الآخر الذي رفع بندقيته بسرعة وأطلقها لتطيش طلقاته في الهواء عندما أمسك ججي الفوهة بيدها وأزاحتها جانباً.. ثم دفعت خنجراً استخرجته من طيات ثيابها نحو عنق الجندي وحزته بحركة سريعة..

نهضت ججي لاهثة بشكل متلاحق وهي تقبض على الخنجر بقوة، فيما نهض الجندي الأخير واضعاً يده على موضع الضربة في وجهه وهو يقول بحنق "تبال لك أيتها المتوحشة.. كيف يمكننا التخلص منك؟" لم تجبه ججي وهي تتقدم خطوة نحوه، فأسرع الجندي يرفع بندقيته نحوها ويطلق الرصاص بينما انخفضت ججي في موقعها وهي تميل جانباً بسرعة، واندفعت نحو الجندي متجاهلة ألمها الشديد للجرح الذي أصيبت به وللدماء التي سالت منها بغزارة.. لكنها لم تتردد وهي تتحجم بالجندي رغم أنه حاول التراجع، ودفعت الخنجر الذي بقي معها عميقاً في موضع قلبه وأدارته بشكل شهق له الجندي قبل أن يسقط على ظهره..

تراجعت ججي بخطوات مترنحة وهي تشعر بغشاوة تغطي عينيها.. كان الألم مبرحاً، وجسدها على شفا انهيارٍ حادٍ قد يودي بحياتها لكثرة ما فقدته من دماء.. ورغم تخلصها من جماعة الجنود هؤلاء، لكن لا شيء يضمن لها أن غيرهم لن يحاولوا قتلها.. يمكنهم قتلها برصاصة من بنادقهم دون الاقتراب منها، وحتى لو اقتربوا، فما عادت ججي تقدر على رفع يدها للحماية نفسها بأي شكل كان..

استدارت محاولة الابتعاد عن هذا الموقع والسماء الزرقاء تزداد زهواً بنور الشمس الوليدة، ولهتت بقوة وهي تسير بخطوات مترنحة جوار ذلك النهر الذي يقطع الوادي المنخفض، دون أن تملك القدرة على رفع رأسها والبحث عن وسيلة للعودة للأعلى.. جرّت قدميها بإنهاك وهي تحاول الثبات في سيرها دون فائدة.. ولما سقطت أرضاً، على ضفة النهر البارد ومياهه تغمر جزءاً من جسدها، شعرت ججي بتهالك شديد لم تقدر معه على رفع رأسها رغم كل محاولاتها.. وسرعان ما استسلمت لوضعها وهي تغمض عينيها

وأنفاسها تتردد بضعف.. على الأقل، لو رآها الجنود من مبعدة فسيتيقنون من موتها لدى رؤيتها بهذه الحالة.. وبذا يمكنها أن تحصل على بعض الراحة، لو كانت موقنة أنها ستفتح عينيها بعدها دون أن تنسلّ روحها منها أثناء ذلك.. لكن ما الذي يمكنها فعله غير ذلك؟..

تناهى لسمعها صوت طلقات من مبعدة، لكنها لم تحرك ساكناً وهي تستسلم لوضعها ولجسدها المنهك.. دار بذهنها أن سنة واحدة لم تمض منذ استلمت زعامة القبيلة.. أنها لا تتجاوز العشرين من عمرها.. وأنها لم تحاول اللحاق بكين الذي رحل دون وداع.. فهل يكفيها ما حققته فعلاً؟.. هل ستموت راضية بما أنجزته من أمور لا تحلم نساء الأكاشي بشيء منه؟.. أم أن روحها الغاضبة سترفض مغادرة هذا العالم حتى بعد أن يبلى جسدها؟..

لو عاد شبحها لهذا العالم، فهي تتمنى أن تحيل أيام الملك العربي جحياً حتى موته.. فهو من قتل أبويها.. وهو من قتل مینار.. وهو من قتلها وقتل زعماء القبائل العشر دون جريرة.. هو من جرد شقيقتها تينا من أي سند بعد موت أبويها وموتها هي، وبعد ترملها إن كان تبريق قد قضى نحبه بالفعل.. وهو من تسبب بخسارتها للشخص الوحيد الذي شعرت أنها تحتاجه في هذا العالم في مثل هذه الأوقات.. دون أن تجرؤ على التصريح بذلك لنفسها قط..

\*\*\*\*\*





## الفصل الخامس والعشرون {مثنوي الأخير}

في جانب آخر من ذلك البحر الشاسع، والذي لا تكف السفن عن مخر عبابه طوال السنة مهما كانت قسوة الجو تتسبب بثورانه.. وفي منتصف الساحل الشرقي من قارة الثنايا، تقع تلك المدينة الحصينة التي قام الملوك بنائها في موقع استراتيجي يمنحها حصانة أكبر من المدن العادية.. فمن جهة هي تطل على خليج ضيق يمنح المدينة منفذاً على البحر، ومن الجهة الأخرى فإن الملوك قد بنوا ميناءً على رأس ذلك الخليج كنقطة مراقبة وحراسة لأي سفينة قد تحاول ولوج الخليج أو قد تشكل خطراً على المدينة التي تقع في نهايته.. كانت تلك المدينة الحصينة تقع وسط سهولٍ منبسطة ومن خلفها تمتد صحراءٌ قاسية على امتداد شاسع.. وحول المدينة، أقيمت ثلاث أسوارٍ شاهقة الارتفاع مع حامية مخصصة لحماية السور من أي هجوم.. وقد أطلق على هذه المدينة اسم (كاشتار) وتعني الحصن الحصين..

ووسط السور الأوسط، أقيم قصر ملك المملكة الفخم الذي يغطي رقعة واسعة منه، ويضم في قلبه عدداً من القصور الخاصة بالعائلة المالكة وأخلص رجال الملك.. كان عمر القصر من عمر المدينة بعد تعميرها، وهو لا يقل عن خمسين عاماً.. ففي البدء كانت تلك المدينة عبارة عن ميناءٍ متوسط الحجم قليل الأهمية، قبل أن يختاره الملك الأول لإنشاء عاصمة فخمة ومرتامية الأطراف في موقع ذلك الميناء..

وفي أحد جوانب قصر الملك، في موقع منعزل، كانت تقع مكتبة القصر الضخمة التي تضم أعداداً كبيرة من الكتب الحديثة والقديمة بالإضافة لقسم خاص يحوي المعدات والأدوات الخاصة بترميم الكتب وطباعتها وتجليدها.. وفي جانب المكتبة، قرب شرفة واسعة تطل على الحديقة البهيجة للقصر، جلس كين قرب طاولة دائرية مزخرفة الحواف..

انشغل كين بقراءة ذلك الكتاب الضخم الذي وضعه على الطاولة أمامه، بينما عبثت نسمة هادئة بخصلات شعره الذي بات قصيراً.. ورغم محاولته، إلا أن تركيزه سرعان ما تشتت وهو يدير بصره نحو باب الشرفة القريب الذي فتحه على مصراعيه.. كان الجو هادئاً وساكناً في ذلك الصباح الدافئ، والنسيم يحمل له رائحة الزهور التي تعجب بها حديقة القصر.. بينما خفتت الأصوات في الحديقة بشكل شبه تام إلا من بعض

العصافير التي استوطنت تلك الأشجار وصدحت بأعذب الألحان..

ورغماً عنه، سرح كين متذكراً أيام السهول ولياليها التي لا تعرف الدفء ولا الهدوء.. العجيب في الأمر أنه لم يشعر في السهول بأي حنين لموطنه ولا لقصير أبيه.. لكنه الآن، وبعد وقت يعدّ قصيراً منذ غادر سهول الأكاشي، إلا أنه يشعر برغبة عارمة في العودة إليها من جديد.. لكن أتى له ذلك؟.. لن يسمح له شقيقه الملك بالرحيل عن كشميت دون عذر قوي، وقد لمّح أكثر من مرة عن رغبته بإعداد كين لجعله مستشاراً له وتوكيله جانباً من أعمال الملك لثقتة الكبيرة به وبذكائه وأمانته..

سمع كين صوت باب المكتبة يفتح في تلك اللحظة، وهو أمر تعجب له لقلّة الأشخاص الذين يأتون للمكتبة في مثل هذا الوقت.. التفت نحو الباب ليرى رجلاً يقارب الثلاثين من عمره، بشعر أسود قصير وملامح تشبه ملامح كين شبيهاً كبيراً إنما يفوقه طولاً وقوة جسدية بسبب تدريبه العسكري.. يرتدي ملابس بسيطة إنما فخمة المظهر، ويحمل بيده صولجاناً ذا رأسٍ ذهبي مزخرف.. فقال وهو يقترب منه "ما الذي يجعلك تنزوي في المكتبة أغلب الأوقات؟.. أنا لا أكاد أراك بتاتاً في قاعة الحكم.."

أجاب كين "ألا تعلم كم افتقدت هذه الكتب طوال السنوات الماضية يا ترمين؟.. لا أهمية للكتابة والقراءة بتاتاً عند الأكاشي، ولا يمكنك العثور على ظل كتاب في أي موقع من تلك السهول.."

علق ترمين قائلاً "لا عجب أن يوصف الأكاشي بأنهم همجيون.. لا أدري كيف تمكنت من البقاء معهم لما يقارب سبع سنوات.."

غمغم كين "لم يكن الأمر بالسوء الذي تتخيله.."

ابتسم ترمين معلقاً "حقاً؟!.. هذا غريب منك أنت.. أذكر حديثك عن الأكاشي مرة ووصفك لهم بأبشع الأوصاف عندما قرأت عنهم في أحد الكتب.."

فقال كين "لكن العيش معهم ليس كالقراءة عنهم بحال.. ولو عرفتهم، لأدركت أنهم يملكون صفاتٍ ندر وجودها في شعوب كثيرة من هذا العالم.."

تساءل ترمين وهو يجلس على كرسي قريب "مثل ماذا؟.."

أجاب كين باهتمام "الشجاعة، والقوة، والإقدام على أي أمر دون وجل.. الأكاشي لا يعرفون الخوف، ولا يخشون الموت أبداً.. رغم أن القتل عندهم سهل جداً، لكنهم يعشقون الحياة بشكل ما، وعلاقتهم بأبناء

قبيلتهم هي علاقة وطيدة لا نكاد نجد مثلها بين أفراد العائلة الواحدة.. ولا وجود للطبقية بينهم بتاتاً..  
الزعيم وأفقر شخص في القبيلة يجلسان على بساط واحد ويتناولان طعاماً واحداً.."  
ظل ترمين يستمع له بابتسامة وكين يضيف "لا تجد شخصاً ينام في العراء، ولا من يبات بجوعه دون أن يحصل على طعام.. إنهم شعبٌ يحمل فخراً بأصله رغم استهانة باقي الشعوب بهم، ولا تجد بينهم من يسعى للرحيل والتنكر لأصله.. وهذا قليل مما وجدته مثيراً للإعجاب فيهم.."  
اتسعت ابتسامة ترمين معلقاً "أتدري أنك تبدو بغاية السعادة وأنت تتحدث عن الأكاشي؟.."  
نظر له كين بدهشة وقال "لا.. لا أظن أن هذا هو حالي الآن.."  
قال ترمين بتأكيد "بلى.. ملاحظك تشرق بشكل مذهل وعينك تلتمعان وأنت تتحدث عنهم.. لا تقل لي إنك أحببت هذه القبائل الوحشية!.."  
صمت كين بحيرة لاقتناع ترمين بهذا القول، بينما مال ترمين نحوه متسائلاً "أم أن هناك فتاة معينة منهم قد احتلت عقلك؟.."  
كان صمت كين واحمرار أذنيه إجابة شديدة الوضوح على هذا السؤال، فقال ترمين بجدية "أنت لا تفكر بالعودة يا كين.. أليس كذلك؟.."  
قال كين بضيق "لم الكل يسألني هذا السؤال؟.."  
تراجع ترمين بظهره للوراء معلقاً "أنت تعلم أنني لن أسمح لك بذلك.. ولن أسألك لو فكرت به قط..  
ضع هذا في ذهنك دائماً.."  
غمغم كين بوجوم "لا تقلق.. لم تعد عودتي للسهول ممكنة بتاتاً يا أخي.. فلا تقلق.."  
سمعا صوت الباب يفتح، ولم يلبث أحد الجنود أن ولج مؤدياً التحية لهما قائلاً "هناك شخص يطلب رؤيتك يا مولاي.."  
دهش كين لأن الحديث موجه إليه هو بالذات وليس لأخيه الملك، فتساءل "ومن يكون؟"  
أجاب الجندي "إنه رجل غريب ومثير للشبهات.. كنت أنوي طرده فمثله لا يجلب إلا المتاعب، لولا أنه قد قدم إليّ هذا الخاتم دليلاً على أنه قادمٌ بطلب منك أنت يا مولاي.."  
اختلت دقات قلب كين مع رؤيته لخاتمه الفضي الذي يعرفه تمام المعرفة.. فتناول الخاتم من يد الجندي ونظر

إليه بصمت وصدمة للحظات، وقد فاجأه الأمر في هذا الوقت بالذات.. ثم نظر للجندي قائلاً بلهفة "أين هو؟.. أحضره إليّ حالاً.."

فقال الجندي "إنه لا يزال عند بوابات سور القصر.. لم أتمكن من السماح له بالدخول بشكله المشبوه، كما أنه قد أحضر صندوقاً كبيراً بالي الشكل معه ورفض طلبنا لتفتيشه مما أثار توجسي أكثر فأكثر.."

لم يكد الجندي يتم قوله وكين يتجاوزه راكضاً دون تردد متجاهلاً صياح ترمين خلفه.. هرع عبر طرقات القصر وممراته نحو بابة الذي يفضي للحدائق البديعة حوله.. ولم يتوان عن الركض عبر ممرات الحديقة نحو بوابتها الرئيسية حيث رأى جمعاً من الجنود يحيطون برجل غريب الهيئة وسطهم.. ولما لاحظ الجنود اقترابه منهم، وقفوا له باحترام وأحدهم يقول "مولاي.. هذا الرجل الغريب....."

قاطع كين بنفاذ صبر "أعلم ذلك.."

وخلف الجنود، استطاع أن يلمح ذلك الرجل المألوف ببشرته السمراء والجرح المائل على جبينه حتى أنفه.. فاقرب منه كين قائلاً بانفعال "تبريق؟"

ابتسم تبريق ابتسامة واسعة رغم التعب البادي على ملامحه.. لاحظ كين أنه بدأ أضعف من السابق والإرهاك قد بلغ منه مبلغه، لكن ابتسامته كانت تحمل القوة والصلابة التي عهدهما فيه.. فقال كين "من كان يظن أنني قد أراك في كاشتار بعد كل هذا الوقت؟.."

علق تبريق بابتسامة "ظننتك قد طلبتني بالتحديد يا كين.."

اقرب منه كين وصافحه شاداً على يده بيديه وقال بانفعال "لقد طلبت منك ذلك بالفعل، لكن لم أتوقع يوماً أن تفني بوعدك لي بكل أمانة.."

فرد تبريق بشيء من الحنق "أنت تعلم أن الأكاشي لا يكسرون كلمتهم أبداً.."

وأشار لما خلفه مضيفاً "وها هو ما استأمنتني إياه قد عاد إليك.."

تجاوزه كين وهو يهرع إلى صندوق موضوع على عربة بسيطة خلفه، بحجم كبير شيئاً ما وقد اهترأت جوانبه لطول تنقله، فقال كين بلهفة "أهي هنا حقاً؟.."

قال تبريق "أجل.. هي هنا.."

أزاح كين غطاء الصندوق جانباً وسط دهشة الجنود لما بدا عليه من انفعال.. وفي قلب الصندوق، رأى

ذلك الجسد المنظوي بسكون وملامح متعبه وسط وسادة من القش السميك التي تمنحه بعض الحماية ضد الحركة العنيفة.. فبقي كين واقفاً يتأمل ملامح الوجه الذي يحفظ تفاصيله دون تعليق.. لا يمكنه أن ينكر الانفعال الذي شعر به لرؤية ججي، رغم أنه هو من طلب إحضارها إليه في اللقاء الأخير بينه وبين تبريق قبل أن يغادر سهول الأكاشي.. لكن رؤيتها فعلاً قد كان مفاجأة له بعد أن يتس من الانتظار وبعد الأخبار التي وصلتهم عما جرى في سهول الأكاشي..

سمع تبريق يقول "للأسف، كانت توقعاتك كلها صحيحة، وغدر بنا الملك العربي كما خمنت تماماً.. ومع إصابتها هذه، تأخرت في الهرب بها ولجأت لشخص عالجها بكل أمانة.. لكنني أيقنت بعدها أن عودتها للسهول ستشكل خطراً عليها، مع الأخبار التي تناقلها الجميع عن موتها.."

تساءل كين بقلق "هل اعتنيت بجراحها جيداً؟.."

أجاب تبريق "فعلت ما بوسعي طوال تلك الرحلة على ظهر السفينة، ودعني أقل لك أن الترحال عبر البحر هو أقسى ما شهدته في حياتي.. ورغم أن جراحها آخذة في التحسن، لكنها لم تستيقظ قط منذ سقطت في تلك الغيوبة.."

نظر له كين بصدمة متسائلاً "لم؟.."

أجاب تبريق هازماً كتفيه "لا أعلم.. لكن ربما تصبح أفضل لو تلقت علاجاً صحيحاً هنا.."

صاح كين بجنوده ليحملوا الصندوق برفق إلى القصر، ثم التفت إلى تبريق مضيفاً "تعال معي لتأخذ قسطاً من الراحة في القصر بعد عناء مثل تلك الرحلة.. أريد أن أسمع أخبار ما جرى في غيابي.."

لم يمانع تبريق وهو يتبعه للقصر متجاوزاً الحدائق الواسعة بهيجة المنظر، وقلب عيناه في الموقع بصمت وتعجب كبيرين معلقاً "رغم أنني تجولت لزمان في المدن والقرى العربية، لكن لا أظني رأيت ما يزيد على هذا القصر أبهة وجمالاً.."

غمغم كين بابتسامة صغيرة "وهل هذا ما يهم؟"

علق تبريق "لا أظن ذلك.. كيف يمكنك أن تقنع ججي بالبقاء في هذا القصر وعدم العودة للسهول؟"

تساءل كين بابتسامة "هل أصبحت تناديها بهذا الاسم الآن؟"

قال تبريق هازماً كتفيه "وهل هذا مهم الآن؟.. لكن حقاً.. كيف ستقنعها بذلك؟"

أجاب كين وهو يجلس مع تبريق في إحدى الشرفات المطلة على الحديقة "دع هذا لي.. المهم، أخبرني بكل ما جرى منذ رحيلي.. كيف استطعتم النجاة من هذا الكمين الذي أعدّه لكم الملك فارس؟"

قال تبريق زافراً "كما توقعت أنت، تعرضنا لخيانة من الملك العربي في الليلة التي تبعت لقاءه بالزعماء العشر الذين حضروا الاجتماع بالإضافة لججي.. وقد قتل جنوده الزعماء العشر الذين قام الملك بتخديرهم بخدعة منه، وكاد يتسبب بموت ججي لولا هربنا منه في اللحظة الأخيرة.."

وأضاف "لقد تفرقنا عن ججي عندما حاولت العودة مع الرجال لإحضار الخيول والهرب بها، لكن الجنود الذين يفوقوننا عدداً قد قتلوا معظم الرجال ولم ينجُ منهم إلا القليل وقد اضطروا للهرب على الأقدام.. أنا فررت منهم بعد أن قتلت أحد الجنود وارتديت ملابسه بغفلة عن الآخرين، ولما عدت بحثاً عن ججي وجدتها قد أصيبت إصابات بالغة وفقدت وعيها قرب نهر قريب بعد أن تخلصت من ثلاث جنود حاولوا اغتيالها.. ورغم صعوبة ما واجهته في تهريبها، لكنني نجحت في إنقاذ حياتها بالكاد.. فقد نقلتها إلى موقع إحدى قرى الصيد القريبة من مدخل الخليج الذي يفصل بيننا وبين المملكة العربية، ورغم قلق الرجل الذي عالجها لأنها لم تستفق مع مرور الساعات والأيام، لكنني رأيت أن إحضارها إليك قد يكون أكثر فائدة لها من إعادتها للقبيلة.."

غمغم كين بإشفاق وهو يتذكر هيئة ججي الغافية وسط الصندوق "لا بد أنها واجهت أوقاتاً صعبة وحيدة حتى عودتك.. ولو تأخرت أكثر من اللازم، لربما....."

بدا أن الفكرة تسوؤه، فصمت وهو يتنهد.. بينما انشغل تبريق بأصناف الطعام التي صفت أمامه وهو يغمغم بجذل "يبدو أنك تعيش في نعيم بالفعل.."

تأمل كين انهماك تبريق في تناول ما تطاله يده، ثم تساءل "ما الذي سيجري الآن لقبائل الأكاشي بعد هذه الخدعة الغادرة من الملك؟"

قال تبريق بدون أن يبدو القلق في صوته "لا نعلم.. لكننا سنستمر بالمقاومة دون شك.. لن نصمت على ما سيجري مهما طال الزمن.."

لم يعلق كين وهو مدرك أن الأمور قد تكون أسوأ من كل توقعات تبريق، لكنه قال بابتسامة راحة "سعيدٌ لأنك بخير يا تبريق.. ابق في القصر ما طاب لك حتى تسترد قواك بشكل كامل.."

هز تبريق رأسه نفيماً وقال "لا يمكنني ذلك.. عليّ الرحيل والعودة للقبيلة.. لا بد أن أخبار ما جرى قد وصلت إليهم، ولا بد أن تينا بأشد القلق الآن.."

ثم زفر وهو يتطلع للسماء مضيفاً "وما سيجري في السهول سيصل خبره إليكم بكل تأكيد.. فمما سمعته، لم تعد الأمور تبشر بأي خير.."

صمت كين وتفكيره يعود للسهول رغم ابتعاده عنها.. فما الذي سيجري فيها بعد كل ما جرى؟.. لا يمكنه ألا يقلق لمصير الأكاشي ومصير قبيلة ججي بعد أن قضى تلك السنوات معهم..

بعد أن أنهى تبريق طعامه، ونهض مستعداً للرحيل، اقترب كين منه فربت على كتفه قائلاً "شكراً لأنك حرصت على حماية ججي، وعلى إحضارها إليّ رغم مشقة ذلك عليك.. لن أنسى جميلك هذا يا تبريق.."

علق تبريق ضاحكاً "أنت أسديت لي جميلاً أكبر بغيابك عن عيني تينا.."

قطب كين قائلاً بضيق "أما زلت تظن أنها تحمل لي بعض المشاعر؟"

أجاب تبريق "لو كان الأمر كذلك، لما توانيت عن قتلك لأتخلص منك.. لكنني لم أعد بحاجة لذلك الآن.."

نظر له كين بصمت وهو لا يعلم كيفية التفريق بين جدّ تبريق وبين هزله، ثم سمعه يقول "اعتنِ بزعيمتنا يا كين.. وحاول أن تمنعها من العودة للسهول من جديد في الوقت الحالي.. ليس قبل أن تهدأ الأمور تماماً ويخفت أوار الحرب المشتعلة في أرجائها.."

واستدار مبتعداً عائداً من حيث أتى، بينما صاح كين خلفه "كن بخير يا تبريق.. وإياك أن تؤذي تينا بأي شكل كان.."

نظر له تبريق بحنق لهذا التعليق، فأضاف كين "مع غياب ججي، فإن تينا أصبحت وحيدة بشكل كامل.. ولو فقدت أنت أيضاً، فلا أحد يعلم ما سيصير إليه حالها بعدك.."

قال تبريق "أعلم ذلك بالطبع.."

وغادر دون أن يلتفت للوراء من جديد، بينما نظر كين للقصر خلفه مغمماً "وأخيراً، يا ججي.. أخيراً عدت إليّ.."

\*\*\*\*\*

في غرفة جانبية، لا تبعد الكثير عن الجناح المخصص لكين، استلقت ججي على سرير وسط الغرفة بصمت وسكون.. فبعد جلبها لقلب القصر، قامت بعض الخادومات في القصر بتنظيف جسدها بعد الرحلة الطويلة تلك، واستبدال ملابسها المهترئة بأخرى أنظف وأكثر ملائمة للحال التي هي عليه.. وبعدها، تولى طبيب القصر تفحص جرحها البليغ وعلاجه بما يملكه من معدات وأدوية..

ورغم العناية التي حصلت عليها في القصر بشكل لا تحلم بالحصول عليه في أي موقع آخر في العالم، فإن ججي رفضت الاستيقاظ من غيبوبتها تلك رغم مرور الأيام على بقائها في هذا المكان.. ورغم عدم تحسن حالها، لم يفارق كين موضعه قربها أغلب الأوقات بانتظار أن يبدو عليها أي تغيير للأحسن أو للأسوأ.. وفي أحد الأيام، فتح باب تلك الغرفة، ودلف منه ترمين ومن خلفه وقف جنديان بتأهب قرب الباب.. بينما تقدم ترمين من كين وقال "الآن عرفت أين تختفي من جوانب القصر ساعات طوال.. يبدو أن هذا قد أصبح مخبأك السري الجديد بعد أن هجرت المكتبة.."

لم يعلق كين وهو مندهش لقدم ترمين لهذا الجزء من القصر.. بينما نظر ترمين لججي التي لم تستيقظ بعد متأملاً ملاحظها وتساءل "أهذه هي؟"

أزاح كين خصلة انسدت على وجه ججي برفق وقال بابتسامة "أجل.. هي ذاتها.."

فقال ترمين بابتسامة جانبية "يبدو أن نساء الأكاشي مثل رجالهم الذين اشتهروا بقوة الجسد والصلابة.. لم أتوقع أن يقع اختيارك على فتاة تفوقك في كل شيء.."

نوعاً ما شعر كين بشيء من الغيظ لهذه المقارنة الدائمة بينه وبين ججي والتي يكون فيها خاسراً بكل تأكيد، لكنه قال بهدوء رغم ذلك "نساء الأكاشي يمتزن بجمال يتفوق على كثير ممن رأيت عيناى.. لكن هذه هي الوحيدة المختلفة والتميزة بينهن.. هي الوحيدة التي تملك جمال نسائهن وقوة رجالهم.."

تساءل ترمين بتعجب "وهل هذا ما أعجبك بها حقاً؟"

قال كين بابتسامة "بل أحببتها لأنها هي بالذات.."

فجلس ترمين جانباً قائلاً "لقد سألت طبيب القصر عنها.. وهو يقول إنه لا يملك وسيلة لإيقاظها ولا



لضمان حياتها.. لقد حاول علاج جراحها بكل ما يملك من علوم، لكن هذا أقصى ما يمكنه فعله.. " لم يعلق كين أو يبدو الارتياح على وجهه لهذا القول، فهو قد استجوب طبيب القصر مراراً وتكراراً بالفعل، وحصل على ذات الجواب في كل مرة.. ولما سأله ترمين "تبدو هادئاً بشكل غير معتاد.. ألا يقلقك هذا الأمر؟.."

أجاب كين بهدوء "لا.. ستستيقظ ججي عندما يحلو لها ذلك.. هذا ما أثق به.."

ضحك ترمين شيئاً ما وقال "أنت غارقٌ حتى النخاع يا أخي.. لشد ما تغيرت في هذه السنوات.."

ونفض مضيفاً "لا تقتل نفسك لو قررت فتاتك أنها لا تريد العودة لعالمنا هذا.."

فقال كين "لا تقلق.. لن أفعل.. ولن تفعل.."

لم يعلق ترمين وهو يغادر بابتسامة جانبية متعجبة، بينما التفت كين إلى ججي وتأمل قسماتها الهادئة هامساً

"متى ستعودين إلي يا أميرتي؟.. لا تتركيني أنتظر طويلاً فقد انتظرتك سنواتٍ طوال قبلها.."

ومسح على خدها بظاهر أصابعه مضيفاً "ولكم كان ذلك قاسياً بشدة.."

لكنه لم يلقَ منها جواباً كالعادة.. فتنهد وهو جالسٌ قربها بصمت كما اعتاد في الأيام الماضية دون ملل..

\*\*\*\*\*

عند عودة تبريق إلى مخيم قبيلة (أبناء الذئاب)، كان قد مضى شهرٌ منذ اليوم الذي غادر فيه بصحبة ججي وعشرين رجلاً للقاء الملك العربي.. كان لعودته صدئٌ كبيراً بين رجال القبيلة كلهم.. ورغم أنه أعاد شرح ما جرى لهم بين يدي الملك فارس مراراً وتكراراً، مكرراً ما قاله الذين سبقوه من الرجال ممن تمكنوا من الهرب، ورغم أنه أكد لهم مرات ومرات أن زعيمهم جام قد أصيب إصابة بالغة واختفى وسط الجبال، لكنه لم يتمكن من التخلص من أسئلتهم العديدة إلا بشقّ الأنفس.. لم يكن تبريق يريد الادعاء بأن ججي قد ماتت، لأنه يملك شكاً ضئيلاً بأنها قد تصرّ على العودة لو استيقظت وأدركت ما جرى.. لكنه في الآن ذاته لم يرغب بإبلاغ رجال القبيلة بحقيقة موقعها لئلا تنتشر الأخبار ويتم استهداف حياتها من جديد بعد أن نجت من ذلك بصعوبة..

وفي الآن ذاته، علم تبريق بما جرى في السهول في الشهر الماضي، وسادر يردد بحسرة وضيق "لقد انتهى كل شيء.. لو أن جام أنصت إلينا.. لو أنه هو والزعماء لم ينساقوا خلف طمعهم بإجراء معاهدة مع عدوهم.." علق تبريق قائلاً "لقد كانت نواياهم حسنة، ولم يقابلها الملك العربي بأمانة.. لقد خانهم في اللحظة التي رفضوا فيها وعوده الغادرة.."

علق شيتار قائلاً "والآن ما الذي سيجري للأكاشي؟"

أجاب سادر هازأ رأسه "الآن سنجني ثمار سعينا الحثيث للاحتفاظ بحريتنا وبأرضنا.. وأرجو ألا نندم على ذلك.."

وعندما عاد تبريق لخيمته بخطوات سريعة، وولج بابها الموارب، لاحظ أن الخيمة كانت باردة بشدة في الداخل، ولم تكن النار مشتعلة كما هي عادة في مثل تلك الأوقات مع اقتراب الليل.. ولما جال ببصره قلقاً في أرجائها، لاحظ جسد تينا التي كانت منطوية على فراشها بصمت دون أن تبدي حراكاً..

تقدم تبريق من فراشها مسرعاً وهو يقول بقلق "تينا؟!.. ما الذي جرى لك؟"

هبت تينا جالسة مع صوته وهي تلتفت إليه بوجه شاحب أنهكه التفكير والبكاء، ولما رآته وتأكد لها أنها لا تتخيل وجوده، فإنها قفزت واقفة وركضت إليه لترمي نفسها عليه دون أن تتمكن من كتم دموعها وبكائها كما حاولت أن تفعل في الأيام الماضية.. أحاطته بذراعيها وانتحبت وهي تدفن وجهها في صدره، بينما ضمها تبريق بقوة وهو يتساءل بقلق شديد "ما الذي جرى لك يا تينا؟.. هل أصبت بمكروه أثناء غيابي؟.. هل تعرض لك أحد الرجال بسوء؟.."

كان لا يزال يستنكر اهتمامها به ولا يتوقعه، لذلك لم يدُر في ذهنه قط أن تكون دموعها هذه بسبب غيابه أو بسبب الأخبار التي وصلت القبيلة عما جرى لهم مع الملك العربي.. ومع تساؤلاته الملحة، سمع تينا تقول بصوت باكٍ "أين كنت طوال تلك الأسابيع؟.. لقد وصلتنا أخبار عن خيانة الملك العربي لكم، وعاد قليل من الرجال الذين ذهبوا معكم مؤكدين موت البقية واختفاءك أنت وججي.. وما ظننت عندها أنك قد تكون حياً حتى الآن.. فكيف تفزعني بهذه الطريقة؟.."

غمغم تبريق وهو يشد ذراعيه حولها "أهذا البكاء خوفاً علي؟.."

ضربته تينا بقبضتها على صدره وهي تصيح "لمن هو إذاً؟.. لم أذق أي نوم طوال الأسابيع الماضية، وكلما

أغمضت عيني، أنهض مفزوعة وأنا أراك في الحلم مضرراً بدمائك.. ألا تعلم ما عانيته في غيابك والحزن يكاد يأكلني؟.."

ظل تبريق ينظر لها بتعجب وابتسامة ترسم على شفثيه، وما لبثت أن تحولت لضحكة عالية صدحت في الخيمة كلها بحيث رفعت تينا رأسها ونظرت إليه من بين دموعها قائلة بغضب "أتستهزئ بي؟.."  
لم يجبهها تبريق وضحكه مستمر بشكل أثار غيظ تينا التي أبعدته عنها وهي تدمدم "يا لك من أحمق.."  
لكن تبريق أمسك ذراعيها وهو يقول بابتسامة متسعة "هل تلوميني لأنني أضحك بسعادة غامرة؟.."  
نظرت له بدهشة وهو يضيف بحب "الآن، والآن فقط، تأكدت أنك قد أصبحت لي يا تينا.. أن قلبك قد أصبح ملكي، ولا مكان لشخص آخر فيه.."

خفضت تينا وجهها وهي تغمغم بصوت مرتجف "أنت أحمق بالفعل.."  
رفع وجهها بأصابعه قائلاً بابتسامة "أحمق لأنني أحبك؟.."  
سالت دموعها على خديها وهي تهمس بصوت متهدج "لا ترحل قط يا تبريق.. لا تتركني مرة أخرى أرجوك.."

ضمها تبريق إليه وهو يغمغم "أتمنى ألا يكون طلبك هذا خوفاً على نفسك.."  
هتفت وهي تنظر إليه "أنت تعلم أنني لا أخشى هذا.."  
ابتسم تبريق بابتسامة متسعة.. لم يدُر بذهنه قط أنه قد يشهد يوماً كهذا.. رغم أن تينا قد لانت مشاعرها ناحيته منذ بعض الوقت، لكن هاجساً قوياً كان يشعر أنها قد استسلمت لواقعها مع استحالة عودتها لكن.. وهذا ما كان يتسبب ببؤسه الشديد وهو يفكر بهذا الخاطر.. لكنه الآن قد تأكد أنه قد امتلك قلبها بشكل كامل، وما عاد يقلق من التفكير بمشاعرها نحوه بتاتاً..

تشبثت تينا به قائلة بصوت مرتجف "ماذا عن ججي يا تبريق؟.. أحمقٌ ما تناقله الأكاشي من أخبار؟..  
أهي...؟"

نظر تبريق لعينيها ملاحظاً الجزع فيها، فلم يتمكن من الكذب عليها كما فعل مع بقية رجال القبيلة.. فجدبها لتجلس وسط الخيمة وهو يجلس قربها قائلاً "سأخبرك بحقيقة ما جرى يا تينا.. لكن عديني ألا تبوح بهذا الأمر لأحد قط.. فليبق هذا سراً بيننا، حتى يحين الوقت الملائم لكشف مثل هذه الحقيقة.."

نظرت له تينا بانفعال شديد، بينما اختصر لها تبريق كل ما جرى لهما منذ مغادرة المخيم نحو ذلك اللقاء الذي سيحدد مصير قبيلتهم ومصير الأكاشي للسنوات القادمة.. ولم يتوقف عن حديثه حتى أخبرها بما جرى لججي وما فعله بها حتى قام بتسليمها لكين في عاصمة مملكة كشميت.. وبالطبع، شرح لها الأسباب التي دفعته لعدم إعادتها للقبيلة رغم كل شيء..

ولما فرغ من حديثه، قالت تينا بغير تصديق "كيف يمكن أن يحدث كل هذا؟.. ما الذي سيجري لها، ولنا، الآن؟.."

قال تبريق "لا أحد يعلم ذلك.."

فغمغمت تينا "أتظنها لن تعود؟.."

ابتسم تبريق مجيباً "بالنظر لشخصية مثل ججي فأنا أتوقع أن تحاول العودة فور أن تفتح عينيها.. لكنني متأكد أن كين لن يسمح لها بذلك.. لقد افترق عنها مرة، ولن يسمح لها بأن ترحل من جديد.."

ومع مرأى القلق في عينيها أضاف "لو رأيت القصر الذي يعيش فيه كين، فستغبطين ججي بالتأكيد.. كان قصرًا ضخماً ومهيباً.. وربما كان الأكبر مما وقعت عليه عيناى حتى الآن.."

علقت تينا "أتظن أن هذا ما سيسعدها؟.."

زفر مجيباً "لا.. لا أظن أن شيئاً مثل هذا سيسعدها بتاتاً.. بالنسبة لججي، العيش في خيمة بسيطة وسط هذه السهول الشاسعة سيكون أفضل بمراحل من العيش وسط قصر تحيطه الأسوار الضخمة.."

تنهدت تينا بصمت ووجوم، فأمسك تبريق يدها بيديه قائلاً "لا تقلقي لأمرها يا تينا.. لو قررت ججي العودة، فستعود رغم كل شيء.. ولو عادت، سنكون معها في كل الأحوال، ولن نسمح لمكروه أن يصيبها بتاتاً.."

همست تينا "ربما أنا حزينة لأنني قد لا أراها مرة أخرى.. لكنني أتمنى أن تكون بخير.. وأن تكون سعيدة أخيراً بعيداً عن أي ادعاء أو تصنع.. أن تعود الفتاة التي يفترض بها أن تكون، وأن تسعى خلف حياتها الخاصة وسعادتها الشخصية بعيداً عن حروب الأكاشي ومعاركهم التي لا تنتهي.."

ورفعت رأسها محدقة بالسقف وهي تغمغم "أتمنى، لو عادت، أن تعود لنا كججي.. لا كجام.."

\*\*\*\*\*

في صباح أحد الأيام، وأشعة الشمس تتغلغل عبر النافذة نحو السرير القريب مثيرة دفئاً لذيذاً يثير الرغبة بالانطواء والسكون والاستمتاع بكل لحظة منه.. في ذلك الوقت، والصمت يغمر الغرفة الهادئة، فتحت ججي عينيها فجأة لتحقق في السقف العالي فوق رأسها.. لوهلة لم تستوعب الوضع الذي هي فيه، حتى بدأ إدراكها يعود إليها شيئاً فشيئاً وظلت تتأمل المكان الغريب الذي وجدت نفسها فيه.. كان سقف المكان عالياً وتملؤه زخرفات بديعة، بينما الفراش الذي تنام عليه وثيراً بشكل لا يصدق وتضوع منه رائحة عذبة، ولم يكن مبسوطاً على الأرض كما اعتادت في السهول، بل تم رفعه بقوائم خشبية بشكل دهشت له.. وازدان المكان حولها بأثاث خشبي مزخرف يملأ كل بقعة ممكنة بازدهام لا تصدقه..

رفعت ججي جسدها بذراعين ترتجفان ونظرت حولها بصمت وصدمة والصداع يؤلم رأسها ويعجزها عن التفكير.. لكنها حاولت جاهدة أن تتذكر ما جرى لها آخر مرة قبل أن تفقد الوعي.. تذكرت خيانة الملك لهم، ومقتل زعماء القبائل على أيدي جنوده.. تذكرت محاولات قتلها، والإصابات التي أصيبت بها.. مدت يدها تتلمس خاصرتها حيث الجرح الأعمق الذي أصيبت به وقتها، فلاحظت أن الموضع لا يؤلمها وأنه قد التأم بشكل تام..

تلفتت حولها بدهشة غامرة.. إن هذا الموقع لا يمت لسهول الأكاشي بصلة، وهذا البنيان هو الأغرب الذي رآته في حياتها.. فهل استعادها رجال الملك العربي وساقوها له وهي فاقدة الوعي؟.. إذن لم لجأ لعلاجها؟.. لم لم يخلص منها وهي بلا حول ولا قوة؟.. ما الذي تغير منذ فقدت وعيها حتى استعادته؟..

شعرت بتوجس كبير مع تلك الأفكار بحيث أعجزتها عن البقاء في موقعها رغم الوهن الذي تشعر به.. أنزلت ساقها الحافيتين أرضاً وتأملت الأرضية الملساء اللامعة التي لا تغطيها أي سجاجيد.. كيف يعيش هؤلاء البشر في مباني مكتومة مثل هذه؟..

تجاوزت أفكارها وهي تخطو بوهن على الأرضية الباردة المستوية، لكنها سقطت على الفور بعد أن عجزت ساقها المرتجفتان عن حملها.. لهثت ججي بتعب ودوار يغزو رأسها وهمست بصوت مبسوح "ما الذي

جرى؟.. ما بالي ضعيفة بهذا الشكل؟.. ما الذي فعلوه بجسدي؟.."

ضربت ساقها بقوة بقبضتها محاولة دفعها للحركة كما اعتادت، ثم نهضت مضغضة الأعضاء وهي تشعر بتعب بالغ وحنق شديد.. لم تكن تتخيل أن جسدها يمكن أن يخونها أو يستسلم لتعبه بهذه الصورة.. إنها لا تستطيع اجتياز هذه الغرفة، فكيف ستمكن من الهرب من هذا المكان والعودة لقييلتها؟.. حاولت الوصول للباب في الجانب البعيد من الغرفة بخطوات متخطبة وهي تكاد تتعثر بقطع الأثاث الذي تزدحم به الغرفة، بينما تسحب ساقها سحباً وهي تتشبث بكل ما تقدر على الوصول إليه..

ولما وصلت إلى الباب أخيراً بعد مجهود كبير، وقفت للحظة متمسكة بمقبضه وهي تزفر بشكل متتابع، ثم جذبت الباب لتفتحه ملاحظة وزنه الثقيل مقارنة بالأبواب التي يستخدمونها في قبيلتها.. لذلك كان عليها بذل مجهود أكبر لفتحه آملة أن يقودها للخارج.. لكن إحباطها كان كبيراً وهي ترى ذلك الممر الذي يؤدي إليه الباب والذي كان ممتداً أمامها بطول لا يصدق.. خطت ججي خطوة للخارج متلفتة حولها بدهشة، فرأت امرأة لم تعرفها تقترب منها راكضة بانفعال شديد، فأمسكت بذراع ججي وحاولت إعادتها لتلك الغرفة عنوة.. لكن ججي خبطت يد المرأة بأقوى ما تملك وغادرت متمسكة بالحائط.. ظلت المرأة تحاول إجبارها على العودة لموقعها السابق وتكلم بالحاح بلغة لم تفهم منها ججي كلمة، ولما يئست من كسر عنادها، انطلقت عائدة من حيث أتت راكضة وججي تراقبها بتوتر شديد.. ازداد توترها مع رؤية تلك النوافذ الزجاجية العريضة التي تحتل جانباً من ذلك الممر، ولمرأى تلك الحديقة الزاهية التي تقع خلفه وفيها أنواع من الأشجار لم يسبق لججي رؤيتها.. أين هي حقاً؟.. ما الذي تفعله هنا؟..

رأت جندياً يقترب منها بخطوات سريعة والدهشة بادية على ملامحه.. كان يرتدي زي جنود عادي مقارنة بما رأته في ساحة المعركة، لكنه يحمل سيفه معلقاً بحزامه.. وقفت ججي تراقبه بصمت وحذر، ورغم أنها كانت تشك بكونه يسعى خلف حياتها، لكنها لم تتخل عن حذرهما تماماً.. ظلت واقفة وهي ترمقه بصمت، ولما اقترب منها وحاول أن يمسك ذراعها، فإنها تحركت بسرعة لم يتوقعها وجسدها يتصرف بتلقائية اعتادها منذ سنوات طوال.. فانحنت بسرعة على ركبتها وجذبت سيفه من غمده دون أن يتوقع ذلك، ثم دفعت السيف بسرعة نحو عنق الجندي الذي دهش وتراجع خطوة والطرف الحاد للسيف يلمس جلده.. حاول الجندي استعادة السيف منها، لكنها سحبته بعيداً عن متناول يده وركلت ساقه بقوة بحيث سقط

للوراء، عندها اعتدلت ججي مستشعرة آلاماً لا تطاق في جسدها لهذا النشاط المبالغت، لكنها تجاهلت ذلك وهي تضع ركبته على صدر الجندي وتضغط السيف بشكل عرضي على عنقه بتهديد وهي تقول بلهجة حاولت جعلها صارمة "لم أحضرتوني إلى هنا؟.. ما الذي تنوون فعله بي؟.."

لكن الجندي أمسك السيف وأبعده عن عنقه رغماً عنها وهي تحاول مقاومته، لكنها كانت أضعف من أن تتغلب عليه.. عندها ضمت قبضة يدها ووجهت له لكمة ظنتها قوية، ليتلقاها الجندي براحة يده الأخرى ببساطة..

كانت ججي مرتاعة للضعف البادي على جسدها في مواجهة أحد أعدائها.. إنها لم تعد تملك أي شيء مما كانت تتميز به سابقاً.. لا القوة ولا المهارة ولا حتى الإرادة على مواجهة ما يمر بها.. فما الذي فعلوه بها؟!.. هل سقوها سماً يوهن الأعضاء تدريجياً ويصيب العقل بالدوار الدائم؟..

وبينما حاولت مقاومة الجندي والتفكير في وسيلة للتخلص منه بأسرع ما يمكن، تناهى لسمعها صوت عدد من الأقدام التي وصلت لرأس الممر.. رفعت ججي رأسها تنظر لذلك الموقع بقلق لتجد عدداً لا يقل عن أربع جنود يقتربون منها.. كان الوضع يتأزم لعينيها، فهل تستسلم وتعود لسجنها المزخرف ذاك وهي لا تعلم ما يراد بها؟..

وبينما تأهبت للمقاومة متراجعة خطوة للوراء، والجندي الذي سقط قد نهض بدوره ووقف أمامها، سمعت في تلك اللحظة كلمة قيلت تجمد لها الجنود قبل أن يستديروا جانباً مفسحين الطريق لرجلٍ آخر.. وقبل أن تتمالك ججي نفسها لما يجري، سمعت الصوت يقول بخفوت وشيء من الانفعال "ججي؟.."

رفعت ججي بصرها نحو صاحب الصوت الذي مرق بين الرجال دون أن يعترض طريقه أحد.. كان صاحب الصوت ذا قامة مألوفة وخطوات اعتادت رؤيتها.. ملاحظه تحفظها عن ظهر قلب.. ذات الشعر الفاحم وذات العينين الزرقاوين.. ذات الوجه النحيف وذات الصوت الهادئ.. فكيف لها ألا تعرفه من اللمحة الأولى؟..

تقدمت ججي خطوة وهمست "كين؟!..!"

كانت تحتفظ بجزء صافٍ من عقلها يكفي لتدرك أن كين قد رحل بالفعل.. لم يعد له وجود في حياتها منذ ذلك الوقت.. فما الذي أتى به أمامها الآن؟.. ما الذي أتى به بين أعدائها الذين قاتلهم إلى جوارها منذ

البدء؟.. لكن وجوده ومثوله أمامها في تلك اللحظات أمر لا يصدق عقلها.. هذا حلم.. إنها موقنة أن كل ما تراه حولها من بنيان غريب وأمور لا يصدقها عقل هو وليد خيالها فقط.. ولا بد أن الوهن المريع الذي تشعر به وليد أحلامها ومنبعه هو اجسها الدائمة.. أليس كذلك؟..

تقدمت بخطوات متخبطة وهي تكاد تصطدم بجدار الممر، لكنها دفعت نفسها للسير دفعاً وهي تصيح "كين....."

هبّ كين إليها بينما دفعت ججي قدميها لتسير إليه وهي تمد ذراعيها نحوه.. ولما وصلت إليه تشبثت به وهي تسقط بثقلها فتسقطه معها.. فقال كين بقلق "ما الذي تفعلينه بنفسك يا ججي؟.."

تشبثت به ججي وهي تتأمل ملامحه، وقالت بصوت مرتجف "أرأيت ما حل بي؟.. أرأيت ما وصلت إليه؟.. هل تدري ما حلّ بي يا كين منذ رحيلك؟.."

قال كين وهو يحاول تهدئتها "بالطبع علمت بكل ما جرى لك.."

والتفت إلى الجنود فألقى إليهم أمره بلغة الكشميت، عندها انسحب الجنود بصمت بينما هزت ججي كين وهي تمسك بملابسه وقالت بصوت متهدج "كيف يمكنك أن تعلم بما حل بي؟.. أأنت أنت من خدعني؟.. أأنت أنت من تركني ورحل؟.."

وتشبثت به أكثر وهي تسند جبينها لصدرة هامسة "كيف تفعل هذا بي؟.. كيف تجرؤ على فعل هذا؟.."

سالت دموعها وهي تنشج بحرقه للألم الذي سعت جاهدة لكتبته منذ تلك الليلة التي اختفى فيها.. سالت دموعها ألماً وندماً وحسرة على ما جرى في ذلك الوقت وعلى ما واجهته بعدها.. على من مات وعلى ما خسره الأكاشي منذ تلك الليلة.. لكن كين لم يعلق وهو يرفعها بخفة ويسير بها عبر الممر عائداً للغرفة السابقة.. كانت قد فقدت الكثير من وزنها بعد كل ما جرى، وبدت ضعيفة شاحبة الوجه بشكل لا يمكن أن يصدقه كين لو لم يره بنفسه.. لكنه صمت عن التعليق وهو يقترب من السرير ويضع ججي عليه.. فتشبثت به أكثر وهي تدفن وجهها في صدره وتذرف دموعها بلا انقطاع.. عندها ظل واقفاً في موقعه وأحاط رأسها بذراعيه وهو يضمها برفق هامساً "علام تبكين يا ججي؟.. أنت تبكين بحزن وألم، بينما يرتجف قلبي لهفة وسعادة.. لقد عدت إلي، واستيقظت من غيبوتك الطويلة.. ألا يفترض بك أن تكوني سعيدة كما أنا الآن؟.."



رفعت وجهها ونظرت له بصمت ودهشة ودموعها لم تنزل تغرق خديها الملتهين، ثم تساءلت بحيرة "ألست في حلم؟"

نظر لها كين بدهشة بدوره، فقالت ججي وهي تؤكد على قولها مشيرة لذراعيها "أنا واثق أنني أحلم.. لقد التأمت جروحي بسرعة كبيرة، وجسدي ما عاد يطيعني كالسابق.."

وتشبثت به مضيضة بانفعال "كما أنك هنا.. كيف يمكن ألا يكون هذا حلماً؟"

ابتسم كين معلقاً "قد يسعدك أن تعرفي أن هذا ليس حلماً، وأن كل ما تكرهينه سيزول بمجرد استيقاظك.. لكنني سأستاء بشدة لو كان ما أعيشه الآن مجرد حلم.."

ظلت تنظر له بدهشة، فقال وهو يعبث بشعرها "أنت لا تحلمين يا أميري النائمة.. كل ما تريه أمامك هو واقعي وحقيقي.."

نظرت ججي حولها دون أن تتمالك دهشتها، ثم لكمته بأقوى ما تستطيع في صدره وهي تتراجع للخلف في سريرها مبتعدة عنه.. لكن لكمتها لم تؤلم كين بتاتاً وهو يقول "هل هذا يشفي غليلك فعلاً؟"

قالت وهي تشيح بغضب "الن يشفي غليلي إلا عندما ألكمك بكامل قوتي.. وأنا لم أعد أملك منها شيئاً.."

ونظرت ليديها المرتجفتين وهي تقول بصدمة واضحة "لكن لماذا؟.. لو لم أكن أحلم، فلماذا أشعر بهذا الضعف الغريب علي؟.. لم أصبح جسدي لا يطيعني، وأصبحت غريباً أمام نفسي؟.. بل إنك لم تجد عسراً في حملي بجسدك الضعيف هذا.. كيف؟!.."

فقال كين وهو يمسك يدها "لقد كنت فاقدة الوعي ثلاثة أشهر يا ججي.."

نظرت له بدهشة، ثم تساءلت متلפתة حولها "ثلاثة أشهر؟.. أين أنا إذا؟.. هل نحن في إحدى مدن الملك العربي؟.. ما الذي جاء بك أنت إلى هنا؟"

قال كين بضحكة "ما الذي هيأ لك ذلك؟.. أنت في كاشتار.. عاصمة مملكة كشميت.."

نظرت له ججي بصدمة عارمة وهو يضيف "أنت على بعد آلاف الأميال عن سهول الأكاشي.."

قالت ججي باستنكار "ما الذي جاء بي إلى هنا؟.. كل ما أذكره هو فقداني للوعي في ذلك المنحدر بعد هربي من غدر الملك العربي.. فكيف وصلت إلى كشميت؟"

أجاب كين مبتسماً "استلزم الأمر مني اتخاذ بعض الإجراءات الاحتياطية قبل رحيلي، وأن أحمي رأسي

مراراً وتكراراً لتبريق ليوافق على خطتي تلك.."

نظرت له بدهشة وعدم فهم، فشرح لها كل ما جرى بينه وبين تبريق عندما حاول استعادته، وما أخبره به عندما أحضر ججي فاقدة الوعي في أحد الصناديق إلى ميناء كاشتار بعد رحلة طويلة.. عندها قالت ججي وهي تضع يدها على جبينها "كيف له أن يفعل ذلك؟.. لم لم يُعدني إلى القبيلة في ذلك الوقت؟"

أجاب كين "لأنك كنت مصابة وفي حالة حرجة.. وقد خشي عليك من غدر الأكاشي وأنت في هذه الحالة الضعيفة، بالإضافة لخوفه من انتقام الملك فارس.. فكان الحل الأمثل هو ادعاء موتك وإحضارك إليّ لأعتني بك.. وفي الواقع، لم يكن الموت بعيداً عنك كثيراً في الأشهر الماضية.."

صمتت ججي وهي تستمع له شاعرة بالدوار لما تسمعه، بينما أضاف كين "لقد قام الطبيب بعلاج جراحك، والتأمت بسرعة بسبب قوة جسدك، لكنك بقيت نائمة بإصرار عنيد رغم كل محاولاتنا.. أتعرفين كم ليلة بتّ فيها مسهداً يغمرنى القلق عليك؟.. أتدريين ما الهواجس التي انتابتني كلما غادرت مكاني إلى جوارك خشية أن أعود فأجد جسدك هامداً؟.. ألا تدركين كم بذلت من الجهد لإبقائك حياً؟.."

ظلت تنظر له بدهشة وصمت، فجذبها من جديد وضمها إليه بشدة وهو يضيف "سعادتي الآن برويتك تصل عنان السماء.. مهما كان حالك، فما يهمني أن تكوني حية.. وأن تكوني معي يا أميرتي.."

صمتت ججي وهي تستمع له محاولة التغلب على الدوار الذي راودها مثل تلك الفكرة الغريبة.. أيمن أن تكون في حلم حقاً؟.. أيمن أن تقبل بواقعها هذا وبجسدها الضعيف المتهاوي هذا؟.. أيمن أن تكون بعيدة عن موطنها هذا البعد الشاسع وهي التي لم تغادره قط؟..

لكن ما أراحها قليلاً، وما جعل قلقها يخفت ودقات قلبها تتتابع بهدوء، هو وجود كين إلى جوارها.. لم تكن تدرك كم أن وجوده ضروري لعودة الهدوء والراحة إلى نفسها.. ولم تدرك قط كم كان وجوده جزءاً منها هي.. ولا عتياد ججي على التحدث بكل ما يطرأ ببالها، مع كل من تعرفه عامة ومع كين خاصة، فقد قالت "كيف لي أن أشعر بالهدوء والسكينة لقربك مني رغم أنك أضعف مني بمراحل؟!.."

أبعدها كين شيئاً ما وحقق في وجهها بدهشة مثل ذلك الاعتراف، فأضافت "يبدو أن ضربة قوية قد أصابت رأسي.. فأنا أشعر بشيء من السعادة لأنك قد عدت إليّ.."

فقال كين بابتسامة متعجبة "لا أدري يا ججي إن كان يفترض بي أن أسعد لكلماتك هذه أم أظهر حنقي

لاستهزائك بي.."

فقلت بجدية "لكنني لم أهزأ بك قط، لقد عنيت كل كلمة قلتها.."

ظل ممسكاً بكتفيها وهو يتأمل ملاحظها بصمت، فقلت "لست أدري منذ متى أصبح وجودك مهماً بالنسبة لي، لكنني أظن حياتي مرتبطة بك بأقوى مما أتوقع.. وقد أدركت ذلك بالفعل عندما اختفيت فجأة من عالمي دون إنذار.."

فأحاط كين وجهها بيديه وهو يقول بعاطفة ظاهرة "لو أنك قد صارحتني بهذا قبل رحيلي، لما تركت جانبك أبداً.. ما دفعني للرحيل ظني أن وجودي لا يعني لك أي شيء، وأنت قادرة على الاستغناء عني متى ما انتفت حاجتك إلي.."

غمغمت ججي "كيف لك أن تظن ذلك؟.. ظننتني واضحة معك منذ البدء.."

ابتسم معلقاً "كيف ذلك؟.. هل ظننت أن تلك الكلمات ستعبر عن حبك لي؟.."

فضحكت معلقة "أجل.. من المفترض أن تفهم ذلك دون الحاجة لكلمات.."

سمعا صوتاً خلفهما يقول "رغم أنني أكره مقاطعة حديثكما هذا، لكنني مضطر لذلك.."

نظر كين وججي إلى ترمين الذي وقف قرب الباب بابتسامة مضيئة "سيكون من المخجل للملك أن يتسلل خارجاً من الغرفة خشية مقاطعتكما.."

علق كين بضيق "كان من المفترض أن ترسل من يستدعيني، لا أن تظهر أمامنا فجأة.."

فقال ترمين وهو يدخل الغرفة "كيف لك أن تخاطب الملك بهذه الطريقة؟.. أنت مستاءٌ من مقاطعتي لكما لهذه الدرجة؟.."

قال كين باستياء "بالطبع.."

تجاهل ترمين شقيقه وهو يلتفت إلى ججي التي ترمقه باهتمام.. فقال بابتسامة "عندما علمت باستيقاظ ضيفتنا من سباتها الطويل، أصررت على القدوم لرؤية الفتاة التي سلبت عقل شقيقي.. والترحيب بك في كاشتار وفي قصري بنفسي.."

فقال كين شارحاً الأمر لججي "هذا هو ملك مملكة كشميت، وشقيقي الأكبر ترمين.."

عندها قالت ججي بنبرة شكر عميقة "أنا شاكرٌ لك استضافتك لي طوال تلك الأشهر ورعايتكم لي.."

سأظل مدينة لكم بكل هذا ما حييت.."

فقال الملك "أنا أقدم خدمة لأخي بهذا الفعل، وهو من سيبقى مديناً لي.. لكن أتمنى أن تكون إقامتك معنا سعيدة مهما طال بك الوقت.."

علقت ججي بابتسامة "ربما كان أسوأ ما سيمر بي هنا هو اضطراري لأن أسمع شخصاً يتحدث بهذه اللكنة السيئة بعد أن تمكن كين من الخلاص منها بجهد جهيد.."

ضحك ترمين دون حرج لتعليقها على لكنته، ثم أضافت ججي "رغم أنني صدمت لرؤية المكان الذي أصبحت فيه، لكنني أدرك الآن أن الأمر ليس سيئاً كما تخيلت في البدء.."

علق كين قائلاً لشقيقه "لقد ظننت في البدء أنها في قصر الملك فارس.."

قطبت ججي قائلة "لقد فقدت وعيي عندما كنت ملاحقة من جنوده، لذلك ظننت أنهم نجحوا في استعادتي وإعادتي للملك العربي.."

فقال كين وهو يجلس على السرير جوارها "لو أنك كنت في قبضة الملك العربي، فلا أظنه يتوانى عن قتلك في تلك اللحظة.."

قاطعته ترمين قائلاً "يبدو أنك صرت مثل الأكاشي، فتفكيرك قد أصبح مثلهم.."

غمغم كين "سبع سنوات ليست بالشيء القليل يا ترمين.."

لر يعلق ترمين على ذلك وهو يقول مخاطباً ججي "لو تمكن الملك فارس من القبض عليك، مع ما كنت تمثينه للأكاشي ومع مساهمتك الكبيرة للحرب التي دارت، فسيستفيد من وجودك في معرفة السبيل الأسرع للتغلب عليكم.. نظراً لكونك امرأة، فلا شك أنه يظن أن من السهل استجوابك والحصول على ما يريد من معلومات.."

قالت ججي بهزء "يا له من رأي غير صائب.. فأنا لن أنحني له أبداً تحت طائلة التعذيب.."

قال ترمين "أنت لا تعرفين الملوك عندما يطمحون لأمر ما.."

قالت بكبرياء "بل أنت من لا يعرف الأكاشي حق المعرفة.."

نظر لها ترمين بابتسامة، ثم قال "والآن.. ما الذي تنوين فعله؟"

أجابت بسرعة "العودة لسهول الأكاشي.. أليس هذا أمرٌ مسلمٌ به؟"

نظر لها الإثنان بصمت للحظات طوال، فقالت بضيق "ما الأمر؟.. هل تنويان منعي من ذلك؟" علق ترمين قائلاً "لا.. لكن ما مغزى عودتك إلى هناك؟.. مما علمته أنه لم يبقَ من عائلتك إلا أخت متزوجة، فلمن ستعودين؟"

قالت باستياء متزايد "لقبيلتي.. للأكاشي.. فأنا سأظل منهم.. كما أنني زعيمة القبيلة كما تعلم.."  
قال كين بهدوء "لقد علمت أن تورشان قد استلم الزعامة من بعدك.."  
فأسرعت تقول "ربما استلمها مؤقتاً حتى عودتي، فلا بد أن يفعل ذلك شخص ما.. وربما اقتنعوا بموتي.. وبعودتي، فلا أشك أن أستعيد زعامتي على القبيلة بيسر.."  
فقال كين "وهل الزعامة هي ما تسعين إليه يا ججي؟"

قالت بضيق "ما الذي تعنيه؟.. لا تزال الحرب متأججة في السهول، وذلك الملك بخيانتته لنا لن يكون له عهدٌ معنا بعد الآن.. سنقاومه بكل ما نملك ونطرده من السهول شرّ طردة.."  
ليرعلق كين وهو يتبادل النظرات الصامتة مع ترمين، فقالت بحنق "ما الأمر؟.. ألن تشرحالي ما يجري؟"  
قال كين بعد أن زفر للحظة "لقد أخبرتك أن ثلاثة أشهر قد مرّت منذ سقطت فاقدة الوعي ذلك اليوم.. والكثير قد حصل في تلك الشهور الطويلة.."

قالت بقلب واجف "هل تمكن الملك العربي من دحر جيوش الأكاشي؟"  
أجاب كين دون أن يلاقي عينيها "بل استسلم له الأكاشي وأتموا المعاهدة التي كنت تنوين رفضها.."  
شعرت بقلبها يسقط عند قدميها وهي تصيح "كيف حدث ذلك؟.. لا يمكنني أن أصدق أن الأكاشي قد استسلموا للملك بعد كل ما جرى لنا معه.. لا بد أن هذا خبر كاذب.."

فقال كين "بل هو مؤكد.. لم يرضخ الأكاشي برضاهم، بل أرغموا على ذلك.. فبعد موت الزعماء العشر، حصلت بلبلة كبيرة بين الأكاشي لهذه المفاجأة وأصبحت غير مستقرة بشكل خطير.. وقد وجدها بعض الزعماء الأقل شأناً ممن لم يحضروا اللقاء فرصة للانقضاض على القبائل التي فقدت زعماءها.. فاشتعلت عدة حروب داخلية مصدرها تلك القبائل التي حاولت ضمّ القبائل المشتتة تحت جناحها.. حتى قبيلة طاغار، مع ما كانت تمثله للأكاشي، لم تسلم من هذا الأمر.."

ظلت ججي تستمع له بارتياح وصاحت "كيف يمكن للحمقى التفكير بهذا الأمر؟.. كيف لهم أن ينشغلوا

بحروب داخلية مع الخطر الذي يواجه الجميع؟!.."

علق ترمين "والملك فارس قد أحسن استغلال ذلك.. أرسل رسله لتلك القبائل المعتدية وتعهد بمعاونتها في فرض سيطرتها على باقي القبائل إن وافقت على إتمام المعاهدة معه.. وبالنسبة للقبائل التي وصفها كين بالضعيفة في السهول، كانت تلك فرصة لا تصدق لترفع من شأنها وتزيد رقعة مراعيها حتى لو كانت ستضوي تحت جناح مملكة فارس العربية.."

قالت بارتياح "وما الذي حدث لقبيلتي؟.. هل اعتدى عليهم أحد؟"

أجاب كين "لم تصلني معلومات محددة عن قبيلة (أبناء الذئاب) بخلاف هوية من استلم الزعامة فيها.. لذا علينا أن نفترض أنهم بأمان حالياً.."

ظلت ججي تستمع إليه بصدمة وضيق شديدتين، ودمدمت بغضب "كيف يمكن لتلك القبائل أن ترضخ للملك بهذه السرعة؟.. كيف لهم أن يخونوا الأكاشي لأجل زيادة مراعيهم ورفع قبائلهم دون أن يبذلوا جهداً حقيقياً؟.. كيف يفكر هؤلاء؟.."

علق كين قائلاً "لقد أحسن الملك استغلال هذه الرغبة القوية لدى تلك القبائل للبروز، فساندها بقوة عارضاً عليها ذات العرض الذي رفضتموه سابقاً.. أن ييسر حكمه على السهول دون تدخل مباشر، باستثناء بناء المدن الساحلية التي ستكون موانئ تعزز خط سير التجارة، وتقوية الطرق التجارية البرية وسط السهول دون عدوان عليها من الأكاشي.. وكان هذا عرضاً مغرياً لم يتمكن ذوو النفوس الضعيفة من تجاهله.."

قطبت ججي بشدة وهي تشعر بغیظ شديد مما سمعه، فأضاف كين "هكذا ترين أن الأمور ليست مستتبة في السهول، ووجودك هناك فيه خطورة عليك بكل تأكيد.."

نظرت له باستياء وهو يضيف "رؤيتك في هذه السهول قد لا تكون مستحبة في هذه الأوقات يا ججي.. ولن يسعد الملك بفكرة عودتك وتحريضك للأكاشي على مقاومته.. الآن، وأنت لم تعودى زعيمة قومك، سيكون من الأسهل عليهم التخلص منك بشكل تام دون أن تبذل قبيلتك جهداً لحمايتك.. فما معنى عودتك إلى هناك؟.."

قالت ججي بحزم اختلط بمرارة واضحة "لكنني يجب أن أعود.. لا يمكنني أن أهرب في وقت كهذا.."

فقال كين بإصرار "وما الذي سيستفيده الأكاشي من عودتك هذه؟.. ما الذي ستستفيدينه أنت؟.. أتريدين إقناع نفسك أنك لازلت مهمة بالنسبة لهم وأن حياتهم ستتوقف بدونك؟.."

نظرت له ججي محتقنة الوجه وكين يضيف ممسكاً بكتفها "استسلمي وفكري بعقل هذه المرة.. عودتك للسهول لا نفع لها بتاتاً يا ججي.."

أشاحت ججي وجهها بانفعال وهي تلطم يده بعيداً قائلة بحنق "سأفعل ما أراه مناسباً.. اتركني وحيدة وسأقرر ذلك بنفسي.."

نظر لها كين بصمت وحيرة، ثم نهض دون اعتراض وترمين يقف قائلاً "يبدو أننا أزعجنا ضيفتنا بالفعل.. اتركها لترتاح قليلاً يا كين.."

لم يعارض كين ذلك وهو يتبع خطوات شقيقه، لكنه توقف عند الباب لوهلة متطلعاً إلى ججي.. فرآها لا تزال تتجنب النظر إليه والضيق باد على ملامحها.. عندها غادر بصمت دون أن يضيف كلمة.. إنه غير نادم على ما سببه لها من ضيق رغم إدراكه بوقع كلماته عليها.. ربما كان قد سبب لها ضيقاً بصراحتة تلك، لكن ججي بحاجة لذلك في هذا الوقت بالذات، لتستفيق لنفسها وتدرك أن الأمور ما عادت كما كانت عليه قبل فقدانها الوعي..

عليها أن تستسلم وتراجع عن عنادها ذلك.. وعندها، يمكنه أن يأمل ولو للحظة أنها سترضخ له وستوافق على البقاء معه في كاشتار.. وحتى ذلك الوقت، ربما كان من الخير لها أن تبقى وحيدة لتراجع قراراتها دون ضغط من أحد..

\*\*\*\*\*

مرت أيام وأسابيع هادئة في القصر الفخم بشكل لم تتخيله ججي قط.. رغم كل اعتراضاتها، إلا أنها لم تتمكن من التصرف بنفسها بتاتاً، ولم تستطع إلا أن تركز جهودها على استعادة قواها وقدراتها كالسابق.. وقد فسر كين هدوءها الأخير بأنها قد اقتنعت ببقائها معه، وبدا مسروراً بشكل ظاهر لكل من يراه.. وفي أحد الأيام، وقفت ججي في شرفة غرفتها تنظر للسماء الزرقاء الصافية مستشعرة الدفء الذي ترسله

الشمس عبر أشعتها للأرض، وهو أمر لم تعهده إلا قليلاً في سهول الأكاشي.. شعرت بشوق شديد لرؤية السهول الرحبة الخضراء والركض على ظهر فرسها دون حدود أو قيود.. اشتاقت لثقل السيف في يدها ولرائحة العشب الندي الذي يستقبلها كل فجر في جولاتها المعتادة حول المخيم.. بعد أقل من شهر واحد فقط منذ استيقاظها، شعرت ججي بشوق شديد لعالمها كبتته بصعوبة لئلا يشعر كين القريب بما يعتمل في صدرها، ولم تدرك أن مشاعرها قد فاضت بها إلا عندما شعرت بكين يمد يده ويمسح دمعة هطلت من عينها قائلاً برفق "ألن تكفي عن التفكير بموطنك يا ججي؟.."

تنهدت وهي تقلب بصرها في القصور الضخمة والمدينة الواسعة التي تبدو من خلفها، ثم غمغمت "ما الذي سيجري الآن؟"

هز كين كتفيه وأجاب "لا نعلم.. هناك عدة مؤشرات تدل على أن حرباً قد تندلع بين مملكتنا ومملكة فارس ومنبعها الجزر التي تنتشر في البحر الذي يتوسط القارتين.. الملك فارس قد اكتسب ثقة كبيرة بنفسه وبجيوشه بعد أن بسط ملكه على القارة العظمى إلا قليلاً.. وهذا جعله لا يتردد في التناوش مع جنودنا في عدة مواقع من تلك الجزر.. ولا أدري ما الذي يمكننا فعله لتفادي مثل هذه الحرب.."

قالت ججي بعد صمت قليل "ما الذي سيجري لي؟.. وما المفترض أن أفعله الآن؟" نظر لها كين بقلق ثم قال "ألا يمكنك الاقتناع بوجودك معي؟.. ألا يمكنك أن تنسي ما دفعك إليه قادور والعيش كما أنت فقط دون أي ادعاء؟"

غمغمت ججي "أنت تطالبي بنذ حياتي كلها يا كين.. ألن يكون ذلك قاسياً؟" قال كين بانفعال "بل أطلبك بأن تعيشي حياتك.. أنت عشت سنوات عمرك الماضية كما أراد لك قادور.. أصبحت رجلاً رغماً عنك، وانتحلت هوية ليست هويتك.. لم لا تعودين لما أنت عليه حقيقة وتعيشي حياتك كما تريدينها أنت لا كما يريد لها الآخرون؟.."

قالت مقطبة "من قال لك أنني كنت مرغماً لأصبح ما كنت عليه سابقاً؟.. هذا كان أنا، وأنت عرفتني بسبب ذلك.. أتظن أنك كنت ستعرفني أو ستلتقي بي لو كنت فتاة عادية كما كانت تينا؟.. أتظنني كنت قادراً على إنقاذ حياتك لو كنت فتاة لا يعبأ الرجال بما تقوله؟.."

قال كين وهو يمسك كتفها "أنا أعلم ذلك.. لا أطلبك بأن تتغيري بشكل تام يا ججي.. أنا أحببتك كما



أنت، ولا أريد أن تصبحي فتاة أخرى غير التي عرفتھا.. كل ما أطلبك به هو أن تتناسي أمر الزعامة التي فقدتها وأمر الحرب التي لم تعودى طرفاً منها.. فهل هذا عسير؟.."

صمتت ججي وهي تخفض وجهها.. كيف يمكنها ذلك؟.. هذا يعني أن تفقد هدفها في حياتها هذه.. أن تفقد ما شئت وهي تسعى إليه.. أن تخسر كل الجهود التي بذلتها سنوات عمرها كلها، وأن تنكر ما دفعها إليه أبوها وما سعى إليه مینار طوال تلك السنوات.. فكيف يمكنها فعل ذلك حقاً؟..

نظرت لوجه كين القريب الذي ظل يتأملها بتوتر وشيء من الأمل، ثم زفرت وهي تتأمل المدينة بصمت.. ما الذي عليها فعله حقاً؟.. إن أباهاً ميّتٌ ولن تقدر على أن تنال رضاه معها حاولت.. مینار قد مات أيضاً ولن يعينها على أي أمر بعد الآن.. وهي قد خسرت الزعامة التي نالتها بشق الأنفس، ولا تظن قبيلتها سترحب بها بعد الآن فقد انتفت حاجتهم إليها.. والمملك قد فرض سيطرته بالفعل على السهول ولا يوجد من سيوافق على الانضمام إليها في سعيها للانتقام منه.. فما الذي عليها فعله حقاً بعد كل هذا؟..

هل عليها أن تعيش حياتها الباقية دون هدف ودون أي معنى يقبله عقلها؟..

في الآن ذاته، التزم كين بالصمت بدوره وهو يراقب ججي.. إنه لا يلومها لسعيها الحثيث على العودة لموطنها.. لقد شعر بصعوبة شديدة في التأقلم مع العيش في كاشتار عند عودته من السهول بعد سبع سنوات من الغياب.. ففي هذه المدينة، فإنه لا يجد الكثير مما يشغله، ولا يملك البساطة التي كان يملكها وسط السهول والحرية في الرحيل أو العودة متى شاء.. ورغم أن ترمين كان مصراً على ضمّه لحاشيته وكمستشار له، لكن كين لم يكن متحمساً لذلك أبداً.. لم يعد يطبق التعامل برسمية كما يفترض به في هذا القصر، ولا يطبق دهاليز السياسة وخباياها التي تسبب له الضيق بمجرد التفكير بها.. فكيف يمكن لججي أن تتأقلم مع العيش هنا في وطن غريب عنها وبين شعب لا تفهم لغته؟.. كيف لها أن تنبذ حريتها وحياتها السابقة دون أن تجد ما يشجعها على ذلك؟.. إنه لا يلومها بتاتاً، لكن هل يرغب برحيلها من جديد؟..

في تلك الليلة، عاد كين إلى جناحه بعد وقت طويل قضاه مع ترمين في مجلسه يحاول تعلّم مهامه الجديدة ويلمّ بمتطلبات مثل ذلك الدور المهم.. كان الوقت قد قارب منتصف الليل، وقد دار في ذهنه تساؤل عن حال ججي بعد الكتابة التي رآها عليها في ذلك الصباح.. ودّ في تلك اللحظة لو يقدر على الالتقاء بها، لكن هل يستطيع أن يطرق باب غرفتها في مثل هذا الوقت ودون أي حرج؟.. لشدّ ما كان الأمر مختلفاً عما كان

عليه وسط سهول الأكاشي..

عندما دلف كين جناحه، رمى معطفه المزخرف جانباً واستلقى على سريريه بتعب بالغ.. كانت الإنارة خافتة في جناحه، ولم يرَ شخصاً فيه عند دخوله، لذا كانت دهشته عميقة وهو يسمع صوتاً يتردد بخفوت في جانب الجناح.. اعتدل في سريريه مقطباً وهو يرمق الغرفة الجانبية المخصصة لملابسه الخاصة حيث تردد الصوت مجدداً.. ولما نهض بشيء من التوجس مقرباً من الغرفة الجانبية بخفوت، لاحظ ذلك الشخص الذي خرج منها دون أن يبدو عليه أي تردد أو قلق.. بدت المفاجأة شديدة على وجه كين، ولما تعرف على ججي التي خرجت من تلك الغرفة ازدادت دهشته أضعافاً مضاعفة وهو يسألها "ما الأمر يا ججي؟.. كيف وصلت هنا؟"

وتأمل الملابس التي ارتدتها، والخاصة به، مضيفاً بتعجب "وما الذي تفعلينه بملابسي؟..".  
قالت متأملة الملابس التي ترتديها، والتي تكونت من بنطال جلدي وقميص قطني فضفاض وحذاء خفيف "لم أعر على أي ملابس مناسبة لي في تلك الغرفة إلا هذه.. والملابس الفضفاضة الطويلة الخاصة بالنساء لا تناسبني ولن تفيدني فيما أنوي فعله..".

شعر كين بشيء من التوجس وهو يسألها "وما الذي تنوين فعله في هذا الوقت المتأخر؟..".  
قالت بسرعة "سأرحل..".

قطب كين بضيق قائلاً "لماذا؟.. ما الهدف من عودتك للسهول الآن؟..".  
أدارت ججي وجهها جانباً بصمت للحظات، ثم قالت "لن أعود للسهول.. ليس كما تتوقع على الأقل..".  
نظر لها كين بدهشة متسائلاً "ماذا تعنين؟..".

استدارت إليه قائلة "لن أكون جام بعد الآن.. ولن أعود سعيّاً وراء الزعامة.. سأعود إليهم كججي، وبذا، لن يكون لأحد أي اعتراض على عودتي.. أليس كذلك؟"

ظل كين ينظر لها بدهشة ومزيج من الإحباط لما يسمعه.. ها هي تعلن أنها راحلة دون أي اعتبار له أو اهتمام به.. ولو رحلت، فهو موقنٌ أنه لن يراها مرة أخرى.. لكنه وجدها تمسك يديه بيديها بقوة وهي تقول برجاء "ألن تأتي معي يا كين؟..".

رفع حاجبيه بدهشة وهي تضيف بلهفة "سنرحل معاً، وسنعود للاطمئنان على القبيلة وعلى تينا وتبريق..".

فلنفعل هذا الآن قبل أن يمنعنا شقيقك الملك.."

خفص كين بصره بصمت وضيق، ثم قال "أنا لا أقدر على ذلك.. لا يمكنني قطعاً الرحيل عن كاشتار.."  
ضمت ججي قبضة يدها، وضربت كتفه بخفة قائلة بحزم "حتى متى ستبقى هكذا؟.. ما أهمية وجودك  
حقاً في هذه المدينة؟.."

غمغم كين "أظنن ألا أهمية لي هنا حقاً؟.."

قالت بسرعة "لا.. لكنني أسألك عما ترغب أنت بفعله.. هل تريد البقاء هنا؟.. أم تريد الرحيل؟.. أريد أن  
أسمع رأيك الصريح دون مداراة، وسأقبله مهما كان.."

صمت كين مطرقة للحظات قصيرة.. لكنه لم يكن بحاجة لوقت طويل لاتخاذ قراره بالفعل.. نظر لعينيها،  
وشعر بشيء من السعادة لرؤية اللفظة في عينيها لجوابه وهي تتأمله بكثب.. عندها تنهد باستسلام وقال "لا  
أظنني أستطيع تركك ترحلين وحيدة.."

ابتسمت ابتسامة سعيدة وهي تقول بثقة "كنت واثقاً من ذلك.."

فنظر في عينيها بثبات وهو يضيف "طبعاً سأفعل ذلك.. أظننت أنني أستطيع التخلي عنك بعد أن التقيت  
بك من جديد؟.. هذا ما لن تحلمي به بتاتاً.."

قالت بابتسامة جذلة "هذا رائع.. الآن ستصبح الأمور أكثر تشويقاً بالفعل.."

راقب كين حماسها للحظة، ثم استوقفها قائلاً "سنرحل معاً يا ججي، لكن لي شرط واحد.."  
نظرت له بدهشة وشيء من التعجب، فقال "أن لا تحاولي العودة للسهول الآن.. ليس قبل استتباب الأمور  
فيها بالفعل.."

قالت باستنكار "لرَ سنرحل إذأ؟"

أجاب كين "فلنرحل لأي مكان في هذا العالم.. يمكننا أن نجول بحرية في أي موقع تشائين.. لكن لن  
نقترب من السهول حتى أطمئن أن الحرب قد وضعت أوزارها فيها.."

نظرت ججي من النافذة القريبة للأفق المظلم الذي لا تتمكن أنوار المدينة المترامية من تخفيفه ولو قليلاً، ثم  
تلاعبت بابتسامة على شفيتها قائلة "موافقة.. أو بالأحرى، يمكنك أن تحاول إقناعي بذلك طوال هذه  
الرحلة.. وسنرى لمن ستكون الغلبة هذه المرة.."

قال كين بحزم " سأفعل ذلك بالتأكيد.. لا يمكنني أن أسمح لك بالمخاطرة بنفسك في مثل هذه الأوقات.."

صمتت ججي بابتسامة وهي تتقدم من النافذة، ففتحتها ودلفت للشرفة وهي تتنفس بعمق مستشعرة النسمة الباردة التي لامست وجهها.. شعرت أن تلك النسمة قادمة من السهول بالفعل، وأنها تحمل لها رائحة الوطن.. إنها تكاد تقسم أنها تشم رائحة النيران التي لا تكاد تنقطع في المخيم، ورائحة الجلد المدبوغ الذي وضع جانباً لتجفيفه، ورائحة الطعام البسيط والذي لا ترى طعاماً يفوقه لذة..

شعرت ججي في تلك اللحظة أنها لو مدّت أصابعها، للامست مكونات عالمها ذاك بالتأكيد.. فغمغمت بابتسامة جانبية وشغف واضح "يمكنك أن تحاول يا كين قدر ما تستطيع.."  
ولر يعلق كين في تلك اللحظة وهو يقف إلى جوارها بصمت كعادته..

\*\*\*\*\*

## .. النهاية ..

